



انتشارات دانشگاه تهران

۱۶۱۴

«قَدْ جَانَكُ نَصَاؤُ مَنْ رِيَّكُمْ»

«فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ»

«وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا»

«الأنعام - ۱۰۴»

الْإِسْلَامُ وَالشَّيْعَةُ (الْأَمَامِيَّةُ)

فِي

أَسَاسِهَا النَّارِجِيَّةِ

و
كِبَائِهَا الْأَعْتِقَادِيَّةِ

مُؤَلَّفَ لِصَنَابِي

محمود الشهباني المحرر

الأستاذ «الممتاز» بجامعة تهران

الجزء الأول (من الأجزاء الثلاثة)

الطبعة الأولى



عضارات دادانگانا- فدران
ع

الاسلام والشيعه (الاماميه)
ع

لمؤلفه الفاني

محمود الشهابي

ال

تاريخ

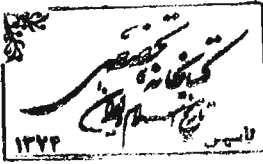
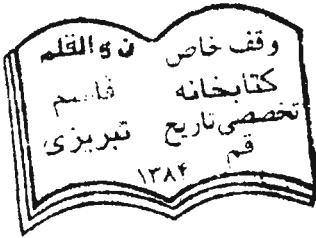
٥

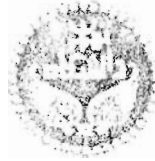
٥

٥



الأسلام والشيعه (الاماميه)



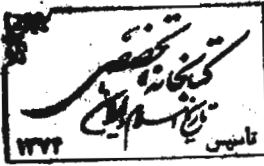


انتشارات دانشگاه تهران

شماره ۱۶۱۴

شماره مسلسل ۲۰۰۱

تهران ۲۵۳۶ شاهنشاهی



«قَدْ جَاءَكَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ»

«فَنَ ابْصَرَ وَفَلِنَفْسِهِ»

«وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا»

«الأنعام - ۱۰۴»

الاسلام والشيعه (الاماميه) في

اساسها التاريخي و كباينها الاعتقادي

ل مؤلفه اعناني

محمود الشهباني المحمدي

الأستاذ «الممتاز» بجامعة تهران

الجزء الأول (من الأجزاء الثلاثة)

الطبعة الأولى

« إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ . . . »

(سورة آل عمران، الآية ۱۹)

« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ »

(سورة آل عمران، الآية ۸۵)

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ »

(سورة البقرة)

« فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« أَنْتَ يَا عَلِيُّ وَشِيعَتُكَ »

(تفسیر الکبیر للطبری - ذیل الآية - بإسناده)

بَرَى النَّاسُ دُهْنًا فِي قَوَارِيرَ صَافِيًا

وَلَمْ يَدْرِ مَا يَجْرِي عَلَى رَأْسِ سِمْسِمٍ

ناشر

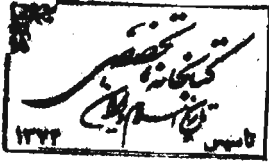
مؤسسه انتشارات و چاپ دانشگاه تهران

چاپ و صحافی این کتاب در آذرماه ۲۰۳۶ شاهنشاهی

در چاپخانه مؤسسه انتشارات و چاپ دانشگاه تهران به پایان رسید

کلیه حقوق برای مؤلف محفوظ است

بها : ۸۵۰ ریال



فهرس

عناوین مطالب الكتاب

اجمالاً

و

تفصیلاً

كليات ما فى الجزء الأول

- ١- حول التوجُّه الى المبدء والمآل وما يقتضيه الحال من الأعمال .
- ٢- حول الرسول والرَّسالة والمعجزة .
- ٣- حول الأديان الفاضلة، والكتب المنزَّلة، والإشارة الى اهمّ مزايا قرآن الكريم .
- ٤- حول كون الإسلام خاتِم الأديان ، فمنهاجُه اكمل المناهج .
- ٥- حول شخصيَّة الرسول ، العظمى صلتى الله عليه وآله وسلّم .
- ٦- حول كينيَّة الدَّعوة بمكَّة وسبب الجاء الرسول (ص) الى الهجرة .
- ٧- حول الهجرة الى المدينة ، وما جرى فيها و ترتَّب عليها .
- ٨- حول ماجرت فى سفره الأخير الى مكَّة للحجّ .
- ٩- حول ماجرت فى مرض الرسول صلتى الله عليه وآله وسلّم وحين وفاته .
- ١٠- حول العترة و اهل البيت .
- ١١- حول الخلافة والخليفة .
- ١٢- حول العودة الى السقيفة .
- ١٣- حول ماجرى بعد السقيفة .
- ١٤- حول نشأة الشيعة .
- ١٥- حول الاختلاف فى الخلافة .
- ١٦- حول الوقائع المهمَّة فى خلافة ابي بكر (رض) .
- ١٧- حول مدة خلافة عمر (رض) .
- ١٨- حول الطَّريق الثالث .
- ١٩- حول ماجرى فى خلافة عثمان (رض) .
- ٢٠- حول مواقف امّ المؤمنين ، عائشة ، والصَّحابة من عثمان .

فهرس ما فى الجزء الاول بالتفصيل

الصفحة
الف - سح

مقدمة الكتاب

- ١ -

حول التوجه الى المبدء والمآل وما يقتضيه الحال من الأعمال

- ١- من أين؟ و الى أين؟ ٢
- ٢- الانسان و شوقه الذاتى . ٣ - ٤
- ٣- كمال الانسان، الخاص به . ٤ - ٥
- ٤- سر التوجه الى الدين . ٦ - ٧
- ٥- المجهول الانسانى الأهم (من اين جئنا؟ و الى اين نذهب؟ وما علينا ان نفعل؟ ٧ - ٨
- ٦- طريق الفلاسفة فى معرفة ذلك المجهول . ٨ - ١٠
- ٧- الانسان عند الفريقين (الماديين و الالهيين) ١٠
- ٨- طريق الانبياء والرسل فى تعريف ذلك المجهول . ١١ - ١٢
- ٩- المام ببعض ما استند اليه لاثبات المبدء . ١٢ - ١٣
- ١٠- الطرق الصناعيّة لاثبات الصانع . ١٣ - ١٤
- ١١- طريق الفيلسوف الطبيعى لاثبات الصانع . ١٤ - ١٥
- ١٢- طريق الفيلسوف الالهى لاثبات الصانع . ١٥ - ١٦
- ١٣- تذييل (دليل من المؤلف لاثبات المبدء القيوم .) ١٦ - ١٩
- ١٤- اشارة الى اصول نافعة لأهلها . ١٩ - ٢٠

الصفحة

- ٢٠ ١٥- الطرق الأرشادية الفطرية في كيفية استقلال الأنبياء والرسل .
- ٢٢ - ٢٠ ١٦- آيات القرآن المجيد (طرز احتجاج ابراهيم)
- ٢٣ - ٢٢ ١٧- كيفية دعوة موسى لفرعون وقومه الى رب العالمين .
- ٢٦ - ٢٣ ١٨- ممّا ورد في دعوة نبيّ الإسلام الى الله تبارك و تعالى .
- ٢٦ ١٩- تكملة ، في انّ الاحتجاج على التوحيد من طريقين .
- ٢٧ - ٢٦ ٢٠- تذكرة في انّ كلمات ائمة الشيعة في التوحيد ...
- ٢٨ - ٢٧ ٢١- نقل حديث في مناظرة ابن ابي العوجاء مع الامام الصادق وافحام الامام اياه .
- ٢٨ - ٢٩ ٢٢- حديث آخر في مكالمة ابي شاکر الديصاني مع الأمام واحتجاج الأمام
لاثبات الصانع.
- ٢٩ ٢٣- حقيقة الدين والمتدين الحقيقي .

- ٢ -

حول الرسول و الرسالة و المعجزة

- ٣٤ - ٢٩ ٢٤- الرسالة ودلائل النبوة العامة : (دليل اللطف و دليل المدنية)
- ٣٤ ٢٥- دليل خاص للمؤلف على النبوة العامة .
- ٣٦ - ٣٥ ٢٦- الشئون الستة للانسان .
- ٣٧ - ٣٦ ٢٧- روابط الشئون كل مع الآخر .
- ٣٨ - ٣٧ ٢٨- ضرورة معرفة الروابط لواضع المنهاج .
- ٣٩ - ٣٨ ٢٩- تبصرة في انّ القوانين الموضوعة البشرية ناقصة .
- ٤١ - ٣٩ ٣٠- تلخيص الكلام في انّ وضع القانون الكامل ، غير مقدور للانسان .
- ٤٢ - ٤١ ٣١- التوجه الى من يدعى الرسالة امر فطري .
- ٤٣ - ٤٢ ٣٢- بما ذا يُعرف صدق الرسول ؟ .
- ٤٤ - ٤٣ ٣٣- ما هي المعجزة ؟ ،

الصفحة

- ٣٤- قوام المعجزة بامور . ٤٤ - ٤٥
 ٣٥- عرفان الرسالة، بنفسها، ادق الموازين و انسبها لمعرفة الرسول . ٤٥ - ٤٧
 ٣٦- خواص الرسول الذاتية، بما هو، رسول ثلاثة . ٤٧ - ٤٩
 ٣٧- ختام في نقل حديث يناسب دليل «اللطيف» . ٤٩

- ٣ -

حول الاديان الفاضلة والكتب المنزلة والاشارة الى اهم مزايا القرآن

- ٣٨- الأديان المشهورة الفاضلة ، والنظر فيها . ٥١ - ٥٢
 ٣٩- الكتب المنزلة - التوروية متعددة وهي غير اللوح النازلة على موسى -
 وكذا الاناجيل ، تاريخ جمع الاناجيل الاربعة - اناجيل أخر غير هذه الاربعة . ٥٢ - ٥٦
 ٤٠- القرآن المجيد ، انتسابه الى الرسول الصادق الأمين محمد بن عبدالله ،
 قطعي بالتواتر العام . ٥٦ - ٥٧
 ٤١- احياء القرآن ذكر الأنبياء والرسل السالفة و معجزاتهم . ٥٧ - ٥٨
 ٤٢- آيات من القرآن في حق موسى وشأن عيسى و امر كتابيهما . ٥٨ - ٦٠
 ٤٣- اشارة الى ان في ذكر القرآن معجزات الأنبياء نوع من التحدى . ٦٠ - ٦١
 ٤٤- نبذة مما نزلت في شأن الصديقة مريم . ٦١ - ٦٣
 ٤٥- تصريح القرآن ببيارة الأنبياء السالفة . ٦٣ - ٦٥
 ٤٦- اشارة الى امكان الاستدلال بالآيات الواردة لادعاء البشارة، على صدق الرسول . ٦٥ - ٦٦
 ٤٧- عمومية دعوة القرآن وكون رسالة الاسلام عامة . ٦٦ - ٦٧
 ٤٨- اهم مزايا القرآن المجيد . ٦٧
 ٤٩- التدريج في التحدى . ٦٨ - ٦٩
 ٥٠- اشارات : المماثلة للقرآن - كمال القرآن للهداية - كلمة «مِنْ مِثْلِهِ» . ٦٩ - ٧١
 ٥١- اسلوب «التحدى» في القرآن، بنفس القرآن . ٧١ - ٧٤

الصفحة

- ٥٢- وجوه اعجاز القرآن . ٧٤ - ٧٥
٥٣- وجهٌ خاصٌ للاعجاز على ما يراه المؤلف . ٧٥ - ٧٧
٥٤- الانسان والعقل - العقل آخر مدارج الانسان في اطوار حياته . ٧٧ - ٨٠

- ٤ -

حول كون الاسلام خاتم الاديان ، فمنهاجه اكمل المناهج

و اهديها الى ارشاد الخلائق

- ٥٥- دين الإسلام خاتم الاديان و باتباعه يكتمل الانسان . ٨٠ - ٨٢
٥٦- القرآن و بيان المسئلة المجهولة . ٨٢ - ٨٤
٥٧- القرآن و عرفان المبدء الاعلى . ٨٤ - ٨٨
٥٨- القرآن و بيان المعاد فى النشأة الأخرى . ٨٨ - ٨٩
٥٩- معرفة المعاد فى القرآن و حال حياة الانسان بعد مماته . ٨٩ - ٩٠
٦٠- القرآن و منهاج العمل و شموله لبيان جميع ما ينفع الناس و يضره . ٩٠ - ٩١
٦١- كمال المنهاج الاسلامى لاحتوائه كل ما يصلح الفرد و المجتمع . ٩١ - ٩٢
٦٢- القرآن و ارشاده الى العمل الصالح . ٩٢ - ٩٦

- ٥ -

حول شخصية الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم

- ٦٣- رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ، تاريخ حياته اشمل تاريخ للحياة و اكمله . ٩٨
٦٤- أسرة الرسول المكرمة . ٩٨ - ١٠٠
٦٥- اوصافه فى خلقته و شمائله و حليته . وصف على آياه . ١٠٠ - ١٠٢
٦٦- وصف هنده بن ابى هالة حلية النبى . ١٠٢ - ١٠٤
٦٧- خلقه العظيم و كماله فى جميع الاوصاف الكاملة البشرية . ١٠٤ - ١٠٥

الصفحة

- ٦٨- جامعيّة الرسول لجميع الكلمات . ١٠٥ - ١٠٦
 ٦٩- بعثته المباركة و جهالة العرب الجاهلي . ١٠٦ - ١٠٧
 ٧٠- جزيرة العرب فى الجاهليّة و حال العرب قبل الاسلام . ١٠٧ - ١٠٩
 ٧١- ابتداء دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ١٠٩ - ١١١
 ٧٢- منهاج الدين ناظر الى الفرد والمجتمع - شرع الاسلام ينظر الى الفرد
 كنظرة الى المجتمع . ١١١ - ١١٢
 ٧٣- نماذج مما دعا اليه الرسول - (منها حسن المعاشرة مع النساء) ١١٢ - ١١٤

- ٦ -

حول كيفة الدعوة بمكة وسبب الجاء الرسول (ص) الى الهجرة

- ٧٤- اول من آمن بالرسول و صلى معه من الرجال . ١١٦
 ٧٥- انتخاب النبى علياً من ولد ابى طالب . ١١٦ - ١١٧
 ٧٦- تربية النبى (ص) علياً و تربيته كولد له . ١١٧
 ٧٧- سنّ عليّ وقت ايمانه بالرسول . ١١٧ - ١١٩
 ٧٨- قيام الرسول بدعوة عشيرته الاقربين ، و مقام عليّ فيه . ١١٩ - ١٢٠
 ٧٩- نصّ الرسول بالخليفة بعده حين دعوة العشيرة . ١٢٠ - ١٢٢
 ٨٠- الوراثة عن الرسول . ١٢٢ - ١٢٣
 ٨١- من التصوص بخلافة عليّ عليه السلام . ١٢٣ - ١٢٤
 ٨٢- ابدال لفظ الحديث و تحريفه العجيب . ١٢٤ - ١٢٨
 ٨٣- كلام للسيد محسن ، الأمين العاملى ، مع ابن تيمية فى شأن الحديث . ١٢٨ - ١٢٩
 ٨٤- دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، الناس كافة . ١٢٩ - ١٣٠
 ٨٥- نشر الدعوة وآثاره - تضييق المشركين على الرسول و اصحابه . ١٣٠ - ١٣٢
 ٨٦- هجرة المؤمنين الى الحبشة و نبذة من قصيدة ابى طالب ، التلاميّة
 فى كون الاسلام حقاً . ١٣٢ - ١٣٣

الصفحة

- ٨٧- معاقدة قريش على معاداة الرسول (ص) وتضييقهم على بنى هاشم
في شعب ابى طالب . ١٣٣ - ١٣٤
- ٨٨- امر الصحيفه ونهاء الحصر، و ابيات من ابى طالب فى امر الصحيفه
واخرى قبيل وفاته فى الأيضاء بنصر «النبي» . ١٣٤ - ١٣٦
- ٨٩- خروج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى الطائف بعد وفاة ابى طالب . ١٣٦ - ١٣٨
- ٩٠- بيعة العقبتين - بيعة النساء فى الاولى ، و بيعة الحرب فى الثانية . ١٣٨ - ١٤٠
- ٩١- اذن القتال و امر الرسول بالهجرة الى المدينة . ١٤٠
- ٩٢- مؤامرة قريش لقتل الرسول فى اجتماعهم ثم اتفاقهم على راي ابى جهل . ١٤١ - ١٤٢
- ٩٣- العدة المنتخبة للهجوم على الرسول فى بيته، وخبثتهم ١٤٢ - ١٤٣

- ٧ -

حول الهجرة الى المدينة وما جرت فيها وما ترتبت عليها

- ٩٤- بدء هجرة الرسول (ص) وافتداء على نفسه . ١٦٦ - ١٤٧
- ٩٥- على فى مضجع الرسول، وقيامه باعباء تضحية نفسه عن الرسول (ص) ١٤٧ - ١٤٨
- ٩٦- كشف حقيقة الحال على المشركين المهاجمين ووقوفهم بمنام على
فى المضجع . ١٤٨ - ١٤٩
- ٩٧- قفوا المشركين اثر الرسول الى الغار وانصرفهم باليأس والتمس . ١٤٩ - ١٥٠
- ٩٨- فى طريق المدينة و ظهور الكرامة من النبى . ١٥٠ - ١٥٢
- ٩٩- ورود الرسول (ص) بالمدينة و بناؤه مسجداً فيها . ١٥٢ - ١٥٣
- ١٠٠- حدوث تاريخ الهجرى بامرہ (ص) ، وكتاب عهد شراء الرسول
سلمان الفارسى ، وعهده (ص) لابن اخى سلمان وأسرته، و كلام
من المؤلف فى شأن الثانى من العهدين . ١٥٣ - ١٥٧
- ١٠١- ورود على بالمدينة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ١٥٧

الصفحة

- ١٥٩ - ١٥٧ ١٠٢- خطبة الرسول (ص) بالمدينة في أول جمعة جمعها .
- ١٥٩ - ١٦٠ ١٠٣- في المدينة واتفاق القبيلتين: الخزرج والأوس على الأخوة الإسلامية، بعد ما كانت بينهما عداوة عريقة ومنافسة قديمة فاصبحتا بنعمة الله اخواناً، وسمّاهم الله جميعاً بـ «الانصار» كما سمّى الوافدين من مكة باسم «المهاجرين» .
- ١٦٠ - ١٦١ ١٠٤- اصطفاة الرسول (ص) علياً للاخاء، وكيفية المؤاخاة بين المؤمنين.
- ١٦١ - ١٦٠ ١٠٥- اخوة الدنيا والآخرة لعلّى مع النبىّ بقوله (ص) : انت اخى فى- الدنيا والآخرة .
- ١٦٤ - ١٦١ ١٠٦- المدينة والاسلام ، والأشارة الى الغزوات والتسرايا، والاصطلاح فيها، وعدة كلّ منهما .
- ١٦٦ - ١٦٤ ١٠٧- شأن عليّ فى تلك الغزوات ، ومواساته يوم الأُحد الذى فيه سمعوا : لاسيف الّا ذوالفقار ولافتى الّا عليّ .
- ١٦٨ - ١٦٦ ١٠٨- عليّ و غزوة الخندق وقول الرسول فى حقّه : «برز الأيمان كلّه الى الشرك كلّه»
- ١٦٩ - ١٦٨ ١٠٩- عليّ و غزوة خيبر وقول الرسول (ص) «لأعطينّ التلواء غدأرجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله» .
- ١٧١ - ١٦٩ ١١٠- سرعة نشر الاسلام ، وشدة تأثيره .
- ١٧٣ - ١٧١ ١١١- الاسلام خارق العادة فى التعليم والتربية .
- ١٧٥ - ١٧٣ ١١٢- من الوقائع العجيبة لتأثير الاسلام فى نفوس المسلمين .
- ١٧٦ - ١٧٥ ١١٣- ختام لبيان التأثير .
- ١٧٧ - ١٧٦

- ٨ -

حول ماجرت فى سفره الاخير الى مكة للحجّ

- ١١٤- حجة الوداع وتعيين الرسول ، المواقف والمناسك وتعليمه الفرائض والمواسم للحجّ .

الصفحة

- ١١٥- خطبة حجة الوداع، وفيها التوصية باستيحاء الخير للنساء، وكون المسلم اخ المسلم.
- ١٨٠ - ١٨٢
- ١١٦- اكمال الدين و اتمام النعمة، ولزوم التمسك بالثقلين: القرآن والعترة. و بيان مولوية عليّ لمن كان (ص) مولاة.
- ١٨٢ - ١٨٤
- ١١٧- نزول آية الاكمال و الاتمام يوم الغدير، و قول عمر لعليّ في هذا اليوم: «بَخُّ بَخُّ لَكَ...»
- ١٨٤ - ١٨٥
- ١١٨- آية التبليغ و نصّ الرسول على خلافة عليّ من بعده.
- ١٨٦ - ١٨٦
- ١١٩- انكار المخالف لنزول الآيتين يوم الغدير، لاعتبار له بعد اقرار جم غفير من اكابر علماء اهل السنة.
- ١٨٧ - ١٨٧
- ١٢٠- كلمات مع المنكرين واسئلة ينبغي التدبّر فيها.
- ١٨٨ - ١٨٨
- ١٢١- تجاهر الرسول بالدعوة من غير خوف و خشية.
- ١٩٠ - ١٩٠
- ١٢٢- وَهَمٌّ وَ حَسَمٌ (كلام بعض المفسرين لآية التبليغ، و بيان مافيه)
- ١٩٢ - ١٩٢
- ١٢٣- اسئلة يجب على المخالف ان يجيب عنها.
- ١٩٤ - ١٩٤
- ١٢٤- حول غدير خم، و نقل ابيات من حسّان شاعر رسول الله (ص).
- ١٢٥- طرق حديث الغدير. كتاب في نحو من ثلاثين مجلّد في طرق حديث غدير خم.
- ١٩٧ - ١٩٤
- ١٢٦- تواتر حديث غدير خم، و قول الحافظ ابى العلاء العطار الهمداني انه يروى الحديث عن مائى و خمسين طريقا.
- ٢٠٠ - ١٩٧
- ١٢٧- دلالة الحديث. تمحّلات باردة في تفسيره. التحقيق في تفسيره و تثبيت دلالته على المراد.
- ٢٠٢ - ٢٠٠
- ١٢٨- تذكرة فيها تبصرة.
- ٢٠٥ - ٢٠٢
- ١٢٩- ختام الكلام في حديث الغدير.
- ٢٠٦ - ٢٠٥
- ١٣٠- ترك الرسول (ص) الثقلين للامة.
- ٢٠٧ - ٢٠٦
- ١٣١- القرآن مع السنة، والعترة.
- ٢٠٩ - ٢٠٧

حول ماجرت في مرض الرسول وحين وفاته

- ١٣٢- مرض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وامره باتيان اللوح والدواة
ومخالفة عمر للامر، على ما في صحيح البخارى . ٢١٠- ٢١٣
- ١٣٣- حديث المخالفة من غير صحيح البخارى ايضا . ٢١٤
- ١٣٤- ماذا اراد الرسول ان يكتب ؟ ٢١٣- ٢١٤
- ١٣٥- ملاحظة كلام المخالف المانع . ٢١٤- ٢١٥
- ١٣٦- توضيح المقال بتحليل كلام عمر . ٢١٥- ٢١٦
- ١٣٧- سؤال عما كان يرتفع به الضلال (ماذا كان الذى يدفع ضلال الامة به؟) ٢١٦- ٢١٧
- ١٣٨- غرض المخالف المانع . ٢١٧- ٢١٩
- ١٣٩- مخرج الكلام المانع فى هذا المنع و بعض كلماته الأخر على ماخرجه
واولّه ابن ابى الحديد . ٢١٩- ٢٢٠
- ١٤٠- اعتراف عمر بمنعه عما اراد الرسول من الكتابة . ٢٢٠- ٢٢٢
- ١٤١- توجيه انصراف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عما امر به . ٢٢٢- ٢٢٣
- ١٤٢- فائدة امر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ٢٢٣
- ١٤٣- ماترك الرسول (ص) للامة . ٢٢٣- ٢٢٤
- ١٤٤- على هو الهادى ، به يهتدى المهتدون بعد الرسول المنذر (ص) . ٢٢٤- ٢٢٥

حول العترة و اهل البيت

- ١٤٥- من هي عترة الرسول الطاهرة ؟ ٢٢٨
- ١٤٦- فاطمة الزهراء بضعمة من رسول الله (ص) وسيدة نساء اهل الجنة ،
وايلائها ايذاء النبى (ص) ٢٢٩- ٢٣٠

الصفحة

- ١٤٧- عليؑ وفاطمة . ٢٣٠ - ٢٣١
- ١٤٨- الحسن و الحسين ابناء رسول الله . ٢٣١
- ١٤٩- حبّ النبيّ الحسين و ابويهما: «مَنْ أَحَبَّنِي وَ أَحَبَّ هَذَيْنِ وَ ابَاهُمَا وَ أُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٢٣١ - ٢٣٣
- ١٥٠- حديث الكساء و آية التطهير و قول عائشة (رض) في الطاهرين - ٢٣٣ - ٢٣٥
- المطهرين من اهل البيت ٢٣٣ - ٢٣٥
- ١٥١- العترة هي اهل البيت و عليؑ اصلهم و رأسهم . ٢٣٥ - ٢٣٦
- ١٥٢- الصلوة على آل محمد ، وهم العترة ، في الصلوة . ٢٣٦ - ٢٣٧
- ١٥٣- خطبة الحسن (ع) و تصريحه بانّهم «العترة» و العترة احد الثقلين ٢٣٧ - ٢٣٨
- و ثاني كتاب الله . ٢٣٧ - ٢٣٨
- ١٥٤- مَثَلُ اهل البيت ، مَثَلُ سُفِينَةِ نوح و مَثَلُ «باب حِطَّة» ، ٢٣٨ - ٢٣٩
- ١٥٥- عليؑ لا يقاس به احد ، علي ما قال عبد الله بن عمر و احمد بن محمد بن حنبل ٢٣٩ - ٢٤٠
- ١٥٦- موضع عليؑ من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم . ٢٤٠ - ٢٤١
- ١٥٧- عليؑ و القرآن ، يعرف ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه ، ٢٤١ - ٢٤٢
- و يعلم في من نُزِّلَتْ و في اى شىء نُزِّلَتْ . . . ٢٤٢ - ٢٤٣
- ١٥٨- عليؑ مع القرآن لن يفترقا حتى يردا على الرسول ، الحوض . ٢٤٣ - ٢٤٤
- ١٥٩- اشارة الى نكتة . ٢٤٣ - ٢٤٤
- ١٦٠- عليؑ في نشوئه الديني ، شدة تاثير تربية الرسول (ص) فيه . ٢٤٤
- ١٦١- مولد عليؑ و مماته في بيت الله (الكعبة و المسجد) ٢٤٥
- ١٦٢- اخلاص عليؑ : نقل ابيات منسوبة اليه في هذا الشأن و بيان مفاخره ٢٤٥ - ٢٤٦
- ١٦٣- الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و عليؑ من اصل واحد . ٢٤٦ - ٢٤٧
- ١٦٤- تأكيد لما سبق من مقام عليؑ من الرسول (ص) و انه (ع) بمنزلة نفسه (ص) ٢٤٧ - ٢٤٩
- ١٦٥- حديث المنزلة ، من الصحاح و المسانيد . ٢٤٩ - ٢٥٢

الصفحة

- ١٦٦- تلخيص المقال . وفيه ان النبي لم يجعل احداً على عليّ اميراً قطّ . ٢٥٢ - ٢٥٣
١٦٧- ختام الكلام بحديث من سلمان عن النبي في كون عليّ اعلم من غيره،
فهو موضع سرّه ووصيّه . ٢٥٣

- ١١ -

حول الخلافة والخليفة

- ١٦٨- السقيفة و تعيين الخليفة . ٢٥٦ - ٢٥٧
١٦٩- عليّ واشتغاله بتجهيز الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم . ٢٥٧ - ٢٥٨
١٧٠- اجتماع الانصار في السقيفة، وورود المهاجرين الثلاثة عليهم فيها . ٢٥٨ - ٢٥٩
١٧١- السقيفة تحت المداقة، احتجاج ابى بكر وعمر لصرف الامر عن الانصار ٢٥٩ - ٢٦٢
١٧٢- اسئلة حول الاحتجاج - الاحتجاج بالشجرة واضاعة الثمرة . ٢٦٢ - ٢٦٤
١٧٣- الثالث من الاسئلة: هل وقعت البيعة سالمة عن الأغراض الفاسدة ؟ ٢٦٥ - ٢٦٦
١٧٤- اول من بايع ابا بكر : بشير الخزرجى ثم اسيد الاوسى حسداً
و منافسة لسعد بن عباد . ٢٦٦ - ٢٦٩
١٧٥- الرابع من الاسئلة : كيف اكتملت البيعة مع عدم حضور اكابر المسلمين ؟ ٢٦٩ - ٢٧٠
١٧٦- الاعتذار بالاجتهاد وما فيه من الأيراد . كلمات عليّ الاجتهاد للبيعة ٢٧٠ - ٢٧٢
١٧٧- عدم مبايعة عليّ ستة اشهر، ومجيئ عمر لأحراق دار فاطمة . ٢٧٢ - ٢٧٤
١٧٨- البيعة خارج السقيفة و تصريح عليّ بأنه احقّ للخلافة . ٢٧٤ - ٢٧٦
١٧٩- اول من ابتز حقّ عليّ عليّ ما صرح به معاوية . ٢٧٦ - ٢٧٧
١٨٠- اول من ريث عن هذا الامر على ما نقل عن عمر . ٢٧٧
١٨١- بعض من تخلف عن بيعة ابى بكر ، واسماء اكابرهم . ٢٧٧ - ٢٧٩
١٨٢- البيعة وما فيها، أو الاجماع العجيب الذى ادعاه ابن ابى الحديد . ٢٧٩ - ٢٨١
١٨٣- الخامس من الاسئلة : اما صرح عمر بكون ذلك البيعة فلنة ؟ ٢٨١ - ٢٨٢

الصفحة

- ١٨٤- خطبة عمر و تصريحه فيها بكون البيعة فلتة ولكن الله وقي شرها . ٢٨٢ - ٢٨٤
- ١٨٥- حديث ابن عمر عن ابيه في كون البيعة فلتة، وكون ابي بكر ظالمآله . ٢٨٤ - ٢٨٥
- ١٨٦- تصريح ابي بكر نفسه بان بيعته كانت فلتة . ٢٨٥ - ٢٨٦
- ١٨٧- السادس من الأسئلة : ماوجه كتمان عمر امرالسقيفة قبل ذهابه اليه ؟ ٢٨٦ - ٢٨٧
- ١٨٨- السابع من الأسئلة : بماذايوجه الأمر بقتل الصحابي العظيم (سعد) ؟ ٢٨٧ - ٢٨٨
- ١٨٩- ملخص ما في «الاستيعاب» في ترجمة سعد بن عبادة الصحابي . ٢٨٨ - ٢٨٩
- ١٩٠- ملخص ما في «الاصابة» في ترجمته وعظمة مقامه عند الرسول (ص) . ٢٨٩ - ٢٩٠
- ١٩١- ماالذي أبيع به قتل الصحابي البدرى صاحب لوائه ومعتمده في مشاورته . ٢٩٠ - ٢٩٢
- ١٩٢- كلام سعد في السقيفة . ٢٩٢ - ٢٩٣
- ١٩٣- لزوم سلوك وادي الانصار . ٢٩٣ - ٢٩٤
- ١٩٤- «حبُّ الانصار آية الايمان و بغضُ الانصار آية التناق» ٢٩٤ - ٢٩٥
- ١٩٥- امر عمر بقتل سعد ، الصحابي العظيم . ٢٩٦ - ٢٩٧
- ١٩٦- عاقبة امر سعد انه قُتل بحوران بالشام . ٢٩٧ - ٢٩٨
- ١٩٧- توجيهٌ لحضور سعد في السقيفة ، و حلفه «بانهم لو بايعوا علياً كان اول من بايع سعد» ٢٩٨ - ٢٩٩

- ١٢ -

حول العودة الى السقيفة

- ١٩٨- عودٌ الى السقيفة . ٣٠٢
- ١٩٩- حدوث الاجتماعات ، مبدؤها و مآلها . ٣٠٢ - ٣٠٣
- ٢٠٠- شأن الاجتماع في السقيفة و عدم كون البيعة فيها فلتة ، بل بالتواطئة . ٣٠٣ - ٣٠٥
- ٢٠١- التواطئة ممن ؟ ولِمَ ؟ ومن الذي هو «اقلّ حَيٍّ في قريش» ؟ ٣٠٥ - ٣٠٧
- ٢٠٢- شأن البيوت في القلّة والكثرة ، والعزّة والتدلة ، وزمعات قريش ٣٠٧ - ٣١٠

الصفحة

- ٢٠٣- كيفية التوتطة للسقيفة . ٣١١ - ٣١٠
٢٠٤- الطرق المتصورة، والموصول المتسج منها . ٣١٣ - ٣١٢
٢٠٥- الرّاجح ، من الطّرق ، اجتماع الأنصار . وهو الطّريق المختار . ٣١٤ - ٣١٣
٢٠٦- كيفية دعوة الأنصار للاجتماع . الدّعوة للانصار ، من الانصار ،
و باسم الأنصار . ٣١٦ - ٣١٥
٢٠٧- شواهدُ على كون التوتطة للبيعة ، قبل السقيفة . ٣١٨ - ٣١٦
٢٠٨- الشّاهد الثّاني على التوتطة (كتمان خبر السقيفة) ٣١٩ - ٣١٨
٢٠٩- الشّاهد الثّالث على كون التوتطة قبلا (مبادرة بشير الخزرجي
و أسيد الأوسى الى البيعة)
٢١٠- بشير و اسيد قبل السقيفة و بعدها . ٣٢٠ - ٣٢٠
٢١١- الشّاهد الرّابع على التوتطة (كلام معاوية) ٣٢٣

- ١٣ -

حول ماجرى بعد السقيفة

- ٢١٢- بعد السقيفة واخذ البيعة بالقهر . ٣٢٨ - ٣٢٦
٢١٣- ارضاء ابى سفيان للبيعة ، باعطاء ما بيده من الصدقات . ٣٢٩ - ٣٢٨
٢١٤- ختم الكلام عن السقيفة وماجرى باتها . حلف عمرو بتحريق بيت
فاطمة على على . . . ٣٣١ - ٣٢٩

- ١٤ -

حول نشأة الشيعة

- ٢١٥- نشأة الشيعة ونسبتها ٣٣٦ - ٣٣٤
٢١٦- عنوان الشيعة ٣٣٦

الصفحة

- ٢١٧- نبذة مما ورد في شان عليّ وشيعته في الكتب المعتمدة لاهل السنّة . ٣٣٦ - ٣٣٩
- ٢١٨- نبذة اخرى منها ، وفيها ان « من اطاعني و والي علياً من بعدى ،
هم اصحاب الجنة وهم الفائزون » ٣٣٩ - ٣٤٠
- ٢١٩- عنوان « شيعة عليّ » في كلمات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم . ٣٤٠ - ٣٤٣
- ٢٢٠- عنوان « الشيعة » في كلمات عليّ واصحابه . ٣٤٣ - ٣٤٨

- ١٥ -

حول الخلافة والأختلاف فيها

- ٢٢١- الخلافة عن الرسول (ص) من نصيب الهى عند الشيعة . ٣٥٠
- ٢٢٢- الخلافة عند اهل السنّة ، بانتخاب الامّة . ٣٥١
- ٢٢٣- مواضع للسؤال عن شرائط المنتخب والمختب وكيفية الانتخاب
و عن الدليل لذلك . ٣٥١ - ٣٥٣
- ٢٢٤- اجتماع اهل الحلّ والعقد ، وما يرد عليه . ٣٥٣ - ٣٥٥
- ٢٢٥- ما فى الاحتجاج بصحة الاجتماع ولزوم الاتّباع (لاتجتمع امتى...
ومن يتبع غير ...) ٣٥٥ - ٣٥٧
- ٢٢٦- خلافة ابى بكر وانقضاء دوره . ٣٥٧ - ٣٥٨
- ٢٢٧- استخلاف ابى بكر ، عمرّ (رض) . ٣٥٨ - ٣٦١
- ٢٢٨- كتاب عهد ابى بكر وكيفية كتابته . ٣٦١ - ٣٦٢
- ٢٢٩- ختمٌ و دفعٌ وهم . ٣٦٢ - ٣٦٣

- ١٦ -

حول الوقائع المهمة فى خلافة ابى بكر ، رض ،

- ٢٣٠- ما وقعت من الأمور الهامة فى خلافة ابى بكر ، ٣٦٦ - ٣٦٧

الصفحة

- ٢٣١- من واجه أبو بكر خلافه- احراق اياس بامر ابو بكر و ندمه منه . ٣٦٧ - ٦٣٨
- ٢٣٢- الفريقان اللتان ابتلى بهما ابو بكر : الأول ، المتنبئون . ٣٦٨
- ٢٣٣- واقعة الأسود العنسي ، المتنبئي و قتل شهر بن بأذان الايراني
عامل النبيّ على اليمن . ٣٦٨ - ٣٧٢
- ٢٣٤- شأن المتنبئين في عهد ابي بكر . ٣٧٢
- ٢٣٥- طليحة و تنبؤه - قتال خالد و طليحة ، ثمّ اسلام طليحة في زمان عمر . ٣٧٢ - ٣٧٥
- ٢٣٦- سجاح و تنبؤها و عاقبة امرها . ٣٧٥ - ٣٧٧
- ٢٣٧- موادعة سجاح و مسيلمة ، و مسالمتها ، و تشريع سجاح للمرأة و جان ! ٣٧٧ - ٣٧٨
- ٢٣٨- تنبوء مسيلمة و عاقبة امره ، و بعض مسجعاته و مبتدعاته . ٣٧٨ - ٣٨١
- ٢٣٩- قصة براء بن مالك و شهادته في حرب مسيلمة ٣٨١ - ٣٨٢
- ٢٤٠- الثاني : المتسمون بعنوان اهل الردة . و واقعة قتل مالك بن نويرة ٣٨٢ - ٣٨٥
- ٢٤١- كلام ابي قتادة الانصاري و شهادته باسلام مالك و قول عمر لخالد :
قتلت امرأً مسلماً . . . ٣٨٥ - ٣٨٨
- ٢٤٢- اشارة الى بعض المطاعن ، في قضية امر خالد بقتل مالك و نزوه
على امراته . ٣٨٨ - ٣٨٩
- ٢٤٣- سبب عزل عمر ، خالداً عن الامارة في زمانه ٣٨٩ - ٣٩١
- ٢٤٤- كلام من الطبري و ابن الأثير في قضية نزو خالد على امرأة مالك
يورث العجب . ٣٩١
- ٢٤٥- مالك و ميله و هويته . ٣٩١ - ٣٩٢
- ٢٤٦- تذييل : من هم اهل الردة من الاصحاب في الاحاديث التي اسندها-
البخاري في صحيحه ؟ ٣٩٢ - ٣٩٥
- ٢٤٧- ذيل التذييل : اصناف اصحاب الردة . ٣٩٥ - ٣٩٦
- ٢٤٨- ختام في شان عليّ و الحوض . ٢٩٦ - ٢٩٧

حول خلافة عمر ، رض ،

- ٢٤٩- خلافة عمر ، وجهده في سبيل اعلاء الاسلام . ٤٠٠ - ٤٠٢
- ٢٥٠- مقام عليّ في خلافة عمر و شأنه عنده (لولا عليّ لهلك عمر) ٤٠٢ - ٤٠٣
- ٢٥١- رجوع عمر الى مايشير عليه عليّ (قضية هرمزان) ٤٠٣ - ٤٠٤
- ٢٥٢- قضية بنات يزدجرد وقبول عمر ماقاله عليّ في شأنهنّ . ٤٠٤ - ٤٠٥
- ٢٥٣- اشارة عليّ بذهاب أبي عبيدة الى بيت المقدس . ٤٠٥ - ٤٠٦
- ٢٥٤- اشارة عليّ لفتح بيت المقدس ولزوم ذهاب عمر بنفسه ، اليها . ٤٠٦ - ٤٠٧
- ٢٥٥- انقضاء دور عمر ، و مدة خلافته . ٤٠٧ - ٤٠٨
- ٢٥٦- راي عمر في استخلاف عليّ وكونه « احريهم ان يحملهم عليّ الحق » ٤٠٨ - ٤٠٩
- ٢٥٧- « كان عليّ اولي الناس بالامر » ، عليّ ما اعترف به عمر ٤٠٩ - ٤١٠

حول الطّريق الثالث

- ٢٥٨- ابداع طريق ثالث للاستخلاف . ٤١٠ - ٤١١
- ٢٥٩- نظرة في سبب العدول (في طريق الاستخلاف) ٤١١ - ٤١٢
- ٢٦٠- اختيار اشخاص من الصحابة للشورى . ٤١٢ - ٤١٤
- ٢٦١- عود الى واقعة الأستخلاف ، و مكالمة عمر مع اصحاب الشورى
و تنقيص كلهم الا عليّاً . ٤١٤ - ٤١٨
- ٢٦٢- مكالمة عمر مع ابن عباس في الاستخلاف . ٤١٨ - ٤١٩
- ٢٦٣- اعتذار ابن ابي الحديد عمّا قاله عمر . ٤١٩ - ٤٢١
- ٢٦٤- قول النّبىّ (ص) في انهم ان ولّوا « عليّاً يجدوه هادياً مهديّاً
يحملهم على المحجّة البيضاء والصراط المستقيم » . ٤٢١ - ٤٢٢

الصفحة

- ٢٦٥- نيهاء ذلك الطريق ونتاج تلك المقدمات. ٤٢٢ - ٤٢٤
- ٢٦٦- وصية عمر لابى طلحة فى اصحاب الشورى وامره بقتل الآبى منهم عما رضى به الاكثر. ٤٢٦ - ٤٢٤
- ٢٦٧- كلام عمر فى عدم اجتماع النبوة والخلافة فى بنى هاشم! ٤٢٦ - ٤٢٨
- ٢٦٨- اهل الشورى وما اعتقد عمر من اوصافهم. ٤٢٨ - ٤٢٩
- ٢٦٩- الشورى و ما جرت فيها. ٤٢٩ - ٤٣٢
- ٢٧٠- اقتراح ابن عوف ، وما اجاب عنه على و عثمان. ٤٣٢
- ٢٧١- ارتاج الكلام على عثمان حين قيامه للخطبة بعد البيعة. ٤٣٢ - ٤٣٤
- ٢٧٢- تنبيهات حول الشورى : الأول منها. ٤٣٤ - ٤٣٥
- ٢٧٣- الثانى منها. ٤٣٥
- ٢٧٤- الثالث منها. ٤٣٦
- ٢٧٥- العمل بالسيرة مع تنافيه لما جوزوا من العمل بالرأى والاجتهاد قد يتعدّر لوجود الاختلاف. ٤٣٧
- ٢٧٦- ارشاد على الى ان الاصل المتبع للمسلم ، هو الكتاب والسنة ٤٣٨ - ٤٣٩
- ٢٧٧- الرابع من التنبيهات. ٤٣٩
- ٢٧٨- الخامس منها. ٤٣٩ - ٤٤١
- ٢٧٩- ما قيل او يقال ، على الطريق الابداعى الثالث ، الذى ابدعه عمر ٤٤١ - ٤٤٧
- ٢٨٠- سبب آخر لحدوث الاختلاف. ٤٤٧ - ٤٤٨
- ٢٨١- سئوال لاجواب مُقنع له. ٤٤٨ - ٤٥٠
- ٢٨٢- ختام الكلام فى الشورى! ٤٥٠ - ٤٥٠

- ١٩ -

حول ماجرى فى خلافة عثمان

٢٥٤ - ٢٥٦

٢٨٣- عثمان فى خلافته.

الصفحة

- ٢٨٤- ردّ ابن ارقم صكك عثمان .
 ٤٥٧ - ٤٥٦
 ٢٨٥- عثمان وعطيّاته لمروان .
 ٤٥٨ - ٤٥٧
 ٢٨٦- قضيّة عليّ (ع) و عامله مصقلة .
 ٤٥٩ - ٤٥٨
 ٢٨٧- تغيير عثمان سيرته .
 ٤٦٢ - ٤٥٩
 ٢٨٨- اوّل ماتكلم الناس في عثمان .
 ٤٦٥ - ٤٦٢
 ٢٨٩- عُتبان ابن عوف على عثمان وهجرانه عنه .
 ٤٦٦ - ٤٦٥
 ٢٩٠- بعض ماتكلم الناس و الصحابة على عثمان .
 ٤٦٨ - ٤٦٦
 ٢٩١- كتاب عثمان لتسيير اشراف الكوفة الى الشام .
 ٤٦٨ - ٤٦٩
 ٢٩٢- تغريب اشراف الكوفة الى حِمْنَص
 ٤٦٩
 ٢٩٣- الأحداث التي نُسب احداثها الى عثمان .
 ٤٧٢ - ٤٦٩
 ٢٩٤- بعض ما طعن به على عثمان (رض) .
 ٤٧٢ - ٤٧٤
 ٢٩٥- مآل الأجوبة عن المطاعن .
 ٤٧٤ - ٤٧٥
 ٢٩٦- ندم عثمان ، و توبته .
 ٤٧٥ - ٤٧٧
 ٢٩٧- نقض مروان ، ما أبرّمه عثمان .
 ٤٧٧ - ٤٨٠
 ٢٩٨- فساد مروان و افساده .
 ٤٨٠ - ٤٨١
 ٢٩٩- اجتماع المعترضين ، في المدينة .
 ٤٨١
 ٣٠٠- كتاب جماعة فيهم عمرو بن بديل ، الصحابي الى عثمان .
 ٤٨١ - ٤٨٢
 ٣٠١- كتاب اهل المدينة الى عثمان .
 ٤٨٢
 ٣٠٢- احضار عثمان جمعاً من عمّاله واقربائه للمشاورة .
 ٤٨٢ - ٤٨٤
 ٣٠٣- توسّل عثمان بعليّ لردّ الناس عنه .
 ٤٨٤ - ٤٨٧
 ٣٠٤- حول قول عثمان «... سربالاً سربلنيه الله...»
 ٤٨٧ - ٤٨٩
 ٣٠٥- قتل عثمان ، وانقضاء دوره .
 ٤٨٩ - ٤٩٠

حول مواقف أمّ المؤمنين ، عائشة ، والصّحابة من عثمان

- ٤٩٤ - ٤٩٢ . ٣٠٦- موقف الصّحابة قبالة عثمان ، و واقعته .
- ٤٩٥ - ٤٩٤ . ٣٠٧- انما قتله اصحاب محمّد (ص) و قرآء الناس .
- ٤٩٦ - ٤٩٥ . ٣٠٨- كلام عمّار بن ياسر في عثمان و قانليه .
- ٥٠٠ - ٤٩٧ . ٣٠٩- موقف أمّ المؤمنين عائشة .
- ٥٠٢ - ٥٠٠ . ٣١٠- عائشة كانت من اشدّ الناس على عثمان .
- ٥٠٤ - ٥٠٢ . ٣١١- عائشة ومكالمتها مع أمّ سلمة .
- ٥٠٩ - ٥٠٤ . ٣١٢- موقف طلحة و الزبير تجاه الواقعة .
- ٥١٢ - ٥٠٩ . ٣١٣- موقف عمرو بن العاص من عثمان .
- ٥١٤ - ٥١٢ . ٣١٤- موقف معاوية من ابن عمّه عثمان .
- ٥١٦ - ٥١٤ . ٣١٥- ندامة معاوية على خذلانه عثمان .
- ٥١٩ - ٥١٦ . ٣١٦- استغواء معاوية ، عبيدالله بن عمر .
- ٥١٩ . ٣١٧- علل قتل الخليفة و اسبابها ، بالتلخيص .
- ٥٢١ - ٥١٩ . ٣١٨- تأكيّد لمّاسلف .
- ٥٢٣ - ٥٢١ . ٣١٩- كلام لعمر بن عبدالعزيز في ما احدث عثمان .
- ٥٢٥ - ٥٢٣ . ٣٢٠- موقف عليّ (ع) في خلافة عثمان .



مقدمة

كتاب الاسلام والشيعة الامامية...

لمؤلفه الفاني

محمود الشهابي الخراساني

غفر له ولوالديه

الحقوق ، كلها ، محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد سيّد المرسلين ، وخاتم النبيّين ، وعلى آله وعترته المطهّرين ، وعلى صفوة اصحابه الراشدين .

و بعد فيقول الحقيّر الواني ، محمود الشهبائي - الخراساني :

انّ اصدق كلمة بحقّ ان يصدر بها الكلام ، بعد الحمد والتّصلية والسلام ، كلمة اشهد ان لا اله الا الله ، الاّحد الصّمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً اّحدٌ . و اشهد انّ محمّداً عبده - المُنْتَجَب وَرَسُولُهُ الْمُنْتَجَب ، الصّادقُ الْمُصَدِّقُ في كلّ ما قال وَنَطَقَ ، و أنّ ما جاء به من الشّريعة وَ الْمِنْهَاجِ وَ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ وَ حَقٌّ . و أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم تَرَكَ لِلأُمَّةِ مَا ان تَمَسَّكُوا بِهِ لَنْ يَضِلُّوا اَبْدًا بَعْدَهُ : كِتَابَ اللَّهِ وَالْعِشْرَةَ ، وَعَمَلِي رَأْسَ الْعِشْرَةِ ، وَ اَبْوَالِ اَئِمَّةٍ ، هُدَاةِ الأُمَّةِ ، اهل بيت الرسالة و فروعِ دَوْحَةِ السّفارة .

اللّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَيَّ مَا ارْتَضَيْتَ لَنَا مِنَ الدِّينِ ، و اجعلنا من - الْمُتَمَسِّكِينَ بِمَا تَرَكَ لَنَا رَسُولُكَ الْاَمِينِ ، خَاتِمِ الْاَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ وَ اَحْسِرْنَا مَعَهُ و مَعَ عِشْرَتِهِ الطّاهِرِينَ وَ آلِ بَيْتِهِ الْمُكْرَمِينَ .

ثم يقول :

مما يتجلى في الاسلام جيدٌ جليلةٌ هو شدة اهتمامه بالوحدة والاتحاد ، والألفة والاتفاق ، فجعلت فيه آيةً من آيات المؤمن انه «أَلِفٌ مَأْلُوفٌ» وأنزل في حق المؤمنين على سبيل الحصر ، انهم أخوة ، وأمرت الأمة بالاعتصام بحبل الله بالاجتماع ، ومنعت عن التفرق والاختلاف ، وشُرعت لهم الجماعة ، والجمعة ، والعيدين ، والحج للفوز بالتعاهد والتألف للمجاورين في كل يوم وليلة ، ولاهل المحلة في كل اسبوع ، ولاهل البلدة في كل سنة ، ولاهل البلاد المتباعدة والاقطار- المتناحية المتكثرة في جميع العمر ، ولو مرة ، وفرضت عليهم الزكوات والصدقات ، وسنت العطيّات والنفقات ، لتوطيد اساس المحبة والولاء بين الاغنياء والفقراء (مضافا الى مالها من الخيرات التامة والمصالح العالية العامة)

هذه جليلة الحال عند من تأمل في مقاصد الاسلام ودعاياته ، وتوجهه الى القرآن- المجيد وآياته ، فانظر الى قوله تبارك وتعالى : « انما المؤمنون اخوة »^١ وقوله ، جلّ وعلا ، : « وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ، وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ... »^٢ وقوله عز وجل : « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ، وَآخَذْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ... »^٣ وقوله جلّ جلاله : « وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا

١- الاية العاشرة من السورة ال ٤٩ (الحجرات).

٢- الاية ال ١٠٣ من السورة الثالثة (آل عمران).

٣- الاية ال ١٠٥ (من آل عمران)

بِهِ اِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، اَنْ اَقِيْمُوا الدِّيْنَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيْهِ...» والى كثيرٍ من الآيات ، والروايات ، الواردة بهذا المضمون ، لانظيل بذكرها .

هذا ما اهتم به الدين ، و اراده الله و رسوله ، من المسلمين . فيجب ان تدور عليه حياتهم فى افكارهم ، واقوالهم ، وافعالهم ، وجميع حركاتهم وسكوناتهم ، وكيف لا وجميعهم مؤمنون بانّ اللهم واحد ، و كتابهم واحد ، و شرعهم واحد ، وبالجملة كلهم معتقدون بالدين ، و بكل ما ورد فى الدين ، و مدعون بوجوب الطاعة و الامثال لما ثبت فى الدين باليقين ؟

المسلمون ، بحسب الايمان و الاعتقاد ، يحومون حول امر واحد ، و يدورون على محور مركز فارد ، فهم بهذا الاعتقاد و الايمان ، ان توجهوا اليه و حافظوا عليه ، كنفس واحدة ، منضمماً كل الى غيره بالسَّنخية ، و لا مدخل للخلاف و الاختلاف بينهم ، و ماداموا كان ذلك الايمان و الاعتقاد فيهم راسخا ، و كان عملهم وفق ما يقتضيه ذلك الاعتقاد قائماً ثابتاً ، ما انفكوا عن الاتّحاد و الائتلاف فما برحوا متعاقبين السيادة و السعادة و الاعتلاء .

- ٢ -

ذاك ما هدى اليه الاسلام و ارشد ، و اهتم به الدين و شدّد ، و هذا ما يلزمه خالص ايمان المسلمين و يوجب ادعائهم المنقن و اعترافهم المؤكّد . فمن اين دبّ فيهم تنين - الخلاف ؟ و كيف حدث بينهم حدث الاختلاف ؟ و لِمَ صار اختلافهم بحيث اورث - التفرقة ، و صيرهم فرقة خصيم فرقة ، و جعلهم طوائف تُعادى ، بل تقاتل ، طائفة طائفة ؟

فيا لاسف كم من مجادلات قولية و تعصبات كلامية ، اتفقت بين هذه الطوائف و الفریق؟! و كم من مجاولات فعلية دامية ، حدثت فى ما وقع و اتفق : تارة بين الحنفيّة و بين الشافعية ! مرّة بين الحنبليّة و بين غيرها ! و ثالثة بين هذه المذاهب و بين الشيعة !

ورابعةً بين الاشعرية وبين المعتزلة، وهكذا كان الامر فى سائر الفرق والمذاهب-
الاسلامية؟^١

بل والهدفاء حيث يرى^١، حتى فى عصرنا الحاضر، الخلاف والاختلاف والجدال والقتال فى المسلمين من مذهب واحد، وفرقة واحدة، و جنسية واحدة، على ما تهويله حكوماتهم الفاسدة النائمة ورؤسائهم الطامعة الغاشمة . و ممّا يزداد التلهّف منه ان ذلك لاجل الاحتفاظ بالشعور والحدود و باسم التّعدى والتجاوز على المحدود ! اللهم يارباه، الذين واحد والجنسية واحدة والملية واحدة فما هذه الحدود الموضوعه، والشعور الممنوعة التي تعاند وتقاتل هذه البلدة الاسلامية و هذه الطائفة المحمدية لاجلها تلك البلدة، و تلك الطائفة، التي هي اختها والعجيب انها تخفى تحت ستار الاعتذار بالتدافع عن التّعدى، وفى عين الحال تدعى تلك بانها تدفع التّجاوز والتخطى ! فيالها من مصيبة للاسلام وفى الاسلام . ممن التّعدى ايها الاخوان المسلمون ! والى اين ؟! وعلى من ؟!

اقترى ان الله بعث رسوله (ص) لمثل هذه المعاندات ؟ او اراد من امته، التي هي خير امة اخرجت للناس، هذه المباغضات والمشاحنات ؟! لو تكون هذه الاختلافات من الرحمة ويكون فيها خير الملة و صلاح الامّة ؟!

و يا للحسرة من اوراق ، سوّدت بكلمات ناشئة عن التعصّب والعدا، كاشفة عن العنت واللّداد، ماثلة من الرّدّ والايراد، ماثلة عن الصواب والتّسادد، فارغة عن العدل

١- قال القاضى ابوبكر بن العربي (المتوفى سنة ٥٤٣ هـ : ق) فى كتابه « العواصم من القواصم » الذى سنشير الى ما فيه وفى ما علق عليه من العصبية والاعتساف والتهيام فى كل واد من اودية الخلاف : «... واتصل الهرج الى يوم المساق، وصارت الخلائق عزين ، فى كل وادٍ من العصبية ، يهيمون فمنهم بكريّة (يعنى تقولون بافضلية ابي بكر) و عمرية و عثمانية و علوية و عباسية ، كل تزعم ان الحق معها وفى صاحبها والباقي ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم . وليس ذلك بمذهب ولا فيه بقالة وانما هي حماقات وجهالات او دسائس للضلالات حتى تضمحل الشريعة و تهزه الملحدة من الملة و يلهو بهم الشيطان و يطمب...»

والانصاف ، غارقة في عين حمئة من الجور والاعتساف ، بل ربما أرخى في بعضها
عنان القلم فجال في مجال البهتان و ماد في ميدان القذف والافتراء و نال من مخالفه
ما جرح قلب المرؤفة والصدّاقة بالشتّم والسّبّ والاعتداء !

- ٣ -

اذ ليس الغرض من هذه المقدمة عرض ماضبطه التاريخ او مانسمعها ، اونشاهدها
في عصرنا ، عصر التصوارىخ ، من تلك الحوادث المؤسفة الناشئة عن العصبية واللداد
و تعداد هذه الوقائع المولمة الباعثة للكآبة و الملال فليقتصر فيها على ايراد واقعتين
منها كى تعتبر اولوالابصار ممّا يفعل التعصّب باهله من الآثار والاطخار :

حكى عزّ الدين ، عبد الحميد بن ابى الحديد ، فى شرحه على النهج (ذيل ماصدر
عن على (ع) فى وصف الاتراك - كآنى آراههم قوماً كآانّ وجوههم ، الميجان -
المطرقّة ... -) واقعة هجوم التتار على بلاد الاسلام (سنة ٦١٦ هـ . ق) وكان ذاك
الهجوم فى زمانه ، فقال ، بعدنقل فتوحات التتار وما كان منهم من القتل والنهب والسبى
والحرق والهدم والاستيصال :

... ولم يبق فى البلاد الناطقة باللسان الاعجمى ، بلدٌ آلا حكم فيه سيفهم ،
او كتابهم ، فاكثر البلاد قتلوا اهلها و سبق السيف العذل ... ولم يبق آلا اصبهان فانهم
نزلوا عليها مراراً فى سنة سبع و عشرين و ستمائة (٦٢٧) و حاربهم اهلها ، و قُتل من -
الفريقين مقتلة عظيمة ، ولم يبالغوا منها غرضاً ، حتى اختلف اهل اصبهان ، فى سنة
ثلاث و ثلاثين و ستماه (٦٣٣) و هم طائفتان : حنفيّة و شافعيّة ، و بينهم حروب
متصلة ، و عصبية ظاهرة . فخرج قوم من اصحاب الشافعى الى من يجاورهم
و يتاخمهم من ممالك التتار ، فقالوا لهم : اقصدوا البلد حتى نسلّمه اليكم !!

« فنقل ذلك الى قاآن بن جنكزخان ، بعد وفاة ابيه ، و المُلك يومئذٍ منوط
بتدييره ، فارسل جيوشاً من المدينة المستجدة ، التى بنوها و سموها قراقرم ، فعبرت
جيحون مغرّبة (اى متوجهة الى الغرب) و انضم اليها قوم ممّن ارسله جرماغون على

على هيئة المدد لهم، فنزلوا على اصبهان في سنة ثلاث و ثلاثين المذكورة و حاصروها .
فاختلف سيفا الشافعية و الحنفية في المدينة حتى قُتل كثير منهم و فتحت ابواب-
المدينة ، فتحها الشافعية ! على عهدٍ بينهم و بين التتار ، ان يقتلوا الحنفية ! و يعفوا
عن الشافعية ! .

« فلما دخلوا البلد بدؤا بالشافعية ! ! فقتلواهم قتلاً ذريعاً ، و لم يقفوا مع -
العهد الذي عهدوه لهم ، ثم قتلوا الحنفية ، ثم قتلوا سائر الناس ، و سبوا النساء ،
و شقوا بطون الحبالي ، و نهبوا الاموال ، و صادروا الاغنياء ، ثم اضرمو النار ،
فاحرقوا اصبهان حتى صارت تلولاً من الرماد . . . »

و اورد شهاب الدين ياقوت الحموي (ذيل كلمة الرّي من كتابه معجم البلدان)

بعد ما قال :

« . . . فاما الرّي المشهورة فانتى رايتها ، و هي مدينة عجبية الحُسن مبنية
بالآجر المُنَمَّق المحكم ، الملمع بالزرقة ، مدهون كما تدهن الغضائر ، في فضاء
من الارض ، و الى جانبها جبل مشرف عليها ، اقرع لا يثبت فيه شيء » هذه العبارة :
« و كانت مدينة عظيمة ، خرب اكثرها ، و اتفق اننى اجتزت في خرابها في
سنة ٦١٧ ، و انا منهزم من التتر ، فرايت حيطان خرابها قائمة ، و منابرها باقية ،
و تزاويق الحيطان بحالها ، لقرب عهدا بالخراب الا انها خاوية على عروشها .
« فسالتُ رجلاً من عقلائها عن السبب في ذلك فقال : اما السبب فضعيف ،
ولكن الله اذا اراد امراً بلغه .

« كان اهل المدينة ثلاث طوائف : شافعية ، وهم الاقل ، و حنفية ، وهم الاكثر ،
و شيعة ، وهم السواد الاعظم لان اهل البلد كان نصفهم شيعة و اما اهل الرستاق فليس
فيهم الا شيعة و قليل من الحنفيين ، و لم يكن فيهم من الشافعية احد .

« فوقعت العصيبة بين السنة و الشيعة ! فتظافر عليهم الحنفية و الشافعية ،
و تطاولت منهم الحروب حتى لم يتركوا من الشيعة من يُعرف ، فلما افنؤهم !
وقعت العصيبة بين الحنفية و الشافعية ! و وقعت بينهم حروب كان الظفر في

جميعها للشافعية ، هذا مع قلة عدد الشافعية ، الا ان الله نصرهم عليهم او كان اهل الرستاق ، وهم حنفية ، يجيئون الى البلد بالسلاح الشاك ، ويساعدون اهل نحلتهم ، فلم يغنهم ذلك شيئاً حتى افنؤهم !!

« فهذه المحال الخراب التي ترى هي محال الشيعة و الحنفية ! و بقيت هذه المحلة المعروفة بالشافعية ، وهي اصغر محال الرى . ولم يبق من الشيعة و الحنفية الا من يخفى مذهبه !! . . . »

ثم نقل الحموى لبيان عظمة الرى ، ما حكاها الاصطخوى بقوله : « وليس بالجبال بعد الرى اكبر من اصفهان » و بقوله : « والرى مدينة ليس بعد بغداد فى المشرق اعمر منها . . . »

- ٤ -

ومما يزيد للعجب لكل من اطلع الى امثال هذه الوقائع ، فى التاريخ من المجادلات التى نشأت من للعصية للعباء الصماء ، و حدثت عن الجهالة الجهلاء ، فنفرت منها الكلمة و تشتت الامة و انتجت قتل النفوس و هدم البيوت ، و يزداد فى التلهف و الاسف لكل من عرف الاسلام و آمن به ، هو ان الجل ، لولا الكل ، مما اورثت العصية ليس امورا مرتبطة بذاتيات الاسلام و جوهره ، داخلة فى صلب الدين و حقيقته ، مصاحمة لاصول الشرع و ضرورياته ، معارضة لاركان الايمان و مسلماته ، بل ربما يكون البحث ، المورث للعصية و النزاع ، راجعا الى عدم تحرير محله ، و الى عدم كون الفتى و الاثبات فى للكلام ثابتا لما كان بينهم موضع وفاق . و على اى حال ليست من الامور التى يبيح القتل ، و يسوغ الهدم و لاسيما ان كسلا من الطرفين يعلن بالشهادتين و يعمل بما يعلم انه من للدين ، و يؤمن بما جاء به خاتم النبيين .

اورد ابن لبي الحديد فى شرحه على « نهج البلاغة » (على الكلام عن غزوة اُحُد) نقلاً عن الواقدي (بعد نقل ابتلاء المسلمين بغلبة المشركين عليهم) :

« . . . و جعل ابن اُبى و المنافقون معه ، يشتمون و يسرون بما اصاب للمسلمين

ويُظهرون آقبح القول . ورجع عبد الله بن ابي الى ابنه ، و هو جريح ، فبات يَبْكُوى -
الجراحة بالنار ، حتى ذهب عامة الليل و ابوه يقول : ما كان خروجك مع محمد
الى هذا الوجه برأى ، عصانى محمد ! و اطاعنى الولدان ، والله لكانتى انظر الى هذا .
فقال ابنه : الذى صنع الله لرسوله ، و للمسلمين ، خيراً ان شاء الله .

« قال (يعنى الواقدى) :

« و اظهرت اليهود ، القول التسيىء و قالوا : ما محمد الا طالب مُلك .
ما اصيب هكذا نبي قط فى بدنه ، و اصيب فى اصحابه .

« و جعل المنافقون بخذلون عن رسول الله و اصحابه و يأمرونهم بالتفرق عنه ،
و قالوا لاصحاب النبى (ص) : لو كان من قتل منكم عندنا ما قُتل .

« حتى سمع عمر بن الخطاب ذلك فى اماكن ، فمشى الى رسول الله يستأذنه
فى قتل من سمع ذلك منهم من اليهود و المنافقين . فقال (ص) : يا عمر ان الله مُظهر
دينه ، و مُعز نبيه . و لليهود ذمة فلا اقتلهم !
« قال : فهؤلاء المنافقون يا رسول الله يقولون .

« فقال (ص) : الئيس يُظهرون شهادة ان لا اله الا الله ، و انتى
رسول الله ؟

« قال : بلى ، و انما يفعلون تعوذاً من السيف ، و قد بان لنا امرهم ، و ابدى الله
اضغانهم .

فقال (ص) : انتى نهيت عن قتل من قال : لا اله الا الله محمد رسول الله
يا ابن الخطاب »

هذا ما اراد الله من نبى الاسلام ، و ممن آمن به ، و آمن برسوله ، و اتبع دينه ،
فعلى ما ذا يصح ان يُحمل ما صدر عن بعض المسلمين بلسم الاسلام ، و حفظ الشرع
ورعاية الدين ، بالنسبة الى اخوانهم من التكفير و التوهين ، و جرّ البلاء ، و سفكك الدماء
و اهلاك النفوس و حرق البيوت و التخريب ؟

- ٥ -

ماذا يتصور ان يكون بين الحنفى وبين الشافعى من الاختلاف فى ما هو من -
الاصول ، والتضرورى فى الدين ، كى يسوغ لهم ما ارتكبوا من السفك ، و القتل
والهدم ؟!

ويا سبحان الله ماذا اباح للمسلم ، ان يواد من حاد الله (التتار) و يعاهده على قتل
اخوانه المسلمين ، وسبى نسايتهم وهدم بيوتهم ؟!

ام ما ذا هو الذى يكون مورداً للانكار من اركان الايمان ، و اصول الاسلام ،
وهى الشهادة بالوحدانية ، و بالرسالة ، و بالحشر والنشر ، و يوم الجزاء ؟ بل او من -
الفروع ، وهى العبادات ، المقررة الثابتة فى الدين ، و المعاملات ، والحدود والديات ،
والاحكام والسياسات ، المسلمة فى الشرع ، لمن قال مثلاً بقدم القرآن او حدوته ،
كى يمتحن و يحكم بقتله ؟ على ان ذلك الاختلاف و امثاله يشبه ان يكون لفظياً
بحتاً ، بدهاة انه لا يعقل ان يعتقد عاقل و يقول ان القرآن المؤلف من السور ،
المؤلفة من الآيات ، المؤلفة من الجمل ، المؤلف من الكلمات ، المركبة من الحروف ،
المتدرجة فى التلفظ والكتابة ، المترتبة بالتقدم والتأخر ، المتحققة فى وعاء الزمان
المنطبقة على اجزائه ، المتعاقبة المتصرفة الحادثة ، قديم سرمدى غير مخلوق ، وهكذا
لا يعقل ان يعتقد من له ادنى شعور و مسكة و يقول من له ادون فهم و ذريرة ان القرآن
باعتبار وجوده العلمى للحق ، تبارك مجده وتعالى شأنه ، و بلحاظ كونه مسطوراً بقلم -
العناية فى اللوح المحفوظ بوجوده الجمعى ، محدث زمانى و مخلوق امكانى فما معنى
ذلك الاعتبار والمحنة ؟ وما وجه ذلك الابتلاء والفتنة ؟ و باى دليل من الشرع او حجة
من العقل استبيح السفك و استسيغ اراقة الدم ؟!

ام ماذا هو الذى يبيح لمسلم اراقة دم اخيه المسلم ، المتفق معه فى قول « لا اله
الا الله ، محمد رسول الله » ، الموافق له فى الايمان بان ما جاء به الرسول (ص) بقضته
وقضيه ، حق يجب اتباعه ، والمشا به فى العمل بكل ما ثبت من الدين حكمه ،

بمجرد دكونه معتقداً وقائلاً بافضلية صحابي^١ على غيره ولا سيما اذا كان استناده في ما يعتقد ويقول بالكتاب والسنة واعتماده على الاخبار والآثار؟
 اترى ان هيهنا دليلاً نقلياً ، او حكماً عقلياً علي ان ذاك القول والاعتقاد وخصوصاً في ما صح الاستناد ، وتم الاجتهاد ، ممنوع وحرام . ثم لو سلم كونه حراماً هل ثبت من الشرع او العقل ان فعل الجرام على الاطلاق (اى حتى في ما اذا كان الفاعل ممن اذى اجتهاده من مستند قوى السند ، جلى الدلالة ، جازر الاستناد اليه صحيح الاعتماد عليه ، الى انه لم يعتد كون ذلك الفعل حراماً في الشرع) يكون ممناً يبيح القتل و اراقة الدم ؟ على ان من ينكر افضلية ذاك الصحابي ، يدعى غيره افضلية صحابي آخر فكلاهما مواسية الحكم وليس الحكم بهدر دم احدهما ارجح من الحكم بسفك دم الآخر .

بل آية حجة من الكتاب ، او السنة ، اقيمت على ان من نقل ما حكي من الطعن في بعض الصحابة ، بل على ان من انتقد ، او انتقص ، او طعن عليه في بعض افعاله (ولا سيما مع عدم الاعتقاد بعصمته) يصير مهدور الدم ، واجب القتل (لا ينكر انه امر مرغوب عنه ، غير مستحسن بل بالنسبة الى بعض مذموم مستهجن ولكنه ابن هذا من هذر الدم و اباحة القتل ؟)

- ٦ -

هل ورد دليل على ان كل واحد من الصحابة معصوم عن الزلل والخطاء ، فلا يجوز نقل طعن المعصوم ولا يبقى لنقد عمله موضوع ؟ اما كان بعض من يصدق عليه عنوان « الصحابي » من المنافقين ؟ و اما قال الله تبارك و تعالى في حق المنافقين : « ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار . . . » ؟
 ثم اما كان في الصحابة من ينتقد وينتقص صحابياً آخر ، بل ويرتكب شتمه ، و ضربه ، ولعنه وقتله مع ان اهانة المؤمن ، و لو لم يكن صحابياً ، ممنوع محرّم ؟
 اما روى ان ابا بكر الصديق (رض) قال لطلحة ، الصحابي الذي بشر ،

باعتيقاده ، على لسان النبي الصادق الامين ، له بالجنة ، : « انت شر الناس اما والله لو وليتكم ل جعلت انفك من ففك » . ثم قال : « آتيتني وقد كنت عينك ! تريدان تفتينني عن ديني !... قم ، لا اقام الله رجليتك !... »^١

قال الطبري في تاريخه (الجزء الثاني - الصفحة ال ٦١٩) مسنداً عن «عبد الرحمن بن عوف انه دخل على ابي بكر الصديق (رض) في مرضه ، الذي توفي فيه ، فاصابه مهتماً فقال له عبد الرحمن : « اصبحت ، والحمد لله ، بارئاً . » فقال ابو بكر ، رضى الله تعالى عنه ، اتراه ؟ قال : نعم .

قال : اني وليت امركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم انفه من ذلك يريد ان يكون الامر له دونه ! ورايتم الدنيا قد اقبلت . . . و انتم اول ضال بالناس غداً ، فتصد ونهم عن الطريق يمينا و شمالاً ! يا هادي الطريق انما هو الفجر او البحر . فقلت له : خفض عليك ، رحمك الله ، فان هذا يهيضك في امرك !... »

وقال ايضا (الجزء الثاني - الصفحة ال ٦١٩ ايضا -) ، بعد هذا الكلام المنقول : قال ابو بكر ، رضى الله تعالى عنه :

« اني لا آسى على شيء من الدنيا الا على ثلاث فعلتھن وددت اني تركتھن ، و ثلاث تركتھن وددت اني فعلتھن ، و ثلاث وددت اني سألت عنھن رسول الله (ص) .

« فاما الثلاث اللاتي وددت اني تركتھن ، فوددت اني لم اكشف بيت فاطمة عن شيء . . . و وددت اني لم اكن حرقت الفجأة السلمى . . . و اما اللاتي تركتھن ، فوددت اني يوم اُتيت بالأشعث بن قيس كنت ضربت عنقه فانه تخيل الى انه لا يرى شراً الا اهان عليه . . . »

فهذا ابو بكر الصديق الصحابي يقول كشاف بيت فاطمة ، التي لو لم تكن

١- لما كانت هذه المكالمه واضرابها ، التي لم يصرح في هذه المقدمة بأخذها المنقول عنها ، ستورد في متن الكتاب ويصرح هي هنا بأخذها وتفصيلها ترك هنا ذكرها واجمل في نقلها .

بنت الرسول وبَضْعته و من كان ايذؤها ايذائه ، كانت صحابيه و اية صحابيه ، سيّدة نساء العالمين اونساء الجنّة ١ . ويقول انه نادمٌ على عدم قتل الاشعث الصحابي لانه لا يرى شرّاً الا اعان عليه ! .

وهذا عمر (رض) اما امر بقتل الصحابي العظيم سعد بن عبادة ، الذي كان صاحب لواء الرسول (ص) في الانصار ، وكان بدرياً ، وكان دعا الرسول فيه وفي آله بالصّلوة والرحمة ، واما قال عمر : « اقتلوا سعداً ! قتل الله سعداً » ؟ واما قال هو ايضا في حق الزبير ، حوارى الرسول ، وابن عمته ، والمبشّر له بالجنّة : « عليكم بالكلب » ؟ (في قضية الهجوم على كشف بيت فاطمة). واما قال ايضا : لخالد بن الوليد الصحابي ، سيف الله على ما قال ابو بكر ، : « قتلت مسلماً ! ونزوت على امرته ! والله لأرجمتك باحبارك ! » ؟

وآما امر بعد حين من امارته في بدء خلافته بتوهينه تجاه الجند ، ومقاسمة امواله ، ثم احضاره و مؤاخذته عن امواله ٢ ؟

١- في صحيح البخارى (الجزء الخامس - الصفحة ال ٢٠) « باب مناقب قرابة رسول الله و منقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه و سلم .
« وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فاطمة سيّدة نساء اهل الجنّة » و فيه ايضا (الصفحة ال ٢١) بالاسناد عن المسور بن مخزومة ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : « فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني »

٢- في الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ال ٦٢ -) بالاسناد : «... ولم يزل عمر عليه (اى على خالد) ساخطاً ، ولاسره كارهاً ، فى زمان ابي بكر كله ، لوقته باهن نويرة . فلما استخلف عمر كان اول ما تكلم به عزله . فقال : لا يلى لى عملا يندأ . فكتب الى ابي عبيدة ... ثم انزع عمامته عن راسه وقاسمه ماله نصفين ... فقام بلال مولى ابي بكر الى ابي عبيدة فقال : ما امرت به فى خالد ؟ قال : امرت ان انزع عمامته ، واقاسمه ماله . فقاسمه ماله حتى بقى نعلاه .. فأخذ نعلًا واعطاه نعلًا . ثم قدم خالد على عمر ، المدينة) (كان ذلك فى السنة ال ١٢ من الهجرة) .

وفيه ايضا ، بعد ما قدسناه ، بالاسناد عن سليمان بن يسار قال : « كان عمر كلما مر بخالد قال : يا خالد اخرج مال الله من تحت استك ! فيقول : و الله ما عندى من مال .

و اما صادر سعدياً ، ابن وقاص ، الصحابي الكبير الفاتح ، وغيره من الصحابة -
الكبار الذين كانوا من عماله ، في اموالهم ؟ على ماذا ينبغي هذه المصادرة والمقاسمة ؟
اكانت في اموالهم الشخصية ؟ فليم وبأى حق ؟ او في اموال المسلمين ؟
فكيف وهم من اعظم الصحابة وليسوا بخائنين !؟

و اما حدة قدامة بن مظعون على شرب الخمر ، وهو صحابي من السابقين

الاولين !؟^١

واخيراً اما امر حين قرب وفاته اباطلحة الانصارى بقتل ستة من كبار الصحابة
ان لم يتفقوا على واحد منهم للخلافة ! او بعضهم المخالف ! ، وهم من العشرة المبشرة
وهم الذين ، على ما قال عمر ، : « مات النسي (ص) وهو عنهم راض » فكل منهم
صالح (و ان اظهر لكل ، سوى علي ، عيباً ونقصاً) باعتقاده لان يكون خليفة للرسول
و اميراً للمؤمنين .

و اما ضرب الخليفة عثمان ، الصحابة البدريين : اباذر و ابن مسعود و عمار -

بن ياسر ؟

ثم اي الطرفين صادق في قضية مغيرة بن شعبه : هو والشهود ؟ فان كان هو الصادق
فتحقق القذف من جانب الشهود و ان كان ادعاء الشهود صدقاً فالزنا محقق ثابت

→
فلما اكثر عليه عمر ، قال له خالد : يا اسيرو المؤمنين ما قيمة ما اصبحت في سلطانكم اربعين
الف درهم . فقال له عمر : قد اخذت ذلك منك باربعين الف درهم ! قال : هو لك .
قال : قد اخذته ا ولم تكن اخالد مال الاعداء و رقيق . نحسب ذلك قبلت قيمته ثمانين
الف درهم . فنافسه عمر ذلك . فاعطاه اربعين الف درهم ، و اخذ المال . . . فكان عمر
يرى انه قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك» .

١- قال القاضي ابوبكر بن العربي ايضا في كتابه الموسوم بـ «العواصم من القواصم»

ايضا : «فقد حد عمر قدامة بن مظعون على الخمر وهو اسيرو . و عزله» و قال المعلق على
الكتاب و مصححه : «قدامة بن مظعون الجمعي احد السابقين الاولين ، هاجر الهجرتين
و شهد بدرًا . . .»

وكلّهم من الصحابة، و ممّن ادّعيّت عدالتهم، و ممّن ادّعى انهم كالنجوم، و ممّن استبيح دم من تكلم فيهم، و نقل ما حكى من نقصهم و عيبهم !!
 و اى الصحابيّين العظيمين كاذب : عبدالرحمن بن عوف او المغيرة بن شعبة
 فى ما حكاها الطبرى فى تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٨) ؟ حيث قال :

«... و قال المغيرة بن شعبة لعبدالرحمن (يعنى بعد تمام البيعة لعثمان) : يا ابا محمد قد اصبّت اذ بايعت عثمان و قال لعثمان : لو بايع عبدالرحمن غيرك مارضينا ! فقال عبدالرحمن : كذبت يا عور ! لو بايعت غيره لبايعته و لقلت هذه المقالة، اكان مغيرة الصحابى العادل ! كاذبا منافقا ؟ ام عبدالرحمن كذب فى ما قال فى حقه مؤكدا ؟ .

-٧-

ثمّ اذا كان، بتصريح الرسول، صلّى الله عليه وآله وسلم، على ما فى روايات جمّة اوردها البخارى فى صحيحه و نقلناها منه فى الكتاب (ذيل اصحاب الردّة) ، فى -
 الاصحاب من يُطرّد عن الحوض و يُطرح فى النار (لأنهم احدثوا بعد الرسول و انهم ارتدوا بعده على ادبارهم القهقرى !) فكيف يكون كلّهم عدولا ؟ و على ما ينبغى ان يحمل انهم كالنجوم ! بايهم يقتدى يهتدى ؟ و اذا كان السبّ قبيحا مذموما (وكذلك يكون) بل على ما يقال : حراماً ممنوعاً ، فما الدليل على قتل من ارتكب هذا الحرام و لاسيّما مع اجتهاد المرتكب و تأويله ، ولو فرض انه مُخطىء ؟

هل من العدل و الانصاف ان يُعدّ مروان بن الحكم، (طريد رسول الله، ص)، الذى قتل ، كما هو المشهور المعتبر (او امر بالقتل، كما قيل) ، طلحة بن عبيدالله، الصحابى البدرى الصالح للخلافة (على ما قال عمر و انتخب) ، ؟ ام يجعل الصحابى الفاسق وليد بن عكبة الذى شهدوا عليه بشرب الخمر و زيادة فى الصلوة حين امارته و امر بحده الخليفة، عثمان، لمجرد ادراكهما النبى، من العدول و من النجوم ! ؟
 و ان يُحكّم بأباحة سفك دم من نقل ذلك فى حقهما ، او بجواز قتل من سبهما و انتقصهما ! ؟ او ان يُعتقد بان من يقتدى بهما يهتدى ! ؟

ليس عمرو بن العاص و ابو موسى الاشعري في الطراز الاول من الصحابة؟
ثمّ اما ضبط الكتب المعتمدة كقيفة مشاتمها وملاعتهما، باقبح وجه، و اسوء تعبير بعد
قضية الحكمية؟

قال الفقيه المالكي في كتابه «العقد الفريد» (الجزء الخامس الصفحة الـ ١٠٥-):
« وقال ابو موسى عمرو : لعنك الله ! فانّ مثلكك ، كمثل الكلب ان
تحميل عليه يلهث و ان تتركه يلهث ! » فقال عمرو : لعنك الله ! فان
مثلكك كمثل الحمار يحميل اسفاراً ! »

هذا النموذج مما ذكر في التواريخ السبعة، كالطبري، والكامل، و اضرابهما، في
ما جرت بين الصحابة انفسهم، من المشاتمة، والملاعة، والمسابة، واذ ليس الغرض هنا الا
رفع الاستبعاد ، و ان الاستنقاص لبعض الصحابة، او الانتقاد و الطعن عليه، لم يكن
مستنكراً بينهم، و لا يكون بدعاً من الامور، يستحق المرتكب ان يراق دمه، و تنزع نفسه
و لا يضرّ بالايمان بالله و ملائكته و رسله، و لا ينقض الاعتقاد بما جاء به النبي (ص)
فلنختم الكلام في هذا الشأن بما فعله معاوية من القتل و اللعن .

- ٨ -

اما عدّ معاوية بن هند ، آكلة الاكباد ، للطلّيق بن الطّليق، الذي سُمّي
امير المؤمنين و خليفة الرسول بل و اتسم خال المؤمنين ، من الصحابة ؟ ثمّ اما حارب
عليّاً وهو ابن عم الرسول، و صهره ، علي بضعته فاطمة سيّدة العالمين ، و اخوه ،
و النازل بمنزلة نفسه بنصّه ، و وصيه و خليفته، الذي لو فرض انه لم تكن منصوطة
خلافته من الله و رسوله فكان متخبياً من الامّة : مهاجرينهم و انصارهم و البدرين منهم
باجمعهم ، انتخاباً اشمل و امتن و اعدل حتّى من انتخاب اول الخلفاء ؟^١

١- لكون الانتخاب من المهاجرين و الانصار كنهم ، لاسن بعض المهاجرين (و هم
الثلاثة الذين كانوا في السقيفة و هم عمر، و ابو عبدة الجراح ، و عبد الرحمن بن عوف ،
على قول ،) و من بعض الانصار (و هم غير سعد بن عبادة و اقبانته) . و كونه بلائقة
بل مع تريت كامل و تلبت زائد . و كونه بائتيال الناس و اقبالهم عليه لا باقباله على الناس
و جلبهم اليه .

وهو الذى قال الامام أحمد بن محمد بن حنبل فى شأنه على ما فى تاريخ الخلفاء-
(الصفحة ال ١٦٨) لجلال الدين السيوطى (واخرجه الحاكم) :

« ما ورد لأحدٍ من اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما ورد
لعلى ، رضى الله عنه »

وهو الذى قال النبى فى حقّه : « من آذى عليّاً فقد آذانى » وقال ايضاً
فى شأنه كما فى صحيح البخارى (الجزء الخامس) : « انّت منى وانا منك » وغير ذلك
من الاحاديث المتوافرة ، بل المتواترة ، التى رويت نبذة منها فى الكتاب ، و ستمر
عليك فيه ان شاء الله .

نعّم ، آذى معاوية رسول الله بايذائه عليّاً بالحرب ، بل آذى الحقّ و العدل
والانصاف ، لا بالحرب فحسبُ مع علىّ بل بجميع ما فعل بالنسبة اليه من الافتراءآت
و وضع الاحاديث والروايات ، والتسبّ والتّلمع عليه ، و على جمعٍ من اكابر-
الاصحاب .

امر معاوية بلعن علىّ فى جميع البلاد الاسلاميّة على رؤس المنابر بحيث صار-
اللّعن فى زمنه ، و زمن اخلافه التّسوء من بنى مروان ، سنّة تتبّع ، وعادة لا ترتدع
يتقرّب النّاس به الى الخلفاء و الى عمّالهم ، و يفتخرون بهذا العمل التّسبّيء فى اقوالهم .
قال عزّ الدين بن ابى الحديد فى شرحه لتنهج البلاغة (ذيل و من كلام له ،
عليه التّسلام ، لاصحابه :- اما انّه سيّظنّهرو عايكم بعدى رجلٌ رحّب البلعوم ...) :
« ان معاوية امر النّاس بالعراق والتّشام وغيرهما ، بسبّ علىّ والبرائة منه ، وخطب
بذلك على منابر الإسلام و صار ذلك سنّة فى ايام بنى امية ، الى ان قام عمرو بن
عبد العزيز فآزاله » .

و اورد ايضاً نقلاً عن «الكامل» للمبرّد :

« انّ خالد بن عبد الله القسرى ، لمّا كان امير العراق فى خلافة هشام ، كان يلعن
عليّاً على المنبر ، فيقول : « اللّهم العن علىّ بن ابى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم ،

صهر رسول الله على ابنته ! و ابا الحسن و الحسين ! « ثم يقبل على الناس فيقول : هل كُنَيْتُ ؟! »

واورد ايضا بالاسناد ، عن عبد الرحمن بن سائب انه قال :

« قال الحججاج يوماً لعبد الله بن هاني ، وهو رجل من بني اِودَ ، حَيٌّ من قحطان ، وكان شريفاً في قومه ، قد شهد مع الحججاج مشاهدته كلها وكان من انصاره واعوانه : « والله ما كافأتك بعدُ ... »

ثم ذكر ابن سائب كيفية المكافاة بارسال الحججاج الى اسماء بن خارجة ، سيد بني فزارة ، و امره بتزويج عبد الله بن هاني بابنته ، و اِباء اسماء من ذلك ، و دعوة الحججاج بالسياط و تهديده ، و قبوله التزويج كرهاً اثم بعثه الى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية ، و امره بتزويج ابنته من ابن هاني ، و استنكافه ، و طلب الحججاج ، السيف ، لقتله ، و تسليم ابن قيس مكرهاً للامر !

ثم قال بعد ذلك :

« نقل الحججاج لابن هاني : قد زوجتك بنت سيد فزارة و بنت سيد همدان

وعظيم كهلان ، و ما اود هناك ؟! »

« فقال : لا نقل ، اصلح الله الامير ، ذاك فان لنا مناقب ليست لاحدٍ من العرب .

« قال : و ماهي ؟ »

« قال : ما سبَّ امير المؤمنين عبد المالك في نادٍ لناقط .

« قال : هذه منقبة والله .

« قال : و شهد منا صفتين مع امير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً ، ما شهد منا

مع ابي تراب الا رجل واحد .

« قال : منقبة والله .

قال : و منا نسوة نذرنا ان قُتل الحسين بن عليّ ، ان تنحركل واحدة عشر

قلائص ! ففعلن !

« قال : منقبة والله !! »

« قال : و ما منّا رجل عُرِضَ عليه شتم ابي تراب و لعنه الآل فعل ! ! و زاد ابنه
 حسناً و حسينا و امّهما فاطمة !
 « قال : منقبة والله !
 « قال : و ما احد . . . »

- ٩ -

و اذ كان الغرض من هذه المقدمة بيان التأسّف على ما وقع من الاختلاف التّناشئ
 بين المسلمين ، بما لا ينبغي ان يصير موجبا للمتفرقة ، و تشتت الكلمة ، و الاخلال بالوحدة
 فكيف بالمخصومة و الجدل ، و المعاندة و القتال ، ثمّ بيان مادعا المؤلّف الى ترقيم
 هذه الاوراق ، و حداه على تأليف تلك الصّفحات ، مع احترازه الشّديد عن عمل
 يوم الخلاف ، و يورث الاختلاف ، و احترامه الوفير لكلّ من بذل سعيه فى سبيل
 بسط الاسلام و نشره ، مخلصاً لله و مريداً للاسلام ، و عمل جهده فى العمل باحكام-
 الدين ، و اتباع خاتم النبيّين ، و الحماية عن وحدة كلمة المسلمين ، متجلياً بكمال -
 الايمان ، فليقتصر بما ذكر من الانموذج و المثال ، و يُشرع فى ما هو الغرض
 من المقال .

كانت الايام ايام عطلة و اصطيف ، و كنت وقتئذٍ خارج البلد (تهران) فى -
 المصطاف (ميگون) و ذلك فى شهور الصّيف من سنة ١٣٧٤ هـ . ق ، زارنى فيه يوماً
 احد العلماء الامير كانيّة P. KENNETH W. MORGAN و قال : « انسى اريد
 ان اولّف فصولاً جامعاً بعض شئون الاسلام ، كلّ فصلٍ منها لشأنٍ منه ، و بقلم واحد
 من علماء احدى البلاد الاسلاميّة ، و قبلت عدّة منهم عدّة فصول و تعهدوا بذلك »
 وسمّيتهم ، منهم الشيخ محمود التّسلّوت ، مفتى الديار المصريّة و شيخ الجامع الازهر ، رحمه الله
 تعالى ، فى ذلك الوقت ، و سأل عنيّ كتابة الفصل التّذى كان فى طرحه و رسمه ، تحت
 عنوان « الشّيعه » ، و كان من شرطه ان لا يتجاوز الفصل عن خمسين صفحات و طلب
 منّى تعيين اسم الكتاب ، فاقترحت تسميته باسم « الاسلام هو الصّراط المستقيم »
 . (ISLAM - THE STRAIGHT PATH) .

فاعتذرتُ ولكنّه لم يُعفنى واصراً، فاجبت سؤاله وكتبت مختصراً تحت عنوان «الشيعة» بالفارسيّة، مقتصراً على بيان معتقدات الشيعة الإماميّة، اصولاً وفروعاً فارغاً عن ذكر المدارك والدلائل (رعايةً لشرط السائل) فترجم كسائر فصول الكتاب بالانكليزيّة (اخطأ المترجم في موضعين من ترجمته لهذا الفصل، ولكنّه لا يخفى على الخبير البصير صوابه الذي كان عليه الاصل).

فطبع الكتاب بامريكا وترجم من الانكليزيّة بعدة لغات، منها العربيّة والاردويّة ومما يؤسف ان المترجمين بهاتين اللغتين، تحت تأثير العصبية، لم يراعيا في ترجمة هذا الفصل جانب العدل والانصاف، و سلكا في ما ذهبوا طريق الاعتساف. اما الاول جاوز الله عنه، ففي ما علق على بعض الموارد من هذا الفصل. واما الثاني، لاسامحه الله لما فعل، فكانه لم يدرك معنى الترجمة، ولم يعتقد لزوم رعاية الامانة، وخيل له ان له الحق في ما كان بصدده باسم الترجمة، ان يغيّر الاصل على ما يشاء، ويتصرف فيه كيف يشاء، ولهذا قال قبل الشروع، في ماسماه الترجمة، ما هذا مفاده (على ما ترجم لي من كلامه): «لما كان مطالب هذا الفصل غير صواب عندي، فلا اقيّد نفسي بترجمة عين ما فيه، بل اتصرف فيه وابدله بما هو الصواب عندي!»

هكذا تفعل العصبية باهلها من الانحراف والاعتساف فيتولد منه الخلاف والاختلاف، وقديماً ما جنت ايدى العصبية العاصية العاتية على الانصاف والعدل، وكثيراً ما نسجت عناكب الوهم والجهل بيوت الواهنة الوهمية العاتية لتضليل العقل وتستير الحق.

وان شئت زيادةً على ما دريت من عتو العصبية فانظر الى ما وسّمه متفاضل! باسم «التصراع بين الاسلام والوثنية» وكنى بالوثنية، عن التشيع! واتى فيه بالنسبة الى الشيعة من الكلمات الشيعة، ما لا يتجاوز عنه في الشريعة. وان تعجب فعجب نقله، مع تلك التسمية، وهذه المانيات الباطلة، حديثاً مسنداً عن «الامام بن الامام عبد الله

بن احمد بن حنبل، عن النبي (ص): « يا عليُّ اَنْتَ وَ شِيعَتُكَ فِي الْجَنَّةِ » -
(الصفحة ال ٢٠ من الكتاب) ولاتسأل عن هذا المتفاضل علي من يصدق العنوان اى
عنوان «شيعه علي» الذين هم فى الجنة؟

وانظر ايضا الى ما كتبه القاضى ابوبكر بن العربى (محمد بن عبيدالله المعافرى-
الاشيلى المتوفى ٥٥٤٣ . ق) باسم «العواصم من القواصم» كى ترى ما يصنعه التعصب،
فى قضائه للباطل على الحق . فتريله فى مقام الدفاع عن امور ، يصادر على المطلوب
تارةً و يقتصر بالادعاء، عن اقامة الدليل مرةً فيقول مثلا (ص ٦٣): «هذا كله باطل
سنداً ومتناً . اما قولهم . . . فباطل . واما . . . فزور . واما . . . افكك مثله» واما
فيه اباذر الى الربذة فلم يفعل ، كان ابوذر زاهدا، وكان يقرع عمال عثمان و يتلو عليهم
« وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ النِّصَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بعذابٍ اَلِيمٍ » ويراهم يتسعون فى المراكب والملابس . . . ويقول : «وهذا قهر عظيم
و افتئات على الصحابة ، وكذب فى وجوههم و بهت لهم » ويقول : « و هذه كلها
مصالح لا نقدح فى الدين ! » (الصفحة ال ٧٧) ومع انه مصحح كتابه يعتقد ان الصحابة
كلهم عدول ، مبرنون منزهون ، لا يجوز التكلم فيهم « ولا ينتقص منهم الا زنديق » حتى
قال المصحح فى ما قدمه على الكتاب (ص ٧) : « و الصحابة كانوا اسما اخلاقاً
و اصدق اخلاصاً لله و ترفعاً عن خسائس الدنيا من ان يختلفوا للدنيا . . . » وقال ايضا
فى المقدمة بهذا العنوان ، « اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم عدول بتعديل الله
و رسوله لهم ، ولا ينتقص منهم الا زنديق » يقول المؤلف فى متن الكتاب فى موضع
« . . . واضطرب الانصار يطلبون الامر لانفسهم ! او الشركة مع المهاجرين ! » ويقول
فى موضع آخر . « و تعلق بال العباس و على بميراثهما فى ما تركه النبى ، من
فدك و بنى التضيير و خيبر » و فى موضع ثالث :

« . . . ان العباس وعلياً (على مارواه الائمة - على ما قال-) اختصما عند عمر
فى شأن اوقاف رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، فقال العباس لعمر : يا امير المؤمنين

اقض بينى وبين هذا الظالم ! الكاذب ! الآثم ! الجائر ! . . . » و نقل المصحح فى ما علقه هنا، الرواية من صحيح البخارى ! ومن «فتح البارى» لابن حجر ! وقال : وفى رواية : « و بَيِّنَ هذا الكاذب ، الآثم ، الغادر ، الخائن » ياسبحان الله ممّا صنع التعصّب حتّى بالحياة الذى من الايمان ^١ .

وما ينبغي ان يقال لمتعصّب يحمله التعصّب على انكار كل ما لا بدّ من التمسكّ به فيقول فى موضع من الكتاب : « انما ذكرت لكم هذا ، لتحترزوا من الخلق و خاصة من المفسّرين ! والمؤرّخين ! و اهل الآداب ! بانهم اهل جهالات بحرّمات الدين ! او على بدعة مصرّين ! فلا تبالوا بما رووا ! ولا تقبلوا رواية الا عن ائمة الحديث ولا تسمعوا لمؤرّخ كلاماً الا للطّبرى ، وغير ذلك هو الموت الاحمر والّداء الاكبر فانهم ينشئون فيه احاديث فيها استحقار الصحابة والسلف والاستخفاف بهم . . . »
 بالله ايّها القاضى قل لنا : التفاسير و التواريخ والآداب ، كلّها جهالات و بدع لانّ فيها استحقار الصحابة والسلف الا حديث « رواه الائمة » على ما تقول ، لانّ الآثم ، و الغدر ، و الخيانة ، و الكذب المفترى قوله على العباس عمّ الرسول ، لعلى ابن عمّه و صهره و كنفه و خليفته (ولو فى المرتبة الرابعة) فى نظرك و امثالك احترام و استعظام و تجليل و تبجيل !؟ و امّا ما قلت فى شأن الطّبرى فاعلم انّ جلّ ما نقل فى هذا الكتاب مأخوذ من الطّبرى و الحمد لله .

- ١١ -

انعقد فى عام ١٣٧٦ هـ . ق . مؤتمر اسلامى ببلدة لاهور بباكستان ، بدعوة

١- ايها المعلق المحقق !! اما صح عندك الروايات المتضاربة المصرحة بان ايذاء على ايذاء الرسول و ايذاء الرسول(ص) ايذاء الله، جل جلاله و عظم نكاله هب ان نذرا الحياء لاهله الست تدعى انك من العلماء ثم اما تدبرت فى القرآن (و لعلك كنت حافظاً لكلماته الشريفه) و فيه «انما يخشى الله من عباده العلماء» فاخش من الله و لا تؤذيه و ذر العصبية و اكتف بما تفتري على الشيعة و تقول فى تعليقتك على العواصم (الصفحة ٦٧) : «والشيعة يذنون موقف الصحابة من سبيلمة و قومه ! ! و يدافعون عن المرتدين»

من جامعتها ، فاجتمعت الوفود المدعوة (نحو من اربعين و فداً من اربعين مملكة) من اكثر بلاد العالم المهمة وكان موضوع البحث فى احد ايام المؤتمر (تأثير الاجتهاد، فى الاسلام » وكان اول من تكلم فى ذلك اليوم فى الموضوع المقرر ، احد العلماء- الافاضل من مصر ، رحمه الله ، فقال فى مالقى فى خطابه بعد ما ذكر ابتداءً اثمة- الشيعة الاثنى عشر باسمائهم :

« ان الشيعة تعتقد ان هؤلاء الاثمة مشرّعون وهم يقولون بالقياس ويعتبرونه .. »
 فعجبت من هذا القول وهذه النسبة والقائل استاد معروف بالتتبع ، صاحب التأليف- الكثيرة . فلما وصلت نوبتى اشرت فى ماالقيت من الخطاب بانّ ذلك القول منحرف عن الصواب ، ومما يدلّ على بطلانه انّ الشيعة ، كغيرها من المسلمين ، تعتقد انّ التشريع الدينى لله تبارك وتعالى وهو يوحى بوساطة امين وحيه جبرائيل على رسوله ، وليس فى الشيعة من اعتقد نزول جبرائيل بعد رسول الخاتم ، و بعد ان اكمل الله تعالى به (ص) دينه و اتمّ نعمته ، على احد من الناس كائناً من كان ، فكيف تنسب اليهم ذلك الاعتقاد- الباطل !؟

نعم تعتقد الشيعة انّ اهل البيت ادرى بما فى البيت ، و انّ القرآن يعرفه من خطوط به ، و تعتقد انّ النبى ، كما استفاضت منه ، « مدينة العلم والحكمة و على بابها » ، و تعتقد بانّ الاثمة من صلب على ذرية الرسول و آله ، و من سلالته و ابناؤه ، و ابواب علمه و حكمته ، و أمناؤه ، آخذون ما قالوا من جدّهم ، و مفسّرون بتعليمه اياهم ما شكل فهمه على غيرهم ، و يبيّنون ما خفى دركه و اشتبه على غيرهم ، فهم يروون كابرأ عن كابر بالتسند الموصول الى جدّهم الرسول ، و يبيّنون اصول الدين وفروعه ، مستندة الى ما لا يجوز لمن اسلم الا التسليم منهم و القبول . و ذلك كلّه لطهارة ذاتهم ، و شرافة صفاتهم ، و اتّصالهم جسماً و روحاً بالنبى (ص) و انفعالهم عنه . و اين هذا من اعتقاد التشريع ؟

و اما نسبة القياس اليهم فامرّها عجيب ، و التّفوّه بها من مثل الاستاذ بعيد غريب ، و كيف له و الاصاغر من طلبة العلم سمع من الشيعة انه يقول : « وليس من مذهبنا القياس »

وسمع هذا الكلام المروى بالاستفاضة عن امام المذهب، جعفر بن محمد الصادق (ع) «السنة اذا قيست بحق الدين» وسمع مذاكرة الامام مع الامام ابي حنيفة في بطلان القياس¹، وشاهد من شاهد كتب الشيعة في اصول الفقه، انه فيها انعقد فصل للكلام على القياس وابطاله؟

والعجيب انه لما قلت له، بعد ما جلسنا معاً، من اين قلت ما قلت ايها الاخ العزيز؟ قال: ترجم لي بعض من يعرف الفارسية، من كتاب فارسي! فقلت: الكيس عجيباً منك، مع مقامك السامي في العلم والفضل، ومع تتبّعك الوفير، وتبحرك- الشهير من طرف، ومع كثرة المؤلفات الموجودة، قديماً وحديثاً، من علماء الشيعة بالعربية من طرف آخر، ان لا تراجع اليها، وان تعتمد على ما ترجم لك من كتاب

١- قال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني، في كتابه «حلية الاولياء» (المجلد الثالث - الصفحة ال ١٩٦ -) ذيل ترجمة «الامام الناطق، ذوالزمام السابق، ابو عبدالله جعفر بن محمد الصادق -»، بالاسناد عن عمرو بن جميع قال:

«دخلت على جعفر بن محمد انا وابن ابي ليلى وابو حنيفة»، وبالاسناد عن عبدالله بن شبرمة، قال: «دخلت انا وابو حنيفة على جعفر بن محمد»
«فقال لابن ابي ليلى: من هذا معك؟ قال: هذا رجل له بصر، وفأذ في اسر الدين قال: لعله يقيس اسر الدين برأيه. قال: نعم. فقال جعفر لابي حنيفة ما اسمك؟ قال: نعمان. قال: يا نعمان هل قست...» بعد كلام طويل فقال: يا نعمان حدثني ابي عن جدى ان رسول الله (ص) قال: اول من قاس اسر الدين برأيه ابليس. قال الله تعالى له: اسجد لادم. فقال: «انا خير منه خلقتني من نار، وخلقته من طين» فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بابليس لانه اتبعه بالقياس»
قال الحافظ بعد ذلك:

«و زاد ابن شبرمة في حديثه: ثم قال جعفر: ايها اعظم، قتل النفس والزنا؟ قال: قتل النفس. قال: فان الله عزوجل قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا الا اربعة. ثم قال: ايها اعظم: الصلوة ام الصوم؟ قال: الصلوة. قال: فما بالحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلوة. فكيف، ويحك، يقوم لك قهاسك؟ اتق الله ولا تقس- الدين برايك.»

فارسيّ ، لا تعرف مؤلفه ، ولا تعلم غرضه ، ولا تدري حدّ اطلاعه وعلمه ، ولا حدّ معرفة المترجم و احاطته على ما ترجمه ، ثمّ تستند اليه ، و تذكره في مثل هذا المؤتمر- العظيم ، الغاصّ بالعلماء الكبار ، من جميع ممالك العالم و تمام الاقطار ؟

- ١٢ -

انعقد ايضاً مؤتمر اسلاميّ في عام ١٣٨٢ هـ . ق بيت المقدس ، وكان المؤتمر مخصوصاً بالوفود من خصوص البلاد الاسلاميّة ، وكانت الكلمات الملقاة ، في كلّ- الخطابات ، حول قضية « الجزائر » و قضية « فلسطين » ، وفي ما لقيت من الخطاب قلت بعد الحمد والتّصليّة :

«رؤينا بالأسناد الموثق (عن طرق متعدّدة) عن الامام جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن آبائه عن جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ أَصْبَحَ وَلَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ » ونحن وانا تابعوا الامام مهتمون غاية الاهتمام بامر الجزائر المظلومة ، و فلسطين المغصوبة ، و تابع لكم في ماترون لحلّ هذه المشكلة المؤسفة ولكنّي ، وانا من المسلمين ، لى مالهم وعلّى ما عليهم ، اعتقد انه يجب علىّ أنّ اشير هنا الى ما بهمّ الاسلام والمسلمين جميعاً ، وهو انه لما دعاني في ايران « الزعيم الاكبر ، البروجردى ، (قدّس سرّه) ، و طلب منى الحضور فى هذا- المؤتمر بنيابته (على ما عبّر) ، ظننت انّ المؤتمر ، الذى دعا زعيماً عظيماً كالبروجردى انعقد لامحالة للبحث عن امر اوسع ، و انفع ، و ارفع ، انعقد للبحث عن عالم الاسلام و عمّا اورث للمسلمين ، الذين تقدّموا فى الصّدر الأوّل ، تقدّموا علمياً و عملياً ، تقدّموا امارياً و ادارياً ، و استولوا فى اقلّ مدّة تتصوّر ، على غرب العالم و شرقها ، هذا الضّعف المفرطّ المؤسف ، بحيث صار الخائف من شوكتهم ، الخاضع لقدرتهم ، حاكماً مهيمناً عليهم فى بيتهم ، و ظلّ المضروب عليه الذلّة والمسكنة ، غاصباً لارضهم ، هاتكاً لعرضهم ، مُشرّدهم عن مكانهم ، مهدّداً لكيانهم .

ثمّ اشرت الى ما كان المسلمون عليه ، فى الرّعيّل الاقدم ، والصّدر الأوّل ، من

من قوة الايمان والعقيدة، ووحدة الارادة والكلمة، بحيث كان عنوان «الاسلام» وعنوان «المسلم» من اية جنسية كان المسلم، وفي اى قطر من الاقطار، عنواناً جامعاً للشعوب، رابطاً للمتفرقات، و نقطة مركزية تدور على محورها آلاف و الوف من المسلمين، كل منهم يفتدى بماله و نفسه و عياله فى سبيل حفظ ذلك العنوان الجامع، ولبسطه و اعتلائه، و يعتقد ان الاسلام يعلمو ولا يعلمو عليه، و يجتهد و يجاهد بان لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، فكان الاسلام بمجاهدتهم و وحدتهم كما ارادوا و احبوا، و المسلمون على ما يلىق بشانهم و على ما شاؤا .

و اصبحوا فى عصرنا من ضعف الايمان، و التشتت و الافتراق، و العصبية و العناد، بحيث قدموا الجنسية على الاسلام فنرى، حتى فى هذا المؤتمر الذى انعقد باسم «الاسلام»، يؤخر اسم الاسلام عن «العروبة» فيُهتف بعنوان «العروبة و الاسلام!» و يؤخر اسم المسلمين عن «العرب» فينادى جهاراً بعنوان «العرب و المسلمون». جاء الاسلام لتوحيد البشر من العرب و العجم و شاء ان يكون عنوان الكل «المسلم» و قضى على سائر العناوين مطلقاً فمن يتبع غير «الاسلام» شأناً و سوى «المسلم» عنواناً لن يقبل منه، و يكون من الخاسرين. ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فيصبروا من الاذلين الهالكين .

ثم اقترحت لمسئلة الجزائر و فلسطين، و لما ينفع عامة المسلمين، و يورث- الاتحاد و الاتفاق، و ينتج القوة و القدرة، و يجدد الشوكة و العظمة، ماتلقته الجماعة بالقبول و التحسين¹ .

١- كان فى ما اقترحت لمسئلة الجزائر و فلسطين ان يدعو زعيم سملكة الاردن، زعماء البلاد الاسلامية من كل الاقطار قيشاورون و يتخذون الراى النهائى و يعتزمون على العمل به، و يقدمون للعمل بلا تريت و تلبث، و من دون تسامح و تساهل. و مما اقترحت لما ينفع الاسلام و عامة المسلمين ان يتوافق الزعماء على اتحاد برنامج التحصيل و الدراسة فى مدارس بلادهم للشبان فى الدورة الاولى و الثانية كى يتأدبوا على التفاهم بينهم و يربوا على وحدة الفكر و يشبوا على الايمان الراسخ المتين بانهم «الاعلون» ان كانوا مؤمنين .

لمّا انقضت الجلسة الرسمية ، واجتمعت اعضاء المؤتمر فى محل صرف- الشاى ، قال لى شاب فاضل ، كان من اساتذه كليّة الشريعة بجامعة الليبية متعجبا : هل يكون للشيعة ، التحديث والاسناد ١٩؟ وقال شيخ من وفدالحجاز فاضل : ليست- الشيعة تقول عند الصلوة : « خان الامين » ؟ فقلت للاول : لعن الله العصبية الموجبة للافتراق بحيث لانعرف ، وانت من العلماء ومن الاساتذه ، ان الشيعة لهم اصول مسندة الى اهل بيت الرسول ، وهم متمسكون بالعترة كما امر الرسول . وقلت للثانى بعد استيضاح المراد منه : ليست هذه النسبة الى الشيعة سوى افتراء واختلاق ، وليست هذه الفرية والبهتان الا لتوليد الاختلاف والافتراق . وانا ، والله العظيم ، ماسمعتها من احد من الشيعة الامامية . ثم لوتفوه بهذا الكلام ، ونستجير بالله ، احد عند الصلوة ، او فى اى وقت وزمان ، ومن اى الفرق كان ، فاهما معنيه ، قاصدا امره ، تكون عند الشيعة كافرا بالرسالة ويحكم عليه بما يحكم على من انكر الرسول بل وانكر الله وملائكته . ومن العجيب المولم وجود هذه العصبية الجائرة على الشيعة ، حيث ان سائر- الفرق الاسلامية حتى اهل العلم منهم لا يراجعون الى الكتب الموجودة المطبوعة التى يغلب عددها على الأحصاء ، والتفها علماء الشيعة فى العاوم الاسلامية من التفسير والفقہ والحديث والرجال والدرابة وغيرها وهى مكتوبة باللسان العربى ، ولا يطلعون عليها فيقولون فى حقهم ما لا يعلمون من قول الزور وينسبون اليهم ما لا يعرفون ولا يناسب بشانهم ، من الباطل والغرور .

فاعتذرا بان ورود الكتب من تأليف الشيعة فى بلادنا ممنوع من جانب الحكومة مطلقا ، ولذلك لم يتيسر لنا المراجعة وما وافقنا التوفيق للمطالعة .

قلت لهم : وهذا ايضا من سيئات العصبية الغاشمة ، التى تكون الشيعة بريئة عنها ، وذلك لان فى كل بلد من بلاد الشيعة مكاتب عمومية ، ممتلئة من الكتب الاسلامية ، من دون فرق بين المذاهب ، وعلماء الشيعة يراجعون فيها ، ويستفيدون منها

منها بالفكر الحرّ و بلاعصبية ، فيستمعون القول و يتبعون احسنه . ولعلّه لا توجد لعالمٍ شيعي ، اينما كان ، مكتبة شخصية خصوصية خالية من مؤلّف لاخوانه من اهل السنّة سواء كان في التفسير ، او الحديث ، او الفقه ، او غير ذلك ، وكيف لا والشيعه تطلب الهداية والحقيقة ، و تسعى لادراك الحقّ ، و تكابد للوصول الى النجاة و الرّشاد ، و تريد الحكمة التي من ضالّة المؤمن و تاخذها اينما وجدها ؟

فهذا كتاب « مسائل الخلاف » للشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، المعروف بشيخ الطائفة (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ . ق) يحتوي على مذاهب اكثر الفقهاء البائدة منها ، كمذهب الشيعي ، والاوزاعي ، والطبري ، والاصفهانى (داود بن خلف الظاهري) وغيرهم والباقيه منها كالمذاهب الاربعه للائمة الاربعه (نعمان ثابت الايراني - ابو حنيفة - مالك بن انس ، محمد بن ادريس الشافعي و احمد بن محمد بن حنبل المروزي) ثمّ المؤلّف يقارن بين تلك الآراء و بين ما ارتضاه رايه ، و اقتضاه مذهبه ، فيستدلّ لما اختاره ، و افق مذهب غيره او خالفه . هذا شأن الشيعة و كتب غيرها ، ولكنّه لعلّه لا يوجد في ما كتبه اخواننا ، علماء السنّة كتابا ذكر فيها فقه الشيعة ، المأخوذ من القرآن و السنّة ، بارشاد من اهل البيت و عتره الرّسول ، حتّى و لو كان بعنوان الرّد و عدم القبول !

- ١٤ -

و يناسب في هذا الموضوع ان يقال : بما ذا يصحّ ان يعتذر اعظم علماء الحديث عند اهل السنّة ، البخارى (محمد بن اسماعيل) حيث ترك التّحديث عن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب ، الملقّب بالتّصادق ، الرّاوى عن ابيه عن آبائه عن جدّه رسول الله (ص) ؟

و الامام التّصادق هو الذى لو كان ريب في عصمته و امامته ! لامجال للريب في زهده و تقويّه و علمه و هديّه . وهو الذى كان ابو حنيفة يعظّمه و يبجّله ، ويستفيد منه ، و يتواضع له و هو الذى كما في الحلية لابي نعيم « حدّث عنه من الائمة و الاعلام

مالك بن انس وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وابن جريج وروح بن القاسم وسفيان بن عيينه ، وسليمان بن هلال و... و... و... في آخرين . واخرج عنه مسلم بن الحجاج ، في صحيحه ، محتجاً بحديثه .

وهوالذي نُقِلَ عن الامام مالك بن انس انه قال في حقه : «مارآت عين ولا سمعت اذن ولا خطرَ على قلب بشرٍ افضلَ من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادةً» ، وورعاً (اي بعد الرسول ، ص ،)

وهوالذي كان الامام الشافعي يعترف بعظمة مقامه . وهو الذي كان اصحاب بحثه والمستفيدون من مجلس درسه نحواً من اربعة آلاف (على ما هو المشهور) وكان اصحابه الخاصة الذين دونوا اماملاهم عليهم من الاحاديث عن آبائه عن جدّه رسول الله (ص) اربعمائة نفرأ ، وصارت هذه الامالى مشهورة في الشيعة بعنوان «الاصول الاربعمائة» ومن تلك الاصول استخرجت «الاصول الاربعة» المعروفة ، المتداولة ، التي للشيعة بمنزلة الصحاح الستة ، لاهل السنة ، (وهي «الكافي» و «فقيه من لا يحضره الفقيه» و «التهذيب» و «الاستبصار» للمحمد بن الثلاثة : الكليني والتصدوق والطوسي رحمهم الله تعالى .

قال ابن خلكان في الوفيات «الجلد الاول - الصفحة ال ١١٢ - طبع تهران -) : «ابوعبدالله جعفر بن محمد الصادق بن . . . كان من سادات اهل البيت ولُقّب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله اشهر من ان يُذكر . وله كلام في صنعة الكيمياء وكان تلميذه ابوهوسى جابر بن حيمان التصوفى الطرسوسى قد الف كتابا يشتمل على الف ورقة يتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة . . .»

وفي «الروضات» (الصفحة ال ٦٩٨) :

« و نُقِلَ عن الذهبي انه قال في كتاب ميزانه عند ذكره و بيانه لمربة الامام جعفر بن محمد الصادق : برّ ، صادق كبير الشأن لم يحتج به البخارى » مع انه يروى كثيراً في صحيحه ، كما حكى عن صريح شارحه الفاضل العيني ، عن عمران-

بن الحِطَّان ، الخارجى ، المادح لعبدالرحمن بن ملجم المرادى وقتله امير المؤمنين^١ .
«واعترف الحاكم بن البيهق التيسابورى فى مانئقل عن كتابه المشهور فى معرفة
اصول الحديث ، بانته : احتج البخارى باكثر من مائة رجل من المجهولين ! و صح
عند العلماء انه يروى عن الف و مائى رجل من الخوارج .

«وقال له الامام احمد بن حنبل : سميت كتابك « صحيحاً » و اكثره رواية
الخوارج . و حبسه قاضى بخارا لما قال له : ليم رويت من الخوارج ؟ قال : لانهم
ثقات لا يكذبون .»

ثم لو فرض ان جعفر الصادق و آباؤه : باقر العلوم و زين العابدين و سيد
شباب اهل الجنة و باب مدينة العلم لم يكونوا ائمة معصومين ، وهداة مهديتين و عتره
سيد الانبياء والمرسلين ولم يكن كل واحد منهم فى زمانه ازهد و اتقى و اصلح و اعلم
باحكام الشرع و علوم الدين الهم يكونوا علماء ، صلحاء ، اصدقاء ، اتقياء ايضا ؟
و الهم يكن اتصالحهم الروحى و قرابتهم الجسمى من الرسول (ص) ابين و اشد ؟ و الهم
يكن علمهم مأخوذاً عن جدتهم ، مستنداً اليه ؟ فلم لم يعبا صاحب الصحيح بهم ، و لم
يعتد بشانهم ؟ مع انه نقل كثيراً عن ابى هريرة الدوسى^٢ (الذى ضربه عمر ، رض ،

١- قال - ملاء الله فاه من النار - :

يا ضربة من كمي ما اراد بها	الا ليبلغ عند الله رضواناً
انى لا ذكره يوماً فاحسبه	اوفى البرية عند الله ميزاناً
و هو المرادى الذى سفكت	كفاه مهجة شر الخلق انساناً
اسى عشية غشاه بضرته	مما جنه من الاثام ، عرياناً !! «

٢- فى صحيح البخارى (طبع عبد الحميد - الجلد الاول - الصفحة ال ٣٥ -) بالاسناد
عن ابى هريرة قال : «حفظت من رسول الله (ص) و عائنين ، فاما احدهما فبثته ، و اما الاخر
فلو بثته قطع هذا البلعوم» .

فلسائل ان يقول : ايها الصحابى بالله قل لنا ما كان فى الوعاء الذى لم تبثه من-
الاسرار التى افشاها رسول الله (ص) لك ! و كنت جديد الاسلام و كان تمام مدة صحابتك
لم تبلغ اربع سنة ولم يفشها للصاحب الصديق و للفاروق و لذى النورين و حتى لعلى اخيه

بالدرة لأكثره الحديث وشاطر امواله بعد عز له عن العمل) ونقل عن ابن حيطان الخارجي وغيره من الخوارج . ليم كل ذلك ايها المحدث الخبير ؟ اليس العصبية تزرى بشأن العلماء ؟ عصمنا الله وجميع اخواننا المسلمين من اتباع الهوى وحفظنا مما يورث التخبُّط في الردى .

ولما انجز الكلام الى هذا المقام ، نشير الى ما ارتكبه عالم آخر من التعصّب - الشدّيد ، وهو السُّبكي (تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي السُّبكي - ٧٢٧ ، ٧٧١ هـ . ق -) مع انه كما في مقدمة كتابه ، طبقات الشافعية ، اخذ على شيخه الذّهبي ، ما ارتكب من التعصّب وهجم عليه شديداً ففي المقدمة للكتاب نقلا عنه ، في ترجمة احمد بن صالح المصري : « واما تاريخ شيخنا الذّهبي - غفر الله له - فانه ، على حسنه وجمعه ، مشحون بالتعصّب المفرط - لا - واخذ الله -

→
وصهره ووصيه و اول من آمن به و صدقه من الذكور ، و لباقي العشرة المبشرة و لسائر صحابته المبجلة ! ؟ ثم ان قالها الرسول (ص) لك للث و النشر فلم عصيته و حرست الامة عنها ؟ و ان اختصها بك من جميع الامة و كانت لك خاصة ! فما معنى الاعتذار لعدم البت بقطع البلعوم و الحلقوم ! ؟

و في الصحيح ايضا (الجزء الثالث الصفحة ال ١٠٩ -) بالاسناد عنه ايضا : « يقولون : ان ابا هريرة يكثر الحديث ، والله الموعد ، و يقولون : ما للمهاجرين والانصار ، لا يحدثون مثل احاديثه ؟ و ان اخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق ، و ان اخوتي من الانصار كان يشغلهم عمل اسواهم ، و كنت امرأ مسكيناً الزم رسول الله على ملاه بطنى فاحضر حين يغيبون ، و اعى حين ينسون »

ايها الصحابي المحترم ! انت تعترف بان حديثك في الكمية (الاكثر) و في الكيفية (مثل احاديثه) مختلف لحديث سائر الصحابة ، و لاجله قالوا (اي الصحابة) فيك ما قالوا ، ثم تعتذر بما كانك تغافل من ان كثيراً من الصحابة ، كانوا اشد ملازمة ، و اكثرها ، منك للرسول (ص) و كانت مدة صحابتهم اطول جداً و كانوا اليه اقرب و لاستماع الحديث ونقله انسب . هب انك كنت في مدة ادراكك الاسلام دائماً مع الرسول و ملازماً له هل كانت هذه الاحاديث الكثيرة التي تحدث بها صدر عن الرسول و هو في خلوة معك ولم يكن احد عنده سواك ؟ او اختار الرسول ، لما يريد ان تعلمه امته و تعمل وفقه ، نجواك ! ؟

فقد اكثر الوقعة فى اهل الدين ، واستطال على كثير من ائمة الشافعيين و الحنفيين ،
و مال فافرط على الحشوية ... هذا و هو الحافظ المِدره^١ ، و الامام المبجل ، فما
ظنكك بعوام المؤرخين ؟

فقد تعصب السبكي نفسه للامام الشافعي تعصباً مفرطاً و كانه للمحب صار
اصم^٢ و اعمى^٣ كما سنورد كلامه السخيف و سترى^٤.

و ملخص ما جاء به فى مقام تعريف الشافعي انه اتى اولاً باخبار مسنداً من
هذا القبيل : «الناسُ تبعُ لقريش فى الخير و الشر» و «ان لله حُرُمات ثلاثاً من
حَقِيقَتِهِنَّ حَقِيقَةُ اللهِ لَهُ اَمْرٌ دِينُهُ وَ دُنْيَاهُ وَمَنْ ضَيَعَهُنَّ لَمْ يَحْفَظِ اللهُ لَهُ شَيْئاً. قيل :
وما هى يا رسول الله ؟ قال : حُرْمَةُ الْاِسْلَامِ ، وَ حُرْمَةُ رَحِمِي » و «الامَن
آذَى قُرَابَتِي فَفَقَدَ آذَانِي وَ مَنْ آذَانِي فَفَقَدَ آذَى اللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، » و «مَنْ أَحَبَّ
قُرَيْشاً أَحَبَّ الله وَ مَنْ أَبْغَضَ قُرَيْشاً أَبْغَضَ الله» و «كُلُّ سَبَبٍ وَ نَسَبٍ مَنْقُوعٌ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ الا نَسَبِي وَ سَبَبِي » و «انما نحنُ و بنوالمطلب هكذا» و «شبكة
بين اصابعه . و «انما نحنُ و بنوهاشم شبيه واحد» ثم اتى باخبار فى «مؤالاة
قريش» و «ان الائمة من قريش» و «لا يزال هذا الامر فى قريش ما بقى فى الناس
اثنان» .

وبعد ذلك ادعى ان تلك الاخبار بعمومها ، صدرت للدلالة على امامة ابو عبد الله
محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبید بن عبد يزيد
بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشى المكي و قال : «تكفى (اي هذه الاخبار)
فى عظمة مقامه» .

ثم بحث عن امه فاطمة ، و انها هى من احفاد حسين بن على بن ابى طالب ،
او من قبيلة ازد ، او من قبيلة اسد ، و تجشم لاثبات قول الاول كى يثبت شرفه من
حيث الانتساب بال بيت الرسول ايضا .

ثم استنتج من تلك المقدمات ان «الامام القرشى ، الذى لا يختلف عاقلان
فى انه من قريش ، هو الشافعي ، رضى الله عنه ، فهو المشهود له بالامامة ، بل بانحصار

الامامة فيه ، لان « الاثمة من قريش » يدل ، بحصر المبتدء ، على الخبر ، على ذلك ولانعنى بالامامة ، امامة الخلافة بل امامة العلم والدين ، او اعم من ذلك ... »
 « ولو ان احداً من الخلق ، غيره ، ادعى انه قرشي و اراد منا هذه المرتبة لقلنا له :

«اولاً اثبت انتك قرشي ، وهيهات ! ...»

« و ثانياً ينبغي ان يكون من التمسكك من العلم و الدين بحيث يكون من العلم و الدين بحيث يكون من جملة القوم المشار اليهم في هذه الاحاديث ... »
 ثم اورد في تجليل الشافعي فصلاً مُشبعاً ، وفيه : ان الله تعالى كما استاثر لنيته اسم محمد قبل النبي كذلك استاثر اسم محمد في قريش قبل الشافعي له !
 وبعد ذلك زعم انه كما ورد في حقه ما يدل على امامته ، بعمومها ، صدرت ايضاً اخبار للدلالة عليها بخصوصها مثل « لاتسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علماء » . و « لاتؤموا قريشاً واثموا بها ، و لاتقصدوا قريشاً و قدّموا ، و لاتعلموا قريشاً و تعلموا منها ، فان امامة الامين من قريش تعدل امامة الامين من غيرهم و ان علم عالم قريش ليعسع طباق الارض »

ثم نقل عن « ابونعيم عبد الملك بن محمد الفقيه » شرحاً في بيان ان حديث « عالم قريش يملأ الارض علماء » لا مصداق له الا الشافعي ، وانه ان نازع جدلي مغرور ، و عارض بعلي و ابن عباس فانتهما من علماء قريش فنقول له :
 « من ذكرت و ان كان في العلم و الدين بالمنزلة التي تفوق الشافعي الا ان - التصانيف و الشهرة ! و كثرة الاتباع ! مخصوصة بابن ادريس ! » و بعد هذا النقل اورد السبكي راي نفسه و قال :

« ... و انا اقول : و لئن سلمنا ان امر من ذكرت كذلك ، و لا والله لانسلم ذلك الا تنزلاً ولا يعتقد الا احمق (!) فنقول : الشافعي ايضاً من علماء قريش ... »

والآن فانظر الى العصبية كيف صارت موجبة لغفلة هذا الرجل الفاضل عن الحق والعدل والانصاف فاورد اخباراً منافيةً للاخبار المستفيضة بل المتواتره التي بصراحتها تدلّ على انه لافخر لقريشٍ على حبشٍ ، الا بالعمل التصالح ، بل معارضةً للقرآن- المجيد بانّ « اكرمكم عند الله اتقيكم » حرصاً على ان يرجع مذهب الشافعي ، لكون مؤسسه قريشياً ، على باقى المذاهب الاربعة ، و غفل عن انّ جلّ هذه الأخبار التي صرّحت فيها بكلمة « قريش » موضوعة في زمان بنى امية وآلا فمامعنى لزوم « موالة قريش » على الاطلاق وفيهم البرّ والفاجر والمؤمن والكافر ؟ وعلى ما يحمل قوله « من احب قريشا احبه الله ومن ابغض . . . » ومن قريش ابولهب وحمالة الحطب

واما الخبران الذان صرّح فيها بكون « الائمة من قريش » و بانّه « لا يزال هذا الامر فى قريش ما بقى فى الناس اثنان » فالمراد منها ائمة الشيعة ، ولا سيما الثانى منهما حيث لا ينطبق الاعلى ماعليه الشيعة ، فانّ الامر زال عن قريش بانقراض خلافة آل العباس . وكيف كان ليس فى هذا العصر امام من قريش (خليفة للرسول) الا على ما اعتقدت- الشيعة .

واما الاخبار التي جىء فيها بلفظ القرابة والرحيم فانطباقها على عترة الرسول وآله وابنائهم من بنته ، اظهر من ان يجترىء من له حياء العلم ، ان يصرفها منهم ويرجعها الى من بينه وبين الرسول فى سلسلة الاجداد نحواً من عشرة فاصلة .

والخبر الذى فيه « الامامة والايتمام والتعليم والتعلم ، وانّ امامة الامين من قريش تعدل امامة الامين من غيرهم ! » فوضعه غير محتاج الى البيان والتوضيح ، وكذا خبر « الناس تبع » لقريش فى الخير والشر ، لوضوح عدم جواز التبعية فى الشر ، ان فرض كون الخبر على سبيل الانشاء والحكم ، وعدم صدقه ان فرض كونه خبرياً ، لانّ « الناس » على اطلاق الكلمة لم يكونوا ولا يكونون تبعاً لقريش فى اى زمان اللهم الا ان يكون المراد من « الناس » جمع خاص ومن « قريش » ايضا افراد مخصوصة .

واما استيثار الاسم (لو فرض انه فخر) فانظر ما صنعت العصبية باهلها حيث تغافل عن ان من سماه الرسول من عترته «باقرأ» ، لانه يبق العلم، كان اسمه محمداً^١ وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وقد توفى قبل ولادة الشافعي باكثر من ثلاثين سنة .

وَلَعَمْرُ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ انْتِي اسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ان اقول شيئاً في ماتعصب اخيراً من جسارته في حقّ باب مدينة علم الرسول، الذي قال الشافعي نفسه حين قيل له في مسألة : ما تقول فيها يكون علي خلاف راي علي فقال : اتّبت لي قول علي فيها حتى اضعّ خدي على الارض تجاه قوله .

و لنقطع الكلام مع السبكي بتذكار ما يجب تذكره له، وهو ايها المتعصب في غير موضعه :

أما كان جعفر بن محمد الصادق قرشياً؟ أما كان قرابة رسول الله ورحمه؟
 اما كان الشافعي استفاد منه بواسطة شيخه مالك بن انس ، اما كان علمه وسع طباق الارض؟ اما كان تابعوا مذهبه في كل الاقطار؟ أما كان من استفاد منه بلا واسطة اكثر من آلاف؟ واما كان مقدماً على الشافعي في الدين والزهد والعلم والزمان؟ واما؟ واما؟ فكيف غفلت او تغافلت عنه وانت في رايتك و باعتقادك ، لست من عوام المؤرخين ! وتنتقص من شيخك الذهبي ! و لم نسيت او تناسيت ابن رسول الله الامام الصادق؟ واشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق .

ثم اقول : انتي ما اردت مما قلت ، الانتقاص ، والعباد بالله ، عن الامام الجليل - الشافعي القرشي ، رحمه الله ، وكيف وهو فحل الفضيلة والمنقبة و بحر العلم وفخر الفضل وهو الذي يعرف حق آل محمد الذين وجب حبهم وفرض في الصلوة ذكرهم ويقول :

١- هذا من ذرية الرسول وابتائه واما من غير الذرية فمحمد ابن الحنفية ابن علي بن ابي طالب (ع) وغيره من اولاد الصحابة مثل محمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن عمرو العاص .

إِنْ كَانَ رَفْضاً حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ
 فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنْتَى رَافِضِيَّ
 و يقول ايضا ، على ما حكى من الصواعق لابن حجر المكي :
 يَا أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ
 فَرَضَ مِنْ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَ لَهُ
 كِفَاكُمُ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ أَنْتَكُمُ
 مَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْكُمْ لِاصْلَوةِ لَهُ

بل اردتُ أَنْ اشير الى تعصب من لا يلبق به التعصب بحيث يغمض عينه ، ويرخي
 السدول بين الحق وبينه ، ويتترك ما يجب ان لا يتترك ، و يُمسِكُكُ عن اظهار ما لا يجوز
 ان يُمسِكُكُ ، بل ويتكلم بما يهزءُ منه الحق والعدل ، ويسخر به الادب والعلم والفضل .

- ١٦ -

نرجع الى ما كنا فيه في جلسة المؤتمر فقلت اخيراً و اتممت به الكلام :
 « نَعَمْ يَا اخواني الاعزة ، انّ للشيعة تحديث و اسانيد و اجازات ، ولان يؤكّد
 عدم العصبية للشيعة اقول : انّ في طريق أسنادي في ما اجازني مشايخي ، رحمهم الله ،
 محمد بن مكّي العاملي ، المقتول بسيف العصبية والمعروف عند الشيعة بالشهيد
 (المقتول في سنة ٧٨٦) الفقيه الاديب الزاهد الذي قلما يوجد له نظير في الاسلام .
 وكان له اجازات كثيرة للتحديث عن اكابر مشايخ اهل السنة ، تربو على سبعين من
 مشيخة الاجازة و شيوخها !

هكذا كان داب علماء الشيعة و ديدنهم في طلب العلم و كسب الفضيلة و ادراك
 الحق و الحقيقة من دون تعصب و حمية جاهلية ، و كذلك كانت المعاملة معهم من -
 العلماء !! و اقول و به اختم الكلام و انا الضعيف الذي ليس الا من اصاغر طلبه العلم ، :

١ - «قتل بعد ما حبس سنة كاملة في قلعة الشام ، بالسيف ، ثم صلب ثم رجم ثم احرق !

بدمشق بفتوى القاضي برهان الدين ! المالكي و عباد بن جماعة الشافعي»

أُعلن عندكم ان معرفتي بالأئمة الاربعة و ترجمة حالهم بل وغيرهم من ائمة الفقه من اكابر علماء اهل السنّة و اقوالهم فى الفقه و اصوله و الحديث و التفسير لعلّه لم يكن بادون من معرفة كل واحد منكم فى مذهبكم و قد راجعت كتبهم و طالعتها كراراً بلا تعصب لالآى شىء آخر سوى شوق العلم ، و حبّ درك الحقّ . و راجعت صحيح البخارى و طالعتها مرتين من اوله الى آخره . و الحمد لله و له الشكر .

- ۱۷ -

لانسى ما حصل لى من التأسّف و التلهّف ممّا رايت من العصبية حين تشرّفت بالمدينة المنورة ، بعد التشرّف الى مكّة المعظمة ، زادها الله شرفاً و تعظيماً ، لاداء العمرة ، و كنت معتكفاً فى مسجد النبىّ ، صلى الله عليه و آله و سلم ، فرايت شاباً جالساً قريباً منى ، و بين يديه عدّة كتب ، فظننت انه من طلبة العلم ، و احببت ان اجلس معه و اذاكره ، و استفيد منه ، فقرّبت اليه ، و سلّمت عليه ، و استاذنت عليه . و اظهر انه من طلاب كلية الشريعة بالمدينة . و سأل هو منى بلدى و لمّا سمع انى من ايران ، انقلبت حاله ، و اسودّ وجهه ، و تبدّل بشّهُ و بسّمهُ ، و قال بلحنٍ خشن ، و تعبير خفيف ما مذهبك ؟

قلت : مسلم ، يا اخى المسلم . فما لبث ان قال : انتم تقولون عقيب الصلوة :

«خان الامين» !

قلت : كلاً يا اخى . هذا افتراء عظيم . كيف و نحن نعتقد انه لو قاله احد ، لكان منكر الرسالة ، كافرأ ، يجب ان يعامل معه معاملة الكافر المرتدّ .

قال : و الله لقد سمعت باذنىّ ، هاتين ، من قاله منكم !

قلت : انت مسلم ، و لا يسع لمسلم ان يكذب مسلماً ، فلا اكذبك و حتى لا اقول لك : من اين علمت انه كان منّا و لم يكن عدوّاً لنا ، شيطاناً مفرّقا بيننا ؟ و لكننى وقد ذرف عمرى على ستهين عاما ، و سافرت اكثر بلاد ايران ، و عاشرت كثيراً من - الايرانيين ، و حضرت الجماعات و الجُمُعات ، اقول :

والله ماسمعت الى الآن احداً من الشيعة الامامية تفوه بذلك ، وما رايت احداً ذكر لى انه سمع احداً من الشيعة الامامية اتى بهذه الكلمة المنكرة ، الخارج قائلها من الاسلام ، قبل الصلوة او بعدها او فى وقت آخر .

فاشددت تحوله بحيث صار وجهه مسوداً ، وما امرعه ان قال :

« والله لو كان عمر بن الخطاب حياً لا خرجكم من المدينة ! ثم اُضاف

الى ذلك :

« والله لو كان على بن ابيطالب حياً لجزر رؤسكم » ! و اشار بيده الى

حلقومه !

اخذتنى الحيرة والدهشة من نسبة تلك الكلمة المنكرة ، وادعاء السماع شخصاً ممن هو فى طريق كسب العلم و ينبغي ان يكون صادقاً باراً رؤفاً ، مقرونا بالقسم المؤكد ، ثم من الحلف المؤكد ايضا لبيان راي الخليفين : عمر و على ، بالاخراج ! و جزر الرأس ! ، فكانته يعلم الغيب و يكون عارفاً بما فى قلوبهما ، من دون شكك وريب . فقلت : على رسلِك ايها الاخ الفاضل المسلم ومهلاً ، هل انت تزعم ان ايماننا و اقرارنا بوحداية الله جل جلاله و برسالة نبيه الخاتم ، و اعتقادنا بان ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ، حق لا يأتيهما الباطل ، يوجب ان يُخرجنا عمر (رض) من مدينة الرسول (ص) ؟

او تعتقد بان اقامتنا الصلوة فى اوقاتها الخمسة ، و تولّى وجوهنا شطر الكعبة - المقدسة ، و صيامنا شهر رمضان ، و ايتائنا الزكوة ، و تحمّلنا و عناء الطريق ، و مشاق السفر ، و انفاقنا اموالنا التى كددنا لكسبها ايماننا ، و اتعبنا انفسنا ، و اتمامنا الحج و العمرة ، كل ذلك بالتطوع والرغبة والشوق والفرحة ، يحمله على اخراجنا ؟ ام لاننا نحن الايرانيين من صدر الاسلام و من حين تشرّفنا بشرافة قبوله لم نألُ جهداً ولم نقصر اجتهاداً فى سبيل علوم العربية و الاسلامية تأسيساً ، و تكميلاً ، توضيحاً و تقريراً ، تحقيقاً و تعليماً يبعثه ان يخرجنا ! ؟

تفضّل ايها الاخ وقل لى ، ان كنت تدرى :

مَنْ الَّذِي كَتَبَ فِي عِلْمِ النَّحْوِ بَادِي بَدءٍ بِأَمْتِنٍ وَضَعُ ؟
وَمَنْ الَّذِي اسْتَسَّ عِلْمَ الْبَلَاغَةِ وَشَيَّدَ اسَاسَهُ وَبَنَانَهُ ؟ وَآلَفَ فِيهِ وَابْرَزَ
عُنْيَانَهُ ؟

وَمَنْ الَّذِي كَتَبَ التَّارِيخَ الْمَعْتَبَرَ الْمَعْتَمَدَ وَالتَّفْسِيرَ الَّذِي هُوَ الْمُسْتَنَدُ ؟ الْيَسَوا
هَمَّ الْايرَانِيِّينَ ؟

اليس امامكم الاعظم ابوحنيفة من ايران ؟

اليس مؤلفوا الصحاح الستة كلهم ايرانيين ؟

اليس اكثر فقهاءكم الاعاظم من ايران ؟

اليس جلّ رؤساء الكلام من الاشاعرة والمعتزلة واغلب من اخذتم بيان الاصول

والفروع وتقريرها منهم ، من اهل ايران ؟

اليس المتتبعون في لغة العرب ، المؤلفون فيها ، والمحققون في التصرف والنحو

والاشتقاق وغيرها من علوم الادب اكثرهم من ايران ؟!

انظنّ انّ جزء هذه الاعمال ان يخرجهم عمر (رض) من مدينة الرسول بالاذلال ؟!

كتّلا ما هكذا الظنّ بعدالة عمر وكياسته .

وبآخرة اليس بابنّي الشفيق الايرانيون في الحجاز اضياف الله وضياف رسوله

واضياف خلفائه وضيافكم الذين تفتخرون بالقريّة وتقولون « لنا جفّنات الغرّ يلمعن

في الدجى ! » ؟ فكيف تزعم انّ عمر (رض) وهو راس العرب يُخرج الأضياف عوضاً

عن ان يكرمهم ؟!

ثمّ يا اخي الفاضل ! بايّ ذنب اذنبناه ولايّ جرم اجرمنناه ومن اىّ اثم ارتكبناه ،

لو كان عليّ (ع) حياً لجزر رؤسنا ؟

الانّا آمنّا بالله ورسله وكتبه وملائكته ، و عرفنا من حقّ عليّ ما عرفه

به الرسول ؟

ام لانّا اطعنا الرسول في التمسك بكتاب الله وعترته ؟

ام لانّا اجبنا الرسول و تقربنا الى الله بمحبّة آل الرسول و ذوى قريبه ؟

ثم اقول لك ايها الشاب العزيز : انى اُجلّ الله ، جلّ جلاله ، من ان احلف به فى ما انا معتقد به جزماً ، ويكون صادقاً قطعاً ، وهو انه لو كان رسول الله شاهد مانحن فيه ، وراى ان مسلماً فى مسجده ، وبعد تمام حجته ، تقرب الى اخيه المسلم ، بظنه ، خالصاً مخلصاً محبباً له من صميم قلبه ، لالائى شىء سوى انه اخوه فى الدين ، و اراد ان يألف و يأتلف ، وان يستفيد من علمه ، ويغترف من فضله ، ولم يأت بكلمة غير الاقرار بانته مسلم ، فقوبل بما قلت ، و حلفت بلا بيته و برهان ، لبكى على غربة الاسلام ، و على عصبيته من يدعى الايمان بل وضح على ما نسبت الى عمر و على من الافتراء و البهتان .

- ١٨ -

تللك الاقوال والافعال ، التى مرّ انموذج منها ، التصادرة عمن ينتمى الى العلم ، ويدعى خلوص الايمان والاذعان بالاسلام ، ولعله يعتقد انه يروج الاسلام باقواله ، و يؤيده بافعاله ، هى التى تورث الاسى ، و تحدث الاسف ، و تنجلى منها ان شيعة على و تابعوه غدت مظلومة ، فلم تُعرف معتقداتها واثالث عليها من العصبيّة مفترياتها ولا بدع فى ذلك فان علينا نفسه ايضاً ، كما صرح ، كان مظلوماً .

قال عزّ الدين عبدالحميد بن ابي الحديد فى شرحه على نهج البلاغة (ذيل ومن كلامه له عليه السلام لاصحابه : « اما انه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب - البُلْعُوم ...) :

« وروى عبدالملك بن عمير عن عبدالرحمن بن ابي بكر قال : سمعت علياً وهو يقول : ما لىّ اَحدٌ من الناس ما لقيتُ . ثم بكى »

١- وليت شعرى كيف يجتره على الله من يدعى العلم و الايمان بالله ، ان يقول ويكتب فى حق من آمن بالله و رسوله و صدق كتابه المجيد و عمل بما جاء به و جاهد فى سبيل اعلاء كلمة الدين و كابد فى نشر معالم الاسلام خالصاً خالصاً ، ما يستحق المروءة والانصاف عن ذكره ؟ اليس من الافتراء و البهتان و الاجتراء على الله ان يقول مسلم ان الشيعة هم اليهود و المجوس ؟ لا اقول فض الله فاك ايها القائل و تبت اصابعك و يداك ايها الكاتب بل اقول : اللهم اهدقونا فانهم لا يعلمون و عليك و على رسولك يجترئون .

وقال ايضا في ذلك الموضوع من شرحه ، بالاسناد عن مسيب بن نجية انه قال :
 بينا على يخطب اذ قام اعرابي فصاح : وامنظلمتاه ! فاستدناه على^١ . فلما دنا قال
 له : انما لك مظلمة واحدة^٢ . وانا قد ظلمت عدد المدرو الوبر^٣ .
 وقال ايضا ، بعد ذلك الكلام ، :
 « وفي رواية عباد بن يعقوب : انه دعاه فقال : ويحكك او انا والله مظلوم .
 هات فلندع على من ظلمتنا »

- ١٩ -

ولعله ، و انتهى الكلام الى المظلومية ، كان من المناسب ان نذكر هنا ما اختلفت
 الشيعة وغيرها فيه ، ونشير الى ان وجه الاختلاف ، عند التأمل والانصاف ليس بمثابة
 يورث هذه العصبية الظالمة من اخوانهم المسلمين و يوجب استحقاق القدح والتوهين
 فهم ، في الحقيقة ، مظلومين كما كان كذلك امامهم على امير المؤمنين^١ .
 فاعلم ان الاختلاف بين الفريقين يؤل الى موضوعين : الفروع ، و الاصول
 (على ما تعتقد الشيعة في الامامة و تقول) .

فاما الاول ، وهو الاختلاف في بعض الاحكام والفروع :

مما لا ارياب فيه انهم و غيرهم متفقون في ان الكتاب ثم السنة المعتمدة
 اصلا اساسيان لاستنباط الاحكام ، و يجب على كل مسلم مجتهد ان يستند بهما
 في استخراج الوظائف المقررة ، والتكاليف المشروعة ، فيعمل بما ثبت له من الاحكام
 بهذا الطريق .

فلزوم الاستناد بهذين الاصلين مُجمع عليه بين الفريقين و انما الاختلاف

١- كتب على في ما كتب الى معاوية جوابا « وهو من معاصن الكتب » :

« وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت ، و على كلهم بغيت ، فان يكن ذاك كذلك

فليست الجناية عليك فيكون العذر اليك ...

« وقلت اني كنت اقاد كما يقاد الجمل المشوش حتى ابايع ، ولعمرك لقد اردت ان

تذم فمدحت و ان تفضح فانتضحت و ما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوما

ما لم يكن شاكاً في دينه ، و لاسر تآباً بيقينه ، و هذه حجتي الي غيرك قصدها ... »

في ما يصح الاستناد به في ما لم يوجد فيه نص في الكتاب ولا في السنة ، وهذا الاختلاف ليس مخصوصاً باحد الفريقين بل المذاهب كلها فيه سواسية . والاجماع ، وسيرة اهل - المدينة (على راي الامام مالك) والعقل والقياس ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة وان كان لكل قائل بصحة الاستناد في مذهب ولكنه ليس الكل - مورد الاتفاق للكل - بل وحتى ما يكون حجتيه منسوبة الى مذهب ليست حجتيه مجمعا عليها في ذلك - المذهب ، وعلى اى حال لكل مذهب حجة على ما اختار واليه ذهب .

وهي هنا اختلاف آخر ليس هو ايضا مخصوص بمذهب دون مذهب و هو في ما به يتحقق اعتبار السنة من حيث السند . فالشيعة تعتبرها اذا كان الاسناد فيها عن عدول ينتهي الى اهل البيت و عتره الرسول (المعهودين) ومنهم الى جدتهم ، او كان عن عدول ينتهي الى احد من الصحابة الذين ثبتت عندها عدالتهم ، وغير الشيعة لا يلتزمون بذلك بل قل ما ان يستندوا بحديث كان بذلك الاسناد ، بل قد يعثرون لاثبات ضعف حديث عن طريق و لطرحه و جرحه بان « فيه فلان و هو رافضى - او شيعي - ! » او « رافضى خبيث ! » او « رافضى كاذب ! » او « شيعي لا يعاب بقوله ! » واحسن تعبيرهم في المقام « انه متهم » او « متهم بالرفض - او التشيع » والعجيب المؤسف انه قد يصرحون بكون رجل من الشيعة « موصوفا بكثرة العبادة » او « غير كاذب » او « موثقاً عند يحيى بن معين » (وهو احد الخرايت عندهم ، كالامام بن حنبل) ومع ذلك لا يعتبرون قوله (مع اعتبارهم قول الخوارج ، باستناد عدم كذبهم !)¹

١- و يكفي للانموذج و المثل ان تنظر الى ما اورده العالم المفضل ، السبكي في كتابه «طبقات الشافعية» وترى التعصب في ما قال . قال باسناده عن ابي الصلت ، عبد السلام بن صالح الهروي انه قال : «حدثنا علي بن موسى ، الرضا ، بن جعفر بن محمد بن علي - بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، رضی الله عنهم ، عن علي انه قال : قال رسول الله (ص) : «الايمان معرفة بالقلب ، و اقرار باللسان ، و عمل بالاركان»

ثم قال السبكي : ان مدار هذا الحديث على ابي الصلت ، وهو ، وان كان موصوفا بكثرة العبادة ، غير محتج به عند المعدئين ! قال الدار قطنى : «رافضى خبيث ، متهم بوضع

على ان رأى غير الشيعة فى معنى «العدالة» وتحقق حقيقتها، يكون اوسع حيث انهم اعتقدوا ان مجرد «الصحابة» محقق للعدالة فكل صحابى عندهم عادل ولكنّ - الشيعة لا تعتقد بكفايتها مجردة لان تتحقق «العدالة» بل «الصحابة» قد تجتمع مع العدالة وقد لا تجتمع فليس بينهما ملازمة فيمكن ان يكون صحابى غير عادل كما يكون عادل، غير صحابى.

وعلى اى حال، الاختلاف فى اعتبار السنة من حيث السند، مع غمض العين عن كون وجه الاعتبار عند الشيعة اقوى واثق، والى الاحتياط فى الدين اقرب واوجه، ودليلهم للاعتماد اصح وامتن، ايضا لا يختص الشيعة به، بل فى كل المذاهب الاسلامية يوجد الاختلاف بين العلماء فى رجال الاسناد ولهذا يُعد حديث عند بعض صحيحاً او قوياً او حسناً وعند بعض آخر ضعيفاً غير معتبر (ولذا استسوا وابتكروا علماء الاسلام علمي الدراية والرجال).

→

حديث الايمان» وقال العقيلي : «رافضى خبيث» وقال ابو حاتم : «لم يكن عندي بصدوق» وقال ابن عدى : «متهم» وقال النسائي : «ليس بثقة» ومع هذا الجرح لا يعتبر قول هباص - الدورى : «ان يحيى كان يوثقه» ! ولا قول ابن محرز : «انه ليس ممن يكذب» ! و ابوالصلت هذا هو الذى حدث عنه ابونعيم الاصفهاني فى «الحلية» باسناده عن «ابوالصلت عبدالسلام بن صالح الهروى حدثنا على بن موسى ، الرضا ، حدثنى ابي ، موسى بن جعفر ، حدثنى ابي ، جعفر بن محمد ، حدثنى ابي ، محمد بن على ، حدثنى ابي ، على بن الحسين بن على ، حدثنى ابي ، على بن ابي طالب ، رضى الله تعالى عنهم حدثنا رسول الله (ص) عن جبريل عليه السلام قال : قال الله عزوجل : انى انا الله لا اله الا انا فاعبدونى ، من جئنى منكم بشهادة ان لا اله الا الله بالاخلاص دخل فى حصنى ومن دخل فى حصنى امن من عذابى» .

ثم قال ابونعيم : « هذا حديث ثابت مشهور بهذا الاسناد من رواية الطاهرين عن آباؤهم الطيبين . وكان بعض سلفنا من المحدثين اذا روى هذا الاسناد ، قال : «لو قرىء هذا الاسناد على مجنون لافاق» فالظر ما اورده ابونعيم ووازنه مع ما اورده السبكي تعرف باتفعل العصبية . (المجلد الثالث - الصفحة ال ٩٢ -)

وكيف كان ، هذا النحو من الاختلاف ليس مما يضرّ باصل الدين ولا بركن من اركان الايمان واليقين وليس مما يُخرج احد طرفي الخلاف عن الاسلام بل عسى ان يكون للامة من مصاديق واختلاف اُمّتي رحمة .
واما الثاني وهو الاختلاف في الخلافة ، فالموضوع ذو وجهين : وجه الوقوع والتحقّق ، ووجه الواقع والحق .

ومن الوجه الاول فالكل متفقون على ما وقع في الخارج واتفق ، وثبت في- التاريخ وتحقّق ، ولا ينكر احد ماجرى من امر الخلافة ، ولا ينكر ان الشيخين (رض) كانا في مدة خلافتهما على الايلق مقامهما ، وانتهما جاهدا في حفظ الاسلام وبسطه وصيانة الدين ونشره ، ولا ينكر ان علياً (ع) بايعهما ، وان كانت البيعة بعد كشف بيت فاطمة (ع) ، وكانت بعد مدة لا نقل على اصح الاقوال ، عن ستة اشهر ، وكانت بالاكراه ، وبعده قول علي لابي بكر ، على ما نقل الطبري عن الزهري ، ويجيء في موضعه في الكتاب : « كُنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقّاً فَأَسْتَبَدَدْتُمْ بِهِ عَلَيْنَا » ولا ينكر انهما راعيا جانب علي (ع) بالمشاورة والمناصحة ، وان علياً لم يألُ جهداً في ارشادهما الى ما هو الصواب ، بحيث اشتهر عن الثاني منهما كلمة « لَوْ لَا عَلِيٌّ لَهْلَكْتُكَ عُمَرُ » واستفاض رجوعه الى قوله في قدر ما يحل له اخذ نفسه وعياله من بيت المال ، ونقل تَعَوُّذَهُ بِاللَّهِ ، من مُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو حَسَنِ ، الى غير ذلك ، مما ثبت في التاريخ ، وضبطه ائمة النقل والتحديث .^١

١- سيجيء نقل هذا الموضوع في موضعه من الكتاب ، عن الطبري .

٢- سيجيء في الكتاب نقلاً عن « الاستيعاب » ، للفيق الحافظ ابن عبد البر المالكي ، بالاسناد عن سعيد بن المسيب انه قال : « كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو حسن » .

٣- وبالجملة كان علي في زمن الخلفيتين بحيث يرجعان اليه للمشاورة في الشؤون السياسية والاجتماعية فحسب ، بل يستفتون منه الاحكام الفقهية ويعملون على ما يقول ويفتي . على انه (ع) ايضا ان راي انحرافاً في حكم ارشدهم الى رايه ويصرح بخلاف ما هم عليه كمن لا يصير الامر حكماً دينياً مجمعاً عليه فيصير في المستقبل حكماً فقها مستندا بالاجماع .

و من الوجه الثاني لا ينبغي الخلاف ، بل ولم يتحقق الاختلاف (إلا من متعصبٍ معاندٍ رأى ان لا يرى الحقَّ ولا يرى العدى الانصاف والعدل) فى ان علياً نفسه قال فى موارد متعدّدة ، نقله غير واحد من العلماء الثقات من اهل السنّة ، وضبطوه فى كتبهم المعتمدة المعتمدة ، بانّه لمكان قرابته الجسميّة والروحيّة ، ومقام فضائله - السامية ، التي لا يساجلها ، فى مجموعها ، احد من الصحابة ، احقُّ بالخلافة من غيره و ان الخلافة حقّ له ، و شيعة علىّ تشايحه فى هذا القول وتابعه^١ (بل والاعاظم من علماء السنّة يصدّقونه ويتابعونه حيث يصرتّحون بجواز تفضيل المفضول على - الفاضل للخلافة) .

- ٢٠ -

فالفرقان لا اختلاف بينهم فى مسألة الخلافة باعتبار ما وقع فى التاريخ اى فى ان ثلاثة تقدّموا زمانا على علىّ بالخلافة وتولّوا امور المسلمين قبله ، و ايد الله الاسلام فى زمانهم ببركة وحدة المسلمين و خلوص نيّتهم وقوّة مجاهدتهم . وكذا لا اختلاف بينهم فى كون علىّ اقرب الناس و اخصّهم بالرسول و اجمع - الصحابة ، كائنا من كان منهم ، لجمع الفضائل بحيث لا يدانيه فى جميع الفضائل الجمّة احدٌ ، صحابياً كان او غيره ، من الامّة .

وان كان هنا اختلاف ، فيكون فى انّ الشيعة تعتقد الامامة لعلىّ ، و تعتقد انه يجب عليها و علىّ كلّ مسلم كما صرّح الرسول به ان يتمسّك بعده بالقرآن وبالعترة و علىّ راس العترة ، و ان تاخذ معالم دينها و احكام فقها عن علىّ^٢ و بعد علىّ عن

١- قد اجاد فى ما افاد خليل بن احمد النحوى صاحب العروض فى ما حكى عنه و نسب اليه جواباً عن السئوال للدلالة على امامة علىّ بقوله : « افتقار الكل اليه فى الكل و استغناؤه عن الكل فى الكل ، دليل على انه امام الكل فى الكل » .

٢- قال علىّ (ع) : « نحن شجرة النبوة ، ومحط الرسالة ، ومختلف الملائكة ومعادن العلم ، و ينابيع الحكم ، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة ، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة » .

عن اولاده ، وذريته المعهودين ، سلالة سيد المرسلين ، الائمة المهديين الهادين ، وان تسير بسيرتهم وبالجملة ان تتمسك بهم في ما يروون عن جدّهم الرسول (ص) وبيّنون عن علمهم الموروث ، كي لا تنزل وتكون على ما شاء و اراد جدّهم المبعوث (ص) .
 و ذاك الاختلاف الاعتقادي من حيث انه اعتقادي لا يوجب كفر احد الطرفين و هدّر دمه و من حيث المتابعة في العمل ايضا لا يوجب الهدر و القتل اذ ليس فيها مخالفة اصل من اصول الدين و ركن من اركان الايمان و الا فليكن المذاهب الفقهيّة المتخالفة مخالفاً للدين و منافياً للايمان هذا مع صرف النظر عن كون زعيم الشيعة و امامها ، عليّ نشأ و نما في بيت الرسول و في حجره ، و منه بلا واسطة اخذ الدين و اعطى ما اخذه عن الرسول بأبناؤه الطاهرين ، ابناء خاتم النبيين ، و علمهم ما تعلم من علمه و حكمته (ص) و اين هم من زعماء المذاهب الاربعة و غيرهم الذين لم يدركوا النبي و لم يشاهدوه و لم يسمعوا منه ، على ان الحصر في تلك المذاهب ان لم يكن احداث امر ليس من الدين في الدين اي ان لم يكن الحصر بدعة ، و كل بدعة ضلالة ، فلا اقل من ان يكون بلا دليل و بيّنة من الكتاب و السنة .

- ٢١ -

الاختلافات الواقعة بين الناس ، باحاط الدين ، قد تكون في اصله و قد تكون في ما فيه .

فان كان الاختلاف في الاصل فقد يكون بانكار اصل وجود الدين و لزومه كما عليه الوثنيّة ، بل الثنويّة ، و الماديّون و الدّهريّون . و قد يكون بانكار دين لاحق مع

١- قال عليّ ، ع ، (نهج البلاغة) : « فإين تذهبون و اني تؤفكون ا و الاعلام قائمة ، و الايات واضحة ، و المنار منصوبة ، فإين يتاه بكم و كيف تعمهون و بينكم عترة نبيكم ، و هم ازمة الحق ، و اعلام الدين ، و السنة الصديق ، فانزلوهم باحسن منازل القرآن ... »
 و قال (ع) في موضع آخر : « الا ان مثل آل محمد ، صلى الله عليه و آله ، كمثل نجوم السماء اذا حوى نجم طلع نجم ، فكانكم قد تكاملت فيكم الصنائع ، و اراكم ما كنتم تأملون »

مع تسليم دين سابق كما عليه اليهود بالنسبة الى المسيحية والاسلام وهما كلاهما (اي- اليهود والمسيحي) بالنسبة الى الاسلام .

وان كان الاختلاف في ما في الدين ، بان يكون الانكار بالنسبة الى امر من - الامور التي اتى به الدين فقد يكون ذلك الامر من الضروريات في الدين ، مثل انكار - الصلوة و اضرابها من الفروع ، في دين الاسلام ، وقد لا يكون كذلك وهذا القسم قد يكون مما عليه نص في الكتاب او السنة القطعية ، كحكم القصاص ووجوب النية في العبادات .

وقد يكون مما ليس فيه آلا ظواهر من الكتاب والسنة لا توجب القطع واليقين بما هو مراد الشارع ، بل تحتل وجهاً آخر ايضاً ، سواء كان عدم حصول اليقين مربوطاً بالكلمة او الجملة ، او احتمال وجود معارض ، او ناسخ ، او مخصص ، او مقيد . او كان لاحتمال نقص في الاسناد او السند ايضاً اذا كانت الظواهر من السنة . وقد لا يكون في مورد نص ولا ظاهراً لاستفادة الحكم منه (او يكون ولكن المجتهد يتقصر عن ادراكه ونيله) فيكون الحكم مستنداً الى اجماع معتبر ، او دليل من العقل المستقل (كما تريه الشيعة) او قياس ، او استحسان ، او مصلحة مرسله (كما تريها اهل السنة - على اختلاف اقوال فيها) .

و الحكم الشرعي في الانحاء المذكورة ، من حيث الكفر و عدمه ، مختلف : فان كان الانكار متوجهاً الى اصل الدين او الى امر ضروري منه ، بل او كان متوجهاً الى ما عليه النص ، ولا سيما اذا كان الانكار مع عناد ، فلا يوجد خلاف في الحكم بكفر المنكر . وان كان الانكار متوجهاً الى ما يرجع الى الظواهر او الى ما لا نص له فيه من الشارع في الواقع (او في الاجتهاد مع الفحص الكامل) او الى حجية امر غير - الكتاب والسنة المعتمدة ، او عدم حجتيته فالحكم بكفر منكر حكم من هذا القبيل ، حكم زور و قول بلا دليل و ناش عن الغرور .

ولعله لا يبقى ريب في ان الاختلافات التي لا تتعلق باصل الدين ولا بفروعه بل يكون متعلقاً بالموضوعات الخارجية عن متن الدين ، اصلاً و فرعاً ، كانكار

فضل بعض اوثبات نقص له او ايراد طعن عليه، من الصحابة كان او من غيرهم، لا يوجب الخروج عن الدين ولا يجوز الحكم على المنكر بالكفر ولا يستحق المنكر، القدر والتوهين، اللهم الا ان يخرج الكلام مخرج الغيبة او البهتان والافتراء وكان ثابتا في الدين عدم جوازه وحرمة فيحكم بحكمه ولا يتعداه .

وكيف كان، الشبهة في المصداق في هذه الموارد ايضا امر بحاله باق، فلا معنى للحكم بالكفر والقتل والاحراق . اللهم اهدنا سبيل الرشاد واجعل التقوى، في القول والعمل، لناخير الزاد، وصل وسلم على رسولك وعلى آله الامجاد .

- ٢٢ -

لعل الناظر في هذه الاوراق، وهو توجه الى ما يكون بين الشيعة وبين اهل السنة، في الحقيقة والعقيدة، من الاتفاق ثم يشاهد ما بينهما من حيث التوادد والتحابب والمعاشرة والمخالطة من الاختلاف والافتراق، تعجب من ذلك، واحب ان يعرف الباعث لذلك فليرجع الى تاريخ الاسلام وليتدبر الى ما يلمخص منه له في هذا المقام : كان المسلمون بعد استقرار الخلافة، حتى في زمان عثمان، وكلمتهم واحدة وهمتهم متفقة متحدة، لا تشعب فيهم ولا تحزب لهم، واما الخلاف الذي حدث في آخر زمانه، لم يكن بالحقيقة اختلافا كان منشأه وجود فرقة خاصة تجاه فرقة اخرى فما كان التفرق والاختلاف فيه بمعني المصطلح والمنظور، الذي ينبعث من كون اتباع شخص او اشياء مسلك و مرام قبال مخالفه في مذهبه و مرامه، بل كان منشأه ان المسلمين، او بعضهم صاروا ناقمين على الخليفة، طاعين عليه وعلى عماله من بني امية، المتجاهرين، على ما قالوا، بالفسق والفساد، المتظاهرين بالجور والعتاد وكانوا ملتسمين من الخليفة، الصلاح والاصلاح، سائلين منه النجاح والانجاح، وهو يتسامح في فعله حتى انجر الى ما انجر اليه، من قتله .

كان هناك وميضٌ نارٍ تحت الرماد وذلك ان ما كانت بين بنى امية وبين بنى هاشم طوال سنين ، من العصبية والمنافرة و العناد ، صارت خفيفة ضعيفة بظهور الاسلام و غلبته ، ودخول اكابر سلالة امية و شيوخهم طوعاً وكرهاً فى الاسلام ، وقبولهم رغبةً اورهةً ما كان من طلبته ، بل صارت فى الظاهر دارسة معدومة ، وتبدل عنوان «القومية» و«التفاخر بها بعنوان «الاسلام» و«المسلم» و«المؤمن» ، اولاً ، وبعنوان «المهاجر» و«الانصار» ، ثانياً ، متداولة معمولة .

كان الامر على ذلك ، حتى انتخب عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية للخلافة ، و صارت الخلافة لبنى امية وكان عثمان (رض) يحب بنى امية ، فقرّبهم اليه ، و قدّمهم لديه ، و حمل بنى امية و بنى ابي معيظ^١ (كما تفرّس عمر) على رقاب الناس^٢ ، و آثرهم بالافياء و الاحماس فاحاطه القوم عليه من كل جانب ، و لازموه لزوم عضو لازب ، فكان (رض) لشدة حبه لهم و قوته ، و لضعفه الناشى عن واهنة شيخوخته ، طوع و رغبتهم ، و تحت سلطتهم ، بل و فى قبضتهم .

قال على (على ما نقله الطبرى وغيره، وسيجىء فى الكتاب) فى ما قال له: «أَمَا رَضَيْتَ مِنْ مَرَوَانَ وَلَا رَضِيَ مِنْكَ إِلَّا بِتَحْرِيفِكَ عَنْ دِينِكَ وَعَنْ عَقْلِكَ! مِثْلَ جَمَلِ الضَّعِينَةِ يُقَادُ حَيْثُ يُسَارِبُهُ...»

فركبت بنوامية رقاب الجمهور ، و سلطوا من كل ناحية على الامور ، و حينئذ نبّض فيهم عرق الحمية الجاهلية ، و جهّضتهم العصبية الاموية ، و برزت ما كانت

١- ابومعيط (على زنة رجيل) ابن ابي عمرو بن امية ، من زوجته التى كانت زوجة ابيه ، كما قال ابوالفرج الاصفهاني الاسوى فى كتابه «الاعانى» و حكى عنه فى الكتاب كما سيجىء .

٢- نقلنا قول عمر (رض) فى تفرسه فى الصفحة ال ١٧٧ من الكتاب كما سترى ، عن ابن ابي الحديد و فى الصفحة ال ١٨ منه ، حكاية عن كتاب «الاسالى» لثعلب مع تفاوت بين المنقولين ، و تفاوتهما فى المفاد و المراد .

كأمانة في نفوسهم، من الحقد والحسد والبغضاء على بنى هاشم، ومن الكبر والخيلاء على غيرهم، وظهرت آثار القومية المدروسة في احوالهم واقوالهم واعمالهم المنحوسة، فنظروا الى الخلافة المقدسة نظرهم الى السلطنة المدنسة، وزعموا انها لهم بالاستحقاق، وانهم لها بالاستعداد، وعزموا ان يتلقفوها، على ما اقترح واوصاهم شيخهم وكبيرهم (ابوسفیان) كما تتلقف الكرة، وصمدوا الى ان يحفظوها لهم وفيهم بالمداولة، وتددوا ارجلهم لأن يكونوا كما امر ايضا شيخهم وجعل عليهم الفرض بقوله: «فاجعل بنى امية اوتاد الارض»^١. اوتاداً في الارض.

قتل عثمان لفساد حاشيته من قومه، ولا سيما ما كان من مروان ابن عمه، الذي قال عليّ (ع) في حقه: «انّه ستلقى الأمة منه و من ولده يوماً أحمر» و «انثال الناس على عليّ من كل جانب» و «اقبلوا اليه اقبال العوذ المطافيل على اولادها، يقولون: البيعة...» و «تداكوا عليه تذاك الابل- النهيم الى حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء...» و «... وطىء الحسنان وشق عطفاه...» على ما عبر عليّ (ع)، نفسه (نهج البلاغة)، و «... انكفوا قبيل ابن ابي طالب انكفاء الجراد، ابصر المرعى» كما عبر مروان في كتابه الى معاوية يخبره بقتل عثمان.

وكان عليّ (ع) يمتنع ويأبى، كما صرح بقوله: «... فابيت عليكم، وامنسكت يدي فنازعتموني وادفعتموني، وبسظتم يدي فكففتها ومددتم يدي فكببضتها، وازدحمتكم على حتى ظننت ان بعضكم

١- قال ابو الفرج الاموي الاصفهاني في «الاعاني» سنداً (الجزء السادس): «لما ولي

عثمان، الخلافة دخل عليه ابوسفیان فقال: يا معشر بنى اسية ان الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها وقد صارت اليكم فتلقفوها بينكم تلقف الكرة فوالله ما من جنة ولا نار...» وقال ايضا فيه سنداً: «دخل ابوسفیان على عثمان بعد ان كف بصره فقال: هل لنا من عين؟ فقال له عثمان، لا. قال ابوسفیان ان الاسر، امر عالمية والملك ملك جاهلية فاجعل اوتاد الارض بنى اسية» هذا كلام مؤرخ اسوي لا يتصور ان يقول ما يعود وهنه اليه.

قاتلُ بعضٍ ، أو انكم قاتلي ...» فبويح عليّ بالاكراه ، ورضي الناس و فرحوا «... و يبلغ من سرورهم بينعتهم آياه أن ابتهج بها الصغير، و هدج السها الكبير ، و تحامل نحوها العليل ، و حسرت عليها الكعب» (نهج البلاغة) .

حينئذ تيقضت الفتنة ، و تجهزت للنهضة ، فتطيرت الكتب ، و تبايعت الرسل فكتب مروان الى معاوية يحرضها على المخالفة و يمنيها بالخلافة . و كتب معاوية اليه و الي غيره من اجلاف بني امية و اجلادهم ، و الي كل من يرجو خلافه على عليّ (ع) من اكابر الصحابة ، بالوعد و الوعيد ، و التصريح و التمريض ، و التهيج و التحريض ، حتى كتب الي الزبير بانّه اخذ له البيعة من اهل الشام .

- ٢٤ -

من الماثور قديما ان « الانسان مأخوذ من النسيان » و لعل الفحص و الاعتبار يوافقه ، اذا الانسان ينسى او يتناسى كثيرا مما يرتبط به ، سيما اذا كانت امورا مذمومة لا يراها التائق بشأنها التلاحق ، و لا مناسباً لما يرجوه و يتمناه من غرضه السامى و هدفه الفائق .

فلانعجب اذا ترى ان معاوية نسي او تناسى ان اباه ابوسفيان هو الذي حاد الله و عانده ، و نازع الرسول و حاربه ، و ما آمن بالله الا بالاكراه ، و ما خضع للاسلام الا بالاجبار و الالجام ، و ان امه هند ، ام الفساد و الافساد ، المعروفة بـ « آكلة الاكباد » و هو نفسه كما كتب عليّ (ع) الي زياد بن ابيه ، هو الشيطان :

« ... فاحذرّه (يعني معاوية) فانما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله ليقترحم غفلته و يستلب غرته ... » و كما كتب ايضا الي معاوية نفسه مرّة :

« ... و انك لدهاب في التيه ، و اغ عن القصد ... » و قال في شانه مرّة

اخرى : « وَاللّٰهُ مَا مُعَاوِيَةُ بِاَذَىٰ مِنْنِي ، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ ... وَكُلُّ غُدْرَةٍ اَفْجَرَةٌ وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ ... »

كان معاوية من «الطُّلَقَاءِ» و يُعرف بذلك عند المسلمين و يقال له ذلك في غيابه و حضوره حتى في زمان سلطته . كتب عليّ (ع) اليه في ما كتبه جواباً له :

« ... واما قولك : « انا بنو عبد مناف » فكذلك نحنُ ، و لكن ليس اُمِّيَّةٌ كهاشم و لا حُرَبٌ كعبدالمطلب و لا ابوسفيان كابي طالب و لا المهاجر كالطليق و لا التصريح كالصديق ... » و في كتاب آخر في جوابه ايضا : « ... وَ زَعَمْتَ اَنَّ اَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْاِسْلَامِ فُلَانٌ وَ فُلَانٌ فَذَكَرْتَ اَمْرًا اَنْ تَمَّ اعْتِرْلُوكَ كُلَّهُ ، و اِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ .

وما انت و الفاضل و المفضول ؟ ... و ما لِاطْلُقَاءِ و ابْنَاءِ الطُّلُقَاءِ و التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْاَوْلِيَيْنِ ؟ ... »

قال ابو الفرج الاصفهاني الأُمويّ في كتابه «الاغاني» (الجزء الثالث - الصفحة -

ال ١٨) بالاسناد :

« حجّ معاوية حجّتين في خلافته ، و كانت له ثلاثون بغلة تحجّ عليها نساؤه و جواريه . فحجّ في احديهما فرأى شخصاً يصلّي في المسجد الحرام عليه ثوبان ابيضان فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : شعبة بن غُرَيْض . فارسل يدعوه . فاتاه رسوله . فقال : اجب امير المؤمنين .

قال : اَوَ ليس قد مات امير المؤمنين ؟

قيل : فَاتَّجِبَ مُعَاوِيَةُ . فاتاه . فلم يُسَلِّمَ عليه بالخلافة .

فقال له معاوية :

« ما فعلت ارضك التي بتيماء ؟

قال : يُكْسِيْ مِنْهَا الْعَارِي ، و يُرَدُّ فَضْلُهَا عَلَى الْجَارِ .

قال : افتيبهما ؟

« قال : نَعَمْ .

« قال : بكم ؟

قال : بستين الف دينار ، ولولا خَلَّةٌ اصابت الحى لم ابعها .

« قال : لقد اغليت .

« قال : اما لو كانت لبعض اصحابك لاختتها بستمأة الف دينار ! ثم لم تبال !

« قال : اجل ، واذ بخلت بارضك فأنشدنى شعر ابيك يرثى نفسه .

فقال : قال ابي :

« يَا لَيْتَ شِعْرِي حِينَ أَنْدَبُ هَالِكًا . . . » الخ .

« فقال : انا كنت بهذا الشعر اولى من ابيك .

« قال : كذبت ، ولؤمت !

« قال : اما « كذبت » فنعم ! واما « لؤمت » فلم ؟

« قال : « لانك كنت ميت الحق في الجاهلية ، وميته في الاسلام . اما في-

الجاهلية فقاتلت النبى (ص) والوحى حتى جعل كيدك المردود ، واما في الاسلام

فمنعت ولد رسول الله (ص) الخلافة ، وما انت وهى وانت طليق بن طليق ؟ ... »

كذلك كان معاوية فى بيته و فى نسبه ، و باعتبار نفسه و حسبه ، و كان معاندا

كأبيه و امه رسول الاسلام و لما فتحت مكة عام 8 و صار طليقا دخل فى الاسلام قهرا .

و فى خلافة عمر (رض) صار بأمره اميرا على الشام ولكنه خالف فى امارته سيرة الخليفة ،

التي كانت تابعة لسيرة الرسول (ص) ، و اتبع سيرة من سبقه من البطارقة و تلقاها

بالقبول ، و اقتضى فى امارته الاسلامية سنة كسرى و قيصر فى الحكومة و السلطنة ،

حتى قال عمر (رض) حين وروده بالشام و شهوده ديدته و كيبكته و خدمه و حشمه :

« هذا كسرى العرب ! » و عتفه على ذلك و غيره ، و لكنه ماغيره ، بل استحسّن

بهذا القول عمله و قرره ¹ .

1- ولا تعجب من كلام مصحح «العواصم» حيث استصح كسروية معاوية بما قال :

اعتاد اهل الشام من ازمة قديمة بهذا النحو من الامارة ، وكان اطلعهم عن الدين و احكامه ، و معرفتهم بالرسول و اقاربه و اقوامه ، و خبرهم عن سيرته و سيرة من آمن به ، محدوداً حسب ما تلقوا عن معاوية في ايامه ، و مقدراً بقدر ما اقتضت سياسته لبيانه و اعلامه . فلما قُتل عثمان و بويع عليّ و كان معاوية على يقين من انّ عليّاً لا يتحمل الكسروية و القيصريّة ، فلا يدعه و امارته الغاشمة العائيه ، و لا يتقبل منه اعذاره الوانية الواهية ، فلا محالة يعزله عن حكومته ، المنحرفة عن سنن الاسلاميّة - السامية .

على انه يرى انّ عليّاً من بني هاشم و انّ ابنه ، ابنا رسول الله ، فان استقرت خلافته ، انتقلت منه الى ابنه ، و تبقى في بيت هاشم ، و في اهل البيت ما بقى الدهر ،

→

«وقد يظن من لانظر له في حياة الشعوب و سياستها ان العاظم يستطيع ان يكون كما يريد ان يكون ، حيثما يكون ، و هذا خطأ فليبيته من التأثير في العاظم ! و في نظام الحكم ! اكثر مما للعاظم و نظام الحكم من التأثير على البيته !...» و ذلك لانه واضرا به ينظرون الى الاسلام نظر من لا يرى ان الحكومة المطلقة في جميع الشئون و في كل المناطق و البيئات لا بد و ان تكون لله و لرسوله و للقرآن و للاسلام ، فلا حكومة الا حكومة الاسلام ، و لانظام الا نظامه . الاسلام يصوغ البيته ، و يسوق الناس على وفق احكامه ، و لا معنى لتأثيرها في حكمه . ثم كان المصحح نسي او تناسى ما قال للدفاع عن معاوية فقال في التعليق الطوال الذي علقه على كلام المصنف (وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية - ص ٢٠٧) : «والذين لا يعرفون سيرة معاوية ! يستغربون اذا قلت لهم : انه كان من الزاهدين ! و الصوفية - الصالحين ! ثم روى عن ابي حملة انه قال : «رايت معاوية على المنبر بدمشق يخطب - الناس و عليه ثوب سرقوع ! و اكد ذلك برواية اخرى عن يونس بن ميسر انه قال : «رايت معاوية في سوق دمشق و هو سرف و رائه و صيفا ! و عليه قميص سرقوع الجيب ! يسير في اسواق دمشق !» فانظر هذه الروايات و تأسف و قل : «ويحك يا مسكين ! يا كسرى - العرب» الدهر انزلك حتى اردفت و صيفك ! و لبست قميصاً سرقوع الجيب ! كأنك نسيت انك في الشام و في بيته لا بد ان يحكم عليك نظامه القيصري !»

ولا يبقى لبني امية فيها مدّ ولا جزر . وهذا ما كانت تخاف منه قريش ، وكان احدى -
الجهات التي سعت في صرف الامر عن عليّ ، فشمّر عن ساعد الخلاف و الثوار
وجعل قتل الخليفة عثمان وسيلة للانتصار .

يظهر من التاريخ جلياً انّهم معاوية في اول امره و بادىء بدء خلافه ، كان
مقصوراً على الاخلال بخلافة عليّ و لم يكن له طمع في الخلافة ، لا لمعرفته سوابق
مكانه في الاسلام فقط ، و العلم بدنوّ مقامه و شأنه عند المسلمين فحسب ، بل لانه كان
يعرف ان امر الخلافة ، على ماسبق من الرويّة لا يتمّ الا بانتخاب الاصحاب من المهاجرين
و الانصار ولا ينفذ الا باتفاق اكابر اهل المدينة الاخير ، و يعلم ما في ذلك من الابتعاد
و انّ دون البيعة له بالخلافة خرط القتاد فاين هو ، و هو عندهم هو ، من ذلك الاتفاق
والاتحاد ؟

بايع عليّاً المهاجرون و الانصار ، و من بقى حيّاً من البديريين الكبار ، فقال
ما استحقّه من الخلافة و فاز محبّوه و معتقدوه بما اعتقدوا له من الامامة و الولاية ،
و عليّ كان يومئذ على ما كان عليه في ماضى ، و رضى بما قدر الله له و قضى ، فلم
يُحدث خلافاً لمن سلف ، و لم يرحنثداً الا ما كان يريه بعد وفاة النبيّ و لاجله بايع و ائتلف
و هو كما قال :

« . . . انّ الصبرَ على ذلك افضل من تفريق كلمة المسلمين
و سفك دمائهم . . . و الدين يُفسدهُ اذنى و هن و يعكسه اقلّ
خلقي فوالى الامر قوماً لم يبالوا في امرهم اجتهاداً . . . »

لم يظهر في مدّة خلافة عليّ مخالفة منه لمن كان قبله ، و لم يكن المسلمين -
التابعين له الا على ما كانوا عليه ، و ما عملوا الا مثله ، و لم يوجد هناك اختلاف
و تفرّق ، الا ما حدثته مطامع معاوية و بني امية ، و اورثته مكايدهم باسم عثمان الخليفة ،
اذ جعلوا ذلك ذريعةً للضربة على عليّ (ع) و نقض امره ، و كسر شوكته و شأنه ،

و تفريق الجماعة عن حواره ، و التوسّل بذلك الى عزله بل و قتله .
 رسم معاوية لنيل ذلك الغرض الفاسد ، والوصول الى ذاك الهدف و المقصد ،
 بعد «التّحرّيز» الّذى ، كما عبّر هو نفسه فى كتاب كتبه الى عبدالله بن عامر ، اَحَدُ
 السّلاج : «... واجعل اكبر عُدّتك ، الحذر و احدَ سلاحك ، التّحرّيز ...»
 ان يُهيئاً اسباباً يضطرّ بها علىّ على الخروج عن مدينة الرّسول ، مركز الخلافة ، فكتب
 الى يعلى بن مُنيّة فى ما كتب صبيحة و ررد كتاب مروان اليه ، يخبره بقتل عثمان :
 «... وقد كتبتُ الى طلحة بن عبيدالله ان يلقاك بمكّة حتّى يجتمع رايكما على
 اظهار الدّعوة ...»

و كتب فى ما كتب الى الزبير ، بعد عنوان الكتاب «لعبدالله الزبير ، امير المؤمنين !»
 «... فانّى قد بايعتُ لك اهل الشّام ! فاجابوا ! ... فدونك الكوفة و البصرة
 لا يسبقك اليهما ابن ابى طالب . . . و قد بايعتُ لطلحة بن عبيدالله من بعدك . . .»

- ٢٧ -

فاز معاوية ببغيته ، و صار الى اُمنيته ، واضطرّ علىّ (ع) بما مهدّه معاوية ،
 و اعدّه له ، بالخروج عن المدينة ، و انجرّ الامر الى حرب الجمل فاشتدّ الاختلاف
 و التّفرّق ، و حصل التّحزّب و التّشعّب باسم عثمان و بعنوان «شيعة» و تميّز هذا -
 العنوان من تابعى علىّ و شيعة ، لكنّه لا علىّ و لاشيعة و تابعوه ، لم يُظهر و اخلافا
 للخلفاء السّابقين ، ولم يتكلّموا بما يتوهم منه اختلاف مع المسلمين الاوّلين ، ولم يعملوا
 عملاً يقطعهم عن المتقدّمين (وان كان فى شيعة علىّ من يعتقد بكون علىّ احقّ بالخلافة
 وانّ غيره استبدّ بحقه) .

استفاد معاوية لتشديد الاختلاف ، و الاخلال بامر علىّ من اية وسيلة يرشدها
 الى التوسّل بها نكراؤه و دهاؤه ، فامر بالقاء قميص عثمان على المنبر فى مسجد الشّام
 و باجتماع النّوائح عليه بالضجّة و العويل و البكاء ، للتّهيج و التّحرّيز لاهل الشّام ،
 فلمّا تمّ كيده ، و تهيباً اهل الشّام لاخذ الثّار ، خرج الى صفّين و قابل عليّاً و قاتل ،

وصار سببا لقتل عمّار بن ياسر ، وقتل سبعين الف او ازيد من المسلمين ، ولما احس باقتراب غلبة الحق وظهوره على الباطل ، اوحى شيطانه اليه بمكيدة اخرى ، والقي في روعه ان يأمر برفع المصاحف على الرماح والقنى . فوصل الى ما احب ، وادرك ما اراد ، من وقوع الاختلاف في جند عليّ والتشتت لكلمتهم ، والتفرق من جماعتهم والخلل في اطاعتهم (وقد كان من قبل ذلك خادع بعض المنافقين والمستضعفين من رؤساء جند عليّ واطمعهم ببذل المال و وعد الجاه) .

ولم يطل الزمان بعد ذلك حتى قتل عليّ¹ و بويع الحسن ، ابنه ، فرأى معاوية انه لا يمكن له ان يتهم الحسن بقتل عثمان ، كما صنع بالنسبة الى ابيه ، ولا ان يطالب عنه قتلة عثمان ، الذين لعنه لم يكن احد من المتهمين به في قيد الحياة ، فلا بد وان يدخل من باب آخر للفوز بما يتمناه ، فتوسل بمكائد سواى وتعمل دسائس اخرى حتى اضطرّ الحسن الى القاء جبل الخلافة على غاربها ، وقبول الصلح من غاصبها .

- ٢٨ -

وحينئذ ، آل الامر الى ما آل ، و نال معاوية بما لم يكده يتصور ان ينال ، واتسم لقب خال المؤمنين ، واغتصب عنوان خليفة المسلمين ، فعليه ان يسعى لتشييد مباني سلطنته ، و يجتهد فى تحكيم قواعد حكومته ، باسم الاسلام ، و تحت عنوان خلافته ، فما ذا عليه ان يفعل ؟

١- و يعجبني ان اورد هنا ما افاد ، واجاد فى ما افاد المسيحي اللبناني ، جبران خليل

فى حق علي حيث قال :

« مات علي بن ابي طالب شهيد عظمته ، مات والصلوة بين شفيعه ، مات وفى قلبه - الوثوق الى ربه ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام من جيرانهم الفرس ، اناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى ، مات شان جميع الانبياء الباصرين - الذين يأتون الى بلد ليس ببلدهم و الى قوم ليس بقومهم وفى زمن ليس بزمئهم ، و لكن لربك شاننا فى ذلك و هو اعلم . »

اول امرٍ يهتمة هو ان لا يبقىَ ولا يذَر احدًا ممن كان مخالفه ولا يهواه ،
او كان محبًا لعلى و يهواه .

اما الفرقة الأولى فامرها سهلٌ هينٌ ، اذ الناس عبيد الدرهم و الدينار
و يُستعبدون بالعتية و الاحسان و فقطالما استعبدَ الإنسانَ احسانٌ و بيت مالـ
المسلمين تحت قبضته ، يتصرف فيه كيف يشاء و على ما يشاء من جانبٍ ، و البلادُ
الواسعة الاسلامية تحت قدرته ، و طوع رغبته ، يُعمل فيها من يشاء ، و يستعمله

١- قال الطبرى فى تاريخه (الجزء الرابع - الصفحة ال ١٨٠-).

«... وفد الاحنف بن قيس ، و جارية بن قدامة من بنى ربيعة بن كعب بن سعد ،
و العجون بن قتادة العشمى ، و العتات بن يزيد ابوسنازل ... الى معاوية بن ابي سفيان
فاعطى كل رجل منهم مائة الف ! و اعطى العتات سبعين الفاً :

«فلما كانوا فى الطريق ، سأل بعضهم بعضا فاخبروه بجوائزهم ، فكان العتات اخذ
سبعين الفاً فرجع الى معاوية .

فقال ما ردك يا اباسنازل ؟

قال : فضحتنى فى بنى تميم ، اما حسبى بمصحيح ؟ او لست ذاسن ؟ او لست مطاعاً

فى عشيرتى ؟

فقال معاوية : بلى .

قال : فما بالك حسست بى دون القوم ؟

فقال : انى اشتريت من القوم دينهم ! و وكلتلك الى دينك و رايتك فى عثمان بن

عفان ، و كان عثمانياً .

فقال : و انا فاشتر دينى ! . فامر له بتمام جائزة القوم ! ... »

وفى «الاستيعاب» لابن عبد البر بالاسناد عن حسن البصرى (كمافى كتاب النصائح -
الكافية ... » انه قال : «كتب زياد بن ابيه الى حكم بن عمرو الغفارى ، عامله بخراسان :

ان امير المؤمنين كتب الى ان الذهب و الفضة من الغنائم ، له خاصة و ليس لغيره
فيهما حق ، فلا تقسمها بين المسلمين ... » و نقل صاحب كتاب «النصائح» ، عن ابن حجر
بأسناد رجاله ثقات : ان معاوية قال فى خطبة يوم الجمعة :

« انما المال مالنا و القبيء فيئنا فمن شئنا اعطيناه ا و من شئنا منعناه ! ... »

كيف يشاء من جانب آخر وهو يعلم بدّهائه ، و يعمل لبقائه ، فيصير المخالف موافقاً ، وان لم يكن في الواقع إلا منافقاً .

و اما الفرقة الثانية وهم اصحاب عليّ (ع) العارفون بشأنه ، المحبّون له لعلو مقامه ، و رفعة مكانه ، و كثرة فضائله ، الذين آمنوا بكلام النبي (ص) : « عليّ مع الحقّ و الحقّ معه يدور اَيْنَمَا دارَ » .

و سمعوا منه (ص) ، او ممن سمع منه (ص) ، ما قال في شأن عليّ كقوله : « مَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فِي مَحْيَاهُ وَ مَمَاتِهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْإِيمَانَ وَ الْإِيمَانَ » .¹

و كقوله : « لا يُحِبُّ عَلِيّاً مُنَافِقٌ وَ لا يُبْغِضُهُ مُؤْمِنٌ »

و قوله : « عَلِيٌّ مِثِّي كَنَفْسِي ، طَاعَتُهُ طَاعَتِي وَ مَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي » الى غير ذلك مما ورد عن الرسول (ص) في حقّه (و ستمرّ عليك نبذة منها في الكتاب منقولة عن الكتب المعتمدة لاهل السنّة ، مسندة) .

فالذآء في هذه الفرقة على اعضاء ، و الامر معهم مشكل غاية الاشكال ، لانهم لا يبيعون الدين بالدنيا ، ولا يشرون انفسهم المطمئنة بالايمان ، و قلوبهم الممتلئة من حُبِّ يورث الامن و الأمان ، بتلك الاثمان و تلك الدرجات السفلى .

شرح معاوية بتصفيه مملكته ممن خالفه ، فاشترى من الفرقة الاولى بالمال و العمل (الامارة و الرئاسة) انفسهم و استراحت نفسه بهذه السيامة . و اما الفرقة الثانية ، وهم محبّوا عليّ ، و مُفِيدُوهُ بانفسهم ، و مبغضوا معاوية و سلطنته الباغية العاتية ، فعزم على ان يُغْنِيَهُمْ و يستاصلهم ، فصمد للمخالف من هذه الفرقة نحو عنوان « شيعه عليّ » و استغله لمقصوده ، فامر عمّاله في جميع البلاد ان يُضَيِّقُوا عليّ من يتسم ، او يتهم ، بالتشيع ، و يعذبوهم بالحبس ، و الزجر ، و القتل ، و يمتحنوهم بالبرائة عن عليّ (ع) و عن حبه و يحملوهم على لعنه و سبه ! و الويل ثم الويل لمن استنكف و ابى ، و استعاذ بربه و وفى !

1- و في المحكى عن كتاب فضائل عليّ للامام احمد بن حنبل . . . ان السعيد

كل السعيد ، حق السعيد ، من احب عليّاً في حياته و بعد موته »

فصار عنوان «الشيعة» كالعناوين التي يتخذها الساسة، في هذا العصر، وسيلةً لان يكتبوا بها من يخالفهم في السياسة، ويعارض سلطتهم وقدرتهم وشوكتهم بالمنافسة، وعنواناً لان يقهروه ويدمروه بل ويستأصلوه.

استقصاء شيعة عليّ واستأصالهم وان كان مهماً عند معاوية، شاغلاً بالله، ولكنه لدّهائه، والابتداع في اهوائه وكياسته لحفظ مقامه ورئاسته لم يكن غافلاً عن مهمّ آخر في سياسته.

قال عليّ في ما كتب اليه: «فَسُبُّحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَتَ لِلْأَهْوَاءِ - الْمُبْتَدَعَةِ وَالنَّحِيرَةِ الْمُتَّبِعَةِ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الرِّوَايِقِ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلْبَةٌ وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ...» فشدّة لزومه للاهواء، حملة على الابتداع لتضليل - الخلائق، وتضييع الحقائق؛ بوضع الاحاديث وجعل الاكاذيب، وحتى بتحريف - اسباب نزول الآيات، وتبديل الروايات، ونقل الأراجيف في حقّ عليّ، كي يلبس - الامر على الغيبيّ، ولا سيّما على اهل الشّام، مركز سلطنته وعاصمة حكومته على اهل الاسلام، وتشبه الحقيقة على الامّة في ما صدر في شأن عليّ عن نبيّ الرّحمة، حتى ينسى الكبير فضائله، ويكبر الصّغير على ما وضعه وافتعله.

وقعت المخاويف وكثرت الاراجيف في زمن معاوية، وعذّبت نفوس زكيّة وقُتلت أُخرى ابيّة، بامرهِ وبيد عمّالهِ وامرائهِ، باسم «شيعة عليّ» كعمرو بن حمّيق وحُجْر بن عدى الصّحابي. وفصارت هذه السياسة الأثمة الغاشمة، وهذه - المعاملة الجائرة الجابرة، على خلاف شيعة عليّ وتابعيه، باضطهادهم، وايدانهم، وحبسهم، وقتلهم، علة للفرقة وسبباً لان يُنظر اليهم، وهم في الاسلام من الاقطاب، وفيهم بقيّة من الأصحاب، كانتهم، والعباد بالله، ليسوا من المسلمين، او ما هم الآفرقة خارجة من الدين! وهذا ما اشار عليّ (ع) اليه لقوله: «وَإِنِ الْخَوْفَ الْفِتْنَتَيْنِ عَلَيْنَا مِمَّا عِنْدِي فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةٍ...»

وقال بعده :

«... وَ آيَمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمِيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِـ
الضَّرُوسِ تَعْدُمُ بِفَيْسِهَا وَ تَحْضِيضُ بَيْدِهَا وَ تَزْبُنُ بِبِرِّجْلِهَا ، وَ تَمْنَعُ دَرَّهَا ،
لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَبْتَرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَكُمْ الْآ نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ ،
تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتَهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةٍ^١ ، وَ قِطْعاً جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ
هُدًى وَ لَا عِلْمٌ يُرَى!...» (نهج البلاغة) .

كان معاوية راس الفتنة و ركنها و امّ الفساد و قطبها ، فمن كان بعده من بني امية
اقتدى به في الفتنة و الفساد ، و بنى امر الحكومة و السياسة على اساس استسها مقدمهم
(معاوية) في التضييق على محبتي عليّ و شيعته الامجاد ، و ابعادهم عن امور الحكومة
تأسيّاً به في البغي و العناد . فصارت الشيعة حينما تمكّنت و بحسب ما امكنت ، تتكلم
في المعروف و المنكر ، و تذكر كيف صار الامر فيها من حيث الامر و النهي مخالفاً
لما امر به الشرع ، معكوساً لما بينه الدين و قرّر ، و تدافع عن حقّها و كيانها ، و تمنع
عن معتقدها في محبوبها و امامها ، و تناسى به في ما اعتقده و اظهره ، و تتادى له من
حقّه بما بينه و اخبره ، كقوله : «انّ الائمة من قريش غرِسُوا في هذا البطن من هاشم
لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .»

و كقوله : «... وَ إِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي...»

و كقوله : «... وَ اجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي...»

و كقوله : «مَا زِلْتُ مَظْلُوماً مُنْذُ قَبَضَ اللهُ رَسُوْلَهُ حَتَّى يَوْمَ النَّاسِ هَذَا»

و كقوله : «مَا زِلْتُ مُسْتَأْتِراً عَلَيَّ ، مَدْفُوعاً عَمَّا اسْتَحَقُّهُ وَ اسْتَوْجِبُهُ»

اورد الطبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٧٦-) بالأسناد ، قضية

منزل ذي قار في طريق البصرة و خطبة عليّ و مكالمته مع ابنه الحسن (ع) الى ان قال (ع) :

١- الناب : الناقة المسنة . الضروس : السينة الخلق ، تعض حالها . تعدم (بالعين-

المهملة و الذال المعجمة) من عدم الفرس اذا اكل هجاء او عض . تزين (بالزاء المعجم)

تضرب . شوهاء : قبيح المنظر . مخشية (بالخاء المعجمة) : مخوفة ، مرعبة .

«وانّ النبيّ (ص) قُبِيصَ وما اَرى اَحداً اَحَقَّ بهذا الامرِ مِنّي، فبايعَ الناسَ ابا بكرٍ فبايعتُ كما بايعُوا !
 «ثمّ انّ ابا بكرٍ مَلَكَكَ وما اَرى اَحداً اَحَقَّ بهذا الامرِ مِنّي فبايعَ الناسَ عمرَ بن الخطّابِ فبايعتُ كما بايعُوا .

«ثمّ انّ عمرَ هَلَكَكَ وما اَرى اَحداً اَحَقَّ بهذا الامرِ مِنّي فَجَعَلَنِي سَهْمًا من ستّةِ اسهُمُ ، فبايعَ الناسَ عثمانَ فبايعتُ كما بايعُوا !
 «ثمّ سارَ الناسُ الى عثمانَ فَفَقَتَلُوهُ ثُمَّ اتَوْنِي فبايعُونِي طائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ . . . » و اشباه هذه الكلمات التي ستمرّ على النّاظر في الكتاب ان شاء الله .
 خلاصة الكلام كان الامر على ما كان عليه المسلمون بلا اختلاف عمليّ بينهم حتّى اغتصب معاوية امور المسلمين ، وانتصب نفسه للخلافة و اماراة المؤمنين ، وتسلّط عليهم باسم الخلافة و خضعوا له خوفاً و طمعاً ، واجتمعوا حوله رغبة و رهبة ، وقامت راية ضلالٍ على قطبها ، فكالتهم لصاعها و خبطتهم بباعها ، و ظهر ما قاله عليّ (ع) في حقّ معاوية و اخلافه من بني امية حيث قال (ع) :

« . . . رايةُ ضلالٍ قد قامت على قُطْبِها و تفرّقت بشعبِها ، تكيلُكم بصاعِها ، و تخبُطُكم بباعِها قائدها خارجٌ من الميلة ، قائمٌ على الضلّة فلا يبقي يومئذٍ منكم الا ثفالةٌ كثفالة القدرِ او نفاضةٌ كنفاضة العيكم ، تعرّككم عرك الا دينم ، و تدؤسكم دؤس الحصيدِ ، و تستخْلِصُ المؤمن من بينكم استخلاص الطير ، الحبة البطينة من بين هزيل الحب . . . »
 فاصبحت الشيعة فرقة مخالفة ، لا لمن سبق من الخلفاء بل لمن اسمى نفسه خليفة ، و ادعى انّ افعاله على ما رضى الله و رسوله (ص) و على سيرة السلف من-

١- تكيلكم : تاخذكم للهلاك جملة كالكيال ياخذ من الحب . تخبطكم بباعها : من خبط الشجرة اي ضربها ليتناثر ورقها . و التعبير بالباع لافادة استطالتها عليها و تناولها للقريب منهم و البعيد . النفاضة : ما يسقط بالنفض . العكم : كالعدل ، بالكسر ، لفظا ومعنى و ايضا نمط تجعل المرأة فيه ذخيرتها . العرك : الدلك الشديد و الحكمة الي ان يعفى . الاديم : الجلد . البطينة : السمينة .

من الرّاشدين ، واضطرت من خوف معاوية وجور عمّاله الى التّقيّة والاختفاء^١ وكانت على كلّ حال ، وفي كلّ امرٍ من امور التّدين ، اصوله وفروعه متبعةً بعد عليّ ، اهل البيت وعترّة النّبىّ ، مقتديةً بهدى ابناء الرّسول وذريّة عليّ ، التّدين قرنهم - الرّسول (ص) بالكتاب ، وتركهما لحفظ الامة عن الضّلال بلا ارتياب ، واعتقدت - الشّيعه طهارتهم وعصمتهم ، وعرفت علمهم وحكمتهم .

- ٣١ -

والقول الجُملى انه لا اختلاف بين الشّيعه وبين سائر المذاهب الاسلاميّة (اللّهمّ الا مذهب من يتبع بنى امية ويصدق احاديثهم الموضوعه) فى الاصول : من التّوحيد والنّبوة والمعاد . ولا اختلاف بينهم فى انّ ماجاء به الرّسول (ص) حق لا ريب فيه وكلّهم يؤمنون بصدقه ويعتقدون وجوب العمل على وفقه . ولا اختلاف بينهم فى تحقّق الخلافة خارجاً على ما ضبطه التاريخ ومضى^٢ و فى عدم ثمره على الاختلاف لمستقبل الاسلام فى ماضى^٣ وانقضى^٤ (الاضعف الاسلام وذُلّ المسلمين) . ولا اختلاف بينهم فى انّ الامام عليّاً ابن عمّ الرّسول و صهره ، و ابو ذريّته وآله ، وانه بمنزلة نفسه ، وانه كان اوّل ذكّر (او رجل) آمن و صلّى ، وكان وصيه و خليفته كهرون من موسى^٥ ، وانه (ع) كان جامعاً لجميع ماتفرّق من المكارم والفضائل فى سائر الاصحاب من السّخاء والوفاء والزهد والعلم والشّجاعة والقرابة و اشباهها وانه فرد لا يدانيه فرد و ماجد لا يساجله احد^٦ فى ان يملأ الدلو الى العقد .

١- قال الشاعر الشّيعى ، الكميّ فى مقال من بايئته :

اروح و اغدو خائفاً اترقب
بهم اتقى من خشية العار اجرّب
اعنف فى تقرّيظهم واؤلب

« الم ترنى من حب آل محمد
« كانى جان محدث وكافنى
« على اى جرم ؟ ام باية سيرة ؟

وفى مقال فى لايبته :

فحتى م ؟ حتى م العناء المطول ؟
فقد ايتموا طوراً ، عداه ، و اهلكوا

« فتلك ولاة السوء قد طال ملكهم
« رضوا بفعال السوء فى اهل دينهم

ايها الاخوان، الاسلام دين الوحدة و الاتحاد، دين الالفه و الوداد، دين القوة، دين العظمة و الشوكة، دين العزة و الرفعة، لادين التعصب و التفرق. حسب الاسلام و كفاه هذه الاختلافات و المشاحنات، الاترون ما صنع الاختلافات؟ اما تشاهدون ان الاختلاف قسم الاسلام و صيبره بقاعاً و رقعاً و لكل رقعته حكومة، و لكل حكومة طريق خاص ادارة رقعته، و نظام حكومته، و نظم مملكته و بلدته : من الديموقراطية و المليكية و الجمهورية و... و على كل يجرى عليها حكم الدول الجانية المستعمرة ! اين الاسلام الذى كان فى صدر الاسلام و اين ما عليه المسلمون و يدعونه فى هذا الزمان؟ اين تلك العظمة و العزة للمسلمين؟ و اين هذه الحقارة و الذلّة للمدعين؟ ان الله وانا اليه راجعون. تذكرت هنا كلاماً من عمر اذكره هنا عسى ان يكون له اثر .

قال الطبرى فى تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٨١ -) بالاسناد عن

ابن عباس .

« ان عمر قال لناس من قريش : بلغنى انكم تتخذون مجالس ، لا يجلس اثنان معاً حتى يقال : من صحابة فلان ، من جلساء فلان ، حتى تحوميت المجالس (اى حدثت العصبية و حصلت الحمية و الحماية) .

« و ايسم الله ان هذا لسريع فى دينكم ، لسريع فى شرفكم ، لسريع فى ذات بينكم .

« و لكأنى بمن ياتى بعدكم يقول : هذا راي فلان . قد قسموا الاسلام اقساماً . افيضوا مجالسكم بينكم و تجالسوا معاً فانه اذوم لالفتكم ، و اهيب لكم فى الناس »
 « يا اخوانى « اعتصموا بحبل الله جميعاً ، و لا تفرقوا » و كونوا بالحقيقة اخوة « و اذكروا نعمة الله عليكم » و لا تكونوا كالذين تفرقوا من بعد ما جائتهم البينات ، و « اقنموا الدين و لا تفرقوا فيه »

« يا اخوان الاسلام تهياتوا للاقدام ، فقوموا من رقدتكم ، و هبتوا من هجدتكم ،

فقد طالَت الهِجعة والصَّبح سافر ، وامتدَّت الهِجدة واليوم زائل نافر .

افيقوا ، واضربوا العصبيَّة المفرَّقة على الجدار . افيقوا وكونوا رُحماء بيِّنكم
اشدَّاءَ على الكُفَّار . افيقوا ولا تترُكُنوا الّذي الدِّينَ ظَلَمُوا فتمسَّكُمُ-
النَّارُ و تصير عاقبتكم الى دار البوار .

افيقوا وذروا تلك الاسماء الّتي سميتموها ، والالقب الّتي نابزتموها : من-
الحنفيَّة والمالكيَّة والشافعيَّة والحنبليَّة ، والتسنن والتشيُّع ، والاشعريَّة والاعتزال ،
والّتي ما نزل الله بها من سلطان ، ولا اعلمه الله في القرآن ، والّتي منها نشأ التقسيم
في الدِّين ، واليها يؤل ضعف الاسلام و ذُلّ المسلمين .

اخواني ايها الاعزة الكرام ، والا ماجد العظام ، اسمعوا ممَّن يحبكم في الاسلام
ذروا التشعب والافتراق وخذوا ما انعم الله عليكم و اراد منكم ، من الالفه والاخوة
والاتحاد ، في ظلّ الايمان والتمسك بالقرآن ، فان فيه « دواءُ دائكم و نظمُ
ما بيِّنكم » وانه هو « الهادي الذي لا يضلُّ » و « ... انه ليس على احد بعدد-
القرآن من فاقته ولا لاحد قبل القرآن من غني ، فاستشفوه من
آدوائكم ، فان فيه الشفاء من اكبر الداء ، وهو الكفر والنفاق ، والغنى
والضلال » وانه يعصمكم من التشبث والاختلاف ، وكونوا ، بالحقيقة ، مسلمين
كما كان آباؤكم الاولين .

تذكروا ما كان عليه آباؤكم الاولين ، واعتبروا كيف كانوا غالبين قاهرين .
كانوا لاتحاد همتهم ، ووحدة كلمتهم ، و بسط الفضل ونشر العدل ، والاستقامة في
سبيل الحق بحيث يهاب اقوى الملوك والسلاطين عن قدرتهم وشوكتهم و صلوتهم ،
واليوم صار المسلمون ، للتخاذل والتفرق والتشعب ، يغزون في ديارهم ويخرجون
ولا حول ولا قوة الا بالله ، من ديارهم .

« آيِنَ تَدَّهَبُ بِكُمْ الْمَدَاهِبُ ، وَتَتَيِّنُهُ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ ، وَتَخْدَعُكُمْ-
الْكَوَاذِبُ ؟ وَ مِنْ آيِنَ تَتَوْتُونَ ؟ وَ آتَى تَتُوفِكُونَ ؟ » (نهج البلاغة)
اياكم ، اياكم والاختلاف بالعصبيَّة « فَاِنَّ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ الْعَصْبِيَّةِ فَلْيَكُنْ

تَعَصَّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْاِتِّخَالِقِ وَمَحَامِدِ الْاَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الْاُمُورِ وَالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِ الْاِيْمَانِ وَالْاِيْتِلَافِ فِي ظِلِّ عِنْوَانِ «الاسلام» .

وعليكم بالاعتبار يا اولى الابصار اذكروا ماضيكم الاغرّ، وانظروا الى حاضرکم وما احاط به من الخطر، واجعلوا «الاسلام»، نَعَمَ «الاسلام»، لتجديد مجدکم الشعار ودَعُوا هذه العناوين المختلفة و الافانين المختلفة التي كانت بادئها الذلّة و تكون عاقبتها التبار والبوار، ولا تغزوا بينکم لاجلها في عُقْرِ الدار «فَوَاللهِ مَا عَزَى قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ اِلَّا ذُلُّوا» ولا تواكلوا ولا تتخاذلوا ولا تتجادلوا، وانظروا كيف شُنَّتْ عليكم الغارات و مُلِكتْ عليكم الاوطان' .

- ۳۳ -

و لتوجهه اخيراً الى ما كتبنا بصدده من بيان الدّاعى لتأليف الكتاب، و الباعث لتسويد الاوراق، و بيان ماروعى فيه و لنلخص بيان الدّاعى بالاشارة الى سببين :

۱- انّ الفصل الذى كتبه لكتاب «الاسلام صراط المستقيم» كان مختصراً جداً و اقتصر فيه بنقل المعتقد من دون اتيان بالدليل و المستند . ولذلك من ترجمه بالعربية طالب غالباً فى ما علق عليها بالحجة، و لم يدر انّ المسؤول والمنظور لم يكن الا صرف بيان الاعتقاد لا الاستدلال و الاستناد فوجب ان يكتب ما يشتمل على ما تستند اليه الشيعة فى الاعتقاد .

۲- ان التعصبات التي اشرت الى انموذج منها حداني الى تأليف مختصر يشتمل على ما يثبت به ان الشيعة فى ما تعتقد و تقول تستند بالمعقول والمنقول، و لهم القدم- الراسخ فى الفروع و الاصول، و ما نسبة او ينسبه اليهم بعض الجاهلين و المعاندين بهتان مبين و افتراء غير مقبول . و المسؤول ممن يريد الحقّ و يحبّ الحقيقة ان يراجع لكشف معتقدات الشيعة اصولاً و فروعاً، فى كتب القديماء منهم، كالسيد المرتضى و الشيخ ابي جعفر الطوسي و المحقق الحلي (رحمهم الله تعالى) و اضرابهم من علماء الشيعة .

ولما كان أكثرها يشاهد من تلك النتائج المعصبيّة، كُتِبَ بلسان العرب وأكثر المتعصّبين منهم، أو ممّن يعرف لغتهم فرايت ان اكتب هذه الاوراق بذلك اللسان، مع اعترافى بالتضعف والقصور والتقصان فى هذا الميدان على ان ذلك لسان القرآن المجيد ويجدران يتبرك به كل مفيد ومستفيد .

واما ما روعى فى هذا التّأليف فعدّة امور .

منها : انّ ما نقل فيه ، منقول كلفه ، من الكتب المعتبرة للمعتمدين الاثبات ، من اهل السنّة ، و ذكر غالبا فى المتن او فى التّذيل ، موضع المنقول من الكتب .
ومنها : انّ ما جعل بين علامة « » ولم يُصرّح بالمأخذ فهو على الاغلب ماخوذ من تاريخ ابي جعفر محمد بن جرير الطّبري ، او منقول من « الكامل » لابن اثير - الجزرى .

ومنها : انّ جانب الادب و الاحترام روعى فيه و لو بالرمز فحين ذكر اسم - التّسبىّ صلى الله عليه وآله وسلّم والائمة والخلفاء ، جرىء بمثل «ص» و «ع» و «رض» و اذا كان احدا للاسماء المذكورة طيّ عبارة منقولة عن كتاب جرىء الدّعاء او السلام فيه بالصّراحة لا بالرمز ، آتينا بعين لفظه و ان تكرر .

ثمّ استوفيت مقاصد الكتاب طيّ ثلاثة اجزاء : الجزء الاول (هذا الجزء) يحتوى على البحث حول عشرين مطالب : اول المطالب حول « التوجه الى المبدء والمآل » و اخرها ينتهى بانتهاء خلافة عثمان (رض) . و الجزء الثّانى يتكفّل البحث عن فضائل على (ع) ابتداءً و بالبحث حول الامام المهديّ المنتظر انتهاءً . و الجزء الثّالث يحتوى على امتهات ما يترائي منه الاختلاف بين الشيعة و اهل السنّة اصولا و فروعاً .

١ - واما الكتب : فالطّبري مطبوع فى مطبعة « الاستقامة » بالقاهرة ، و « الكامل » مطبوع ادارة الطباعة المنيرية بمصر و « الحلية » مطبوع بمطبعة « السعادة » بجوار محافظة مصر . و شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مطبوع دار الكتب العربية الكبرى و صحيح البخارى الطبع الذى صححه محمد ابن مالك فى زمانه ، و نظرفيه عدّة من علماء المذاهب بامر السلطان عبد الحميد ، ثم طبع باسمه باسلامبول .

و في الختام لابدّ و أنّ اعتر من الناظرين الكرام ، ولا سيّما من جهابذة -
الادب والاساتذة في لسان العرب، من قصور الباع وكسود المتاع . والمرجو من جودهم -
العميم اذا نظروا اليه و شاهدوا فيه اغلاطاً و اخطاءً من حيث اللفظ و التركيب ، ان
يصلحوه و ان عثروا على زلّة و عثرة و وقفوا على كسوة و هقوة ، ان يعفوا عنه
و يغفروه فانتى نشتت على غير هذا اللسان و ان الانسان قلماً أنّ لا يعترضه السهو
و التسيان .

حَمَدْتُ اللهُ رَبِّي إِذْ هَدَانِي

لِمَا أَبْدَيْتُ مَعَ عَجْزِي وَضَعْفِي

فَمَنْ لِي بِالْخَطَا فَاَرَدَ عَنْهُ

وَمَنْ لِي بِالتَّجْبُولِ وَلَوْ بِحَرْفٍ

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ، وَ كَفِّرْ عَنَّا

سَيِّئَاتِنَا وَ تَجَاوَزْ عَن ذُنُوبِنَا ، يَا قَدِيمَ المَنِّ وَ الإِحْسَانِ .

كتبت هذه المقدمة حين تشرّفي بمشهد الامام ابي الحسن علي بن موسى الرضا (ع)

في ايام شهر الصيام من سنة سبع و تسعين و ثلاثمائة بعد الالف الاول من الهجرة النبوية

بالشهور القمرية (وفق «شهر يور ماه» من سنة ست و خمسين و ثلاثمائة بعد الالف ،

بالشهور الشمسية) .

و انا الضعيف الفاني

محمود - الشهابي - الخراساني

وَفَا قِيمٌ وَجَهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...
(سورة الروم) (الآية الـ ٢٩)

- ١ - من أين والى أين؟
- ٢ - الإنسان وشوقه الذاتى .
- ٣ - كمال الانسان، الخاص به .
- ٤ - سرّ التّوجّه الى الدين .
- ٥ - المجهول الانسانى الأهمّ .
- ٦ - طريق الفلاسفة : الماديين والألهيين .
- ٧ - الإنسان عندالفريقين .
- ٨ - طريق الأنبياء والرّسل .
- ٩ - المام ببعض ما استند اليه لأثبات المبدء .
- ١٠ - الطّرق الصناعيّة .
- ١١ - تذييل فيه برهان للمؤلّف على اثبات المبدء .
- ١٢ - اشارة ، فيها اصول .
- ١٣ - الطّرق الفطريّة .
- ١٤ - آيات من القرآن المجيد بعنوان النموذج .
- ١٥ - تكملة وتذكّرة .
- ١٦ - الدّين والتمتدين .

١- حول التّوجّه الى المبدء والمآل

و

ما يقتضيه الحال من الأعمال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

للهِ النّحمدُ عَلى الدّوامِ . وَعَلى رَسولِهِ الخاتمِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَآلِهِ الطّاهِرِينَ الكِرَامِ ، وَأَصحابِهِ الرّاشِدِينَ العِظامِ ، الصّلاةُ والسّلامُ الى
يومِ القِيامِ .

١ - من أين والى أين؟

ممّا لا يكاد يُرتاب فيه انّ للانسان مجهولات كثيرة متنوّعة هامة ، اهمّها
باعتبار الواقع وأعمّها من حيث الخُلجان في جميع الضمائر في اكثر المواقع هو هذا :
مِنْ أَيْنَ جِئْنَا؟ وَالِىَ أَيْنَ نَذْهَبُ؟

يمكن ان يكون لأنسان ، بل لكلّ انسان ، مجهولٌ مسدول عليه غطاء الخفاء
من كلّ ناحية ومن كلّ جهة بحيث لا يوجد له فيه وجهٌ مكشوف ، بل كان مستوراً عليه
فى انحاء جهاته ومجهولاً له ، على نحو الأطلاق ، مدى حياته ، لكنّه من الغريب المستبعد
جدّاً ان يوجد انسان ، يصحّ عليه اطلاق هذه الكلمة ، وهو لا يتوجّه الى هذا المجهول
ولا يخطر بباله فى مدّة حياته ، ولو مرّةً واحدة ، هذا الموضوع :

من اين جئنا؟ والى أين نرُوحُ؟

٢ - الإنسان وشوقه الذاتى

الإنسان تختلف افراده فى نواحٍ شتى من كيانه: تختلف فى الألسنة والألوان، تختلف فى العادات والاحوال، تختلف فى الأطوار والأفكار، تختلف فى الأبدان والأرواح، تختلف فى الآداب والأخلاق، تختلف فى الأهواء والأميال، تختلف فى الأمانى والآمال، تختلف فى العقول والألباب وبالجملة تختلف فى الصورة والسيرة والظاهرة والخافية: فبعض الأفراد يميل الى شىءٍ وآخر يذهب الى طريقٍ وثالثٌ يتخذ مسلكاً ورابعٌ يسلك فى طريق حبه وعشقه وهواه وميله سيلاً رابعاً، وهكذا، فيكون للناس فى مايعشقون مذاهبٌ ولهم بحسب طبائعهم، طَوَّعَ تراثهم وبيئتهم اكنان و غرائز و اغراض وعلائق:

«لَا تَحْسَبَنَّ النَّاسَ طَبْعاً وَاحِداً فَلَهُمْ

غَرَائِزٌ لَسْتَ تُحْصِيهَا وَاسْكُنَانٌ»^١

ولكنها مع تلك الاختلافات كلها، كما تتفق تلك الأفراد فى كونها انساناً، تتفق باقتضاء من انسانيتها المشتركة الجامعة فى غريزةٍ خاصةٍ وسجيةٍ مختصةٍ وفضيلةٍ ذاتيةٍ ومزبةٍ نوعيةٍ الاوهى حبتها الذاتى للعلم بحقائق الأمور وشوقها-

١ - لابي الفتح على بن محمد البستى (المتوفى ، فى حدود سنة الـ ٤٠٠ هـ) فى

قصيدته المشهورة التى مطلعها :

« زيادة المرء فى دنياه نقصان »

وقد ترجمتها بالفارسية منظومة، منها فى ترجمة البيت المنقول فى المتن :

« نېندارى تو يكسان طبع مردم كه بيمر هست طبع و خوى ايشان »

الفطريّ التّوعى الى كشف المساتير و تحريها الطّبعيّ لدرك الاشياء وفهم المسائل والمشاكل .

فلا يكاد يوجد فردٌ توجه الى جهاه بأمرٍ آلا و هو يحبّ من صميم خاطره وعمق ضميره ان يزول عنه هذا الجهل ويتحرّى من سويداء قلبه ان ينكشف لدى فكره ذلك المجهول .

فكلّ فردٍ في كلّ حالٍ اذا توجه الى امرٍ وخطر بباله شيءٌ يشناق شوقاً طبيعياً ان يكون هذا الامر مكشوفاً عنده في رُمّة نواحيه، معلوماً له جملة خوافيه، مرفوعاً من منظره ماستره من حُجُبِهِ وغواشيه . بل كلّ فردٍ يحبّ حباً فطرياً ان لا يكون له مجهول اصلاً ، ويشناق ان تصير المجهولات بهذا فيرها معلومةً له، مكشوفةً لديه مطلقاً .

هذا امرٌ خُمّره طينة الانسان ، وسُجّل في صفحة سجيته وارتكز في فُسحة طبيعته وجبلته ، فهو بفطرته الساذجة وطبيعته السليمة متوجه الى رفع الستار عن المجهولات وكشف الغطاء عن المخفيات والمستورات .

ولعله كان بيناً ان من بين تلك المجهولات المحيطة به اقدمها خطوراً بباله واكثرها استحقاقاً للعناية منه والدّها ادراكاً له وآثرها كشافاً عنده واعظمها شأناً لديه هو هذا المجهول :

مِنْ آيِنَ سِرِّنا؟ والى آيِنَ نصيرُ؟

٣ - كمال الانسان الخاص به

لكلّ نوع من انواع الموجودات كمالٌ يختصّ به ويحصل السعادة له اذا وصل

اليه ويكون جميع تطوراته الطبيعية وتحوّلاته النوعية، بالحقيقة، سيراً طبيعياً نحو ذلك الكمال وللوصول الى تلك السعادة .

التنوع الانساني أيضاً يختص به كمالٌ خاص يتحرك كلٌّ من افراده حركةً طبيعية في سبيل ادراكه واحرازه حتى وافق سعدُ التوفيق لمن وافق فاهتدى الى صراطه المستقيم وسلك هذا الطريق السويّ من دون ان يحدث عائق له يصرفه عن الطريق او يوجد مانع يمنعه عن السلوك، فيصل الى ما ارتضاه شخصه واقتضاه نوعه واراد وامتضاه له ربه وهو كما له النوعي الذي بوجدانه يتحقّق له سعاداته الشخصية . قوله تعالى .
« وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ٦٨ »^١

ومما أطبقت عليه عقول اولي الألباب ان الأكل من الأنواع كلها هو نوع الإنسان فلاجرم يكون كمان هذا النوع بالنسبة الى سائر الأنواع ارقياً و أشرف و سنخ سعاداته ، المتوقعة حصولها للأفراد، اعلى واجلّ .

اجلّ : الإنسان نسخة الهيئة جامعة لجميع ما سطر في كتاب الكيان، ومرآة صافية انعكس فيها مجموع ما تفرّق من الكمالات ، فهو بوجوده الكامل جامعٌ شتات الكمالات و واجدٌ لجميع مراتب الخيرات و السعادات ، لُفّت في حقيقته الكاملة ما نُشرت من الحقائق والفضائل وحفّت سعادةُ ذاته بنقاوة ما نُشرت على سائر الموجودات من المكارم والمواهب .

ثم يخرج الإنسان من مرحلة تلك القوة الكامنة ويبرز الى مقام الفعلية الراقية الرائقة اذا سلك في مدارج العمل ارقبها و وصل الى معارج العلم اسنيلها فحينئذٍ يفوز بسعاداته النوعية ويتم لشخصه خلافته الالهية .

والمراد من « العمل » ، التلاقي به السلوك الى مدارجه ، هو العمل الصالح وهو الذي يكون بهداية من العقل السليم وارشاد من الفكر القويم منطبقاً على ما اثبتته العلم الصحيح واخبر به المخبر الصادق الفصيح .

والمراد من « العلم » ، التّلازم له اكتسابه ، هو العلم الذي ينبغي لكلّ فردٍ أن يتوجّه اليه ويتحقّق به وهو بالحقيقة ما يكون أساس سعادته وقوام خيره ومصالحته وليس هو إلا ان ينكشف لدى عقله العمّال حقيقة هذا السّؤال :
 من اين جئنا؟ والى اين نرُوحُ؟ ولِمَ جيئنا؟ بنا؟ فما علينا انْ نَفْعَلْ؟

٤ - سرّ التّوجّه الى الدّين

هي هنا نتوقّف هنيهة فتوجّه ان توجّه النّاس الى ما يعبر عنه باسم « الدّين » وتعلّق خاطرهم به انما هو الامر مرتكز في طبيعتهم فهو معلول عن حبّهم الطّبيعيّ لنيل كمالهم النّوعي ومولود عن توجّههم الغريزي الى الاطّلاع على بداية حالهم والالتفات الى ما سيصير الامر اليه في مالهم و يتحصّل لهم من نقصهم أو كمالهم . فكلّ فردٍ ، بحسب فطرته وباقتضاء طبيعته ، يريد أن يعلم ما ينبغي ان يتعمّل ويحبّ أن يعيش على نحوٍ يقرّبه الى كماله المطلوب ويوصله الى سعادته المبتغاة: سعادة النّشأتين والفوز بسموّ المقام في المرحلتين .

ومن هنا يظهر سرّاً قبال النّاس في كلّ دورةٍ وكورةٍ، وفي كلّ زمان ومكان ، وفي جميع الأعصار والامصار، الى دُعاةٍ ادّعوا معرفة طريقٍ يوصل الإنسان الى مبتغاه الفطريّ من سعادته وقرّروا انظمة قدّروا لزوم رعايتها وتطبيق العمل عليها لمن اراد ان يعيش في حياته عيشاً يصلح لسلوكه سبيل هدايته ويناسب وصوله الى غرضه وغايته . وبالجملة كلّ انسان مجبول على حبّ الكمال: مطبوع على التوجّه الى الخير، مركزوز في عمق وجدانه وضميره طلب السّعادة، ومقطوع عنده ان وصوله الى ذلك المطلوب المحبوب لا يتحقّق إلا اذا عاش على نظامٍ خاصّ في حياته ، وعميل على

وَفَقَّ مِنْهَا جِ مَنْظَمٌ لِسُكُونَاتِهِ وَحَرَكَاتِهِ . ثُمَّ هُوَ مَا خُوذُ بِأَنْصَافِهِ وَاعْتِرَافِهِ أَنْ وَضَعَ ذَلِكَ النِّظَامَ وَتَنْظِيمَ هَذَا الْمَنْهَاجِ وَالْقَرَارَ ، أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ طَوْقِ قُدْرَتِهِ وَفِكْرَتِهِ فَحَيْثُ نَذُّ بِالطَّبِيعَةِ يَتَحَرَّكُ نَحْوً مِنْ يَدْعَى الْبَعْثَ لِهَدَايَتِهِ وَارْشَادِهِ وَبِالْفِطْرَةِ يَتَوَجَّهُ شَطْرَ مَنْ يَأْتِي بِشَرْعٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْهِ بِهِ لِتَعْيِينِ مَنْهَاجِهِ .

فَالْأَنْسَانُ بِفِطْرَتِهِ السَّلِيمَةِ يُقْبَلُ إِلَى مَدْعَى النَّبُوَّةِ ، سِوَاءِ أَكَانَ صَادِقًا فِي الْوَاقِعِ أَمْ كَاذِبًا ؟

وَبِاقْتِضَاءِ مِنْ طَبِيعَتِهِ الْقَوِيمَةَ يَتَحَرَّى شَرْعَهُ الَّذِي يَدْعَى أَنَّهُ مِنْهَا جِ الْحَيَاةُ وَبِرِئَاضِ الْعَمَلِ وَيَنْظُرُ إِلَى دِينِهِ الَّذِي يَقُولُ أَنَّهُ دَسْتُورُ الْعَمَلِ لِلْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ فِي الْحَالِ وَالْمَآلِ وَالنَّيْلِ إِلَى الْكَمَالِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ .

يُقْبَلُ إِلَيْهِ وَيَطَّلَعُ عَلَيْهِ حَتَّى يَمَيِّزَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ وَالْهَادِيَ مِنَ الْمَضِلِّ فَيَعْمَلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ وَيَعِيشَ عَلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعِيشَ .
« فَتَأْقِيمُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . »
٣٠ هـ .

٥ - المجهول الانساني الأهم

قَدْ تَقَدَّمَ أَنْ مِنْ أَقْدَمِ مَجْهُولَاتِ الْإِنْسَانِ ، وَاهْمُهَا وَأَعْمَمُهَا ، مَجْهُولُهُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِمَبْدِئِهِ وَمَآلِهِ وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ ، أَوْ يَلِيقُ بِهِ ، مِنْ أَعْمَالِهِ وَأَفْعَالِهِ فِي حَاضِرِ حَالِهِ فَالْإِنْسَانُ مِنْ أَقْدَمِ عَصُورِ وَجُودِهِ وَكَيْبَانِهِ تَوَجَّهُ إِلَى هَذَا الْمَجْهُولِ الْهَامِّ وَتَرْتَمَّ مَعَ نَفْسِهِ بِمَفَادِ هَذَا الْكَلَامِ : « مِنْ آيِنَ جِئْنَا ؟ وَالْإِنَّ نَنْدُ هَبُّ ؟ وَمَا عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ ؟ »

فلننظر الآن الى اولئك الذين تكلموا حول هذا الموضوع وادعوا كشف الغطاء واماطة الستار عن ذلك المجهول . فاعلم :

ان من استخلص نفسه للتكلم حول هذا المطلوب ، بادعاء الاطلاع عليه ، واستعطف اعنة النظر والتدبر من ابناء نوعه اليه فريقان :

١ - الفلاسفة والحكماء (ومنهم العرفاء والمتكلمون ، هنا) .

٢ - الرسل والانبياء .

فعلى ذمة الفحص والتفتيش ان ننظر الى ما ادعاه كل من الفريقين ونبحث ، بالاختصار ، عما اعتمد واعليه واستدلوا به عسى ان نجد ضاللتنا المنشودة في استطراد ذينك الطريقين .

٦ - طريق الفلاسفة

الفيلسوف ، حين توجه الى ذلك المجهول واراد كشف الغطاء عنه اعتمد على عقله واستند الى فكره و تكلم حول الموضوع بمنطقه وبرهانه فأبان بزعمه ، ان الانسان من اين جاء؟ والى اين يروح؟ وماذا ينبغى له ان يعمل؟ . والفلاسفة افرقوا في هذه المسئلة فرقتين اصليتين .

١ - الماديون .

٢ - الالهيون .

والأولى منهما فرقة لم يتجاوز اشعة ابصارهم عن افق المادة ولم يخرق اضواء افكارهم حجب المادة فما نفذت انظارهم الى ما وراء حدودها و ثغورها وما خرجت عن محيطها الضيقة المنحطة الى عالي مقام وجودها فلم تقدر ان تدرك حقيقة « الوجود »

على ما هو عليه من السعة والأحاطة فلا جرم تَوَحَّلَتْ افكارهم فى مَوَحِّلِ «المادة»
الغاسقة وتورطت البابهم فى ورطتها ، فلم يقدرُوا ان يتخلصوا منها ويخرجوا الى
عرصة النور، فتوهموا ان كل شىء موجودٍ ببدءٍ « من المادة » ويعود اليها .
فعند هؤلاء لاشىء فى الوجود سوى المادة وشتونها اى حالاتها وتطوراتها
وتبدلاتها فمنها المسير واليه المصير وفيها التحول ومنها التحويل واليه التغييرُ
وعنها التغيير ا هو المبدء وهو المنتهى وفيها النشؤُ والارتقاء .

تلك الفرقة هى التى كان التعبير عنها فى الدهور الخالية باسم «الدهريين»
وفى عصرنا يعبر عنها غالباً باسم «الماديين» .

الماديون
الالهيون من
الفلاسفة فى
اعتقادهم للمبدء

والثانية منها فرقة نظروا بابصار نافذة و بصائر واسعة و عقول ناقدة و قلوب
واعية و صدور منسرحة فنظروا الى عالم الوجود ونظام الكون من اعلى شاهقٍ يمكن ان
يهوى الانسان بجناح عقله و طائر فكره اليه و يقدر ان ياوى له و يصعد عليه فشاهد و امن
عالم « الوجود » محيطاً اوسع و منظرأ ارفع و اقليماً افسح ، تكون المادة بحدودها
الفسيحة و تغورها الوسيعة فيه كتحلقةٍ فى فلاةٍ و ادركوا رفعةً و علواً تكون « المادة »
و ما منها اخس و اردل و ادون و انزل من ان يبدء منه « الوجود » و يعود اليه و تجلتى لهم
الحقيقة بان الموجود ابتداءً من « الوجود » و اليه ينتهى و يعود و باشراف نور الوجود على
« المادة » استحققت ان يطلق عليها عنوان « الموجود »

فهذه الفرقة عرفوا ان المبدء الاعلى موجود مجرد عن المادة ، مقدم عليها ،
علةً لتحققها و نشأتها ، موجب لتطورها و تحولها و تنوعها ، و هو حى ، عالم ، مريد ،
قادر ، ازلى ، ابدى ، سرمدى ، فياض ، منزّه عن التبدل و التغيير و التحول و التنقل ،
وكما هو المبدء المفيض للكل يكون هو المرجع الوحيد للكل هو يرث الارض
ومن عليتها و كل اليه يرجعون و هو ابدع العقول و انشأ النفوس و فطر الارض

١ - اشارة الى الاية الشريفة : « نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون »

(الاية المتممة للاربعين من السورة الـ ١٩ - سورة سرحم -)

والسَّمَاءِ وَخَلَقَ الْخَلْقَ عَلَىٰ أَصْلَحِ نِظَامٍ وَاحْسِنِ طَرَاذُوكُمْلَ وَجْهِهِ وَاتَّقِنِ صِنْعَ . «صُنْعَ
اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» - ٨٨

٧ - الإنسان عند الفريقين

ومما يجب ان لا يغفل عنه هو ان حال الإنسان على زعم الفريق الأول وباقتضاء مبادئهم وبحسب عقائدهم ومبادئهم حال سائر الموجودات المادية من حيث الكمال والسعادة فليس له كمال مخصوص ولا سعادة خاصة حقيقية ينبغي له ، فضلاً عن ان يجب عليه ، ان يسعى لتحصيلها كى يجتهد فى سبيل معرفتها ويجد ويكده فى سبيل تطبيق حركاتها وسكوناتها الأرادية على سيره الطبيعي نحو كما له النوعى .

الانسان في نظر
الماديين الالهيين

وذلك لان المادى يتطور فى المادة و يتحول فيها ولا يصير شيئاً خارجاً عن اقليمها مفارقاً عن تأثيرها فهو مادى كيف كان وبأية صورة تحصل وبأى لباس تلبس : مادى فى البداية ، مادى فى النهاية ، ومادى بينهما على كل حالة فاذا مات فات .

لكن الإنسان عند الفريق الثانى موجود شريف مكرم ، مقامه من حيث روحه ونفسه فوق المادة والماديات وله كمال فوق الكمالات الموجودة لسائر الموجودات فله سعادة تختص به ان عاش فى حياته على ماينبغى له وشقاوة خاصة اذا انحرف عن صراطه المستقيم ، الموصل الى كماله المقرر لنوعه ، الممكن المقدر لشخصه ، وهو لا يفنى بفوات جسمه ولا يبطل بانحلال جسده .

هذه الفرقة قدّرت لوصول الانسان الى كماله اللاتىق به وسعادته الخاصة له نهجاً علمياً وستناً عملياً وقرّرت لسلوك تلك الطرق واجراء هذه المقررات والسُنن

برنامجاً منطقياً .

٨ - طريق الأنبياء والرسل

الرّسول بادعاء ارتباطه بعالم الغيب و اتّصاله بنشأة الملكوت و اتّجاهه شطر قدس الحقّ واستفاضته من مبدء الكلّ واستناده بالألهام والوحي يقول:

انّ للموجودات مبدءاً منزهاً عن المادّة و غواشيها لا يعتريه نواقص الطّبيعة ولا يشوبه نقائص المادّة والمادّيّة وهو بقدرته الكاملة خلق كلّ شيء و بحكمته الفائقة اتقن كلّ ما خلق .

المادّة وما من صُقعها والمفارق وما من سنخه، كلٌّ من رَشَحَات فيضه ومن آثار صنعه . فكلّ ما سواه قائم به موجود بايجاده وهو قائم بنفسه، موجود بذاته . وهو على كلّ شيءٍ قدير وبكلّ شيءٍ عليم خبير . هو المبدء الاعلى واليه المرجع في الأخرى لا اله الا هو الوحي القيوم المبدع المشييء ، الخالق المُدرِك المُريد القادر هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن .

دعوى الانبياء
والرسل

النّبى يقول :

الله الذى خلّق الأشياء بعنايته ، خمّر طينة الإنسان بيدي قدرته ونفخ فيه من روح عظمته فشرّفه بذلك وكرّمه وفضّله على كثير من خلقه، وقدّر له سعادةً وكمالاً وقرّر في جبلته حبّ الكمال التلائق به واعدّ له طريق الوصول اليه فارشده الى ذلك الطريق كى يسعى فيه فيفوز بخيره وصلاحه فى معاشه و بسعادته فى معاده ويرجع الى مبدئه فانياً عن ذاته باقياً ببقائه ، تعالى شأنه ،

قوله الحق :

«وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» - ١٧٠.

٩ - المأم ، ببعض ما استند اليه لاثبات المبدء

لانريد، في هذه الورقيات ، استقصاء الأدلة لكل فريق ولا البحث التحليلي عن
عن كل دليل بل نريد ان نشير الى بعض ما استند اليه كل فريق به ليكون طريقاً الى
معرفة طريقه . فنقول :

ههنا طرق مختلفة يجمعها عنوانان :

١ - فتى صناعي .

طرق اثبات المبدء

٢ - فطري ارشادي .

فالأول هو ما يكون التعبير عنه وفق مصطلحات القوم في المنطق الصناعي
والعلم الألهي البرهاني وسائر العلوم العقلية وفنونها ويكون التنسيق في قوالب القواعد
المقررة في تلك العلوم وعلى اسلوبها . فيكون البيان ، لأهل الاصطلاح انسب والأسلوب
الى درك الخواص اقرب .

والثاني ما يكون التوجه فيه ، في مقام التعبير و البيان ، الى الشعور الذاتى
والدرك الفطري والفهم العمومى العرفى والمنطق الطبعى والايمان القلبى فيكون
الخاصة والعامّة في التأثير عنه ، تصديقاً والتحقق به ، ايماناً وتسليماً ، على شرع سواء
وعلى منهج الأستواء .

فالمتكلمون والفلاسفة، طبيعيتهم^١ والهيئتهم، مشتائيتهم واشراقيتهم، بل والعرفاء ايضا، لكون مقامهم مقام الاثبات على امثالهم، وهم الخواص، بل وللتحقيق والثبوت عند انفسهم، يسلكون الطريق الأول.

والانبياء والرسل، لكونهم مبعوثين على كافة الناس و مرسلين الى عامة الخلق تكون دعوتهم متوجهة الى العالم والجاهل والعارف والعامي والحاضر والبادي والكاتب والامسى، يركنون الى الطريق الثاني.

١٠ - الطرق الصناعيّة

نشير هنا الى ما استدلّ به المتكلم وما استدلّ به الفيلسوف الطبيعيّ وما استدلّ به الفيلسوف الالهىّ ولانطيل الكلام بالشرح والتقد والحلّ والعقد في كلماتهم فانّ لها مقام آخر. فنقول، تلخيصاً من كلماتهم :

المتكلمون، في مقام الاستدلال على وجود الخالق، يقولون :

« انّ العالم (اى الاجسام والأعراض) حادث فلا بدّ له من محدث . فان كان هو ايضا حادثاً داراً او تسلسل فلا محالة يكون المحدث قديماً قائماً بذاته، وهو خالق الكلّ وموجد ما سواه » .

ودليلهم هذا ، كما ترى، يبتنى على امور:

١ - كون العالم حادثاً، اى موجودا بعد ما لم يكن .

٢ - افتقار الحادث الى ما يُحدّثه .

١ - ارهد بالفيلسوف الطبيعي هنا من يتحرى اثبات الواجب القديم من طريق مباحثه الطبيعية وليس المراد به الفيلسوف الطبيعي المادى الذى ينكر الصانع الواجب و يقابل الفيلسوف الالهى، المعتقد بالاله المبدع الخالق .

٣ - وجوب الأنتها ، الى محدثٍ لم يكن حادثاً بل كان قديماً ازلياً .

٤ - استحالة الدور والتسلسل .

وهذه الامور بعضها ضروريّ وبعضها نظريّ استدلتوا على صحتها واثباتها فان

تمت هذه الأمور وصحت ، تمّ الدليل وثبت المدلول .

ثمّ يستدلون على صفات الخالق واحده فواحده بالنظر في احوال المخلوق .

١١ - طريق الفيلسوف الطبيعي

الفيلسوف الطبيعي استفاد مما تسلّمه في العلم الطبيعي ويقول :

« وجود الحركة يدلّ على وجود محرّكٍ فان كان هذا المحرّك متحرّكاً ايضاً

يحتاج الى محرّكٍ آخر ، وهكذا ، و من الممتنع اتصال المحرّكات لالي نهايةٍ فلا

محالة هناك محرّك غير متحرّك ، هو المحرّك الأقدم والمبدء الاول . »

هذا الدليل ايضاً يبتنى على امور :

١ - استلزام وجود الحركة وجود محرّك .

٢ - عدم كون الحركة ذاتية للمتحرك .

٣ - استحالة اتصال المحرّكات لا الى نهاية .

٤ - استحالة كون اتصالها على وجه دائر .

هذه الامور ايضاً بعضها بديهيّ لا يحتاج الى كسب ونظر والبعض الآخر نظريّ

احتجوا لها ، فان تمت تمّ ما أُفيد وثبت بها ما اريد .

فالفيلسوف الطبيعيّ ، وكذا المتكلّم ، ينظر الى المادّي والمحسوس ويتدرّج

منه الى معرفة المفارق والمجرد و بتعبير آخر يستدلّ بالمعلول على العلة وبالآثر على

المؤثر . واما الحكيم الفيلسوف الالهي فينظر ابتداءً الى الوجود ويتوجه من العلة الى المعلول .

١٢ - طريق الفيلسوف الالهي

الفيلسوف الالهي يقول :

دليل الفيلسوف
الالهي لاثبات
الصانع

« كل موجود من حيث ذاته وبلا اعتبار غير معه امّا ان يكون بحيث له الوجود من نفسه او لا يكون .

« فان كان فهو قائم بنفسه قيومٌ لغيره واجب بذاته من ذاته لذاته .

« وان لم يكن يجب ، فلامحالة لم يكن ممتنعاً ايضاً ، ضرورة كونه مفروض الوجود، فهو في ذاته وبحسب نفسه سواسية النسبة الى الوجوب والامتناع فليس بواجب ولا ممتنع .

« ولكنّه بحسب نسبته الى علته وبشرطها، اذا كانت علةٌ ، يصير واجبا واذا لم تكن، يكون ممتنعاً . واما مع قطع النظر عن النسبة والشرط فلا وجوب ولا امتناع بل له الامكان بالذات كما كان باعتبار وجود علته واجبا بالغير وباعتبار عدمها ممتنعاً بالغير .

« فالموجود امّا واجب واما ممكن والممكن لا يوجد الا بالغير .

« ولا يمكن ان يكون ذلك الغير ممكناً لا ينتهي الى واجب ، لاستلزامه تقوّم الممكن بمثله في الامكان، ان دار وعدم تحقّق ممكنٍ ان فرض ذهاب سلسلة الممكنات لالى انتهاءٍ .»

بل كما يقولون :

« كل سلسلة مرتبة من عللٍ ومعلول، سواء كانت متناهية^١ او غير متناهية، لا بد لها من طرف لا يكون معلولاً لأن السلسلة ان كانت شاملة لعلّة غير معلولة فلها الطرف وان لم تكن شاملة فتحتاج الى علّة خارجة عنها وهي تكون بالضرورة غير معلولة والا كانت داخلة في السلسلة المفروضة وكان الاحتياج بحاله، وقد فرضت خارجة، فعلى كل تقدير لا بد من طرف والطرف واجب بنفسه.

« فكل سلسلة، ينتهي الى موجودٍ واجب بذاته ومن ذاته. »

ثم يستدلّ الفيلسوف بالنظر في ما يلزم الوجوب والامكان، على صفاته، وبصفاته على كيفية صدور افعاله عنه، واحدا بعد واحد.

١٣ - تذييل

اوردت في بعض رسالاتي^٢ التي دونتها لتحقيق بعض المسائل من الحكمة العالية المتعالية بياناً يناسب هذا المقام وهو ان تمّ يكون برهاناً آخر بلسان الحكمة الالهية، من المؤلف على المطلوب، وهو ان لم يكن اوثق من غيره، يكون اخف مؤنة للنظر واقرب تناولاً لمن استبصر. وتقريره هكذا:

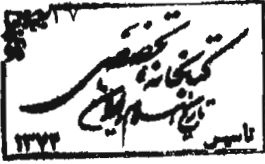
« الموجود، في وجوده، على قسمين :

دليل
من المؤلف
لايات المبدء
القيوم

١ - ومن هذا القبيل يكون الامر اذا فرضنا ان وجود الممكنات على وجه دائر، لان الاشتمال فيه على جملة متناهية كل واحد منها معلول ووجود المعلول من دون طرف، هو العلة، غير معقول.

٢ - عنوان هذه الرسالة « النظرة الدقيقة في مسألة بسيط الحقيقة » كتبها في سالف

الايام لتحقيق ما لهج به الحكماء من قولهم : « بسيط الحقيقة كل الاشياء »



١ - ناقص .

٢ - كامل .

وليس بينهما واسطة ، حقيقة ، اي ليس حدّ بين ما هو كامل ، بقول مطلق ، وبين ما هو ناقص .

« وذلك لانّ ما لا يصدق عليه انه كامل بقول مطلق فهو ناقص .

« والكامل ، بقول مطلق ، لا يكون الا بسيطاً ضرورة ان التركيب مناط الافتقار والافتقار رباط للنقصان وكيف لا والمركب لا يتحقق الا باجزائه والأجزاء لا يتركب الا بتركيب عن فاعل ولغاية .

« والناقص لا يكون ، بالحقيقة ، الا مركباً ولا اقلّ من كونه مركباً من امر وجوديّ به قوامه وتحققه ومن امر عدميّ يكون لديه فناء وجوده ونفاده وعليه يترتب له مرتبة خاصة بها حدّه وعماده .

« والى هذا يشير كليّتهم المشهورة ، « كلّ ممكن زوج تركيبيّ له ماهية ووجود »

« فكلّ ممكن ، كما قالوا ، مركب وكلّ مركب ناقص . »

« ثم بعد ما اوردت انّ ممّا يلزم « الكامل المطلق » امور من « الواجديّة لكلّ

الأشياء » و « الواحديّة » و « الأحديّة » و « الأزليّة » و « الأبدية » و من « انه عين الاوصاف الوجودية الكمالية ، كالعلم والأرادة والقدرة واضرابها من الصفات الحقيقية والتعوت الذاتيّة » و بعد ما استدلت على اثبات كلّ واحد منها ببيان وافٍ تفصيليّ واجبت عمّا يمكن ان يتشكك في تقسيم الموجود الى قسميه ويتوهم عدم صحته بجواب شافٍ كافٍ قلت :

« ان قلت : سلّمنا انّ ذلك التقسيم صحيح صادق وانّ كلّ واحد من

١ - وعندى في هذه الكلية مناقشة تستلقت النظر وهي ان موضوع الكلية بهم بظاهرها

حتى نفس « الوجود » و « الماهية » من الممكن المركب منهما ، وليس كلّ منهما مركباً والا لتسلسل والجواب عنها ان الكلية من قبيل المعام المخصوص بالمخصص العقلي .

القسمين يمكن ان يكون في الخارج متحقق واقع ولكن امكان الشيء اعم من وقوعه .
 « نعم قسم الناقص ثابت مشهود لا يمكن ان يُنكِر وقوعه وتحققه الا من
 انكر كل شيء حتى نفسه بل وانكاره : واما الكامل بقول مطلق ، فليس مشاهداً
 وقوعه ولا يكون بتلك المثابة من الظهور والثبوت وجوده فاثباته بهذا النحو من البيان
 والمناظرة لا يكون الا من باب المصادرة .

« فما هو الدليل على وقوعه؟ وبما ذا يستدل على تحققه ووجوده؟

« قلتُ : قد تقرّر في مقرّره ان « الأصالة في التحقق والتقرّر » امر سُجّل
 للوجود وليس لما سواه ، وهو ما يعبر عنه بـ « المهية » سوى حظّ الاعتبار والانتزاع
 من الحدود واما العدم البحث فليس له حظّ حتى من اعتبار الحظّ .

« وقد دريت انّ المناط في تقسيم الوجود الى الناقص والكامل هو نقصه او كماله
 في نفسه وذاته وعلى هذا فلا يعقل ان يوجد ناقص الا ان يكون وجوده مستفاداً من الكامل
 وقوامه به وتحققه منه .

وجود الناقص
لا بد وان يستفاد
من الكامل

« وذلك لانه لا يخلو اِما ان يكون وجود الناقص من ذاته وبداته ولذاته فيكون
 غنياً بنفسه ازلياً ابدياً في وجوده فلا يكون ناقصاً وهذا خلاف المفروض واما ان يكون
 وجوده من غيره ، ولا محالة ، يكون بغيره ايضاً .

« فان كان ذلك الغير مما ثلّاه في النقصان يكون حاله كحال في الاحتياج .
 فلانماص الا وان ينتهي الى غير يكون ذلك الغير كاملاً ، قائماً بذاته ، غنياً عن غيره وهو
 ليس الا نفس الوجود وصرفه ومطلقه الذي لا ثاني له ولا غير تجاهته . ليس كمثل شيء
 والموجودات طرأ لوجوده كفىء وهو الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم
 يكن له كفواً احد .

« هو الذي ليس له نداء يعادله ولا ضدّ يعانده ويقابله ولا كفواً يشاركه ويمائله
 وهو القيوم الذي بوجوده قام كل وجود ومن فيضه حدث كل موجود كما ورد في
 الحديث « يا مَنْ كُلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٌ بِهِ »

«الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ... نُورٌ عَلَى نُورٍ. يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ
مَنْ يَشَاءُ... ١٣٥»

١٤ - إشارة

رايت ان انقل^٢ في هذا المقام ولائيات هذا المرام ما انتجه فكري القاصر في جملة
«اصول» استستها في بعض مزبوراتي الناقصة بلسان الحكمة والعرفان لعله كان نقله
واقعا في محله و صار مرجعاً مفيداً لأهله . وهاهي ثلاثة اصول من تلك الاصول
يستبصر بها من تيسر له الوصول الى المأمول :

« اصل^١ : وعاء «الواقع» اوسع الأوعية المتصورة واشملها . فهو يسع ما يقع
في اى وعاء ، مكاناً كان او زماناً او دهرأ او سرمدأ ، وعيناً خارجياً كان او ظلاً ذهنياً ،
بل يسع نفس الأوعية ويشملها .

« اصل^٢ : الوجود المطلق ، واعنى به هنا مطلق الوجود ، مقدم على العدم في متن
«الواقع» سابق عليه في نفس الأمر وحقّ التحقّق وكيف لا وفرض تأخره عنه ومسبوقيته
به مستلزم لعدم تحقّقه من راس .

« اصل^٣ : الوجود بقولٍ مطلق لا يعقل ان يكون مسبوقاً بالعدم ، لا لمجرد ان
الشيء لا يقبل ضده بل لامتناع ان يوجد بعد حيث لا وجود لشيء يوجده من قبل

١ - السورة الـ ٢٤ (النور) .

٢ - والمرجو من فضل الناظر في هذا المنقول وما قبله ان يعذرني في خروجي من طور

هذا التأليف حرصاً على تبيين هذا الموضوع المهم .

ولا اقتضاء لذاته ان يكون موجودا والا لم يكن يسبقه العدم^١.

١٥ - الطُّرُق الارشاديّة الفطريّة

استناد الأنبياء والرّسل واعتمادهم في دعوتهم الى الله^٢ ليست بالحقيقة الا بطريق واحد ومن وجه فارد وهو ارشاد النّاس الى فطرتهم المستقيمه وإيقاظهم من الرّقدة والغفلة وانقاذهم من ورطة الهلكة والظلمة وهدايتهم الى عرصة النور والبهجة .

«قَالَتْ رُسُلُهُمْ: آفَى اللّهِ شَكُّكُمْ، فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ...»^{١٠}

«قَالَتْ رُسُلُهُمْ: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...»^{١١}

كيفية استدلال
الانبياء والرسل

١٦ - آيات القرآن المجيد

ولنورد من القرآن المجيد امودجاً ممّا يشير الى ما اعتمد عليه بعض الأنبياء

العظام في هذا المقام فانظروا اعتبر :

١ - هذا الاصل يؤكد الاصل الثاني ويعاضده.

٢ - لا في ادعائهم الرسالة من جانبه فانهم في هذه الدهوى يستندون الى المعجزة ويعتمدون غالباً على اتيان الاية واما في دعوتهم الى الله قد يذكرون المعجزة ايضاً فتدبر .

٣ - من السورة الب ١٤ (ابراهيم)

ورد في قصة شيخ الأنبياء ، ابراهيم :

« فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ : هَذَا رَبِّي .»

« فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : إِنِّي لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ ٧٦ .»

« فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ : هَذَا رَبِّي .»

« فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ٧٧ .»

« فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ : هَذَا رَبِّي ، هَذَا أَكْبَرُ .»

« فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨

« إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ،

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٧٩ .»^١

وفي قضية حاجته ايضاً :

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ؟

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ :

« رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ .»

« قَالَ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ .»

« قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا

مِنَ الْمَغْرِبِ : فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ... ٢٥٨ .»^٢

طرز احتجاج
ابراهيم لابنات
الصانع

١ - من السورة الذ ٦ (الانعام) .

٢ - من السورة الثانية (البقرة) .

١٧- ووردت فى كيفية دعوة موسى لفرعون وقومه :

« قال : فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ؟ ٤٩ »

« قالَ : رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ، ثُمَّ هَدَى ٥٠ .

« قالَ : فَمَا بِالْأُولَى ؟ ٥١ .

« قالَ : عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّىَ . فِى كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنْسَى ٥٢ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّتْكُمْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ٥٣ كُلُّوْا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ٥٤ »

وفىها ايضا وردت :

« قالَ فِرْعَوْنُ : وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٣٢ »

« قالَ : رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢٤ »

« قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : أَلَا تَسْتَمِعُونَ ٢٥٢ .

« قالَ : رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٢٦ .

« قالَ : إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٢٧٢ »

« قالَ : رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ٢٨ »

« قالَ : لَعْنِ اتَّخَذَتْ لِهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ٢٩ »

١ - من السورة الـ ٢٠ (طه)

٢ - هذا الكلام اى نسبة الجنون الى موسى صار مطرحةً للانظار توجيهاً واعتراضاً وقد كتبت رسالة سميتها « راي العقل السليم فى ماجادل فرعون به الكلمه » نقلت فيها ما قيل فى هذا الموضوع وشرحت الموضوع بما هو الحق عندى شرحاً وافياً .

« قَالَ : اَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ؟ ٣٠ »
 « قَالَ : فَاتِّبِعْ بِهَا اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ٣١ »
 « فَاتَّقِ اعْصَاهُ فَاِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُّبِينٌ ٣٢ » وَتَزَعُ يَدَهُ فَاِذَا هِيَ
 بِيضٌ لِّلنّٰظِرِيْنَ ٣٣ ١

١٨ - ومما ورد في دعوة نبي الاسلام

« قُلْ : مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ ؟ اَمْ مَنْ يَمْلِكُ
 السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ ؟ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرِجُ الْمَيِّتَ
 مِنَ الْحَيِّ ؟ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ ؟

« فَسَيَقُولُونَ : اللهُ فَقُلْ : اَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ ؟ »

« فَذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ اِلَّا الضَّلٰلُ فَاَتَىٰ

تُصْرَفُونَ ٣٢ ؟ ٢

ومنها :

« اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوْا فِيْ اَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

اِلَّا بِالْحَقِّ ... ٨... ٣ »

« اللهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ١١ ٣. »

« يُخْرِجُ الْمَيِّتَ عَنِ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ١٩ »

« وَمِنْ آيٰتِهٖ اَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ٢٠ »

١ - من السورة الـ ٢٦ (الشعراء).

٢ - من السورة الـ ١٠ (يونس).

٣ - آيات من السورة الـ ٣٠ (سورة الروم).

«ومن آياته اَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا بِهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً اِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ٢١

«ومن آياته خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضَ وَاخْتَلَفُ السِّنِّيْنَ وَالْوَانِيْنَ... ٢٢
«ومن آياته منامكم بالليل والنهار... ٢٣»^١

ومنها ايضا :

«هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ اِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ،
وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا، جَاءَتْهَا رِيحٌ عاصِفٌ وَجَاءَهُمُ
الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا اَنْهُمْ اُحِيْطَ بِهِمْ ، دَعَا اللّٰهَ مُخْلِصِيْنَ
لَهُ الدِّيْنَ .

«لَقَدْ اَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ ٢٢

«فَلَمَّا اَنْجَيْتَهُمْ ، اِذْ هُمْ يَبْتَغُوْنَ فِي الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا اَيُّهَا
النَّاسُ اِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلٰى اَنْفُسِكُمْ... ٢٣»^٢

ومنها :

«قُلْ : هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ ؟ قُلْ :
اللّٰهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ ، فَاَنْتِ تَتُوفَكُوْنَ ٣٤

«قُلْ : هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي اِلَى الْحَقِّ ؟ قُلْ : اللّٰهُ
يَهْدِي لِلْحَقِّ ، اَفَمَنْ يَهْدِي اِلَى الْحَقِّ اَحَقُّ اَنْ يُتَّبَعَ اَمْ مَنْ
لَا يَهْدِي اِلَّا اَنْ يَهْدِي ؟

«فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَ ؟ ٣٥»^٣

١ - آيات من السورة الـ ٢٠ (سورة الروم)

٢ - الايات من السورة الـ ١٠ (سورة يونس)

٣ - من السورة الـ ١٠ (يونس)

ومنها:

«اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، يَفْصَلُ
الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ» ٣٢، ١

ومنها:

«قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ قُلْ: اللَّهُ. قُلْ: أَفَأَتَّخِذْتُمْ
مِنْ دُونِهِ آلِهَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا...
«إِنَّمَا جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ، فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ:
قُلْ: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» ١٦، ٢

دلالات التوحيد
بلسان القرآن
المجيد

ومنها:

«وَلَكِنَّ سَأَلْتَهُمْ: مَنْ خَلَقَهُمْ؟ لَيَقُولُنَّ: اللَّهُ. فَاتَىٰ
يُؤْفِكُونَ» ٨٧، ٣

ومنها في بيان صفاته:

«هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، هُوَ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٢٢
«هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ،
الْمُهَيِّمُنُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣
«هُوَ الْخَالِقُ، الْبَارِيءُ، الْمُصَوِّرُ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ، يُسَبِّحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ٢٤، ٤

١ - من السورة الـ ١٣ (الرعد).

٢ - من السورة الـ ١٣ (الرعد).

٣ - من السورة الـ ٤٣ (الزخرف).

٤ - الآيات ٢٢-٢٤ من السورة الـ ٩٥ (العشر).

١٩ - تكملة

مما يناسب الإشارة اليه هنا ان القرآن المجيد وان كان في مقام الدعوة الى الله سلك طريق الارشاد الى فطرة الناس كما هو ديدن سائر الانبياء ودأبهم ولكنه اشار في بعض آياته الى طريقى الاحتجاج كليهما : الاحتجاج من المعلول الى العلة ومن المحسوس الى المجرد ومن الطبيعية الى ماورائها ، كما كان طريق المتكائم والطبيعى ، والاحتجاج من نفس العلة والانتقال النظري منها الى المعلول ، كما كان مسلك الصديقين من الحكماء الألهيين والعرفاء الواصلين الكاملين :

العوهدين
طريقين

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ .

« أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

٢٠ - تذكرة

في كلمات ائمة الشيعة المعصومين ، اولياء الله العارفين المكرمين ، وفي خطبهم ولاسيما في « نهج البلاغة » لعلى امير المؤمنين ويعسوب العارفين وفي « الصحيفه » للامام سيد الساجدين وزين العارفين والعابدين في هذا الاسلوب ، مقتبسة من القرآن الحكيم والنور المبين ، ما ينشر منها الصدور و يتنور بها الألباب والعقول فيتجلى الحق في الأرواح

وعلى النفوس وتطمئن بعرفان الله وذكره، القلوب .
وهكذا في مباحثاتهم مع منكرى الألوهية فَنَتَبَّرَكَ هنا بنقل مارواه شيخ مشايخنا،
الصدوق (ره) في كتابه «التوحيد» - باب القدرة الصفحة الك ١١٥ -

٢١ - نقل حديث

حدث الصدوق بأسناده عن ابي منصور المتطبب انه قال اخبرني رجل من اصحابي قال : كنت انا و ابن ابي العوجاء و عبد الله بن المقفع في المسجد الحرام فقال ابن المقفع : ترون هذا الخلق واومى بيده الى موضع الطواف ما منهم احد اوجب له اسم الانسانية الا ذلك الشيخ الجالس ، يعنى جعفر بن محمد (ع) اما الباقر فرعاع وبهائم .

مناظرة ابن ابي
العوجاء

«فقال له ابن ابي العوجاء : وكيف اوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟
قال : لأنى رايت عنده ما لم ارعندهم ، فقال ابن ابي العوجاء : لا بد من اختبار ما قلت فيه ، منه .

فقال له ابن المقفع : لاتفعل ، فانى اخاف ان يفسد عليك ما في يدك . فقال :
ليس ذلك رايبك ولكنك تخاف ان يضعف رايبك عندى في احلالك اياه المحل الذى وصفت . فقال ابن المقفع : اما اذا توهمت على هذا ، فقم اليه وتحفظ ما استطعت من الزلل ولاتثن عنانك استرسال يسلمك الى عقاب وسمه مالك او عليك .

قال : فقام ابن ابي العوجاء وبقيت و ابن المقفع فرجع الينا فقال :

يا ابن المقفع ما هذا ببشر ، وان كان فى الدنيا روحانى يتجسد اذا شاء ظاهراً
ويروح اذا شاء باطناً فهو هذا .

وقال له : وكيف ذاك ؟ . فقال : جلستُ اليه ، فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني . فقال : ان يكن الأمر على ما يقول هؤلاء ، وهو على ما يقولون ، يعني اهل الطوائف ، فقد سلموا وعظمت وان يكن الأمر على ما تقولونه ، وليس كما تقولون ، فقد استويتم بهم . فقلت له : يرحمك الله واى شىء يقولون ؟ ما قولى وقولهم الا واحد . قال : فكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون : ان لهم معاداً وثواباً وعقاباً ويدينون بانّ للسماء الهأ وانها عمران وانتم تزعمون انّ السماء خراب ليس فيها احد ؟ قال : فاغتنمتها منه ، فقلت له : ما متعه ، ان كان الأمر كما تقول ، ان يظهر لخلقهم ويدعوهم الى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ؟ ولم احتجب عنهم وارسل اليهم الرسل ، ولو باشرهم بنفسه كان اقرب الى الأيمان به ؟

فقال لى : ويلك : وكيف احتجب عنك من اراك قدرته فى نفسك ، ونشوك ولم تكن ، وكبرك بعد صغرك ، وقوتك بعد ضعفك وضعفك بعد قوتك ، وحققك بعد صحتك وصحتك بعد سقمك ، ورضاك بعد غضبك ، وغضبك بعد رضاك وحزنك بعد فرحك وفرحك بعد حزنك ، وحبك بعد بغضك وبغضك بعد حبك ، وعزمك بعد ابلائك وابلائك بعد عزمك وشهوتك بعد كراهتك وكراهتك بعد شهوتك ، ورغبتك بعد رهبتك ورهبتك بعد رغبتك ، ورجاك بعد بأسك وبأسك بعد رجائك ، وخاطرك بما لم يكن فى وهمك وعزوب ما انت معتقده عن ذهنك ؟ وما زال يعدّ على قدرته التى هى فى نفسى التى لا ادفعها حتى ظننت انه سيظهر فى ما بينى وبينه .

البيات الامام
الوحيد على ابن
ابى العوجاه

٢٢ - حديث آخر

وحدث الصدوق ايضا بالأسناد عن هشام بن الحكم (فى باب ان الله ،

عز وجل ، لا يُعْرِفُ إِلَّا بِهِ - (ص ٣٠٠ -) انه قال : قال لي ابوشاكر الدقني :
ولما لي مسألة تستأذن لي على صاحبك فانتي قد سألت عنها جملة من العلماء فما
لجلبوني بجواب مشبع .

« فقلت هل لك ان تخبرني بها ففعلت عندي جواباً ترتضيه؟ فقال : انني احب
ان القى بها ابا عبد الله (ع) . فاستأذنت له . فدخل . فقال له : لتأذن لي في السؤال ؟
فقال له سئل صمًا بدالكك . فقال له : ما الدليل على ان لك صانعاً؟ . فقال (ع) :

« وجعلت نفسي لا تخلو من احدى جهتين : اما ان اكون صنعتها انا ، او صنعتها
غيري ، فان كنت صنعتها فلا اخلو من احد معنيين : اما ان اكون صنعتها وكنت موجودة ،
او صنعتها وكننت معدومة فان كنت صنعتها وكانت موجودة فقد اسغنت بوجودها عن
صنعها وان كانت معدومة . فانك تعلم ان المعدوم لا يحدث شيئاً .

يقصد ثبت المعنى الثالث ان لي صنعا وهو الله رب العالمين .

« فقام وما احرار جوابا »

٢٣ - الدين

ما ارشد الانبياء
اليه لوصول
الانسان الى كماله
وسعادته

الانبياء والرسل يعتقدون انهم مبعوثون من جانب الخالق لممورون لأرشاد
الخلق وهدايتهم ويقولون :

لا يمكن لأحد من افراد الانسان ان يفوز الي كما له المطلوب وسعادته المبتغاة وان
يتجدد في الآخرة بالملذات الحقيقية ، التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ، الا ان يعيش
في هذه النشأة الدنياوية على نهج خلاص واسلوب مخصوص . وهو ان يجعل اعماله

١- لان غير الله . يكون مثلها فيعود الكلام فيه كما كان في نفسه في دور الامر ويتسلسل .

واقواله وافكاره، بل وكل حركة تصدر منه اوسكون يسكن اليه، منطبقاً على ما قرروا له من برنامجهم الديني وتشريعهم الالهي بحيث يأتي بما أمر به ويجتنب عما نهى عنه فكان عاملاً لكل ما سطر في برنامج حياته مطيعاً لرمة ما قرره في تنظيم حركاته وتقويم سكوناته .

الأنبياء والرسل يرشدون الناس الى :

ان الله الذي خالق كل شيء ورب كل شيء هو اعلمُ بمنافع كل شيء ومضاره واعلمُ بمصالح كل فعل ومفاسده ومع هذا هو اشد رافة واكثر حبا ورحمة للانسان من نفسه بنفسه وهو يحب ان يدرك الانسان خيره وكمال وان يحرز صلاحه وسعادته فهو بحسب عنايته الأزلية وباقتضاء تلك المحبة الذاتية الأبدية يكون مريداً لهداية الانسان بتوسيط من افراد من نوعه، كاملين في ذاتهم، صالحين بنفوسهم، مستعدين لأرشاد ابناء نوعهم ولأصلاحهم في جميع شئونهم وهؤلاء الصالحين المصلحين هم السفراء الكرام والأنبياء العظام .

برنامج الانبياء و
منهاجهم لمن
اراد السعادة

فيوحى من ناحية القدس الى صدورهم الطاهرة المنشرفة آيات بيّنات وينفث روح القدس بامر تبارك وتعالى في قلوبهم الزكية النقية سنناً قائمات ويُنزل على ارواحهم الطيبة السامية فرائض محكمات ثم يعثم الله لتلاوة آياته على الناس ويأمرهم بهدائيتهم الى منافعهم ومضارهم وارشادهم الى مصالحهم ومفاسدهم ويرسلهم لتزكيتهم ولتعليمهم الكتاب والحكمة واخراجهم الى النور من الظلمة .

وبالجملة يرسلهم الله الى عباده بكتاب مبين يحتوي على برنامج مبين ليكون دستوراً لهم لشؤون حياتهم ومنهاجاً في فنون معاشهم باعتبار صلاح فردهم ونظام جمعهم ومن حيث كيان جسمهم وعلاء روحهم كتاباً كافلاً لبيان ما يصلح لهم في حياتهم الفانية العاجلة ويصلحهم للحياة الطيبة الباقية في الآجلة بحيث لا يغادر ذلك الكتاب والمنهاج صغيرة ولا كبيرة، نافعة ولا ضارة، جليلة ولا حقيرة، الا احصيلها وارشاد اليها واصلحها: قوله تعالى .

«كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۗ ١٥١^١
 فمن آمن بهم وصدق قولهم وعمل وفق منهجهم واتى بما أمروا به في كتابهم
 وانتهى عما نهوا عنه ببيانهم يفوز فوزه وخيرته ويؤتى سعادته واجره .
 «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ
 سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ١٥٢»^٢

* * *

حقيقة الدين
 والتمدين الحقيقي

فالدين هو منهج الهى وبرنامج سماوى نزل به الروح الأمين المقدس على
 قلب الرسول المطهر يشتمل على كل ما يرشد البشر الى صراطه المستقيم وينفعه
 فى سلوك سبيل وصوله الى خيره التلائق وكما له الفائق وسعادته الحقيقية ولداته
 المعنوية .

والتمدين هو من كان خاضعا تجاه هذا المنهاج المتين، مطيعاً لما ثبت من هذا
 الدستور القويم، عاملاً وفق مواد هذا البرنامج الأتم، مسلماً وجهته لمن احسن
 اليه والعم فأرسل اليه الرسل وانزل لهدايته الكتب .

«وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
 مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ ١٢٥»^٣

١ - من السورة الثانية (سورة البقره)

٢ - من السورة ال ٤ (النساء)

٣ - من السورة ال ٤ (سورة النساء)

« كَانَ لِلنَّاسِ أُمَّةً وَاحِدَةً
فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ... »
(الآية الـ ٢١٢) (سورة البقره)

- ١ - الرسول.
- ٢ - الرسالة.
- ٣ - دلائل لزوم الرسالة العامة.
- ٤ - تحليل خاص للمؤلف سمي « للشؤون المستعصية
للمرسلة للعامة ».
- ٥ - وضع القوانين واكمل غاياتها (تبصرة).
- ٦ - تلخيص الكلام
- ٧ - بماذا يُعرف صدق الرسول في دعوى الرسالة؟
- ٨ - ما هو المعجزة؟
- ٩ - عرفان الرسول بنفس الرسالة.
- ١٠ - خواص الرسول الثلاثة.

٢- حول الرسول والرسالة
والمعجزة :

٢٦ - الرسالة ودلائلها

اتفقت كلمة ذوى البصائر النافذة ، وانعقدت عقيدة اولى الألباب الناقدة ، الذين عرفوا نظام الوجود ومبدئه واعترفوا بانّ للوجود مبدءً عالياً متعالياً عالماً مريداً قادراً حكيماً واعتقدوا بانّ الخلق لم يكن عبثاً وانّ الانسان لم يُترك سُدىً وهملاً بل فيه الكرامة والشرف وله الكمال والسعادة ، على انّ الرسالة لهداية للناس الى تحصيل كماله وشرافته امر ضرورى لنظام الكلّ وبعث الرسل شان الهى لأرشاد الانسان طريق خيره وسعادته ودلائلهم على ما استقام من الطريق ولستوى من السبل للطف رحمانى يجب عن مبدئه الكلّ .

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ... ١٥٣ »

استشهد هؤلاء الأكابر لإثبات هذا المدعى ، لزوم البعث والرسالة ، بدلائل كثيرة تصدى لتلقها ، وتقدّمها وشرحها وجرّحها الكتب المبروطة ، والاسيما كتب الفلسفة والكلام وطائفة من كتب الحديث الاسلامى ، ومن اهمّ ما استندوا اليه من تلك الدلائل دليلان :

١ - دليل « اللطف »

٢ - دليل « المدنية الطبيعية »

والأول هو ما استدل به المتكلمون ويستفاد حقاؤه من بعض الاحاديث والاخبار . والثانى هو الذى استند اليه الحكماء والفلاسفة الألهيون . وقد يترانى من بعض

ظواهر السنن والآثار :

٢٧ - دليل خاص

قد اوردت ما احتج بها لهذا الموضوع في مقدمة كتابي المسمى باسم « ادوار
 فقه »^١ و اوضحت فيها ما اراد المستدل به منه واشرت الى ما اورد به اعتراضاً عليه او
 ما يمكن ان يتوجه اليه ثم اردفتها بذكر دليل خاص كان فكري ابو عذرة طرحها
 وخاطري ابن بجدة نظمها، وفي زعمي انه اسد واقوى لأبناث ذلك المدعى من غيره
 مما احتجّت بها واستدّت اليها ولو لم يكن بهذه المثابة من القوة والسداد فيكون ،
 باليقين ، لأدراك ابناء زماننا واقناعهم انسب والى ذوق اخوان عصرنا وطباعهم اقرب .
 وهيهنا ، وبناء هذه الوريقات على الاختصار ، لايسعنا المجال ولا يقتضى البناء
 ولا الحال ان نطيل المقال بنقل تلك الأدلة والأقوال وان نذكر نقدها ونعرض
 لاستقصاء قاطبة ما احتجّت بها وفحصها كما لا ينبغي ان نعرض عن نقل الكل صفحاً
 فوجه الجمع ان نقتصر هنا بايراد ذلك الدليل الخاص الذى اطلقت عليه عنوان دليل
 « الشؤون الستة » مراعيّاً التلخيص والاختصار راجياً من الناظر ، الدقة والأعتبار . فأعر
 بصرك واجل بصيرتك وانظر الى ما يتلى عليك واستبصر .

١ - كتاب بديع فى موضوعه غير مسبوق بما يجاربه فى اصله واسلوبه وهو تاريخ
 حدوث الفقه الاسلامى ، تشريعا وتفرعا ، وتطوره من زمان صدور احكامه الى زمان
 التصدى لاستنباطها بالاجتهاد والتفريع الى زماننا ، فى اطوارها المختلفة وشؤونها المتكثرة ،
 الناشئة عن طور الاستنباطات من الفقهاء وائمة المذاهب الفقهية ، البائدة منها والخالدة ، وقد
 طبع منه المجلدان ويكون تحت الطبع المجلد الثالث ، الذى ينتهى البحث فيه بانتهاء القرن الثالث ،
 والمرجو من الفياض الرحمن التوفيق لاتمام الكتاب بتمام مجلداته (البالغة الى عشرة مجلدات)

٢٨ - الشئون الستة

قد نبهنا على انّ التّوع الأنساني له كمال خاصّ تكون سعادة كلّ فرد منه في ان يئاله ويفوز به ولا يئاله احدٌ الا بالسّعى في طريقه، وليس السّعى الا العمل، والعمل لا يبدؤ وان يكون مناسباً لتحصيل ذلك المطلوب وماحوظا فيه الوصول الى ذلك الغرض والمقصود وتلك المناسبة و الملاحظة لا تتمّ الا برعاية شئون وجهات يجب ان تعتبر في كلّ فرد وشخص، ولا تكمل الا بالتّوجه الى مناسبات واضافات تكون لكلّ من هذه الجهات مع الجهة الأخرى منها .

وتلك الشئون والجهات هي هذه:

- ١ - ما يكون لكلّ شخص باعتبار جسمه .
- ٢ - ما يكون لكلّ شخص باعتبار روحه .
- ٣ - ما يكون لكلّ شخص باعتبار عيشه في هذه النشأة الفانية الدّنيا .
- ٤ - ما يكون لكلّ شخص باعتبار حياته الطّيبّة الخالدة في الأخرى .
- ٥ - ما يكون لكلّ شخص باعتبار انه فرد من المجتمع الأنساني وعضو له .
- ٦ - ما يكون للمجتمع باعتبار انه مجتمع للأفراد والأشخاص .

هذه ستة شئون وجهات تؤثر كل واحدة منها في الأخرى كما تتأثر هي ايضاً منها بحيث يمكن ان يتقوى كلّ شأن منها بالآخر او يضعف منه فهي متفاعلة ابداءً، تكتسب كلّ واحد من كلّ واحد قوّة اوضِعاً . ثمّ تكون لهذه الشئون من حيث ذلك التأثير والتأثر والفعل و الأفعال والكسر والانكسار روابط خاصّة ، و مناسبات مخصوصة ، و اضافات متعاكسة ، ومداخلات متقابلة ، ومعاملات متعارضة او متعاوضة ، فعلى من اعتقد انّ له كمالاً ، يكون على ذمّته السّعى لان يفوز به ثمّ ان اراد ان يسعى نحو ذلك الكمال

ويسلك طريق كسبه وكسب سعادته، يجب ان يعرف تلك الروابط والمفاعلات كي يتمكن من رعاية جانبها والعمل على وفق ما يقتضيها وتعديل افراطها وتفریطها، ويتيسر له الوصول الى الصراط المستقيم ومعرفة الحد المعادل القويم فيتجاوز بالسلامة عن ذاك الصراط ويقف بالطمأنينة عند هذا الحد فينال من سعادته حظه الأوفى ويفوز بكامله نصيبه للأعلى.

٢٩ - روابط الشئون

ثم معرفة تلك الروابط والنسب والأحاطة على تلك الإضافات والرتب ومعرفة كيفية التأثير والتأثر، والتفاعل، الناشئ عن الاحوال المختصة بكل، في كل او في بعض ومعرفة كميتها ولاسيما مع التوجه الى الاختلافات التي تحدث في الاحوال والأوضاع وتحقق بحسب اقتضاء ظروف الأمكنة والأزمان ليست امراً مقدوراً ميسراً الا لمن فطر الخلق وخلق البشر واحاط بكل شيء وكل وضع وكل حال وكل شأن وكل عمل واطلع على كل ما لكل من تقع وضر وخير وشر. وهذا امر لا سبيل لانكاره بل يعترف به كل من رجع وجدانه واتبع انصافه وينهن لشخصه، بما لا يرتاب فيه، من قصوره ونقصه.

الشئون المتعلقة
روابط كل منها
مع الآخر

فانه، جل جلاله، هو الذي له ما في السموات وما في الأرض، يعلم ما بين ايدي الناس وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه، وسع كرميته للسموات والأرض. ولا يؤده حفظهما، وهو العالم المحيظ بكل شيء في اى حال، وعلى اى وضع، ومع كل شأن كان الشئ عليه، ومن كل ناحية وكل توجه، وهو اللطيف الخبير الذي لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مقال ذرة، يعلم لطيف الاشیاء وحقيقتها كما يعلم كبيرها وجليلها، ويحيط بالكل وبالكليات كما يحيط بالأجزاء والجزئيات ويطلع على ادق

الحاء الرّبط والمناسبة وبارق جهات التفاعل والمضايفة وهو خير يضح كل شيء موضعاً وحكيماً يتقن ما وضعه وصنعه .

٣٠ - معرفة الروابط

اجل، ان الله، عظم شأنه وتعالى مجده، لاسواه، كائنا من كان، يقدر ان يقدر منهاجاً صحيحاً وافياً ويقوى ان يقرر برنامجاً وسيعاً كاملاً لجميع الشئون والجهات، ناظر الى سائر النسب والأضافات، معتبراً كل ما يتصور فيها من الروابط المتضافات المتعاكسات، محققاً لرعاية ما يتحقق بينها من التفاعلات بحيث يؤدي العمل على وفقه الى نيل الكمال ويصير السالك على نظامه مدركاً للخير والصلاح فائزاً بالسعادة والفلاح في المال .

وهو، تعالى شأنه، برأفته الكاملة ورحمته الشاملة الواسعة وارادته النافذة وحكمته المتقنة قرر للناس منهاج وقدّر لها ان تكون لهم الى ذروة كمالهم طرقاتاً والى اوج سعادتهم معارج ومدارج فأمر ان ينزل بها الروح الامين على الزايات من قلوب اصفيائه وصدور اوليائه، وبعث الاصفياء ليتلّون تلك الآيات الباهرات والمناهج المحكمات على كافة عبادته وامانه لعلمهم يتعلمون الكتاب والحكمة ويعلمون فيعملون فيزكّون فيسعدون .

المنهاج الالهي قانون روعي فيه تلك الشئون وروابطها وكيفية تفاعلها فلو حظ فيه صلاح الجسم وكمال الروح ورفاه العيش في الدنيا وطيب الحياة في التشاة العليا العقبى وصيانة الحقوق المتقابلة للافراد ووظائفهم وتكاليهم ونظم المجتمع وما يصلحه ويكمله بحيث يتبع صلاح الفرد ورفاهه وعلائه وفلاحه .

تلك الرعاية وذلك اللّحاظ مما يختص بالمقوانين الالهية ومنهاجها و يكون

من خواص الأحكام السماوية وشرائعها ولا يمكن ان يوجد فى اى قانون من الموضوعات البشرية وان كان اكمل هذا السنخ من الموضوعات والمشروعات والمناهج بل ليس ولا واحد من وصحة هذه المناهج والقوانين يجترى ان يدعى كون مشروعه بهذه المثابة وذلك لأن الاحاطة والعلم بجميع تلك الشئون والجهات والتفاعلات والمناسبات لا يمكن لغير الله جل جلاله، كما اشرنا .

«ذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَى
تُؤْفِكُونَ ٦٢ هُوَ الْحَىُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ ، فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٦٥ قل : انى نهيت
ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جئني بالبينات من ربى
وأمرت ان اسلم لرب العالمين ٦٦»

٣١ - تبصرة

لعله لا يخفى على احد ممن راجع القوانين الموضوعية البشرية وتأمل فيها وتوجه الى الغرض من وضعها، انها ما وضعت الا لأجل تنظيم المجتمع نظماً يوجب دفع الهرج، اورفعه، او يوجده، مضافاً على نقض الهرج، كمالاً ما فهذه القوانين ناظرة الى حال المجتمع، بما هو مجتمع، وليست الشئون الخمسة الباقية الأخرى بنفسها معلومة لواضعى تلك القوانين فضلاً عن ان تكون منظورة لهم، ملحوظة عندهم، وفضلاً عن ان تكون روابطها كل مع الآخر وكيفية التفاعل بينها مرعية معتبرة .

فلو فرض وجود كمال ورعايته فى قانون بشرى او ادعى مدع ذلك فبالقطع

القوانين
الموضوعية
البشرية وقصها

واليقين يكون ذلك بالنظر الى شأن الاجتماع والمجتمع من هذا الحيث ولا يتعداه الى شئون اخرى تختص الافراد، من حيث هم افراد، بها فضلاً عن ان يتجاوز الى الغرض الاسنى من المراتب التي ينبغى ان يكون مرعياً للمقتن وملحوظاً للشارع في مقام وضعه القانون .

وذلك لأن احسن الاغراض و اخصها ، و ادون الغايات وانقصها فى مقام التشريع ووضع القانون، هو ان يترتب عليه دفع التشاجر والهرج والتكالب، او دفعه، و اشرفها و اسنئها ان يفوز الانسان، بماله من الشئون والجهات، بكماله الأتم الأعلى، فى تلك الشئون ، فيصير بمراعاة ذلك القانون والعمل به واتباعه، فى جسمه صحيحاً سالمأ تقياً ، قوياً ، وفى روحه زكياً حكيماً عظيماً قوياً تقياً ، و بصير عيشه فى الدنيا هنيئاً مرتابهاً، وحياته فى العقبى طيبة راضية مرضية، وتكون نفسه باعتبار شخصه مستريحة مكرمة محترمة، و مجتمعه منظماً راقياً معتدلاً، وما تقع بين تينك المرتبتين: الأخص والأشرف، من الأغراض متوسطة من حيث الخسة والشرف، كما بيناه فى محله .

وقد بيناها ايضا ان للاجتماع، اى المجتمع، كمالاً اولياً وله كمالاً ثانوياً وما لعله يمكن ان يدركه ويحرزه القوانين الموضوعية البشرية، اذا فرضت كونها كاملة، هو القسم الأول من الكمال ولا يمكن ان يتجاوزه الى القسم الثانى فهى بالنسبة الى هذا الشأن الواحد الناظر اليه من الشئون الستة ايضاً ناقص غير واف واما القوانين الالهية فهى ناظرة الى قسمي الكمال محرزة لهما اى اذا عمل على و فقها يتم الكمال بقسميها. فراجع واغتنم .

٣٢ - تلخيص الكلام

ويناسب ان يلخص ما ذكر ويجمع ما بسط فنقول :

اشارة الى
الاجراض
المرتبة على
وضع القوانين

ملخص القول ومجمله :

انّ الانسان مطبوع على حبّ الكمال، مفطور على طلب الخير، مجبول على ارادة السعادة فيلزمه ان يسعى^۱ ويجاهد، ويجب عليه ان يسلك في طريق سعيه وسلوكه طريقا يوصله الى مراده ومطلوبه فعليه ان يعمل في حياته على نهج يناسب هذا المرام، وان يعيش عيشاً يوافق هذا المقصود والمراد .

ثمّ انّ ممّا لامرية فيه ولا ريب يعتريه انّ ذلك لا يتمّ له الا اذا كان له متهاج يشتمل على موادّ مفصّلة يتبيّن له منها ما يجب عليه ان يعمل او يجتنب عنه ومن جعل الوجدان قُدوته والانصاف اُسوته بذعن اذعاناً باتّابان رسم منهاج صحيح كامل وطرح برنامج وسيع كافل لبيان كلّ ما يجعل العمل على وفقه بهذا للشأن المطلوب غير مقدور للانسان بنفسه، كائنا من كان .

وضع القانون
الكامل غير مقدور
للانسان

اوّ يمكن ان يحيط انسان على ما يحيطه من شئون افعاله واقواله وافكاره وحر كاته وسكوناته حتّى يتيسّر له ان يُحصيها وينظر اليها نظراً يمكنه من ان يعرف منها ما يصلح له وينفعه بلحاظ جسمه ومن جهة عيشه في النشأة الدنيا ثم يعلم علماً يقينياً بانّه لا يحدث من ناحيته اىّ ضرر بالمجتمع او بشخصه من حيث روحه ونفسه او من حيث حياته الخالدة في الدار الآخرة كى يصلح له ان يجعله بذلك الاعتبار، اعتبار ارتفاع جسمه منه، من موادّ برنامجه ويثبته من انظمة منهاجه فيعمل بثبات القلب وشرح الصدر على وفقه؟ .

ام هل يمكن للانسان ان يعلم ما يمكن ان يضرّه في شأن من الشئون الستة المزبورة ويحيط على جوانبها وعلى باقى الشئون ويقطع بانّه لا يوجد منه نفع له، ارجح واكثر واثّر في شأن واحدٍ من الشئون الأخر، او ازيد، حتى يلاحظه في رسمه و طرحه الموادّ ويراعيه في قرارات المنهاج ويحكم قطعياً بعدم المصلحة فيه ولزوم ترك العمل به؟

٣٣ - سرُّ التَّوجُّه إلى مدعى الرِّسالة

فمن توجّه واعتقد بانّ للافعال البشرية باعتبار الشئون السّنة المذكورة وجهَ خيرٍ ووجهَ شرٍّ وجانب نفعٍ وجانب ضررٍ وحيث صلاحٍ وحيث فسادٍ يعتقد جزءاً في نفسه وجدائه، بل ويعترف بلسانه وبيانه، بعدم احاطته، بل وعدم وقوفه، على نواحي تلك الشئون وجوانبها وعدم معرفته كيفية التفاعل الواقع بينها وحيث الكسر والانكسار، الواقع في المصالح والمفاسد الكامنة فيها، ووجه الرّاجح والمرجوح والغالب والمغلوب منها .

الانسان لم يفكر
بالطرفة بوجه
الى مدعى الرسالة

وحينئذٍ بالضرورة يتوجّه الى من ادعى الرسالة عن جانب الخالق العالم المحيط بكلّ تلك الشئون وجهاتها، البصير الخبير بجميع الجوانب وكافة الكيفيات، القادر الحكيم في صنعه وحكمه، الرّؤف الرّحيم بخلقه وعباده، فاذا شاهد من مدعى الرسالة، المطلوبة، دليلاً مؤمناً على صدق دعويله، وبيّنة قائمة على ما ادعاه، يؤمن به ويصدقها وياخذ منه ضالته المنشودة ويتلقّى بوساطته شرعته المطلوبة المقصودة ويعتزم على السعى والجهد بان يجعل اعماله منطبقة على موادّه المنضودة اى يتديّن بشرعه، ودينه ويتبعه في احكامه وقوانينه، فيعتنق خيره وكماله ويحُرز صلاحه وسعادته ويفوز فوزه ونجاحه.

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ . مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ بِصَدِّعُونَ ٤٣ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يُمَهِّدُونَ ٤٤ » (١)

٣٤ - بماذا يُعرف صدق الرسول؟

خُلِقَ الانسان وارتركز في طبيئته حبّ الذات، الذي نشأ منه حُبّ الجاه وحُبّ المقام وحبّ السمعة والشهرة، بل وحبّ الحرّية والاستقلال والاستبداد، وحبّ عدم رئاسة الغير عليه، وشذّ أن يوجد انسان شاعر ولا يوجد في سويداء قلبه وسرّ ضميره حبّ الاستيلاء على غيره وحُبّ السُلطة والرئاسة على بنى قومه، واردة الحكومة ونفوذ الأمر في ابناء نوعه، فيمكن ان يحدث منه فيه داعية الرسالة فتصير الدّواعى بحسب تكشّر افراد الانسان في ادوار وجوده واقطار بروزه وسكونه متوافرة متكاثرة .

فينشأ من تلك الدّواعى دعاومختلفة متهافئة متعارضة : حقّة وباطلة، فيقع الخلط والامتزاج بين الحقّ والباطل، اذا فُرض حقٌّ بينها، وبتحقق الشكّ والأرتياب في مقام ميّز الصادق عن الكاذب، ويخفى الحقّ المرغوب، ويشبه الأمر المطلوب على الطالب المحجوب، وينسدّ باب الوصول الى الخير والكمال ويضلّ السالك عن طريق الحقّ وادراك الصّواب :

ضرورة وجود
ميزان ليعز الحق
من الباطل في
دعاوى الرسالة

هذا مع غمض العين ممّا يحدث عنها من التّزاحم والتّشاجر بين الأفراد ويرتّب عليها من التّنافر والتّباعد والأفتراق في المجتمع فيصير الاجتماع الذي اقتضاه طباع البشر، ويلزمه بقاء النوع وحياة الأشخاص، معرّضاً للزّوال ويقوم الأفتراق والاختلال والانحلال، محلّ ما زال .

وعلى هذا فلامناص عن وجود « ميزان » يوزن به تلك الدّعاوى فيمتاز الحقّ ويجب ان يكون هنا دليل يُستدلّ به على صدق الصّادق ومِحْكٌ يُعرف به النّموءة والمغشوش، ألا وهو ما اصطّلع عليه عنوان المعجزة .

فالمعجزة معيارٌ يُعرف به الصّدق وبرهانٌ يُحتجّ به للحقّ ومِحْكٌ يمتاز

به الخالص من المشوب والخليط ، واصل ثابت يحق أن يُستند اليه لعرفان الحق واثبات الحقيقة ، وهي الوسيلة الوحيدة الوثيقة لمعرفة حقيقة دعوى المدعى والمعيار المعتمد الدقيق لتميز النبي من المتنبي .

ولعل البشر من اقدم ازمته وجوده وحياته كان متوجهاً الى ذلك كما انه بلا شك عرف اولو الالباب منهم ، هذا الميزان الفصل والمعيار الجذال و عرفوه للناس فاستندوا اليه واعتمدوا عليه و عرفوا الرسالة الحقّة به واذعنوا للرسول الصادق باتكائه فمضعوا لأدعائه ، باطاعته واتباعه .

٣٥ - ما هي المعجزة؟

إذا ادعى شخص انه رسول من الله^(١) الى العباد، مبعوث لهداية الخلق والأرشاد، وادعى ايضاً ان الله ، تعالى شانه ، مكّنه ان يفعل ما لا يقدر ان يفعله غيره من افراد

١ - وعلى هذا فتقييد « المعجزة بكون المدعى ، ممكن الصدق في دعواه ، كي يخرج منها ما اذا استنع صدقه بحكم العقل ، كما اذا ادعى انه اله ، او بحكم النقل الثابت كما اذا ادعى احد النبوة بعد نبي الاسلام المقطوع بالنقل الثابت خاتمته » (كما وقع عن بعض اجلة المعاصرين في مقدمة تفسيره) قيد زائد مستغنى عنه بل قد يكون مفسداً ولا يصلحه القول بانه « واذا كانت الدعوى باطلة قطعاً فماذا يفيد الشاهد اذا اقامه المدعى ؟ ولا يجب على الله ، جل شأنه ، ان يبطل ذلك بعد حكم العقل باستحالة دعواه وشهادة النقل ببطلانها » وذلك لان المعجزة ، اصطلاحاً ، تختص بما يأتي به مدعى الرسالة ، لا غيره ممن يدهى غيرها ، وتلك الدعوى ممكنة الصدق مطلقاً لانه لو سلم انه « لا يجب على الله جل شأنه ، ان يبطل ذلك بعد شهادة النقل . . . » فلا يسلم انه يجوز على الله ان يمكنه من ذلك و يقدره عليها بل ان مكّنه بشرائطها ومقوماتها تكون حجة قطعاً ولا بد ان يتصرف في النقل الثابت ويؤول كما هو شأن التعارض بين العقل والنقل مطلقاً والا لم تكن المعجزة حجة اصلاً فتدبر .

الانسان ، خرقاً للعادة ، فيقدر ان يشفى باذن الله مريضاً ، من دون ان يتوسل لعمله هذا بوسائل عادية يعتاد التوسل بها للتوصل اليه ، او ان يُحيى ميتاً ، وامثال ذلك من خوارق العادة ، كذلك . فيقال لادعاء هذا التمكّن والأقتدار : التّحدّي ولعمله الخارق للعادة ، عقيب هذا التّحدّي : المعجزة .

فالمعجزة عملٌ يصدر عن مدعى الرّسالة على خلاف مجارى العادة عقيب «التّحدّي» موافقاً لما ادّعاه نفس الرّسول ، واقتراح عليه غيره ، وتحريّ منه للتسليم لقوله والقبول ، مشروطاً فيها عدم تمكّن غيره من معارضته بأتيان مثله و بهذه المناسبة سُميت المعجزة : «معجزة» لأنّ من شرطها ان يكون غير الرّسول عاجزاً عن معارضته ، غير متمكّن على الأتيان بمثل ماجاء به الرّسول من معجزته .

٣٦ - فقوالم المعجزة بأمور :

- ١ - ادّعاء البعث عن جانب الله بالرّسالة .
- ٢ - ادّعاء القدرة على اعمالٍ خارقة للعادة (التّحدّي) .
- ٣ - صدور تلك الاعمال منه بعد الادّعاء .
- ٤ - كون العمل الخارق موافقاً لما ادّعاه نفسه ، او لما اقتُرح عليه وتحريّ منه .
- ٥ - عدم تمكّن غيره على معارضته وعلى الأتيان بما يكون مماثلاً لعمله وعلى شاكلته .

عناصر المعجزة
واركانها

فاذا تمّت هذه الأمور تحققت « المعجزة » فيظهر صدق الرّسول و تطمئنّ النفوس وتخضع للايمان به والاعتراف برسالته والتسليم للعمل على وفق منهاجه ولزوم الأطاعة عن دُستوره وبرنامجه .

ومن هذا الباب ماورد في كتاب الله ، القرآن ، في شأن نفسه وفي بيان كونه معجزة الرّسول وبيّنة صريحة لرسالته وبعثه ، بل وفي مقام الإشارة الى كون هذه الرّسالة ، لتمامها

وكمالها ، باقية دائمة لأجل كون معجزتها قائمة خالدة . قوله تعالى :
 ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
 وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ
 تَفْعَلُوا... ٢٤﴾^(١)

٣٧ - عرفان الرسالة بنفسها

يعجبني ان اذكر هنا ما تذكّرتّه ، بعد ما ذكرت حقيقة المعجزة وكونها دليلاً
 معتمداً مستنداً للعموم ، بها يمتاز الصادق عن الكاذب و يُعرف الرسول الحقّ وقيل ان
 اذكروا شيرالي خواصّ الرسول الثلاثة ، وهو امر جليل ينبغى ان يُعدّ التصريح به ، ان
 صُرّح به في دين ، كما صُرّح به في دين الاسلام ، اقوى من اية معجزة وادل من اى
 دليل عند الخواصّ وهو على ما روى من طريق محدثي الشيعة^(٢) عن عليّ امير المؤمنين
 في طيّ حديث :

« اَعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولَ بِالرَّسَالَةِ وَأُولَى الْأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالْأَحْسَانَ »
 فانظر الى هذا الميزان القويم والميعار الدقيق التسليم لمعرفة الرسول !
 اتّرى ، واريك اهلًا للتدبّر والتفكّر ومن اولى الألباب وذوى الانصاف ،
 ان يوجد ميزان للخواصّ انسب وادقّ وارغب واقرب من هذا الميزان ؟
 أو هل تظنّ ان يكون هنا عاقل لبيب ، لا يحصل له كمال الأطمينان بصحة دعوى
 من ينادى جهاراً وبصوته العالى : « اَعْرِفُوا الرَّسُولَ بِالرَّسَالَةِ » مشيراً به الى متانة

١ - من السورة الغانية (البقرة) .

٢ - رواه ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني (المتوفى ٣٢٩) فى الكافي ص ٤١
 بأسناده عن المفضل بن السكن عن ابي عبدالله (ع) قال: قال امير المؤمنين عليه السلام...
 ورواه صدوق الرواة والمحدثين محمد بن على بن باهويه القمي (المتوفى ٣٨١ هـ . ق) فى
 كتاب التوحيد ص ٢٩٧ بأسناده عن فضل بن شاذان عن ابي عبدالله...»

برنامج وصحة منهاجه وحقية رسالته؟

« وهل يتصور ان يقترح من لا يطمئن بصدق دعواه ، فضلاً عن اطمينانه بكذبه في ما ادعاه ، لمن يدعوه الى نفسه باسم الرسالة ، سلوك هذا الطريق والتمسك بهذا المحكك الدقيق وان يأمر الناس لمعرفة صدقه في دعويه بقوله لهم :

« اعرفوا الرسول ، بالرسالة » ؟ كلاً ثم كلاً .

ثم آعيد النظر الى دين الاسلام وانظر كيف يسوق الناس ويرشدهم الى التفقه والتدبر والتعقل والتفكير والعلم ولايبالي ان يتفرع عليه ان يحدث منه توهم نقص وفتور في ناحية مما جاء به وارشد اليه بل يكون مطمئناً بان الألباب القويمة والعقول السليمة والأفكار الناقدة والبصائر النافذة تجد عند الغور في احكام منهاجه ، ومواد دستوراته ، ضاللتها المنشودة بالفطرة وتكسب برنامج الذي يفوز الانسان بمتابعته واطاعته خيره وسعادته المطلوبة المقصودة .

نعَم ، الاسلام يذكّر الناس بما في الدين والقرآن المبين :

« اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ اَوْ اَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝ ٣٧ » (١) .

ويعيّر من يغفل عن التدبر في الرسالة ويوظفه بما يقول :

« اَقْلًا يَتَدَبَّرُوْنَ الْقُرْآنَ اَمْ عَلٰى قُلُوْبٍ اَقْفَالُهَا ۝ ٢٤ » (٢) .

ويأمرهم صريحاً بعرفان اكمل الموازين وادقتها واقومها ، لأهلها ، ومتابعته :

« اعرفوا الرسول بالرسالة » .

فانظر هل ترى في منهاج الحق ودين الرحمن واحكام القرآن من تفاوت وارجع البصر هل ترى فيه من نقص وفتور؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاصاً وهو حسيّر . فاستبصر واتبع الحق وكن من الموقنين .

١ - من السورة الد ٥٠ (سورة ق) .

٢ - من السورة الك ٤٧ (سورة محمد «ص») .

٣٨ - خواص الرسول الذاتية

ما ذكرناه من « المعجزة » للعموم و « عرفان الرسالة » للخواص ، في مقام معرفة الرسول وتحقيق رسالته وتصديق شريعته والأيمان بدينه ، يكون طريقاً انسياً لمعرفة ما يجب ان يكون في الرسول بما هو رسول وبحسب رسالته اى يكون نتيجة لما هو في شخص الرسول ، بما هو رسول ، من الخواص والصفات اللازمة قصارى الأمران « المعجزة » ، التي هي من الآثار الخاصة العملية ، التي هي القدرة على الأتيان بما ادعى عليه ، وتحدياً به ودعائيه ، طريق عام ينتفع به العامى والخاصى لكن « عرفان الرسالة » ، التي هي من الآثار الخاصة العملية ، التي هي معرفة حقائق الاشياء والعلم بتوابع الأعمال وروابط الأفعال وآثار الحركات ونتائج السكونات ، طريق خاص لا يتمكن من سلوكه والأستفادة منه والأستدلال به والغور فيه الا من كان له عقل سالم وفهم واسع وفكر صائب ودرك غائر ونظر نافذ راسخ .

واما ما يجب ان يكون الرسول ، في ذاته ولذاته ، متصفاً بها كى يصح باستنادها اتصافه بالرسالة وكانت بالحقيقة كالمبدء لصدور « المعجزة » منه والمنشأ لتمكّنه عن الأتيان بـ « الرسالة » الصادقة الصّحيحة المستقيمة الكاملة كى يصح لمن عرف وجودها فيه ان يستدل بها بطريق « اللّم » على صدقه في دعواه وعلى حقيقة الرسالة وما ادعاه . فهي كما تقرر في الحكمة الايمانية والفلسفة البرهانية خواص ثلاثة :

الأولى - ان يكون بحسب قوته « المتصرفة »^(١) التي تسمى « بقوة » « المفكرة »^(١)

١ - هذه قوة مشتركة بين الانسان وغيره من الحيوانات فاذا استعملها الانسان باستخدام عقله اياها تسمى « المفكرة » واذا استعملها الحيوان او الانسان باستخدام « الوهم » اياها تسمى « المتخيلة » .

كاملاً غاية الكمال بحيث يتحقق، بل يتيسر له ويسهل عليه، شهود ما نزل من باطنه المقدس، من الصور والهيآت الشريفة المملوكة الى حسه المشترك فيرى^١ ويسمع ما نزل فيه وبرز عليه كما يرى^١ ويسمع ما يصعد اليه من الخارج ومن عالم الناسوت بلاتفاوت في تلك المشاهدة والسماع^(١).

الثانية - ان يكون بحسب قوته العلامة في غاية الاستداد والكمال بحيث يتجلى له الاشياء بحقائقها ونسبها وروابطها، فيرى العلل والمعلولات مترتبة والاسباب ومسبباتها منظمة والملزومات ولوازمها متوالية متسقة فتكون الامور كلها مكشوفة لديه ولا يخفى عليه شيء ولا يغيب عنه امر، الا ما استأثر الله تبارك وتعالى علمه لذاته من مساتير غيبه.

الثالثة - ان يكون بحسب قوته العمالة بمرتبة يتمكن معها من التصرف في عالم الطبيعة واقليم المادة بما شاء واراد، اذا شاء واراد، فكان كل جسم ومادة، بل وجسم الكل ومادة الكل، تحت ارادته وطوع رغبته ومشيته، وهذا كما يكون جسم كل شخص وكل اعضاء بدنه تحت قدرته وارادته مطيعا لمشيته ورغبته.

هذه هي الخواص التي لا بد وان يكون لانسان حتى يصدق عليه انه رسول ويجب على غيره ان يصدقه، لمصلحة نفسه، ويتلقى ما آتاه من الرسالة بالقبول والتسليم ويتحرى للعمل بما قرره له النبي الكريم.

فبالخاصة الأولى ينزل روح القدس الامين بما ينبغي له على قلبه المكين فيُبصر

الخواص الثلاثة
الجهورية
للرسول

٢ - مناط الاحساس في جميع الحواس، على ما تقرر في محله، هو حضور المحسوس في « الحس المشترك » (بنطاسيا) ليس الا بالمحسوس، سرئياً كان او مسموعاً او غيرهما لا تصير محسوسة الا بصعودها من باب حاسته المخصوصة الى القوة المسماة بالحس المشترك فالمحسوس محسوس لكونه في تلك القوة ولتقرر فيها لكونها في حاستها الخاصة. وعلى هذا فما يدركه الانسان في حسه المشترك فهو يكون محسوساً له حقيقة سواء اصعد اليه من الخارج ومن ابواب حواصه الظاهرة فتقرر فيه، ام هبط اليه من الداخل ومن طريق حواصه الباطنة فتوطن فيه. فتبصر.

ويشهد الملائكة المقرَّبين ويسمع كلام الله المبين فيأخذ بالوحي من الخالق، ويُعطى بالرسالة للمخلوق ويصير بهذه الخاصَّة ممتازاً عن سائر البشر فيحقِّق له ان يقول: « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ... »

وبالخاصَّة الثانية يعلم الكتاب والحكمة ويطهر ويزكِّي الأُمَّة ويعطيهم الثَّقَلِ الأكبر والمنهاج الأعظم ويشرع لهم الدُّستور الأتمَّ الأكمل كي يعرفه الخواصَّ بنفس « الرِّسالة » فيتبعونه فيفوزون بما قدَّروا لهم من السَّعادة .

وبالخاصَّة الثالثة يأتي « المعجزة »، حتَّى يتمَّ على العوامَّ ايضاً الحجَّة ولا يبقى لأحد سبيل الى العلو والمجمعة بل الكلَّ يعرفون صدقه فيؤمنون به ويطيعونه .

٣٩ - ختام

قد اشترت في اوائل البحث عن « الرِّسالة ودلائلها » بانَّ الاستفادة من بعض الأحاديث والأخبار ما يناسب « دليل اللُّطف » فلنجعل ختام هذا البحث حديثاً منها .
قال الصادق عليه السَّلام، في حديث طويل اجاب فيه عمَّا سئله عنه بعض الزنادقة ومنه « فمن اين اثبتَّ انبياء ورسلاً » :

« انا لما اثبتنا ان لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنَّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً لم يجزان يشاهده خلقه، لا يلامسُوهم ولا يلامسوه ولا يباشِرُوهم ولا يباشروه ولا يحتاجهم ولا يحتاجوه فثبت ان له سفراء في خلقه وعباده يدلوهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبت الآمرون والنَّاهون عن الحكيم العليم في خلقه ويثبت عند ذلك ان له معبِّرين وهم الانبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدِّبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للنَّاس في احوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيِّدين من عند الله الحكيم العليم، بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص ، فلاتخلو ارض الله من حجَّة يكون معه علم يدل على صدق مقال الرِّسول ووجوب عدالته . »

« وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ .
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
فَأَنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ... »

- ١ - الأديان المشهورة الفاضلة .
- ٢ - الكتب المعروفة السماوية .
- ٣ - القرآن المجيد .
- ٤ - احياء القرآن ذكر الانبياء .
- ٥ - نماذج مما نزل في القرآن بشأن موسى وعيسى .
- ٦ - نبذة مما نزل في القرآن في شان القديسة ، مريم .
- ٧ - تصريح القرآن ببشارة الانبياء السالفة في
كتبهم .
- ٨ - عمومية دعوة القرآن .
- ٩ - اهمّ مزايا القرآن (فيه اشارات) .
- ١٠ - اسلوب التحدّي بالقرآن .
- ١١ - وجوه اعجاز القرآن .
- ١٢ - وجه خاص للمؤلف .

٣ - حول الأديان الفاضلة والكتب
المنزلة والأشارة الى
اهمّ مزايا القرآن الكريم :

٤٠ - الأديان المشهورة الفاضلة والنظر فيها

« كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ... ٢١٣ » (١).

فرق بين الرسول
وبين النبي

وردت في الكتب الدينية ، ولاسيما الإسلاميات منها ، تلويحات وتصريحات الى ظهور اديان عديدة في العالم الى اسامي انبياء ورُسُل كثيرة حتى اشتهر بين الناس ودار على الألسنة والأفواه ان عدّة الأنبياء تبلغ مائة الف واربعة وعشرون الف نبي .

قال البيضاوي (٢) في تفسيره ذيل آية « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... » من سورة الحج :

« الرَّسُولُ مِنْ بَعَثَ اللَّهُ بِشَرِيعةٍ مُجَدِّدةٍ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا .

« وَالنَّبِيُّ يَعْتمَهُ وَمِنْ بَعَثَ لِتَقْرِيرِ شَرعٍ سَابِقٍ ، كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَلِذَلِكَ شَبَّهَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُلَمَاءَ أُمَّتِهِ بِهِمْ .

عدّة الانبياء

« فَالنَّبِيُّ أَعْمٌ مِنَ الرَّسُولِ . وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سُئِلَ عَنْ

الأنبياء فقال :

« مائة الف واربعة وعشرون ألفاً . » (٣)

١ - من السورة الـ ٢ (البقرة) .

٢ - القاضي عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الفارسي الاشعري الشافعي صاحب التفسير

المشهور (انوار التنزيل وحقائق التاويل) (المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ق) .

٣ - وفي « العقد الفريد » الجزء السابع ص ٣٠١ ومن حديث ابي رافع عن ابي ذر

قال : قلت : يا رسول الله صلى الله عليك ، كم عدد النبيين ؟ قال : مائة الف واربعة وعشرون ألفاً .

« قيل : فكم الرّسل منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيرا » .
وكيف كانت تلك الكمّيّة وايّة عدّة كان عدد الأديان الحقّة فلسنا في هذا المقام
بصدد التحقيق والتّعيين وانّما نريد ان نشير الى الأفضل الأشهر الأقوم منها ، بحسب
ما يعتقده اهل الاسلام ، فنقول :

انّ اشهر الأديان الفاضلة التي تكون لكلّ منها ائباع يعتدّ بها من حيث الكمّيّة
والكيفيّة واعترف بها المسلمون ثلاثة :

١ - دين اليهود .

٢ - دين النصارى .

٣ - دين الإسلام .

والرّسول الذي جاء باوّل هذه الثلاثة هو موسى بن عمران ، الكلّيم ، وبثانيها هو
عيسى بن مريم ، المسيح ، وبثالثها محمد بن عبد الله ، الحبيب .
« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا
فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ... ١٣ » (١) .

٤١ - الكتب المنزّلة

الكتب التي ارسل الله هؤلاء الرّسل بها الى النّاس ، وهي الاساس لأديانهم
وشرائعهم والمنهاج لهدايتهم ، هي بترتيب اساميمهم المزبورة :

١ - التوراة .

٢ - الأنجيل .

٣- القرآن المجيد .

فذلك هي امتهات الشرائع الالهية المشهورة وهؤلاء هم اساطين الانبياء الحقّة والرسل الصادقة وهذه هي المهمّات من الكتب السماوية التي لكل منها اتباع كثيرة تتجاوز الآن عن مآت ملايين .

من بين تلك الكتب المذكورة الموجودة الدينية يختص القرآن بأمر هام يجب على طالب الشرع القويم والفاحص عن الدين الحقّ والساعى فى سبيل تحصيل البرنامج السوى والمزاج المستوى ان لا يغفل عنه وان يتأمل فيه تأملاً عميقاً دقيقاً وهو الفارق الذى بينه وبينهما من حيث الاستناد و باعتبار السند .

فالتوراة الموجودة ، باعتراف من اليهود انفسهم ، ليست عين الألواح النازلة على الرسول المصدّق ، موسى بن عمران الكليم ، بل هو كتاب جُمع بعد وفاة موسى بمدة تتجاوز عن خمسين سنة وقد يوجد فى نفس هذا الموجود من التوراة شواهد بيّنة تنادى بهذه الحقيقة .

قال الفاضل المعاصر المصرى ، محمد فريد وجدى ، فى كتابه « دائرة المعارف » بعد ما قال : « يطلق اسم التوراية على الخمسة الكتب الاولى من « الكتاب المقدس » عند المسيحيين ومعنى « التوراة » ، « القانون » باللغة العبرية » :

« جاء فى دائرة معارف لاروس تحت كلمة « توراة » ما يأتى :

« العلم العصرى ولاسيما النقد الألمانى قد اثبت بعد ابحاث مستفيضة فى الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات ان التوراية لم يكتبها موسى وانها عمل احبار لم يذكروا اسمهم عليها ، التفوها على التعاقب ، معتمدين فى تأليفها على رواية سماعية سمعوها قبل اسر بايل ، بل ذهب بعض العلماء الى ان هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الاسرائيلية ولكنها يحتوى فقط على اشارات ورموز وحكايات وان هجرة مصر ، ما هى الا قصة وهمية ، او حادثة رمزية ، ليس لها ادنى اصل حقيقى » انتهى .

« السامرة ، لهم توراة تخالف توراية اليهود وليس يعرف زمن ظهور هذه التوراة

التوراة غير
الألواح

تعدد التوراة
كالانجيل ،
والاختلاف
فى نسخها

السّامريّة وقد اجتهد العلماء في تحديد زمانها فلم يوفقوا له .

« والذى يُعرف أنّه كان الى القرن السّادس عشر مجهولاً وفي السّابع عشر جلب العالم ابسريوس نُسخاً منه من الشّرق وفي الوقت نفسه جلب المسيوهارلى دوسانس سفير فرنسالى تركيا ، نسخة منه مع كتب آخر » انتهى ما قاله محمد فريد وجدى . وكذا الأناجيل الموجودة المتداولة ليس ولا واحد منها نفس الأناجيل الّذى نزل على الرّسول المعظم ، عيسى بن مريم ، بل جمعت هذه الأناجيل بعد ان رُفع عيسى الى بارئه تعالى ، وتأخر الجمع عن الرّقع بسنين كثيرة لا يقلّ اقلّها تأخيراً ، عن مدّة ثلاثين سنة .

قال الفاضل المعاصر في كتابه المذكور آنفاً ذيل كلمة « الانجيل » :

« الأناجيل عندنا هو الكتاب الّذى انزله الله على رسوله الأمين عيسى أمّا عند المسيحيّين يطلق على الكتب الأربعة ، الّتى هي انجيل متى وانجيل مرقص وانجيل لوقا وانجيل يوحنا الّتى هي تراجم حياة عيسى (ع) وفيها اقواله وآدابه واعماله . « انجيل متى » هو اقدم الأناجيل الأربعة كُتب بعد عيسى (ع) بثلاثين سنة فى اورشليم باللغة العبريّة .

تاريخ جمع
الانجيل الاربعه

« انجيل مرقص كُتب باللّغة اليونانيّة فى روما بعد انجيل متى و نشر حوالى سنة ٦٦١ اى بعده بنحو ثلاثين سنة .

« انجيل لوقا هو الثالث ، وكُتب بعد السّابقيّين .

« انجيل يوحنا كُتب بعد موت المسيح (ع) بستين سنة اى سنة (٩٣) (يعنى بعد الميلاد) .

« هذه الأناجيل هى الّتى اصطلحت عليها الكنيسة المسيحيّة واعتبرتها وحيّاً الى كاتبها من الله تعالى ولكن وجدت اناجيل اخرى . منها :

« انجيل : ميلاد مريم وطفولة المسيح » نشره العلامة نهيلو

« انجيل « توما الاسرائيلى » .

« انجيل » جاك الاصغر .

« انجيل » نيكوديم « قالت دائرة المعارف القرن التاسع عشر: يصعب ان يتصور الانسان اليوم ما كان لهذا الانجيل من الاقبال فى كل الأجيال الوسطى الى القرن الخامس عشر .

« انجيل » الطقولة « هذا الانجيل قديم جداً وكان منسوباً للحوارى بطرس

« انجيل » برنابا « وترجم للانكليزية وطبع بها مرارا وهو موافق لما جاء فى القرآن من ناحية عدم صلب عيسى (ع) وغير ذلك .

« انجيل » مرسيون « هذا الانجيل تعتبر عند الطائفة المرسيونية

« اوجزنا هذا الفصل من دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية » انتهى ما اورده محمد فريد وجدى فى دائرة المعارف .

هذا كله مع ان الإنجيل ، كما علمت ، تعددت مجاميعه و اختلفت مضامينه و صار متعدداً بعد ما كان واحداً فالموجود المعروف منها ما نسب جمعه الى متى ثم مانسب الى مرقس ثم ما نسب جمعه الى لوقا ثم ما نسب جمعه الى يوحنا ثم الخامس منها الذى ينسب الى برنابا وهكذا عدة اناجيل اُخر نسب جمعها الى آباء عُمَد ولكن المشهور المعتمد عند المسيحيين فى عصرنا من تلك الأناجيل هو الأربعة الأوّل .

وكيف كان فمما لامرية فيه ان ما جاء به عيسى لم يكن الا واحداً ، لا اربعا تختلف كل مع الآخر فى بعض العبارات والمضامين والمقاصد ، وهذا امر ظاهر لمن راجع اليها .

اضف الى هذه كلها ان فى هذه الأناجيل توجد ما ينادى بأصرح تعبير واعلى صوت بانها حكاية حال المسيح (ع) بعد رفعه وصعوده الى الملكوت الاعلى وقراره عند ربه فى رحمته العليا .

هذا حال التوراة والانجيل الموجودين بين ايدى الفريقين ومع هذا ينسب ان الى

الرسولين العظيمين فلننظر الآن الى القرآن .

٤٢- القرآن المجيد

اما القرآن فقد اتفق الكل على انه هو الذى امر بجمعه ونظمه وحفظه بعينه ، محمد بن عبد الله ، الجائى به من عند ربه ، وتحقق التواتر المفيد للقطع واليقين بانته هو الذى حفظه وضبطه وكتبه فى حياة خاتم النبيين ، بل وحين ما نزل به الروح الأمين ، جمع من صحابته المقرئين .

فالقرآن الموجود بايدي المسلمين هو عين ما جاء به محمد ، الرسول الصادق الامين ، وادعى انه نزل به الروح الامين من عالم الملكوت ، ونشأة القدس ومقام الفيض الاقدس ، على قلبه الزكى الطاهر المقدس .

فانتساب القرآن ، هذا الكتاب المنتشر فى كل الاقاليم وفى جميع البلاد وتمام الاصقاع من العالم بعينه ، المحفوظة ، الى الرسول الصادق الامين ، محمد بن عبد الله خاتم النبيين ، امر ضرورى مقطوع به لا عند المسلمين فقط بل عند اتباع التوراة والانجيل ايضا .

هذا مع عدم توهم تحريف او تخيل تصحيف فيه ومع عدم زيادة او نقص يعتريه . وليُصَف الى هذه الميزة والخصوصية خصوصيات اُخر تمتاز بها القرآن من ذينك الكتابين وتتفوق عليهما تفوقاً جليلاً ينبغى لمن يتوخى الحق ويتحرى الحقيقة ويتصدى للتحقيق ان يتوجه اليها ويتدبر فيها واعتبر بها واستبصر منها .

فالضعيف المسود لهذه الوريقات خدمة لسلاك طريق التحرى واجابة للمتمسطلاب السعادة والخير والترقى ، ودعاية لأداء ما يجب على ذمة العلم من لزوم ادائه الى الغير المتلقى يُشير هنا الى ثلاثة منها .

- ١ - احياء القرآن ذكر الأنبياء بالقداسة والتمجيد .
- ٢ - تصريح القرآن ببشارة الأنبياء السالفة لبعثة رسول الأسلام .
- ٣ - عمومية دعوة القرآن لجميع الناس في كل مكان وكل زمان الى يوم القيام .

٤٣ - احياء القرآن ذكر الانبياء والرسل

مما يتجلى في القرآن المجيد من خصوصياته السامية هو انه احبب ا ذكر
الأنبياء والرسل السالفة وعدّ منهم عدّة من اولى العزيمة وغيرهم وعرّفهم ومجّدهم
وبجلّهم وصدّقهم بل وامر المؤمنين بالايمان بهم فائل ما يتلى عليك من الآيات:
فمما نزلت في شأن جمع منهم على سبيل الاجتماع قوله تعالى :
« واذكُرْ عبادَنَا ابراهيمَ واسحقَ ويعقوبَ اولى الأيدي والأبصار ٤٥ انا
اخلاصناهم بخالصة ذكرى الدار ٤٦ وانهم عندنا لمن المصطفين الاخير ٤٧
واذكُرْ اسمعيلَ والنيسعَ وذا الكفيلِ وكلّ من الاخير ٤٨ » ١ .
ومما نزلت في شأن بعضهم على سبيل الانفراد قوله تعالى :
« ... واذكُرْ عَبَدَنَا داودَ ذا الأيدِ ... الآيات ٢ .
وقوله تعالى : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ... الآية ٣ .
ومما نزلت في شأن الإيمان بهم :
« قُولُوا : آمنا بالله وما أنزل الينا وما نزل الى ابراهيمَ واسمعيلى واسحقَ ويعقوبَ
والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفترق بين احدٍ
منهم ونحن له مسلمون ١٣٦ » (٣) .

١ - السورة ال ٣٨ (ص) .

٢ - السورة ال ٣٨ (ص) .

٣ - السورة ال ٢ (الهمزة) .

اشار القرآن الى قصة حياة الأنبياء والى امتهات ومعجزاتهم وكيفية دعوتهم
وابتلائهم بجهالة أممهم العادية الجائرة .
فذكر نشأة موسى ودعوته ومعجزاته ، من يده البيضاء وصبرورة عصاه حية تسعى ،
وبين كيفية تكون عيسى ووضع ولادته وحالة تكلمه في مهده واتيانه النبوة والحكمة
صبيياً ، وصرح بمعجزاته ، من شفائه الأكمه والأبرص وحيائه الموتى ، وبالجملة ذكر
القرآن ، الناس بايام الله لعلمهم يعقلون فيهندون .
وردت في القرآن المجيد آيات عدة في شأن موسى واخيه هرون وكيفية دعوتهما
والآتيان بالمعجزة وفق الدعوة . وكذا في شأن عيسى وامه ، وطهارة ذيلها وقداسة
ذاتها وبرائة ساحتها مما توهم او تُفوه في حقها . نورد هنا انموذجا من الآيات -
الشريفة .

٤٥ - آيات من القرآن في حق موسى وشأن عيسى

ما نُزِّلَتْ في القرآن المجيد في حق الكليم وشأن الكلمة (المسيح) على انحاء
بعضها يكون مشتركا بينهما وبعضها يكون مختصاً بكل واحد منهما :
فمما نُزِّلَتْ في شأنهما وفي شأن ما أُنزل عليهما من الكتاب مشتركاً :

١ - قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتابَ وقفينا من بعده بالرّسل ، وآتينا
عيسى بن مريمَ البيناتِ وايدناه بروح القدس ... ٨٧ »^(١) .

٢ - قوله تعالى : « تلك الرّسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريمَ البيناتِ وايدناه بروح القدس ... ٢٥٣ »^(٢)

٣ - قوله تعالى : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من
التّوراة وآتينا الأنجيل فيه هدى ونوراً ومصداقاً لما بين يديه من التّوراة وهدى

الآيات الواردة من
القرآن في حق
موسى وعيسى
وكتابيهما

وموعظة للمتقين ٤٦»^١.

ومما نزلت مختصةً بشأن موسى وشأن ما انزل اليه:

١ - قوله تعالى: «واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدُونَ»^٢.

٢ - قوله تعالى: «ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات فاسئل بني اسرائيل

اذ جائهم... ١٠١»^٣.

٣ - قوله تعالى: «واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر

فانبجست منه اثنا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم، كلوا واشربوا من رزق

الله... ١٦٠»^٤.

ومما نزلت مختصةً بشأن عيسى وكتابه ومعجزاته:

١ - قوله تعالى:

«اذ قال الله: يا عيسى بن مريم، اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك

بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً، واذ علمتُك الكتاب والحكمة والتوراة

والانجيل، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذني فتنفخُ فيها فتكون طيراً بأذني

وتبرئُ الاكمه والأبرص بأذني واذ كففتُ بني اسرائيل عنك اذ جثت بهم بالبيئات

فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين»^٥.

٢ - قوله تعالى:

«واذا وحيتُ الى الحواريين ان آمينوا بي وبرسولي قالوا: آمناً، واشهدُ

باننا مسلمون ١١١ واذ قال الحواريون: يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان

ينزل علينا مائدة من السماء قال: اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ١١٢ قالوا: نريدُ

ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من

١ - السورة الخامسة (المائدة).

٢ - السورة الثانية (البقرة) .

٣ - السورة ال ٢ (البقرة) .

٤ - السورة السابعة (الاعراف)

٥ - السورة الخامسة (المائدة) .

مِنَ الشَّاهِدِينَ ١١٣ .

« قال عيسى بن مريم : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين ١١٤ » ١ .
٣ - قوله تعالى :

« واذ قال الله : يا عيسى بن مريم آنت قلت للناس : اتخذوني وامى الهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلتة فقد علمته تعلم ما فى نفسى ، ولا اعلم ما فى نفسك ، انك انت علام الغيوب ١١٦ ما قلت لهم الا ما امرتنى به : ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنتم عليهم شهيدا ، فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شىء شهيد ١١٧ » ٢ .
٤ - قوله تعالى :

« يا اهل الكتاب لاتغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى بن مريم ، رسول الله وكلمته ، القاها الى مريم ، وروح منه ، فامنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا : ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انما الله واحد سبحانه ان يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلاً ١٧١ لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً » (٣) .

عيسى روح من الله
وكلمته

٤٦ - اشارة

هيهنا نكتة ينبغى ان نشير اليها وهى :
ان رسول الاسلام فى هذا التجليل والتبجيل للانباء السالفة والتصريح بكونهم

١ و ٢ - السورة الخامسة (المائدة) .

٢ - السورة الرابعة (النساء) .

اولى الكرامات وذوى المعجزات كانه يدعى لزوم صدور الآيات والمعجزات عمّن يدعى النبوة والرسالة، وهو ايضا منهم، فكانه يتحدّى بذلك ويذكرهم بانه ايضا يقدر ان يفعل مثل ما فعلوا ويتمكن ان يؤتى بمثل ما اتوا به من المعجزات .

وهذا دليل قوى على كونه مؤمناً بما يقول مطمئناً بانه مؤيدٌ من عند الله مُحقٌّ صادقٌ في دعوئه فلم ان يقترحوا عليه بما شاؤا من نظائر ماجاء به هؤلاء الرسل وان يلتمسوا منه الأتيان بامثال ما اعترف للانبيا وعلية ان يجيب مسئولهم ويحقق مأمولهم ويجيبهم بملتمسهم بلاعذر ولاخلاف .

٤٧ - نبذة مما نُزلت في شأن القديسة مريم

كانت عناية القرآن المجيد بشأن القديسة ، مريم ، وبشأن ابنها عيسى شديدة كثيرة وكيف لا وقد انزلت في حقها سورة خاصة بها فيه ، تسمى بسورة مريم وفي هذه السورة نُزّهت ساحة قدسها وقدّست من كل ما ليليق بشأن مريم الطاهرة الزكية ، نزاهة ذيلها .

وفي غير هذه السورة ايضا نُزلت آيات تدلّ على نزاهة مريم وقداستها وطهارتها ذيلها وشفافة ذاتها . منها ما نُزلت في سورة آل عمران بأحسن تعبير وابلغ بيان : قوله تعالى :

« واذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك ، واصطفاك على نساء العالمين ٤٢ يا مريم اقتنى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ٤٣ ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك . . . ٤٤ اذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه المسيح ، عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ٤٥ . . . »^١ .
ومنها ما نُزلت في سورة المائدة :

مريم القديسة
مطهرة صديقة

« ما المسيحُ بنُ مريمَ اَلا رسولٌ قد خَلَّصْتُم من قِبَلِه الرِّسْلَ وَاُمُّهُ صِدِّيقَةٌ... ٧٥ » .
 فَتَرَى انَّ مَرِيَمَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ هِيَ الَّتِي طَهَّرَهَا اللهُ مِنَ الْأَدْنَسِ وَالْأَرْجَاسِ
 الْوَاقِعِيَّةِ وَالْوَهْمِيَّةِ وَاصْطَفَاهَا ، بَلْ وَاصْطَفَاهَا عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا « صِدِّيقَةٌ »
 وَانَّ عَيْسَى ، الرَّسُولَ الْحَقَّ الصَّادِقَ ، الَّذِي ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، هُوَ كَلِمَةُ اللهِ الْوَجِيه
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَعَبْدُ اللهِ الْمُقَرَّبَ عِنْدَهُ بِالرَّسَالَةِ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
 وَعَلَّمَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَارْسَلَهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ .
 قوله تعالى :

« وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ٤٦ » قَالَتْ رَبِّ انْتَبِهِ لِي وَلِدٌ
 وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ؟ قَالَ : كَذَلِكَ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ :
 كُنْ فَيَكُونُ ٤٧ » وَيَعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٤٨ » وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
 انْتَبِهِ قَدْ جِئْتَكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ ... ٤٩ »^١
 وقوله تعالى :

« ... إِنَّمَا الْمَسِيحُ ، عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ ، رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ الَّتِي نَزَّلْنَا بِهَا الرُّوحَ
 الْقُدُسَ مِنْ رَبِّكَ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا : ثَلَاثَةٌ ، انْتَهُوا ، خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ
 وَاحِدٌ ، سُبْحَانَ اللهِ إِنَّهُ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكفى بِاللَّهِ كَيْلًا ١٧١ »
 لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ... ١٧٢ »^٢ .

* * *

هذا شأن القرآن باعتبار ميّزته الأولى فهو حيي ذكر الأنبياء والرسل بالقداسة
 والطهارة والاتبان بالآيات والمعجزات ولا يوجد في القرآن شيء مما ورد في التوراة ،
 التي بايدينا ، من نسبة بعض الأعمال المنكرة القبيحة التي لا يليق ان يصدر عن آحاد
 الناس وسفستهم فكيف ، عن الأنبياء العظام والسفرة البررة الكرام ، الى الأنبياء القديسين
 كسرب الخمر المزيل للعقل وجمع الأب المخمور ببناته (حاشاهم ثم حاشاهم عن ذلك)

غير القرآن
 ساحة قلس
 الانبياء و تنزلهم

١ - السورة الثالثة (ال عمران) .

٢ - السورة الرابعة (النساء) .

بل القرآن ينزهه ساحتهم المقدسة عن امثال تلك التهم الفاضحة ويرى ناحتهم الطاهرة عن ادناس هذه النسب الكاذبة .

« قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ ، مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ٨٤ » .

٤٩ - تصريح القرآن ببشارة الأنبياء السالفة

صرح القرآن الكريم بأن في الرسل الحقّة والأنبياء الصادقة السالفة ، كموسى ابن عمران الكليم وعيسى بن مريم المسيح من بشر برسالة محمد بن عبدالله الحبيب لتلويحاً الى اوصافه وكمالاته وحالاته فقط بل تصريحاً باسمه وعنوانه .
ففي القرآن المجيد آيات عديدة في مقام تعبير اتباع التوراة والانجيل وتوبيخهم لكتمانهم البشارة وتليبهم الحقّ بالباطل وعدم تصديقهم الرسول الأمين الصادق .
منها :

١ - قوله تعالى :

« انّ الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب ويشترّون به ثمناً قليلاً اولئك ما فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب اليم »^١ .

٢ - قوله تعالى :

يا اهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون؟ ٧٠ يا اهل الكتاب لم تلبسون الحقّ بالباطل وتكتمون الحقّ وانتم تعلمون؟ ٧١^٢ .

و فى بعض الآيات تصريح بانّ « اهل الكتاب » يعرفون رسول الاسلام كما يعرفون ابنائهم ويعرفون رسالته ومع هذا يكتُمون الحقّ وينكرونه . فمن هذا القبيل :

١ - السورة الثانية (البقره) .

٢ - السورة الثالثة (ال عمران) .

١ - قوله تعالى :

« الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤٦ »^١.

٢ - قوله تعالى :

« الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ ... ٢٠٠ »^٢.

٣ - قوله تعالى :

« لَمَّا جَاءَتْهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ... ٨٩ »^٣.
وفى بعض منها تصريح بان اهل الكتاب شهداء على كونه صادقاً فى رسالته
كقوله تعالى :

« وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ :
« أَلَمْ أَقْرَأْكُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ أَنْ صَبَرْتُمْ ؟ »
« قَالُوا : أَقْرَأْنَا . »

« قَالَ : فَاشْهَدُوا وَإِنَّا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٨١ ، فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٨٢ »^٤.

وبهذه الشهادة اشارت الآية ال ٣٤ من سورة الرعد .
قوله تعالى :

« وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا : لَسْتَ مَرْسَلًا قُلْ : كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ٤٣ »^٥.

١ - السورة الثانية (البقره) .

٢ - السورة السادس (الانعام) .

٣ - السورة الثانية (البقره) .

٤ - السورة الثانية (آل عمران) .

٥ - السورة ال ١٣ (الرعد) .

ومما صرحت بالبشارة وبكون الرسول مكتوباً صراحةً في التوراة والأنجيل عدة آيات .

منها :

١ - قوله تعالى :

« الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٥٧ » ٢ .

٢ - قوله تعالى :

« إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ، اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَا بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ٦ » ٣ .

بشارة عيسى
برسالته رسول
الاسلام مصرحاً
باسمه

٥٣ - اشارة

ويُناسب هيهنا اشارة الى نكتة لطيفة وهي انه : يمكن ان يستدل بالآيات ، الواردة في هذا الشأن نفسها ، على صدق رسول الاسلام في دعويه الرسالة .
وذلك لأنه لا يعقل من عاقل ان يجترىء على ادعاء امرٍ ويدعو من خالفه في هذه الدعوى الى تصديقه ولزوم الايمان واتباعه ويصرح بان كتابهم الذي آمنوا به يلزمهم ذلك التصديق والايمان والاتباع ويحتج بان نبيهم الذي قوله حجة عندهم صرح في ذلك الكتاب بانته صادق في دعواه وانه رسول حق من عند الله .

٢ - السورة السابعة (الاعراف) .

٣ - السورة ال ٦١ (الصف) .

أَوْ يُمْكِنُ أَنْ يَجْتَرِءَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْأَدْعَاءِ مِنْ لَمْ يَكُنْ قَاطِعاً بِصِحَّةِ مَا يَقُولُ ،
مَطْمَئِناً بِصَدَقِ مَا يَدَّعِيهِ ؟

وَلَعَمْرُ الْعِلْمِ وَشَأْنِ الْعَقْلِ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ حَتَّىٰ لِلْوَهْمِ أَنْ يَتَوَهَّمَ ، لِمَنْ يُعْتَرَفُ بِعَقْلِهِ
وَيُعْتَقَدُ شَعُورَهُ ، أَنَّهُ يَتَمَشَّىٰ مِنْهُ الْأَسْتِنَادُ بِسُنْدٍ يَكُونُ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ وَتَحْتَ أَيْدِيهِمْ يَرُونَهُ
وَيُشَاهِدُونَهُ يَتْلُونَهُ وَيَقْرَأُونَهُ فَيَسْأَلُ عَنْهُمْ الْمَرَاجِعَةَ إِلَيْهِ وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ الْأَنْصَافَ وَالْأَعْتِرَافَ
ثُمَّ يَعْيِّرُهُمْ عَلَى كِتْمَانِ حَقِّهِ وَعَدَمِ الْأَقْرَارِ بِصَدَقَتِهِ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ
وَلَمْ يَقْطَعْ بِشَاهِدِ صَدَقِ فِي ادِّعَائِهِ وَلَمْ يَتَحَقَّقْ عَلَى كِمَالِ طَمَأْنِينَةٍ نَفْسٍ مِنْ أَمْرِهِ فَتَدْبَّرَ
وَلَا تَغْفَلَ .

٥٤ - عمومية دعوة القرآن

مِمَّا يَجْدُرُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَيَتَدَبَّرَ فِيهِ هُوَ أَنَّ دَعْوَةَ الْقُرْآنِ عَامَّةٌ ، لِإِخْتِصَاصِ
لِهَا بِفِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ وَقَوْمٍ مِنَ الْأَقْوَامِ وَجِيلٍ مِنَ الْأَجْيَالِ وَلَا بَزْمَانَ خَاصَّ بِلِ دَعْوَتِهِ
تَتَوَجَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَتَشْتَمِلُ الْأُمَمَ وَالْأَقْوَامَ قَاطِبَةً : أَيْضُهُمْ وَأَسْوَدُهُمْ وَأَحْمَرُهُمْ
وَأَصْفَرُهُمْ ، فِي كُلِّ الْأَمَكِنَةِ وَجَمِيعِ الْأَزْمَنَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .
قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ قُلْ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ .

رسالة الاسلام عامة

﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨ ، ١ .

وقوله تعالى ايضا :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٨ ، ٢ .

١ - السورة السابعة (الاعراف) .

٢ - السورة ال ٣٤ (سبأ) .

فالرسالة الإسلامية عناية الهيئة عامة لجميع الناس وكافتهم ورسالة كافلة لهداية كل قوم وجيل في ازمنتهم وامكنتهم وبشارة قائمة بسعادة قاطبة من آمن بها وعمل الصالحات. قوله تعالى :

« ان هذا القرآن يَهْدِي لِيَلْتِي هِي اقوم و يبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا »^١.

وبتضح ذلك كمال الوضوح اذا توجهنا الى ان الله اعطى رسوله الأمين، مضافا الى معجزاته المشابهة لمعجزات غيره من الأنبياء والرسل، معجزة خاصة تناسب عموم الدعوة زمانا و مكانا و عنصرأ و نجارا وهو القرآن ، المعجزة الخالدة ، كما سيتضح لك الآن في المطلب التالي الذي انعقد لبيان « اهمّ مزايا القرآن » فانظر وتدبّر .

٥٥ - اهمّ مزايا القرآن

للقرآن مزية هامة وخصوصية عامة لا توجد نظيرها لغير نبي الاسلام من الرسل الالهية ولا تُشاهد في غيره من الكتب السماوية ولها شأن كبير جدا يجب ان يتدبّر فيها اولوالبصائر ويتبصّر منها ذوو الأبصار وهي انها بنفس ذاتها وجوهر جُمَلِه وكلماته معجزة باقية خالدة .

فقد وقع « التحدّي » لرسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن في نفس القرآن لامرة بل مرّات ، ولا باعتبار زمان حيات الرسول بل باعتبار عمود الزمان الى يوم التناد ، ولا باعتبار مكان صدوره ومحيط وروده بل باعتبار جميع الأقاليم وسائر الآفاق ولا باعتبار العنصر العربي الناطق بالضاد بل باعتبار كل عنصر ونجار ، متى وُجد انسان و اينما وُجد وكيف كان ، بل ولا باعتبار شخص واحد بالأنفراد بل ولو على سبيل الاجتماع ومعاضدة الأفراد للمقابلة والمعارضة للقرآن ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيرا في الأنشاء والأتيان .

٥٦ - التدرّج في التحدّي

كلّ من سمع بالقرآن وراجع اليه ونظرفيه يرى آياته الواردة في مقام «التحدّي» ويتجلّى له انّ القرآن كيف يتدرّج في هذا المقام الى الأسهل فالأسهل .
فتارة يتحدّى بقوله :

« قُلْ : لئن اجتمعتِ الأنسُ والجنُّ على أنّ يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ٨٨ »^١ .
ومرّة يقول في مقام التحدّي :

درجات التحدّي
بالقرآن
في القرآن

« قل فأتوا بكتاب من عند الله هو آهديّ منهما (اي من التوراة والأناجيل)
اتّبعه ان كنتم صادقين ٤٩ »^٢ .
ومرّة ثالثة يتحدّى ويفتحهم بقوله :
« ام يقولون : افتريه .

« قل : فأتوا بعشر سورٍ مثله مُفترّيات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ١٣ فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فقهل أنتم مسلمون ١٤ »^٣ .
ومرّة رابعة يتحدّى بأسهل امر ، على ظاهر الامر ، ويقتنع عنهم ان يأتوا بسورةٍ
مثله فيقول :

« ام يقولون : افتراه .
« قل : فأتوا بسورةٍ مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ، ان كنتم

١ - السورة ال ١٧ (الاسراء) .

٢ - السورة ال ٢٨ (القصص) .

٣ - السورة ال ١١ (هود) .

صاڤقن ٣٨^١ .

ومرة خامسة جعل التحديّ بالزامهم ان يأتوا سورة واحدة من مثله ثم يذكرهم ويرشدهم بتاتا بان ذلك خارج عن طوق قدرتهم فهم لا يقدرّون على الأتيان وليس لأحد منهم سبيل اليه بأمكان .

قوله تعالى :

« وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين ٢٣ فان لم تفعلوا، ولن تفعلوا، فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة، أعدت للكافرين ٢٤ »^٢ .

٥٧ - اشارات

الما للوما
يظهر منها

الأولى - لعل المراد من « المماثلة »، الواردة في الآية الأولى من هذه الآيات حيث وقع التحديّ فيها باتيان « مثل هذا القرآن »، المماثلة من حيث الفصاحة والبلاغة .
فصرح بان الأنس والجن وان اجتمعوا فهم مع مشاركتهم ومظاهرة بعضهم لبعض لا يقدرّون على ان يأتوا بقرآنٍ مثل هذا الذي جاء به شخص واحد بلاظهارٍ ولا معاضد .

الثانية - الظاهر من « التحديّ » في الآية الثانية ، التوجه الى ما هو المقصود الاصلى من الرسالة وهو الارشاد والهداية لا التوجه الى الفصاحة والبلاغة .

١ - السورة العاشرة (يونس) .

٢ - السورة الثانية (البقره) . وليعلم ان غير هذه الاية التي هي في سورة مدنية ، سائر الايات التي تحدى الرسول بهافي القرآن للقرآن ونقلنا كلها ، في سوركية وهذا امر يرشد النصف الى ان مشركي مكة وهم اكابر قريش واعاظم العرب وفيهم امراء اللسان وفصحاء الكلام وبلغاء البيان يسمعون كرازا وفي زمان سمته هذا التحدي ولم يقدر واعلى معارضته بل وصرح بعضهم على عظيمة شأن القرآن رغما لانفه وانف سواقفيه في الخلاف كما نقل عن وليد .

فكأنه اشار الى المعيار الحقيقى وهو « اعرفوا الرسول بالرسالة » وقال انظروا الى هذا البرنامج والمنهاج ووازنوه مع غيره من المناهج ولاسيما الافضل من الكل وهو التوراة والانجيل فباليقين تشاهدون ما له من الكمال فى نظمه وتطلعون على احصائه لما يحتاج اليه الناس ، من ضرورياتهم ، ويفيدهم او ينفعهم او يناسبهم ويزينهم ، فى اوامره ونواهيہ فتعرفون عظم شأنه وارشاده وتجذونه بحيث لا يوازيه منهاج ولايساويه ، فى الاحتواء على المواد المنظمة السائفة الى السعادة، الهادية الى الخير والكمال، برنامج وكتاب بل ولايتمكن احد ان يأتي بمثله، فى هذه الحيثية له، بنظير ومثال .

كمال القرآن
للهادية

ولعل فى تنكير لفظ « كتاب » فى هذه الآية (بكتاب) اشارة الى ما قلنا . فكأنه اكتفى فى هذا المقام من « التحدى » بان الجائى بالمثل ليس مقيداً من حيث اللفظ و باعتبار العبارة ان يراعى الفصاحة والبلاغة فهو فى سعة من ذلك ولكنه لا بد له ان يكون ما ياتى به ، مثلاً ونظيراً باعتبار الارشاد والهداية ومن حيث المنهاجية التى ، كما اسلفناه، يكون كمالها، او قل كاملها، منحصرأ بان يكون نازلاً من لدن عليم حكيم كى يكون ناظراً الى جميع الأطراف وجهات الامور، جامعا لتمام الست من الجهات والشئون، فى الكمال للقرآن الذى هو اهدى من التوراة والانجيل واكمل وارقى واقوم من كل منهاج ودليل فتدبر .

الثالثة: طال البحث والكلام فى كتب التفاسير وغيرها، كالكشاف وغيره، فى كلمة « من مثله » الواقعة فى الآية الخامسة، من الآيات المزبورة هنا، ولا مجال لى الآن لمراجعتها ولا ضرورة هنا لنقلها ونقدها ولكنى، خلافاً لما زعمه بعضهم، اظن ان كلمة « من » فى هذا المورد ليست بزائدة (كما زعمه) بل ولا اظن وقوع زيادة، ولو كانت بحرف، فى القرآن المجيد الذى يهر بفصاحته وبلاغته عقول الفصحاء والبلغاء وعلى هذا فكأنه كان يتهجس فى انفسهم امكان الأتيان بمثل القرآن .

كلمة من مثله
والتحقيق فيها

ولعله ، كما اشرت ، كان بين هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون . . . من كان مدعياً باللسان ايضاً بأمكان الأتيان بمثل القرآن فكان يتفوه به كما يظهر من القرآن المجيد ايضاً .

قوله تعالى :

« واذا تُلِيٰ عليهم آياتنا قالوا :

« قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ... ٣١ »^١ .

وحينئذٍ فحق ان يقال لهم :

ايُّها المتوهّمون المتفوّهون ان كنتم محقّقين في وهمكم ، صادقين في قولكم ، فاعلموا اننا لا نلزمكم بأتيان مجموع ذلك « المثل » الهاجس في صدوركم بل نكتفي ان تأتوا بسورة واحدة من مجموع ذلك « المثل » ، المتوهّم امكان الأتيان به ، فان لم تكونوا فعلتم ذلك ، اي اتيان مثل له من قبل حتّى تكونوا قادرين على اتيان سورة من ذلك المثل في الحال ، ولن تقدروا البتة الى الأبد ان تأتوا بمثله ، فكونوا على اتقاء من النار التي ... واعلموا ايضا :

« وأمرت ان اكون من المسلمين ٩١ وان اتلوا القرآن ، فمن اهتدى

فإنما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فقل : انما انا من المنذرين ٩٢ » .

« وقل : الحمد لله ، سيّرنيكم آياته فتعرفونها ... »^٢ .

٥٨ - اسلوب التحدّي في القرآن بنفوس القرآن

انظر الى هذا الأسلوب الأنيق المتين في مقام التحدّي ، من التدرّج والتنزّل ، بالمدارة مع الناس والعناية بتسهيل الأمر على المخالفين : فطلب منهم مرّةً اتيان قرآنٍ مثل هذا القرآن وطلب منهم مرّةً أخرى اتيان « كتاب اهدي منه » وسهّل عليهم الأمر وطلب ممّن ادعى الأفتراء حيناً ، اتيان عشر سور مثله ، وبالغ زمانا في المدارة والمساعدة والمساهلة حتّى قنع ان يأتوا : « بسورةٍ من مثله » .

تسهيل الامر
في التحدي

١ - السورة الثامنة (الانفال) .

٢ - السورة ال ٢٧ (النمل) .

ولعله كان بين هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون ، وينطقون بما لا يريدون ولا يفهمون ، ويدعون بالسنتهم وافواههم ما ليس فى قلوبهم وافئدتهم ، من كان يجازف بدعوى امكان الأتيان بمثل القرآن فلزم على النبى الصادق ان يلزمه ويفهمه ، فى ذلك الأدعاء الباطل والقول الجراف الكاذب ، بالمداراة معه والتفضل عليه بان يقول له :

ان كان الأمر فى امكان الأتيان بمثل القرآن، كما توهم وتزعم ، فأنت انت بسورة واحدة، لا اكثر من ذلك المثل الذى تتخيل ، او تتكلم احياناً، وتدعى بصرف اللسان امكان الأتيان به .

ثم ارجع البصر فى تلك الآيات كرتين واعتبر ممّا يشار اليها منها ، لتبصرك واعتبارك، فى الذليل :

١ - كيفية امتلاء قلب الرسول من كثرة الطمأنينة بنفسه وشدة الاعتماد بصدقه وقوة الوثوق بصحة دعويه وكمال الأطمينان بعدم امكان معارضته فى ما ادعاه .
فينادى باعلى صوته ويقول ، بأمر ربه ، مرة :

« لئن اجتمعت الأنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ... الآية » .

ويشير مرة اخرى ، بعد جملة « وان لم تفعلوا » ، بكمال الأطمينان ، قطعاً بعدم امكان معارضة ما تحدى به بجملة « ولن تفعلوا » على سبيل التأييد فى النفى والتعجيز الدائم عن الأتيان بمثل القرآن .

وقد تحققت صدقه صلى الله عليه وآله وسلم فى ادعائه التأييد والدوام الى يومنا هذا مع كثرة مخالفيه ومعانديه واهتمام اكثرهم للاتيان بما يماثله ويساويه فان حدث نفس هذا الأخبار من قبيل الأخبار بالغيب واختسب فى ما يعجز عنه البشر كان فى محله بلا ريب .

٢- كيفية انذاره اياهم فى ما اذا استمرّ واعلى الأنكار، حيث يوقظهم من نومهم ويرشدهم من جهلهم بهذا التهديد والانذار: متابعتكم ذلك المنهاج الالهى والمنهج السوى يكون نافعة لكم لالى ومخالفتم اياه ، وانحرافكم عنه، تنصرونكم لاهى لأنكم اذا لا تؤمنوا به

فى القدر عن
الاتيان بسورة من
مثل القرآن تأييداً

ولا تطعموه ولا تخضعوا له ولا تطبقوا اعمالكم في حياتكم وفق ما ثبت فيه تكونون انتم كافرين خاسرين فتطلع على افئدتكم نار الله الموقدة التي وقودها الناس والحجارة وتهبطون انتم عن شامخ مقامكم الانساني الى محط ادنى واسفل من الطور الحيواني فتصيرون في جميع الشئون الستة، جمعاً و فرداً ، جسماً و روحاً ، دُنْيِيَّ و عَقْبِيَّ ، سائرين سير الانحطاط او السقوط و النقص و الهبوط و الجهل و الفتور و الدناثة و الفساد في دار الغرور و الشقاوة و الهلاك يوم النشور .

٣ - كيفية دعوته ، بعد التحدي و التعجيز ، او ابتداءً ، الى الصلاح و الخير .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَهْلًا أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^١

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ١٠٨ ﴾^١

وبعد النظر الغائر و ارجاع البصر النافذ و التدبر الثلاثي في القرآن و الاعتبار بآياته فكن بارد الصدر ثلج الفؤاد ساكن الجنان مطمئن القلب و اعلم انما انزل القرآن بعلم الله و ان لا اله الا هو المفيض الرحمي و اسلم الله و آمن بقرآنه المجيد و صدق رسوله الصادق الامين صلى الله عليه و آله و سلم و اعتقد بصميم العقيدة و خالص الاعتقاد و الطوية بان :

﴿ لِلَّذِينَ اسْتَحَابُوا لِرَبِّهِمْ ، الْحُسْنَى ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ ١٨... ﴾

« أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنْ نَزَّلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ
أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ١٩

« الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢٠ وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ ٢١ .

« الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤْنَ بِالْحَسَنَةِ ، السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ
عَقُوبَةُ الدَّارِ ٢٢ » ١

٦١ - وجوه اعجاز القرآن

تصدى لبيان كيفية اعجاز القرآن وتشخيص وجوهه ، قديما وحديثا ، كثير من
العلماء والافاضل فالتفوا في هذا الموضوع كتباً كثيرة قيّمة^٢ ولعلّه جاوز الوجود المهمة
منها عشرة وجهاً بعضها يتعلق بما هو من شئون الالفاظ من جزالة اللفظ واسلوب
التعبير ونظام العبارة وافادة المراد وبعضها يرجع الى ما يستفاد منه من المعنويات ، كبيان
المعارف والحقائق وتشريع الأحكام من العبادات والمعاملات والاحكام والسياسات ،
وكتأثيره في الهداية والارشاد وكأخباره عن المغيبات وما يشبه هذه الامور .

فمن قبيل الاول كون القرآن في اعلى^١ ذروة من مراتب الفصاحة والبلاغة
بحيث عجز عن الأتيان بمثله ، بل « بمثل سورة من مثله » ، الفصحاء والبلغاء من زمن
التحدى بقوله : « وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا . . . الْآيَةَ » الى زماننا هذا

١ - السورة ال ١٣ (الرعد)

٢ - منها ما الفه السيد المحقق المعاصر صديقنا الفقيه العلامة هبة الدين الشهرستاني
ولعل تأليفه هذا كان اولى لجمع تلك الوجوه وتحقيقها واحوى لميزات القران وتوضيحها .

وهو آخر القرن الرابع عشر من الهجرة .

ومن قبيل الثاني قوله تعالى في بيان حقيقة التوحيد وعرفان الحق : « شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... ١٨ » ، وقوله : « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ... السورة » ، مثلاً .
ولا يلزمنا هنا اطالة المقال بتكثير المثال لقسم المعارف ، من بيان المبدء والمعاد وشأن النبوة ومقام الأنبياء ، ولاغيره مما اشير اليه من سائر انواع هذا القبيل ، من تشريع انظمة الأحكام ومن الأخبار بالمغيبات ^٢ وغير ذلك ، كما لا يلزمنا اطالة الكلام في تشريح الأمثلة للقبيل الاول ، وذلك لان الكتب المربوطة مشحونة بتفصيل هذه الأمور مكفولة بتشريح هذه الشئون .

٦٢ - وجه خاص للاعجاز

لكنه يعجنى ان اشير الى وجه يزيد على تلك الوجوه شرفنى الله بالهامه والهمنى باحسانه واكرامه ويختص بادراكه ، ثم الادعان بأنه بمنزلة الاعجاز ، من كان من الخواص وهو انه :

قد توجد في القرآن جملة مكررة بعبارة واحدة في موارد كلها الا في مورد وقعت فيه زيادة بحرف واحد ^٣ فالخبير المتامل والبصير المتدبر يقف هنا ويتفكر ويناجي

١ - السورة الثالثة (آل عمران)

٢ - عد « الاخبار بالمغيبات » وما يشبه ذلك ، مما ذكر ، من المعجزات ليس بمعنى « المعجزة » الاصطلاحى الذى اعتبر فيه « التحدى » بل بمعنى كون الملل وهو عجز اتيان الناس بالمثل موجود فيها فاطلاق لفظ المعجزة على امثالها من باب التوسع باعتبار وجود الملك اللهم الا ان يقال « ابهام وجه التحدى » في القرآن يورث العموم والشمول لكل ما كان من هذا القبيل فيكون اطلاق عنوان « المعجزة » عليها بمعناها الاصطلاحى فتدبر .

٣ - وهكذا قد يوجد في موضوعات متشابهة متماثلة ، يقتضى تشابهها ، ظاهراً ، وحدة التعبير ، تعبيرات مختلفة وتغييرات متنوعة في كلمة على خلاف اقتضاء ذلك الظاهر . من امثلة ذلك ماورد في قصة موسى وامثلته الثلاثة ، التماثلة في الموضوع ، المقتضية ظاهراً وحدة التعبير في الجواب ، من تغيير التعبير عند الجواب عن كل سؤال فتارة وقع في الجواب كلمة « اردت » وثانية كلمة « اردنا » واخيراً كلمة « اراد ربك » ففي هذا التبديل والتغيير ما يرشد العارف ، الخبير بمراتب السالك ، الفائز بمقام الشهود ومشهد الوصول ، الى ان القرآن « ان هو الاوحى يوحى » وانه معجزة لامثل له يؤتى .

نفسه : لما ذا اختص هذا المورد بهذه الزيادة وماذا اريد من هذه الزيادة والأضافة؟ وبعد التدبر الفاحص يتمعّب ويدهش ممّا يشاهد ويدرك من الاشارات الدقيقة والأسرار الأنيقة المطوية في هذه الزيادة (اوالتغيير في التعبير) فيذعن اذعاناً باتّاً بانّ امثال هذه العبارة لا يكاد يكون الا نازلاً من سماء افاضات العليم الحكيم وارداً بالوحي على القلب الطاهر الكريم صادراً عن لسان الرسول الأمين .

ولنذكر انموذجاً لذلك :

قوله تبارك وتعالى في السّورة ال ٤٠ (سورة المؤمن - الآية ال ٦٧)

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ .

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ .

ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ .

ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً .

« ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ .

ثُمَّ لِيَتَّكِنُوا شِيْئاً .

وَمِنْكُمْ مَنْ يَسْتَوْقِي مِنْ قَبْلٍ .

وَلِيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى .

وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

واظنك تعلم ان في القران المجيد آيات كثيرة جداً (نحواً من سبعين ٧٠ آية) ختمت بكلمة الترجى (لعلّ) واردة على ضمير الجمع المخاطب مسندةً اليه التعقل اوالتفكر او التذكر او الشكر وما تضاهاى هذه الامور، كالاتقاء والاهتداء والأفلاح والأيقان والإسلام، كقوله تعالى : « لِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » وقوله تعالى : « لِعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » وقوله تعالى : « لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » وقوله تعالى : « لِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » وقوله تعالى : « لِعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » وقوله تعالى : « لِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » وقوله تعالى : « لِعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » وقوله تعالى : « لِعَلَّكُمْ تُؤْمِنُونَ » وقوله تعالى : « لِعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ » .

فاعلم انّ نحواً من عشرة موارد منها تكون من النوع الاول ، اى يكون تعلق الترجى فيها بالتعقل ، ولا تكون الجملة فى تلك الموارد مصدرّة بالواو العاطفة الا فى مورد واحد وهو فى الآية المزبورة من سورة « المؤمن » كما انّ فى غير هذا النوع ايضا ما صدرت الجملة بالواو الا فى موارد معدودة تقلّ عن عشرة ، وهى الموارد التى يكون وجه العطف فيه ظاهراً بيناً كقوله تعالى : « . . . ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ٧٢ » (١) .

وحينئذ يتوجه الناظر المتفكر ويتنبه السامع المتدبر الى كشف النكتة ووجه زيادة حرف « الواو » فى خصوص ذلك المورد الواحد من بين تلك الموارد الكثيرة فىرى من الاشارة السالحة الى الحقيقة الكامنة فى الآية ما يتواضع العلم والفلسفة والعرفان لها ويخضع تجاه ما جاء به النبىّ الأسمى ، الذى كانت نشأته بين الجاهليين ، اقوى عقل نظرى لأكبر شخص كان متضلّعاً بالفلسفة والعرفان متصفّاً بالأنصاف والوجدان .

وكيف لا والعقل النظرى من الفيلسوف العبرى بأرشاد من البرهان المنطقى والميزان الفكرى يعتقد ويرى انّ لكلّ نوع من الانواع الموجودة كمال يختصّ به وكمال الخاصّ بالانسان هو وصوله الى كمال العقل فهو يسير فى سلوكه سننّ الحيات لاستكمال العقل ويتطور فى اطواره ومدارجه من نقطة القوة الصرفة وظلمة الهيولانية البهتة ، درجة بعد درجة ومرحلة بعد مرحلة ، الى ان يرد منزل الفعلية ، بل يصل الى غايتها ، ويشدّ فى فعليتها فيصير عقلاً محضاً فى الأشتداد ويصحّ ان يطلق عليه عنوان « العقل المستفاد » .

٦٣ - الانسان والعقل

الفيلسوف (والحكيم والعارف) فى كلّ مباحثه ومطالبه وغاياته وماربه يسعى لتحصيل هذا الكمال ويكده للوصول الى ذلك المقام والمآل ولذا تراه فى تعريف الفلسفة

والحكمة تارة يصفها بانها :

« هو العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليها بقدر الطاقة البشرية » .

وتارة " اخرى بانها هي :

« صيرورة الإنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني »

وفي كلمات الأنبياء ، معالم الشهود ومشاهد الأيحاء ، ايضاً ما يشير الى ذلك بل يصرح به ولاسيما في كلمات الكامل التام ، رسول الاسلام ، فقد روى عنه عليه السلام عدة روايات ترشد الى ذلك المقام ، منها قوله (ص) لعلّي :

« يَا عَلِيُّ إِذَا عَنَى النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ بِتَكْثِيرِ الْعِبَادَاتِ فَعَنَّ أَنْتَ نَفْسَكَ بِتَكْثِيرِ الْمَعْقُولَاتِ تَسْبِقَهُمْ »^١ .

كمال الانسان
بكماله في العقل

ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إِذَا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنَ حَالٍ ، فَانظُرُوا فِي حُسْنِ عَقْلِهِ ، فَانَمَا يَجَازِي بِعَقْلِهِ » .

ولعله الى هذه الحقيقة يشير عدة روايات وردت عن اهل بيت النبوة ، آل خاتم الرسالة ، والسفارة ، اولى العصمة والطهارة .

منها ما في « الوافي » عن « الكافي » ، في حديث طويل ، عن هشام بن الحكم عن الامام ابى الحسن ، موسى بن جعفر (ع) ذكر فيها عدة آيات منها هذه الآية ، آية سورة المؤمن وقال (ع) في ما قال لهشام :

١ - نقلها بهذه العبارة السيد الداماد من رسالة في المعراج منسوبة الى ابى علي ابن سينا ورايتها في بعض الكتب لغيره من علماء الشيعة ايضاً بهذه العبارة ولكنها في المجلد الاول من حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني (الصفحة ١٦) باسناده عن عاصم بن ضمرة عن علي ابن ابى طالب وردت هكذا :

« قال (يعنى عليا) : قال النبي : يا علي اذا تقرب الناس الى خالقهم في ابواب البر فتقرب عليه بانواع العقل تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة » وكيف كان فالاستشهاد في محله والاستناد واضح لاهله .

«... يا هشام ما بعث الله أنبيائه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله . فاحسنهم استجابة احسنهم معرفة . وآعلمهم بأمر الله أحسنهم درجة في الدنيا والآخرة .»

ومنها مرواه شيخ مشايخنا العظام ، أول الشهداء السعديين ، قدست اسرارهم ، في المسئلة الأولى من البحث الثامن ، الذي عقده للبحث عن « البرزخ » في كتابه «الذكرى» ما عين عبارته :

«... وروى الكليني بعدة اسانيد عن الصادق (ع) : انما يسأل في قبره من محض الإيمان والكفر واما ما سوى ذلك فيلتهى عنه ورواه محمد بن مسلم و... وعن الباقر (ع) مثله بطريق ابي بكر الحضرمي....»

ومنها ، وهي كالصريح في هذا المعنى ماروى في المجلد الاول من « بحار الانوار » عن الباقر (ع) :

« ان الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا .»

اطوار
حيات الانسان
وادوار وجوده

ولنكتف بهذه الاشارات ونرجع الى ما كنا بصدده من بيان ما يتراعى من النكتة ووجه زيادة « حرف الواو » في الآية وما يستفاد منها من الاشارة الى حقيقة خافية فنقول :

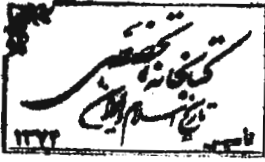
ان الآية كما هو ظاهر ، تكون في مقام بيان اطوار الانسان في وجوده وتحققه من بادي بدىء تكوُّنه وخلقه الى قصوى نشأته ودرجاته واطواره : فتشير الى جميع مراتب سيره وسلوكه في مدارجه والى هبوطه في مناهجه ثم صعوده الى معارجه .

العقل
أعوار المدارج

فاول ما انشقت به ظلمة عدمه وفطر له الخلق باريه بقدرته وكرمه ، على ما في تلك الآية ، خلقه من تراب ، ثم تحوُّله منه الى نطفة ، وانحداره من الصلب الى الرحم ثم تطوره طوراً صار فيه علقته . ثم اخرجه الله طفلاً . ثم ، ليبلغ اشدّه ويفوز بكماله في القوة والعدة . ثم ، ان لم يكن ممن قدر له التوفى من قبل ، ليكون شيخاً و ، كيف كان ،

ليبلغَ اجلامسمى بالوفاء، سواء اكان الاجل قبل الشيخوخة ام كان بالبلوغ الى الشيخوخة، وليبلغَ مقامَ التعقل فيصل الى آخر المقامات والمنازل ويصعد الى ارقى المدارج من المعارج وحينئذ فيلْقَى جرانه ويتم سيره وسلوكه وهبوطه وصعوده في نشأته الدنيا ويصير من زمرة من اتصل بالملكوت الاعلى وتقرّب الى مبدء النور الأبهى . فيكون من جهة جامعيته عالماعلياً وباعتبار وصوله وتقرّبه نورالهيأ . والحمد لله رب العالمين .

هذا النموذج لما قلنا من الاشارات البليغة واللطائف الأنيقة وكم لها من نظائر في القرآن المجيد فتبصر .



وَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ
رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ
وَأَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ . . .
(سورة الاحزاب)

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ،
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا مُحَمَّدٌ
رَّسُولُ اللَّهِ . . .
(سورة الفتح)

- ١ - دين الإسلام خاتم الأديان الحقّة .
- ٢ - القرآن وعرفان المبدء
- ٣ - القرآن وبيان المعاد والمرجع
- ٤ - القرآن ودستوره العملى للانسان
- ٥ - آيات وخطب
- ٦ - اشعار فى وصف القرآن للشبلى المصرى -
الطبيعى، اوالمسيحى .

٤ - حول كون الإسلام خاتم
الأديان فمنهاجه اكمل
المناهج واهديها الى -
الرّشاد :

٦٥ - دين الاسلام خاتم الأديان واتباعه يكتمل الأنسان

المزية الأخيرة التي اشرنا اليها للقرآن المجيد ، تناسب كمال المناسبة لما ادعاه الرسول الأمين (ص) من كون شرعه اكمل الشرائع ورسالته بالهدى خاتمة الرسالات ونبوته خاتم النبوات ودينه الحق آخر الأديان وغالب على كلها .

« هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ... »

وذلك لأنه أتى ، لهداية الناس وارشادهم ، بمعجزة متحدّ بها من زمانه الى ان ينقضى العالم وهي موجودة تكون بمرأى ومسمع من كل احد الى يوم القيام ، وتدعو الناس في كل زمان وفي كل مكان وبكل مشاركة ومظاهرة اختيار احداً الأمرين :

إِمَّا الْأَيَّانَ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، بَلْ بِمِثْلِ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَبِكِتَابٍ أَهْدَىٰ مِنْهُ .
وَإِمَّا الْأَعْتِرَافَ بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِيَلْتَمِسَ هِيَ أَقْوَمَ لِأَنَّ « إِنَّمَا أَنْزَلْنَا بِعِلْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَالتَّصْدِيقَ بِشَأْنِهِ وَالْإِيمَانَ بِبِقَائِهِ وَالتَّسْلِيمَ لِأَمْرِهِ وَالْعَمَلَ وَفَقَّ مِنْهَا جِهَ وَاحْكَامَهُ ، اتِّقَاءً مِنَ النَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا الْكَافِرِينَ وَابْتِغَاءً لِحُجَّتَاتِ عَدْنٍ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ .

٦٦ - القرآن وبيان المسألة المجهولة

ان القرآن يمتاز عن جميع الكتب التي اختصت ببيانه المسئلة المجهولة على الانسان، المطلوبة معرفتها له، او تعرضت لتحقيها وآثرت تأثيرها في النفوس والأرواح سواء أكانت تلك الكتب سماوية الهيئة ام فلسفية بشرية .

تصدى القرآن لبيان تلك المسئلة الهامة للإنسان ، (من اين جاء ؟ والى اين يروح ؟ وما عليه ان يفعل في هذه الحياة) واديه بأحسن طراز وعلى اوفى واتم بيان

ففيه لكل شيء تبيان ومنه هدى ورحمة وبشرى لكل من اتبعه بتسليم وايمان وجعله امامه للعمل بما فيه من العدل والاحسان والاجتناب من المنكر والفحشاء والبغى ونقض الايمان . قوله تعالى :

﴿ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرًا لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠ وَآوَفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا تُنْفِضُوا الْإِيمَانَ ٩١... ٩١. ١.﴾

هذا الكتاب يُخرج من آمن به وعمل وفق دُستوره من ظلمات الجهل والظلم الى نور العلم والعدل ويهديهم صراط المستقيم ، صراط العزيز الحميد . قوله تعالى :

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ، إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٢١. ٢.﴾

ايضا قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَّحِيمٌ ٢٩. ٣.﴾

القرآن برهان قاطع جاء الناس من رب العالمين ليعرفوا به المبدء ونور مبين سطح على سطح الاشياء والأفعال ليكشفوا به ، فيها ، عن وجه الخير والصلاح وصراط مسوي يسلكوا فيه الى السعادة والكمال والفلاح .

قوله تعالى :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ٧٤. ٤.﴾

١ - السورة النحل (النحل)

٢ - السورة ال ١٤ (ابراهيم)

٣ - السورة ال ٥٧ (سورة الحديد)

٤ - السورة الرابعة (النساء)

وبالجمله اتى هذا النور المبين الالهى فى تحقيق تلك المسئلة وتنقيتها وتوضيحها واثارة سبيلها واثارة النفوس المستعدة لقبولها وتسليمها بما لا مثيل له وليس ولا واحد من الكتب التى تصدى لهذا الموضوع يعادله بالبيان وفى التأثير ويوازيه فى فسحة الأداء والتعبير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزله اليكم والله بما تعملون خير واعلموا انه :

وقَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ، وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧٠ ٢

تلك المسئلة الهامة ، كاترى، تشتمل على اجزاء ثلاثة وفى القرآن المجيد تجد العناية بالتكلم فى كل واحد من هذه الأجزاء الثلاثة با حسن بيان وامتن كلام وافصح تعبير وابلغ تبيان وتقرير.

واليك البيان :

٦٧ - القرآن وعرفان المبدء

اما فى الشان الجزء الأول من المسئلة، وهو معرفة المبدء (من اين جئنا ؟) فقد اتى القرآن بدقائق عقلية وحقائق عرفانية لا يصل الى دركها وشهوها الا الأوحدي من الحكماء المحققين والعرفاء الواصلين وياهى باستنباطها من آياته اقوى العقول الفعالة من اولياء الحكمة والفلسفة واولى الألباب النافذة فى العلم والمعرفة .

اضف الى هذا ان تلك الدقائق والحقائق قد صيغت للتصريح او التلويح بها، فى القرآن قوالب ممتازة من الفاظ راتقة تكون فى اعلى شواحق الفصاحة وجمل لا يقدر ان يرقى الى ذرى بلاغتها طائر الاوهام الطيارة : فالكلمات منها راتقة فائقة موجزة وعباراتها انيقة ، رقيقة معجزة ، قابلة لأن يدركها العارف ويفهمها العامى كل بحسب

١ - مقتبس من الاية الثامنة من السورة ال ٦٤ (التغابن).

٢ - السورة الرابعة (النساء)

قابليته وبقدرا استعداده، فسألت أودية بقدرها^١ ميسرة حلاوة فهمها لكل من شاء ان يتذكر منها طريق سعاده ورشاده، ولقد يسرنا القرآن للذكري فهل من مدكر^٢.

ونعماً هي التي جرت على لسان وليد بن المغيرة احد رؤساء المشركين بمكة في وصف القرآن من حيث حلاوته وعلوه وحطمه غيره.

قال محمد بن جرير الطبري في تفسيره (ذيل سورة المدثر - ال ١٥٦ -)
بأسناده عن عكرمة :

« ان الوليد بن مغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه فكانه رقى له فبلغ ذلك ابا جهل فقال :

« اى عم : ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا .

« قال : ليم ؟ قال : يعطونك ، فانك اتيت محمداً تتعرض لما قبلكه .

« قال : قد علمت قريش انى اكثرها مالا .

« قال : فقل فيه قولاً يعلم قومك انك منكر لما قال وانك كاره له .

« قال : فما اقول فيه ، فوالله ما منكم رجل اعلم بالأشعار منى ، ولا اعلم برجزه

منى ، ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن . والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا .

« ووالله ان ليقوله لحلاوة^٣ وانه ليحطم^٤ ماتحتته ، وانه ليعلن ولا يعلى .

« قال : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه .

« قال : فدعنى حتى افكر فيه .

« فلما فكر . قال : هذا سحر... »

وفى رواية اخرى حدث به الطبري فى التفسير :

« دخل وليد بن المغيرة على ابي بكر بن ابي قحافة (وض) يسأله عن القرآن

فلما اخبره خرج على قريش فقال :

١ - الابهة ال ١٧ من السورة ال ١٣ (الرعد)

٢ - ثلاث آيات فى السورة ال ٥٥ (القمر)

« يا عجباً لما يقول ابن ابي كَبْشَةَ ١ .

« فوالله ما هو بشعر، ولا سحر، ولا بهدْيٍ من الجنون .

« وان قوله لمن كلام الله .

« فلماً سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا، وقالوا: والله لئن صبا الوليد

لتصبأَن قريش..... »

والقرآن كما بهر عقول الفصحاء والبلغاء بكلماته وعباراته واسلوبه وبهتهم، أبهر عقول اولى الالباب بدقائقه ورفائقه ومقاصده وحقائقه فعجب من احتواء القرآن على ارق الحقائق وادق المقاصد كل فيلسوف خبير وبُهِت وتحيّر فى اشاراته الى اهم الدقائق كل متفكّر بصير .

والآن فلنرجع الى ما كنا يصدده من ايراد نبذ من الآيات الواردة فى شان الجزء

الأول (عرفان المبدء) فنقول :

« وَ يَسْتَطِيعُ بَشَرًا أَنْ يَصُوغَ كَلَامًا فِي هَذَا الشَّأْنِ بَحِيثٌ تَصِلُ صِيَاغَتُهُ فِي الْجُزْأَةِ

والمئانة والدقة والصحة والسهولة والمناعة كعب هذا التعبير ؟ :

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

كُفُوًا أَحَدٌ »

او كانت على شاكلة قوله الحق : ؟

« شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . . . ١٨٠ » ٢

او كانت عديلاً لقوله تعالى : ؟

« قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٦

« تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ

١ - « ... كان المشركون ينسبون النبي الى ابي كبشة، وكان ابو كبشة رجلاً من

خزاعة خالف قريشا فى عبادة الاوثان، وعبد الشعراء، فلما خالفهم النبي فى عبادة الاوثان

شبهوه به . وقيل : هى نسبة الى جد النبي (ص) لانه فارادوا انه نزع اليه فى الشبه «

(مجمع البحرين)

٢ - السورة ال ٣ (آل عمران) .

مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٧
 اَوْ يَتصَوَّرُ كَلَامٍ فِي هَذَا الشَّانِ اَبْلَغُ وَاَفْصَحُ مِنْ قَوْلِهِ الْجَامِعِ الْكَامِلِ ، تَعَالَى شَانُهُ ؟
 «هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ
 الرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ
 الْمُؤْمِنُ الْمُهِيبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣
 هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٤

اَوْ لَيْسَ بِكَافٍ لِمَنْ ارَادَ عَرْفَانَ الْحَقِّ الْأَوَّلِ ، تَعَالَى شَانُهُ ، حَقِّ الْكِفَايَةِ اِنْ
 يَتَامَلُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ ؟

« قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ
 وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
 وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ؟ »

« فَسَيَقُولُونَ : اللهُ . »

« فَقُلْ : أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ ٣١ »

« فَذَلِكُمْ الْحَقُّ ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَ تُصِرُّونَ ٣٢ ... »

« قُلْ : هَلْ مِنْ شَرِكائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَ »

تُؤَفِّكُونَ ٣٤ . »

« قُلْ : اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ لِمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ »

« أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٥ »

هذه نبذة مما وردت في القرآن الأجلّ حول الشان الاول .

ولعله لا يخفى على الناظر المتدبر ما في الآية الأخيرة من الإشارة الى ما ذكرناه

١ - السورة الثالثة (آل عمران)

٢ - السورة ال ٥٩ (الحشر)

٣ - السورة العاشرة (يونس)

سابقاً من ان تنظيم المنهاج الكامل للمهداية والبرنامج الكافل لجميع ما يرشد الانسان الى طريق الخير وكسب الكمال وتحصيل السعادة لا يمكن لأحد غير الله فهو الحق وكلامه بان يتبع الحق .

.... قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذِكْرًا ١٠ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (١١)

٧٠ - القرآن وبيان المعاد

واما في الشان الجزء الثاني وهو كيفية المعاد (الى ابن نروح ؟) فقد وردت في القرآن الحميد لبيان المعاد والنشأة الآخرة والأشارة الى الدرجات المتفاضلة والمراتب المتكثرة في تلك النشأة تبعاً للدرجات متفاوتة في العقل والعلم والمراتب المختلفة في العمل في هذه النشأة الأولى ، كلمات فصيحة وعبارات بليغة وإشارات انيقة وتنبهات موقظة موجزة وآيات بيّنة ليعقل من تدبر فيها ويفهم منها من نظر اليها كل على ما يُسرّ لما خلق لها .

القرآن ، اماط اللثام عن وجه مجهولات نشأة الآخرة ، وكشف الغطاء عن مبهماتنا ، فإشار الى الموت وكيفية تحققها ، وبيّن حقيقة الحياة الطيبة الخالدة وحقيقة الكمال والسعادة ، وهدى الى المستقيم من سبُل تحصيلها ، وافصح عن التهلكة والنقص والشقاوة وارشد الى لزوم التجنب عن سلوك مسالك المهالك والافتحام في مفاوزها .

بيّن القرآن ما يرتبط بالموت وما يترتب عليه بياناً لا يكاد يوجد له في هذه الفسحة مثل ونظير مراعيّاً في البيان والأفصاح اختلاف مدارك الأشخاص وافهام الأصناف وعقول الناس من حيث مقامهم في التدبر والتعقل والاستعداد .

٧١ - معرفة المعاد في القرآن

فمما وردت في هذا الشأن:

- ١ - قوله تعالى: «وَزَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ لَنَا لَبُعْثًا: قُلْ: بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧» ١.
- ٢ - قوله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا... ٣٠» ٢.
- ٣ - قوله تعالى: «أَتَيْدَامِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكُمْ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ٤» ٣.
- ٤ - قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟ ٧٨ قُلْ: يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٧٩. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ ٨٢» ٤.

حيات الانسان
بعد مماته

- ٥ - قوله تعالى: «وَقَالُوا: إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٢٩ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ: أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: بَلَىٰ وَرَبِّنَا. قَالَ: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٠ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ»

١ - السورة ال ٦٤ (التغابن)

٢ - السورة الثالثة (ال عمران)

٣ - السورة ال ٥٠ (ق)

٤ - السورة ال ٣٦ (يس) .

كَذَّبُوا بِإِيقَاعِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا: يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ، الْإِسَاءَ مَا يَزُرُونَ ٣١ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ. وَلِلْآخِرَةِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٣٢؟^١

هذه نماذج مما ورد في القرآن الحكيم لهذا الشأن العظيم وسيتلى عليك آيات أخرى تناسب هذا الموضوع حين البحث عن الأصول الاعتقادية وسيجيء هنا بعض ما أنزل في شأن الجنة والنار ومعاد الأبرار والاشرار .

« يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي » .

٧٢ - القرآن ومنهاج العمل

وأمّا في الشأن الجزء الثالث (ما يجب على الإنسان في مقام العمل) وهو الذي له شأن من الشأن وهو ، بالحقيقة ، أمّ الشئون وأهمّها وأسس قوائم الحياة واتمّمها ولأجله يتحرك ويسير كل فرد ، ان بصطاد منهاجاً وميزاناً بل واتباعه بصير الإنسان انسانا .

ماورد في هذا الشأن الخطير في القرآن الحميد ، هو ، بالحقيقة ، برنامج استوفى تكاليف الإنسان وافصح عن وظائفه ايام حياته في هذه النشأة الدنيوية وهو شريعة انتظم فيها جميع الشرائع والشعائر واشتملت على تمام المواد التي ينفع العمل بها للمعاش وفي المعاد ومنهاج اندرج فيه كيفية العمل في هذه الحياة بحيث يستتبع الكمال وصراط حق سوى بترتب على سلوكه الوصول بالخيرات والسعادات .

القرآن المجيد، وهو اساس التشريع الاسلامي ومبدؤه ومآله وفيه انطوى الأحكام: حرامه وحلاله، كامل شامل محيط جامع .

الشارع الاسلامي احاط بنظرة النافذ الواسع المحيط الى جميع شئون الفرد البشري

القرآن المجيد
هامل لبيان جميع
ماينفع الناس

ورمة نواحي المجتمع الأنسانی فی كل مراحل الكيان والتحقق وباعتبار تمام الأوضاع والاحوال ومن حيث جميع شتات الظروف والمقتضيات ، زماناً و مكاناً وقابلية واستعداداً ، و ، بالجملة ، نظر الشارع الى كل ما له تأثيراً في سوق البشر الى الكمال وايصاله الى السعادة ثم شرع للناس من المنهاج والدين ما لا يمكن ان ينسب وضعه الا الى الله العالم الخبير القادر المحيط بكل شيء من كل ناحية ولكل شأن يتصور فيه .

فالله تبارك وتعالى اتم نعمته على الناس وهدى لهم سبيل الرشاد وانزل عليهم القرآن وعلمهم الكتاب والحكمة وعلمهم بالقرآن ما لم يكونوا يعلمون . قوله الحق :

«... وَالْأْتِمَّ نِعْمَتِيْ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ ۝١٥٠ كَمَا ارْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُوْلًا مِنْكُمْ يَتْلُوْا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُوْنُوْا تَعْلَمُوْنَ ۝١٥١» ١

٧٣ - كمال المنهاج الاسلامي

الشرع الاسلامي ، كما لا مثيل له في الشرائع الموضوعية البشرية من حيث الكاملية والجامعية ، وبلحاظ مراعاة الشئون الستة المذكورة ، فهكذا لانظير له في الشرائع السماوية ، فهو يمتاز عن جميعها بالفضيلة والكمال وكيف لا وهو يحتوي على كلييات جامعة لأصلاح المجتمع ولأكمال الفرد وهذا سواء كان لصيانة جسمه وطهارة بدنه ونقاوة جسده ام كان لتزكية روحه وقداسته باله وخلده وسواء كان لرفاهه في معاشه ام لصلاح لمعادته .

على ان تلك الكلييات الموضوعية والقواعد الكاملة المشروعة روعي فيها تناسبها لكل زمان ولو حظ انطباقها ، على كل مكان وصلاحها لأرشاد كل انسان كانتاً من كان وفي اى مصر وعصر بان .

المشروع الاسلامي باحتوائه الأصول والكلييات ونفوذ نظره في جميع نواحي الأشياء

وانحاء الموضوعات ورعايته رمة مقتضيات الأحوال والأوضاع وتوجهه الى عامة الظروف والأرجاء وبتشريعه حكماً مناسباً لألقا لكل موضوع في كل وضع وحال ، سواء كان ذلك الحكم على وجه الاختصاص ام كان بنحو العموم والأشمال (الأول ما يطلق عليه ، « المسئلة الفقهية » والثاني ما اصطلح له « القاعدة الفقهية ») وسواء كان ذلك الموضوع منظوراً بعنوانه الأولي الذاتي ام مأخوذاً بعنوانه الثانية الطارية ، شرعٌ وحيدٌ لا يوازيه شرعٌ ومنهاج الهى ، يصلح لارشاد البشر و هدايته الى سعاده ليوم الجمع ، وهو يضمن للانسان ، الحياة الطيبة الخالدة والفوز بالخيرات وكمالاته اللالقة . من اتبعه وعمل به رشد فى الحال وفاز بسعاده فى المآل .

المفروعات
الاسلامية تضمن
للانسان الحوية
الطيبة الخالدة

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي فِيهِ عِوَجًا ۖ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ ۱ »

نعم قد انزل الله القرآن ، تلك الآيات البيّنات ، ليخرج الناس ، من آمن منهم وعمل الصّالحات ، من الظلمات الى النور .

« ... قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الذِّكْرَ ۚ كَثْرًا ۙ ١٠ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمُ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ، لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ١١ » ٢

٧٤ - القرآن وارشاده الى العمل الصالح

والآن فانظر الى مايتلى عليك نماذج من الآيات النازلة فى شان مايجب ، او ينبغى ، ان يعمل بها فى هذه الحيات الدنيا واسمع قوله الحق :

« وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَمَا تَعْمَلُونَ

١ - السورة ال ١٨ (الكهف) .

٢ - السورة ال ٦٥ (الطلاق) .

بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ، وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ ... ٩١ »^١

٤ - قوله تعالى :

« يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ٦ فَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٨ »^٢

وعليك بالتدبر والغور في هذه الآية الأخيرة فيا لها من البيان الموجز الجامع الكامل الكافل للارشاد الى الكمال والخير والسعادة .

أجل من يعمل مثقال ذرة خيراً في هذه الحياة الدانية يراه بعينه في الدار العالوية الآخرة وهكذا من يعمل مثقال ذرة شراً يره وكيف لا و « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨ »^٣

الانسان رهين عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر

ولعل باب مدينة العلم ، عليه السلام ، في هذا المضمار كلمات بليغة نجعل نبذاً منها ختام الكلام عن « الرسالة » ثم نتبرك بالفحص عن حال شخص « الرسول » محمد ابن عبدالله ، رسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم ، ونشير الى بعض ما كان له من المجد والعظمة والكرامة والجلالة^٤ وعلى الله التكلان ومنه التوفيق وهو المستعان .

قال عليه السلام على ما في نهج البلاغة :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ ، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَبِرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَطَّ ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ ، وَجَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمُنَاهِجِ ،

١ - السورة ال ١٦ (النحل) .

٢ - السورة ال ٩٩ (الزلزلة) .

٣ - السورة ال ٧٤ (المدثر) .

٤ - وستوردنا ايضا نبذة من الايات التي تناسب هذا الموضوع اى منهاج العمل .

وَأَوْضَحُ الْوَلَايِحِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِ، مُضِيئُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ، مُتَنَافِسُ السَّبْعَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ، التَّصَدِيقُ مِنْهَاجِهِ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ... الْخُطْبَةُ « (ص ٩١٠)

وقال عليه السلام ايضا :

« بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيئِ، وَالْبِرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالْكِتَابِ الْهَادِي... أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ وَدَعْوَةٍ مُتَلَفِّفِيَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدْعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ، فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ وَتَنْفَصِمَ عُرْوَتُهُ وَتَعْظُمَ كِبَوْتُهُ، وَيَكُونَ مَأْبَهُ إِلَى الْحَزَنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ »

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَالْبَيْتَ يُرْجِعُونَ ١٨٣ ان الدين الجامع لكل خير وصلاح، الكافل للسهادة والفلاح عند الله، الاسلام .

« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ (من وقت ظهوره

الى يوم النشور) وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٨٥ »

وهيئنا وقدحان حين ختم الكلام عن القرآن المجيد يعجبني ان اورد ما تذكرتها

من الايات التي انشأها في شان القرآن المجيد، المصري الكافر بالاسلام، بل بكل دين، شبلي شميلي صاحب كتاب « النشوء والارتقاء » وهي هذه :

« دَعُ مِنْ مُحَمَّدٍ فِي سَدَى قُرْآنِهِ مَا قَدْنَحَاهُ لِلْحُمَةِ الْغَايَاتِ

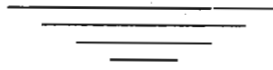
« إِنِّي وَإِنْ أَكُ قَدْ كَفَرْتُ بِدِينِهِ هَلْ أَكْفُرَنَّ بِمُحْكَمِ الْآيَاتِ؟

« وَمَوَاعِظَ لَوْ أَنَّهُمْ عَمِلُوا بِهَا مَا قَيَّدُوا الْعُمُرَانَ بِالْعَادَاتِ

« نَعِمَ الْمُدَبِّرَ وَالْحَكِيمَ وَإِنَّ رَبَّ الْفَصَاحَةَ مُصْطَفَى الْكَلِمَاتِ

رفعة مقام القرآن
وسموه حتى في
نظر المنكرين
والعادين

«رجُل الحِجِّي رَجُلُ السِّيَاسَةِ وَالذَّهَاءِ»
 «بِبِلَاغَةِ الْقُرْآنِ قَدْ جَلَبَ النَّهْيُ»
 «مِنْ ذُوْنِهِ الْاِبْطَالُ»^٢ فِي كُلِّ الْوَرَى
 «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي
 الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ»^٣ ٥٧
 صدق الله العظيم



١ - هذا على مذهبه المادى الطبيعى الذى لا يخضع للوحى والالهام.

٢ - لعله يشير بهذه الكلمة الى ابطال كتاب « الابطال » للفيلسوف الانگرىزى ،

كارليل توماس .

٣ - السورة العاشرة (هونس)

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ
أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

(القرآن المجيد)

« حَتَّى أَفَضْتْ كَرَامَةَ اللَّهِ ، سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى ، إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنِيئًا
وَاعْزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرِسًا عِثْرَتُهُ
خَيْرُ الْعِثْرَاتِ وَسُرْتُهُ خَيْرُ الْأَسْرَةِ »

(نهج البلاغه)

- ١ - رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم .
- ٢ - أسرة الرسول المكرمة .
- ٣ - اوصافه في خلقته وخصيئته وشمائله .
- ٤ - خلقه العظيم .
- ٥ - بعثته المباركة .
- ٦ - دعوة الرسول .
- ٧ - نماذج مما دعا اليه الرسول .

٥ - حول شخصية الرسول، العظمى
صلى الله عليه وآله وسلم :

٧٧- رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم

لا اظن ان يوجد في طول التاريخ البشرى وعرضه تاريخ حياة فرد من افراد الإنسان، رسولاً كان أو غيره، كتاريخ حياة رسول الاسلام محمد بن عبد الله مضبوطاً بجزئياته : في استقصاء جميع شئونه واستقراء كل ما يتعلق به من حالاته، في حياته وصفاته وسماته في ذاته واحصاء حركاته وسكوناته واقواله وافعاله وكل ذلك على النحو الجلى الذى لا ريب فيه ولا خلاف يعتبره.

استوفى تاريخ محمد بن عبد الله ، رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ، في رمة نواحى حياته وفي كل شئونه وجهاته ، سواء اكان من حيث أسرته السامية - الشريفة ام كان باعتبار خصوص والده الماجد او والدتها المكرمة ام كان من حالاته الشخصية وحياته الفردية من بادي بدء تكونه في الأصلاب الشامخة والأرحام الطاهرة ومن فاتحة امره وطلوعه الى حين وفاته ورجوعه وذلك لكونه مطمئناً للانظار، مورداً للتوجيه والاعتبار مضبوطاً في الخواطر والأذهان تتداولته الألسنة والأفواه وتتناقلته القراطيس والأقلام وتتاولته الأسماع والأبصار .

ضبط التاريخ ، تاريخ ، الرسول مبتدء من آبائه وامهاته وزواج والديه الى يوم تولده ورضاعه وفضامه الى يوم ترعرع ربه الى يوم رشده ونشؤيه الى يوم بعثته ونبؤيته الى حين رجوعه الى ربه كل يوم من ايام حياته، بل كل لحظة من لحظات وجوده، سواء اكان في حركاته ام سكوناته وسواء اكان في افعاله ام اقواله ، في جلتواته ام خلتواته حتى في كيفية معاشرته مع نساءه ومحاورته مع زوجاته .

فانظر الى شذمة منها نوردها، هنا مراعيأ جانب الاختصار والتلخيص واعتبر.

٧٨- أسرة الرسول المكرمة

كانت قبيلة قريش اشرف قبائل التي استوطنت من سواف الاعصار بمكة ،

تاريخ حيات نبى
الاسلام اهل
تاريخ للحيات
واكمله

خير بلاد الحجاز وأمّ قريها، وكانت أسرة بنى هاشم اشرف سلالة انسلت من تلك القبيلة والسلالة وكان من هذه الأسرة والفخذ ومن مشاهير هذه العشيرة والبطن^١ بل ورئيسها المعظم وشيخها المكرّم عبدالمطلب بن هاشم وكان لعبد المطلب عدة ابناء احبهم الى الوالد الماجد اصغرهم عبدالله، والد محمد، الرسول الكريم^٢.

تُوفى عبدالله وكان ابنه، محمد حملاً، على اصحّ القولين، اوله سبعة اشهر على قول، وماتت امّه بالأبواء (الأبواء موضع بين المدينة وبين مكّة) حين انصرفها من زيارة اخواله ولما استكمل محمد بعد وقتئذ سبع سنين، وكان كفيلاً امره جدّه عبدالمطلب. وتُوفى جدّه وله ثمان سنين، على المشهور، او ست، او عشر على قولين آخرين.

وحين ما قربت وفاة جدّه عبدالمطلب او صي^١ به الى عمّه ابي طالب فكفّله عمّه، ابوطالب واسمّرت كفالته. فلما بلغ اثنتى عشرة سنة خرج به عمّه الى الشام وفى هذا السفر رآه الرّاهب، بحيراء، واسرّ ببعض شأنه الى عمّه ابي طالب وامرّه ان لا يذهب به الى الشام وعرفه عداوة اليهود له وحذّره منهم فأرجعه عمّه مع بعض رجاله الى المدينة.

تكلم ابي طالب للنبي (ص)

١ - « الفخذ فى العشائر اقل من البطن، اولها الشعب، ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم

العمارة ثم البطن ثم الفخذ » (صحاح اللغة)

٢ - « نذر عبدالمطلب، حين لقي من قريش العنت فى حفز مزم، كما نذكره، لئن

ولد له عشرة نفر وبلغوا معه حتى يمنعه لينحرن ادهم عند الكعبة لله تعالى. فلما بلغوا عشرة وعرف انهم سيمنعونه اخبرهم بنذره... » (الكامل)

« الجملة التى تزوجهن عبدالمطلب خمس فولدن له اثنتى عشر ابناً، على ما فى الصفوة

او ثلاثة عشر، على ما فى « ذخائر العقبى » او عشرة، على ما فى « سيرة بن هشام... »

(تاريخ الخميس)

وكيف كان، كان عبدالله اصغرهم حين اراد عبدالمطلب، النحر والا فالعباس وبعده

حمزة كانا اصغر سناً من عبدالله ولعلهما ولدا بعد وفاة عبدالله ولم يدركا زمانه وعلى هذا

فكان عبدالله اصغر الموجودين وقتئذ.

قال عليّ في خطبة يذكر فيها الأنبياء :

«فَأَمْتَوِدْهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدِعٍ وَأَقْرَبَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَنَاسَخْتَهُمْ كِرَامِ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ . كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بَدِينُ اللَّهِ خَلْفٌ . حَتَّى أَفْضَتْ كِرَامَةُ اللَّهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنِيْبَةً وَأَعَزَّتْ الْأُرُومَاتِ مَغْرَسًا ، مِنَ الشَّجَرَةِ - الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَائُهُ ، وَانْتَخَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ ، عَيْشَتُهُ خَيْرُ النَّعِيْرَةِ ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسْرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ، وَسَبَقَتْ فِي كَرَمٍ ، لَهَا فُرُوعٌ طِيْوَالٌ ، وَثَمَرٌ لَا يَبْنَالُ . فَهُوَ إِمَامٌ مَنْ اتَّقَى وَبَصِيْرَةٌ مَنْ اهْتَدَى ، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ ، سَيْرَتُهُ الْقَصْدُ ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ ، وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ . »

مفرد النبي
وهو
وسوره وسنه

وقال عليه السلام في خطبة اخرى له :

« مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ ، وَمَنِيْبَتُهُ أَشْرَفُ مَنِيْبَةٍ فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ . قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزْمَةُ الْأَبْصَارِ ... »

وقال في موضع آخر:

«... اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَذُؤَابَةِ الْعَلِيَّاءِ وَسُرَّةِ الْبَطْنِ حَاءِ وَمَصَابِيْحِ الظُّلْمَةِ وَيَنَابِيْعِ الْحِكْمَةِ . »

٨٠ - اوصافه في خلقته وشمائله وحليته

عن ابي حمزة الثمالى الشيخ، على ما في بحار الأنوار، عن ابن الصلت عن ابن عقدة بأسناده عن الإمام علي بن موسى الكاظم عن آبائه عن جده عليّ، عليهم السلام، حين قالوا

١ - اسرة الرجل رهطه و رهط الرجل قومه وقيباته.

٢ - جمع «سهد» على خلاف القياس نظير «محاسن» في جمع «حسن» و «مساوي»

في جمع «سوء» .

له : صِفٌ لَنَا نَبِيْنَا (ص) كَأَنَّمَا نَرَاهُ فَأَنَّا مُشْتَاقُونَ إِلَيْهِ .

فقال عليه السلام :

« كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ أَيْضَ اللَّوْنِ مُشْرَبًا حَمْرَةً^١ . أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ^٢ سَبِطَ الشَّعْرَ^٣ كَثَّ اللَّحْيَةَ ذَاوَقَرَةً^٤ . هَدِيقَ الْمَسْرُوبَةِ^٥ . كَأَنَّمَا عُنُقُهُ ابْرِيْقُ فِضَّةٍ يَجْرِي فِي تَرْلَاقِيهِ الذَّهَبُ . لَهُ شَعْرٌ مِنْ لَبَّتِهِ^٦ إِلَى سُرَّتِهِ كَقَضِيبِ خَيْطِ إِلَى السُّرَّةِ ، وَلَيْسَ فِي بَطْنِهِ وَلَا صِدْرِهِ شَعْرٌ غَيْرُهُ ، شَشْنُ الْكَفِيِّنَ وَالْقَدَمِيِّنَ شَشْنُ الْكَعْبِيِّنَ . إِذَا مَشَى إِذَا كَانَ يَنْقَلِعُ مِنْ صَخْرٍ ، إِذَا أَقْبَلَ كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ^٨ . إِذَا التَّفَتَّ ، التَّفَتَّ^٧ جَمِيعًا بِأَجْمَعِهِ كَلْتَهُ . لَيْسَ بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ^٩ وَلَا بِالطَّوِيلِ الْمُمَغْنِطِ^{١٠} . وَكَانَ فِي الْوَجْهِ تَدَاوِيرٌ ، إِذَا كَانَ فِي النَّاسِ غَمْرَهُمْ^{١١} كَأَنَّمَا عَرَقَهُ فِي وَجْهِهِ اللَّوْلُؤُ ، عَرَقَهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمُسْكِ . لَيْسَ بِالْعَاجِزِ وَلَا بِاللَّثِيمِ . أَكْرَمُ النَّاسِ عَشْرَةَ [عَشِيرَةَ خ ل] وَالْبِئْهُمُ عَرِيكَةٌ وَاجْوَدُهُمْ كَفَاءٌ ، مَنْ خَالَطَهُ بِمَعْرِفَةِ أَحَبِّهِ وَمَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةِ هَابِهِ ، عِزُّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَقُولُ بِأَغْتِهِ : لَمْ أَرَقَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ^{١٢} . فَثَلَّثَهُ^{١٣} صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . »

ووصفها أمّ معبد الخزاعية لزوجها ، ابو معبد ، حين هجرته ، صلى الله عليه وآله

١ - عاليًا حمرة على بياضه . ٢ - شديدة السواد في شدة بياضها .

٣ - خلاف الجعد . أي كان مسترسل الشعر .

٤ - كان يصل شعر رأسه إلى شحمة الأذن .

٥ - الشعر وسط الصدر إلى البطن .

٦ - موضع القلادة من الصدر .

٧ - مثل شتل ، لفظا ومعنى ، يقال : فلان شتل الأصابع أي خشن الأصابع وغليظها .

٨ - من فوق . ٩ - المتناهي في القصر .

١٠ - تمغط وامغط الشيء امتد وطال . أصله منمغط (والانمغاط هو التماضي في الطول)

قلبت نون المطاوعة وادخمت في المهم فصارت منمغط .

١١ - كان فوق كل من كان معه .

١٢ - أي يظهر عزه في وجهه أولا قبل أن يعرف من رآه بغتة لا يهضم عليه عزه .

وسلم، الى المدينة ومروره في مسيره نحوها بخيمتها في قصةٍ ستجيبني اليها الإشارة فقالت في ما وصفته صلى الله عليه وآله وسلم لزوجها :

« ظاهرُ الوضائة ، ابلج ، مُشرقُ الوجه ، حَسَنُ الخُلُقِ ، لم تَعِينِه نَجَلُهُ ١ ولم تزره صَعَلُهُ (دقة الرأس والعنق) وَسِيمٌ قَسِيمٌ ، في عَيْنَيْهِ دَعَجٌ ٢ وفي أشعاره وَطَفٌ (كثرة شعر الحاجين) .

وفي صوته صَحْلٌ (اى خشونة) وفي عُنُقِهِ سطح ، أَحْوَرٌ ، اَكْحَلٌ ، اَزَجٌ ٣ اقْرَنٌ ٤ ، شديد سواد الشعر ، اذا صَمَتَ علاه الوقار ، وان تكلم علاه البهاء . اَجْمَلُ الناسِ وابْهَاهُم من بعيدٍ ، واحسنهم ، واحلام من قريبٍ . حَلُوُ الْمَنْطِقِ فصل ، لانزُرٌ ولاهذِرٌ . كَانْ مَنْطِقَهُ خَزْرَاتٌ نَظْمُنْ يَتَحَدَّرُنْ . رَبْعَةٌ ٦ لاتفحم عينٌ مِنْ قَصْرِ ، ولاتسنتشوه من طول ، غُصْنٌ بين غُصْنَيْنِ فهو انْضَرُ الثلاثة منظرًا واحسنهم قدرًا . له رفقاء يحفون به ، اذا قال استمعوا لقوله ، واذا امَرَ تبادروا الى امره محفود ٧ . »

فقال زوجها ، ابو معبد :

« والله هذا صاحب قريش الذي ذكروا من امره ما ذكروا ، لقد هممت ان اصحبه ، ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلاً » .

٨٢ - وصف هند بن ابي هالة حلية النبي

قد ورد في كتب « العامة » و « الخاصة » المعتبرة بأسنادهم عن الامام الحسن بن

١ - سعة العين و حسنه .

٢ - شدة سواد العين مع سعتها .

٣ - ازدج حاجبه : رق في طول فهو ازج .

٤ - « مقرون الحاجبين » .

٥ - فصل بين الحق والباطل . لانزر . بطئي ولاهذر : متكلم بما لا ينبغي .

٦ - « الوسيط القامة » .

٧ - محفودوم .

اوصاف النبي
(ص) على ما
وصله ام معبد

على بن ابيطالب انه قال :

« سألتُ خالى هند بن ابى هالة التميمى (ابو هالة ، هذا ، كان زوج خديجة -
الأول قبل تزويجها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فولدت له هنداً وهالة ولذا عبر
الأمام (ع) عن هند بن خديجة بالخال) عن حليّة رسول الله (ص) وكان وصافاً
للنبي (ص) فقال :

« كان رسول الله فخماً مُفخماً يتنلأ لؤوجه تُلأؤ القمر ليلة البدر ، اطول
من المربع واقصر من الشذب ، رَجُلُ الشَّعر ، ان انفرت عقيقته فرق والافلا يجاوز
شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ، ازهر اللون ، واسع الجبين أزج الحاجبين
سواغ غير قرن بينهما ، له عرق بدره الغضب ، آقنى العرنيين ^١ ، له نور يعلوه ،
يحسبه من لم يتأمله ^٢ ، كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، اشب ^٣ ، مفلح
الأسنان دقيق المسربة ، كأن عتقه جيد دمية ^٤ ، فى صفاء الفضة ، معتدل الخلق ،
بادناً متماسكاً سواء البطن والصدر ، بعيد ما بين المنكبين ^٥ ، ضخم
الكراديس ^٥ ، انور المتجرد ، موصول ما بين اللثة والسرّة بشعر يجرى كالخط ، عارى
الثديين والبطن مما سوى ذلك ، اشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر ، طويل
الزندان ، رجب الراحة ، شثن الكفين والنقدمين ، سائل الأطراف ، سبط القصب ،
خمصان الأخمصين ، مسيح القدمين ينبوعهما الماء ، اذا زال زال قلماً ، يخطو تكفواً
ويمشى هونا ، ذريع المشية ، اذا مشى ^٦ كأنما ينحط فى صيب ^٦ ، واذا التفت التفت

١ - قنى الانف : « ارتفع وسط قصبته وضاقت بنخراه » - العرنيين : « جمع عرائن ،

الانف كله او ما صلح منه » .

٢ - « شم الانف : ارتفع اعلاه » .

٣ - « شنب الرجل : كان ابيض الاسنان حستها »

٤ - « دمية ، جمع دسى : الصور المزينة فيها حمرة كالدم »

٥ - « الكردوسه ج كرادس وكراديس : كل عظم تكرس اللحم عليه » .

٦ - فى استقرار قدسائه .

اوصاف النبي
على ما وصفه هند
ابن ابى هالة

جميعاً . خافض الطرف ، نظره الى الأرض أطول من نظره الى السماء، جُلَّ نظره الملاحظه . يَبْدُرُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ .

« قال قلت له : فصيف لي منطقه . فقال :

« كانَ والله نَبِيُّ اللهِ اَبْيَضَ اللَّوْنِ مُشْرَبًا حُمْرَةً »

الى آخر ما نقلناه آنفاً عن « بحار الأنوار » عن علي أمير المؤمنين (ع) .

٨٣ - خلقه العظيم

اتفق كلام المخالف والمؤلف واجمع المنازع والمتابع على ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان في جميع اطوار حياته ممتازاً بالكمال عن سائر ابناء النوع فكان متخلياً عن الرذائل متخلياً بجميع الفضائل وكان صديقاً اميناً بحيث اشتهر عندهم بوصف الأمانة واعترف له الداعدائه بأنه صادق امين حتى لقبوه بينهم بمحمد « الأمين » .

كان النبي (ص)
كاملاً في جميع
الاصناف والكمالات

لما كان صلى الله عليه وآله وسلم مسدداً مؤيداً من عند الله ، مكرماً مقرباً لديه ، كانت شيمته شريفة زكية طاهرة ، واخلاقه حميدة عظيمة فاضلة ، واعماله سديدة مرضية سالحة . نَعَمَ كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ يَعْمَلُ عَلَيَّ شَاكِلَةً وَيُرْشِحُ بِمَا اسْتُودِعَ فِي وَعَاءِ سَجِيئَتِهِ وَارْتَكَزَ فِي اِنَاءِ طَوْبِيئَتِهِ .

قال علي (ع) في بعض خطبه امرأ للتأسي بالرسول (ص) :

« فتأسَّ بنبيِّكَ الأطيب الأطهر - ص - فانَّ فيه اُسوةٌ لمن تأسى او عزاءٌ لمن تعزى . . . واحبُّ العباد الى الله ، المُتَأَسِّيُّ بنبيِّهِ . والمقتصُّ لاثره قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا وَلَمْ يُعْرِها طَرْفًا ، اَكْضَمَ اهل الدنْيَا كَشْحًا وَاخْمَصَهُمْ من الدنْيَا بَطْنًا ، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدنْيَا فَاَبى ان يَقْبَلَهَا ، وَعَلِمَ انَّ اللهَ سَبْحَانَهُ ، ابْغَضَ شَيْئًا فَاَبْغَضَهُ وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ ولقد كان (ص) يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَجْلِسُ جَلْسَةَ الْعَبْدِ ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ . وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ ، وَيَرْدِفُ خَلْفَهُ ، وَيَكُونُ السُّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ ، فيقول :

« يا فلانة - لأحدى ازواجه - غيبينه عنى فأننى إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها .

« فأعرض عن الدنيا بقلبه ، وامات ذكرها من نفسه ، و احب ان تغيب زينتها عن عينه . . . ، خرج من الدنيا خميصاً وورد الآخرة سليماً ، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله و اجاب دلعبي ربه . . . »^١

٨٤ - جامعية الرسول لجميع الكمالات

و لأجل كونه (ص) خير البرية طفلاً و انجبها كهناً ، اطهر المظهرين شيمه و اجود المستمطرين ديمه فوجهت اليه النفوس و فصرفت نحوها أفئدة الأبرار و ثنيت عليه ازمة الأبصار ، ففن الله به الضعافين و لطفاً به الشوائير ، ألطف به اخواناً و فرق به أقراناً ، و اعز به الذلّة و اذل به العزّة ، كلامه بيان و صمته لسان^١ .

كان رسول الله (ص) فى كل صفات الكمال فوق كل كمال حتى كان فى شجاعه فوق كل شجاع فاصغ الى على ، اشجع الشجعان ، وما قاله فى شأن شجاعة الرسول (ص) :

قال الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ١٣٥-) فى تاريخه لبيان شجاعته (ص) :

« . . . عن على : قال :

« ولما ان كان يوم بدر وحضر الناس لتقينا برسول الله فكلنا من اشد الناس بلساً وما كلنا منا لحد اقرب الى العدو منه »

وقال ايضا :

« من على يقول :

« ما كان فىنا فارس يوم بدر خير منا من الاسود . ولقد رأيتنا وما فىنا الا نلجم »

ألا رسول الله قائماً الى شجرة يصلى ويدعو حتى الصبح .

٨٥ - بعثته المباركة

اكتمل محمد صلى الله عليه وآله وسلم اربعين سنة فبعثه الله بالرسالة و امره بالدعوة وكان الجهل وقتئذ حاكماً على البسيطة ، ولا سيما على جزيرة العرب ، مشرق الرسالة و مطلع الدعوة ، وكان سوء الخلق فاشياً فى قاطنيتها و قبح العمل مستحسناً عند عاكفيتها : كانوا ينكرون الله و يعبدون الأوثان ، انحطت افكارهم و تدنت عقولهم بحيث كانوا يصنعون من الخشب و الحجر اصناماً و يسمونها باسما يتدعونها ثم يعبدونها و يدعونها لقضاء حاجاتهم و يلتمسون منها الخير و يطلبون بها دفع الشر و يترقبون من تلك المجسمات الجامدة المصنوعة بايديهم نيل النفع و دفع الضرر !! .

أَرَبُّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانِ بِرَأْسِهِ ١٩

لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ

بلغ توغل طائفة منهم فى الجهالة و تحصلهم بالدنائة و الرذالة ، بل و السفاهة و الحماقة الى ان كانوا يصنعون من التمر صنماً فيعبدونه و يدعونه لحاجتهم و يتضرعون عنده و يتوسلون اليه و يخضعون لديه ثم إذا جاع احدهم هجم الى معبوده المصنوع و آكله لسد الجوع !!

جهاة العرب
الجاهلى

هكذا كان حال بعض الأفخاذ و البطون و القبائل و الشعوب فى الجاهلية

و هذا انموذج من رذائة عقلهم و شناعة رايبهم و دنائة فكرهم و فظاعة عملهم و رذالة خلقهم فكانت عاداتهم سيئة و اخلاقهم رذيلة و آدابهم منحطة و اعمالهم خسيصة دنية : يفتخرون بالغايرة ، و القتل ، و الظلم ، و التعدى بالأعراض و التوايس ، و التجاوز بحقوق الضعفاء ، فى انديتهم ، و يرتجزون بتذكار رذائلهم المزبورة فى حروبهم و يباهون بها فى اشعارهم حين تجمتهم فى اسواقهم .

دلت البنات
حيا

يتعصبون على بناتهم عصبية عمياء فيدفنونها احياء ويتجاوزون حقوق النساء فيكروهونهن على البغاء يأخذون منهن اجورهن من البغي والفحشاء وبيتغون بهذه الوسيلة الخسيسة الفاضحة عرّض الحياة الدنيا و يطلبون بهذا الكسب الدني زيادة المال والشراء، ويقولون بانهم يتبعون في ذلك الآباء .

« وَاذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا . . . ٢٨ » بل وقد ينسبون ذلك الى امر الله ويقولون : « . . . وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا ، قُلْ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ . . . ٢٨ » تبياً لتلك العقائد والأقوال وتعمسا، وترحاً لذيات الأخلاق والعادات والأعمال وقبحاً . « قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا ١٤٠ » ٢

٨٦- جزيرة العرب في الجاهلية

و خلاصة القول انه استولى على الجزيرة ، الفساد في جميع نواحي حياة القاطنين بها و ظهرت الذنائة والرذالة من قاطبة شتون اكثر ساكنيها .

فنفذ الفساد في العقول و الأراء و الأخلاق و برز الفسوق من الاعمال والعادات و الأداب و صارت آثار الجهل و اطوار الجاهلية فاشية راسخة في عرصة حياتهم ، ولا سيما بمكة ، كظلمات في بحر لجي يغشاه موج ، من فوقه موج ، من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض ، ذلك هو الضلال المبين .

قال عليّ (ع) في بعض خطبه ٣ :

« أَرْسَلَهُ عَلِيٌّ حِينَ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ وَغِبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ . بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ .

« قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ وَاسْتَنْزَلَتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ وَاسْتَخَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ . فَبَالَغَ (ص) فِي النَّصِيحَةِ

١- السورة السابعة (الاعراف) .

٢- السورة السادسة (الانعام) .

٣- نهج البلاغة .

وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْحِظَةِ الْحَسَنَةِ.

وقال (ع) في كلامٍ آخر له ١ :

«وَأَرْسَلْتَهُ عَلَى حِينٍ فَتَرَةً مِنْ الرُّسُلِ وَطُولَ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَطُّظٍ مِنَ الْحُرُوبِ، وَالدُّثْيَا كَاسِفَةً النُّورِ، ظَاهِرَةً الْغُرُورِ، عَلَى حِينٍ أَصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَإِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا.

«قَدْ دَرَسَتْ مَنَارَ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مَتَهَجَّةٌ لِأَهْلِهَا غَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجَيْفَةُ وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِئَارُهَا السَّيْفُ.

لعمري الدنيا
وطعامها

«فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ وَاذْكُرُوا تَيْبِكَ التِّيَّابِ أباؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهِنُونَ وَعَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ... الخُطْبَةُ»

وقال (ع) في موضعٍ آخر ٢ .

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَآمِنًا عَلَى التَّنْزِيلِ وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ.

«مُنْبِيحُونَ بَيْنَ حِجَارَةِ خُشْنٍ، وَحِيَاتٍ صِيمٌ، تَشْنُيُونَ الْكَدِيرَ وَتَأْكُلُونَ الْجَشْبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَائِكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ» ٣

حال العرب
قبل الاسلام

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»

١ و ٢ - نهج البلاغة.

٣ - «الآلِخَةُ، الْمَقَامُ. الْخُشْنُ جَمْعُ خُشْنَاءَ: وَوَصَفَ الْحَيَاتُ بِالصِّمِّ لِأَنَّهَا اخْتَبَأَتْ إِذْ لَا تَنْزَجِرُ بِالْأَصْوَاتِ كَمَا هِيَ لِاتِّسَاعِ... وَالْجَشْبُ، الطَّعَامُ الْمَغْلِظُ، أَوْ مَا يَكُونُ مِنْهُ بِغَيْرِ أَدَمٍ. مَعْصُوبَةٌ أَيْ شَدُودَةٌ تَمَثَّلُ لِلزُّوْمِ لَهَا لَهَا وَقَدْ جَمَعَ لَهَا وَوَصَفَ بِهَا لَهَا مِنْ فُسَادِ الْمَعِيشَةِ وَفُسَادِ الْعَقِيدَةِ وَالْمَلَّةِ» (محمد عبده)

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَمِّمُ لَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ١٢٦٤

٨٧- دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

شَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، بِأَعْيَاءِ الرِّسَالَةِ كَاهِلَ عَبْدِهِ الْحَبِيبِ ، مُحَسِّدِ الْأَمِينِ ، وَقَوَى عَضُدَهُ لِأَدَاءِ تِلْكَ الْأَمَانَةِ فَشَمَّرَ الرَّسُولُ عَنْ سَاعِدِ الْجَهْدِ لِلرَّشَادِ وَالْهُدَايَةِ ، حِينَ كَانَ قَوْمَهُ عَلَى مَادِرِيَّتٍ مِنَ الْغَوَايَةِ وَالْجَهَالَةِ ، وَقَامَ بَيْنَهُمْ بِتَعْلِيمِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَبِتَرْكِيَةِ نَفْسِهِمْ وَتَطْهِيرِ قُلُوبِهِمْ مِنْ أَدْنَانِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَرْجَاسِ الشِّرْكِ وَالْعَصْبِيَّةِ .

تَوَجَّهَ الرَّسُولُ أَوَّلًا إِلَى إِصْلَاحِ الْعُقُولِ وَتَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ بِصَرْفِ افْكَارِهِمْ عَنْ صِنَاعَةِ الْأَصْنَامِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَبِعَطْفِ بَصَائِرِهِمْ وَابْصَارِهِمْ شَطْرَ الْحَقِّ الْمَطْلُوقِ تَعَالَى شَأْنُهُ ، وَبِتَوْحِيدِ آرَائِهِمْ لِلتَّوَجُّهِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ ، عَظْمِ مَجْدِهِ .
فَأَوَّلُ مَا دَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ :

« قُولُوا : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» تَقْلِيحُوا »

وَكُرِّرَ هَذَا الدَّعْوَةَ ، دَعْوَةَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَعَدَمِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ ، بِعِبَارَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَكَانَ كَلِمًا يَدْعُو كُفَّارَ مَكَّةَ وَمَشْرُكِي قُرَيْشٍ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ يَسْخَرُوا مِنْهُ وَيَسْتَهْزِؤُوا بِهِ وَيُذَوِّدُهُ وَاللَّهُ تَعَالَى بِأَمْرِهِ بِالصَّبْرِ وَيَذَكِّرُهُ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ دَارَتْ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ فَكَانَتْ الْأَحْزَابُ وَالْأَقْوَامُ فِيهِ جَمِيعَ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَيَّامِ يَكْذِبُونَ أَنْبِيَائِهِمْ وَيَسْتَهْزِؤُونَ بِهِمْ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ وَيُذَوِّدُونَهُمْ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَلَا تَفْتَرْ فِي دَعْوَتِكَ لِمَا يَعْمَلُونَ . قَوْلُهُ تَعَالَى :

«... جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْأَحْزَابِ ١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ١٣ إِنَّ كُلًّا إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ فَحَقَّ عِقَابٌ ١٤ ...»

وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٧٠
 كان الكافرون في استهزائهم قد ينسبونه الى الجنون و الى السحر وقد يُظهرون
 التعجب من دعوته الى التوحيد : قوله تعالى :

وَعَجِبُوا إِذْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ الْهَاءَ وَاحِدًا ١٢٩ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ٢٦... ٢٧ (ص)
 يقول بامر الله :

«قُلْ: اتَّعِبُدُونِ مِن دُونِ اللَّهِ مَالًا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ٧٦»
 و توجه ثانيا الى لفت انتظام نحو عاداتهم السيئة و آدابهم الدنية و اخلاقهم
 الذميمة الرذيلة و اعمالهم الطالحة القبيحة ، فدعاهم الى الصدق و العدل و اداء الأمانة
 و الوفاء بالعهد و الترحم و صلة الارحام و رعاية جانب الوالدين و الاحسان بهما ، و العفة
 و الشجاعة ، و المرؤة ، و الأنفاق ، و حماية الضعفاء ، و حسن السلوك مع الأُسراء
 و العبيد و الإمام ، و ايتاء المال بدوى القربى و اليتامى و الفقراء و المساكين و ابناء السبيل
 و اشباه هذه من الأخلاق الفاضلة و الأعمال الصالحة و الآداب الراقية .

درجات الدعوة
 و التعليم
 و التربية

و ردَّعَهُمْ عَنِ الْكُذْبِ وَ الظُّلْمِ وَ الخِيَانَةِ وَ الغدر وَ نقض العهد و القساوة و قطع
 الأرحام و عقوق الوالدين ، و حتى قول الأُفّ لهما ، و عن الفحشاء و البغى و الجبن و الحرص
 و البخل و الوعد و الغيبة و النميمة و التفاق و الشقاق و البهتان و الأفتراء و اضرابها من
 الأخلاق المرذولة و الآداب المنكرة و الأعمال المذمومة و العادات السيئة و الرسوم
 المنحطة الجاهلية .

ثم قرر لهم نظمات روعى فيها حفظ حقوق كل واحد من الرجل و المرأة و الزوج
 و الزوجة و الوالدين و الاولاد و الصغير و الكبير و العالم و المعلم و العارف و الجاهل و الفقير

١- السورة ال ٢٨ (ص)

٢- السورة ال ٢٨ (ص)

٣- السورة الخامسة (المائة)

والغنى والوالى والرعية بحيث ان جعلت برنامج الحياة وعمل بها تحصل العدالة الحقيقية بين قاطبة الطبقات وصنوف الأصناف وجميع الأفراد فى اى شأن من الشئون الإجتماعية ، فتحقق السعادة الدنيوية والأخروية لكل فرد من افراد الأنسان .

٩٠- منهاج الدين ناظر الى الفرد والجمع

مما ينبغى ان لا يغفل عنه انه (ص) توجه فى مرحلة وضع الأنظمة وشرع الأحكام و نظم المنهاج الى جهتين :

جهة الأفراد باعتبار الذات بلحاظ كونها فى المجتمع كجزء له .
وجهتها باعتبار العناوين والصفات الخاصة بها .

فجعل الناس من ناحية الجهة الأولى اى بما انهم ابناء نوع و اجزاء جمع ،
اكفاء تجاه الشرع سواسية الوضع والحكم قبال القانون .

مرع الاسلام
ينظر الى الفرد
كنظره الى
المجتمع

ومن ناحية الجهة الثانية وبلحاظ اتصافهم بعناوين ثانية و اوصاف سامية قيمة ،
اصناف تدور فى الأهم الأتم مدار العلم والعمل ويكون مناط الفرق والأعتبار الاسنى
هذين الأمرين فقال ، تبارك وتعالى ، باعتبار العلم :

« ... هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... » ١

وقال ، عز وجل ، باعتبار العمل :

« ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... » ١٣

فمن ناحية الجهة الثانية :

« لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ

الليْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١٣ » ٢

١- السورة ال ٢٩ (الزمر)

٢- السورة ال ٤٩ (الحجرات)

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَرَبًّا مَرُوفًا بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَلِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الْقِبْلَةِ الْحَقِينِ﴾ ١١٤ هـ
صدق الله العظيم : اَقْمِنِ اتَّبِعِ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاهٍ بِسَخَطِ مَنِ اللَّهِ
وَمَا وِلْيَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٦٢ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ... ١٦٣ هـ
وَرَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا
فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبِرَارِ ١٩٣ هـ

٩١ - نماذج مما دعا اليه الرسول

نختم الكلام في هذا المقام بإيراد نماذج مما يتناسبه ذلك الشأن العظيم من آي
القرآن الحكيم :

منها قوله تعالى :

وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَيَنْهَىٰ
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

ومنها قوله تعالى :

وَقُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ : أَلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وَأَبَائَهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ، أَلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ مَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾

ومنها قوله تعالى :

آيات من القرآن
المجيد بعنوان
المقال للدعوة

« وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ، إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ ، وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ
فَأَعِدُّوا ، وَلَا تَوَدُّوا أَنْ يَدْفَقَهُمُ اللَّهُ ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ... ١٥٢ »
ومنها قوله تعالى :

« لَا تُكْرِمُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ ، إِنْ آوَدْتُمْ حِصْنًا ، لَتَبْصُرُوهُنَّ
عُرُوضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... »
ومنها قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ، وَلَا
أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ
كَفَّارٌ بِكُمْ رَحِيمٌ ... ٢٩ »
ومنها قوله تعالى :

« وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ . فَإِنْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ
رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا
وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ
فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَلْيَسْهَبُوا عَلَيْهَا ... ٦ »
ومنها قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ، وَلَا
تَعْضُلُوهُنَّ لِيَنْدَحِبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ
مُبَيِّنَةٍ ، وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ... ١٩ »

١- السورة السادسة (الانعام).

٢- السورة ال ٢٤ (النور).

٣- السورة الرابعة (النساء).

٤- السورة الرابعة (النساء).

٥- السورة الرابعة (النساء).

ومنها قوله تعالى :

«وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ٣٢ ... الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ، بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ .

«فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ، حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفَظَ اللَّهُ ... ١٣٤»
 هذه نماذج من مواد البرنامج العملية التي نزله روح القدس من الرب بالحق لهداية الناس وارشادهم الى سعادتهم المبتغاة ولتكميل نظامهم الاجتماعي في هذه الحياة .

«قُلْ : نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ١٠٢»

١- السورة الرابعة (النساء).

٢- السورة ال ١٦ (النحل).

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ *
 وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *
 فَلَمَّا عَصَوْكَ فَقُلْ : إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ
 (سورة الشعراء ٢٦)

فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَآعْرِضُ
 عَنِ الْمُشْرِكِينَ
 (سورة الحجر ١٥)

١- أول من آمن بالرسول و صلى معه

٢- قيام الرسول بدعوة عشيرته و بيان مقام علي منه (ص).

٣- دعوة الرسول كافة الناس .

٤- نشر الدعوة و آثارها .

٥- شعب ابى طالب .

٦- خروجه (ص) الى الطائف .

٧- بيعة العقبتين .

٨- مؤامرة قريش لقتله (ص) .

٩- مبيت علي في مضجعه (ص) .

٦- حول كيفية الدعوة بمكة

وسبب الجاء الرسول الى الهجرة :

٩٢ - أول من آمن بالرسول و صلى معه

لما اكرم الله محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بكرامة الرسالة و بعثه لدعوة الناس الى طريق الهداية والسعادة كلف أول من لَبِيَ دعوته وآمن به وصدقَه من النساء خديجة ، زوجته ، البارعة على اترابها ، التي عاشت معه قبل البعثة نحواً من خمس عشر سنة ، ورائت من صفاته و اخلاقه و حالاته و اعماله فى تلك المدّة ما يطمئن به القلب و تسكن اليه النفس ، و شاهدت منه الملكات الفاضلة و الأداب الفارقة التي لا يمكن لمن شاهدها و تدبّر فيها و نظر بعين الأنصاف اليها ألا التصديق لما قال و الايمان بما جاء و الأ طاعة لما اراد و شاء .

صدقَه من النساء اقربهنّ اليه و اعرفهنّ به و اعلمهنّ بحاله ، زوجته ، خديجة ، و من الرّجال علىّ بن ابي طالب الذى كان اقربهم اليه و آثرهم لديه و اعرفهم بظاهرتهم و خافيتهم و سرّة و علته و ابصرهم بمشاهدة الأنوار الالهية عليه و آنسهم بأدراك الاحوال الملكوتية منه و اشبهتهم فى سماع الاذكار الربانية ، من التسبيح و التوحيد و التهليل و التكبير و التمجيد و التعظيم لله ، تعالى شأنه ، و الآيات النازلة ، عن لسانه .

خديجة ،
ام المؤمنين ،
اول من آمن
من النساء

٩٣ - انتخاب النبيّ (ص) علياً من وُلد ابي طالب.

كان لأبى طالب ، شيخ بنى هاشم و كبيرهم ، عمّ رسول الله و كافله بعد جدّه ، اولاد كثيرة و عائلة ثقيلة و كانت تلك السنون سنين مُجدبة و الأزمّة شديدة و المؤنة أزمّة فأشار محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى عمّه الآخر ، عباس بن عبدالمطلب و كان من ايسر بنى هاشم و آثرهم ، و الى حمزة بن عبدالمطلب ، عمّه الثالث ، بان يذهبوا جميعاً الى ابي طالب و يسأل كل واحد منهم عنه ، واحداً من اولاده ليأخذه معه و يتكفل تربيته فلما وردوا عليه و التمسوا منه ، استثنى ابو طالب ، عقيلًا ، لشدة

حبه آياه ، لنفسه و خيرهم في اختيار من ارادوا من باقى اولاده فاختر محمد ،
علياً وجاء به الى بيته ، ولم يتجاوز سنه و قتل ست سنين فكان صلى الله عليه وآله
و سلم ينظر اليه نظر الوالد الرؤف الى ابنه المطيع المحبوب فرباه في حجره الأطهر
و رواه من فيض بحره الأزخر بالتعليم و التكميل و التزكية و التهذيب .

فكان الامر ، كما عبر الطبرى في تاريخه (الجزء الثمانى الصفحة ٥٧) :

«وكان مما اتعم الله به على بن على بن ابي طالب عليه السلام انه كان في حجر
رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم قبل الاسلام»

٩٤- تربية النبي علياً و تعليمه كولد له

و لعمر الحق حقيق بن يقال :

صاغ محمد ، ببراعته في صياغته ، من ذلك الذهب الأحمر و العسبي
المستعد الأطهر صياغة الهيئة لامثيل له في التاريخ البشرى و عمل بجداقته البارعة في
عظم و مهارة و الكمال في صناعته ، و هو صناعة الإنسان بالتربية و التعليم ، انسانا
كاملاً راقياً ربانياً لا يشبهه في حالته العجبية و كماله العلية و مقاماته الرفيعة
و مشاهدته الدوقية و معارجه الروحية و مدارجه العملية و عواطفه الرقيقة و معارفه
الدقيقة العميقة ، بعد معلمه و مربيه الأوحد ، احد فهو المثل الاعلى لنفس الرسول -
الخاتم و الأنموذج الأسنى الأتم للإنسان الألهى الكامل الاعظم .

٩٥- سن علي وقت ايمانه

آمن علي برسالة الرسول و صدق بما جاء به من حمد الله بعد هديجة و قبل
جميع من آمن به و صدقه و كان سنة اذ ذاك علي اصبح الأقوال و اكثرها ثلاث عشر

لا شهرة و الا للقول بخمسة عشر ، بل ستة عشر ايضاً ، يروى في الكتب المعتمدة

بقية العاشية في الصفحة الآتية

اعتبار الرسول
(ص) علياً كولد
له و تربيته
في حجره

على في الكمال
مثل اعلى
للسل (ص)

سنة فكان على هذا القول مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته وتحت تكفله و تربيته قبل بعثته سبع سنين .

وهو «اول ذكري» او «اول رجل» صلى مع الرسول بدعوته و امره ^١ .
قال الطبري في تاريخه :
«... فقال بعضهم :

«كان اول ذكرى ^٢ آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم و صلى معه و صدقه بما جاء به من عند الله على بن ابي طالب»
وقال ايضا ، بأسناده عن ابن عباس ، :
«اول من صلى على ^٣»

ول رجل آمن
بالله وصدق
الرسول في
دعوته على (ع)

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

ففي «العقد الفريد» للفتية المالكي (الجزء الخامس -الصفحة ال ٦٨-) تحت عنوان «فضائل علي بن ابي طالب ، كرم الله وجهه» :
«... ابوالحسن قال : اسلم علي وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهو اول من شهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله»

وفي «الاستيعاب» (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٠-) لابن عبد البر المالكي (المتوفى ٣٦٣) بأسناده عن الحسن قال : «اسلم علي رضي الله عنه ، وهو ابن خمس عشرة سنة» وعن طريق محمد بن مسعود عن الحسن ايضا قال : « اسلم علي وهو اول من اسلم ، و هو ابن خمس اوست عشرة سنة» ثم قال ابن عبد البر : قال ابن وضاح : مارايت احد اقط اعلم بالحديث من محمد بن مسعود ..»

١- ومن هذا يعلم ان علياً كان بالغاً مكلفاً بحسن من الرسول دعوته الى الاسلام و امره بالصلوة .

٢- الجزء الثاني - الصفحة ال ٥٦-٥٧- من التاريخ الطبري . ونقل «الفقيه المحدث الحافظ» ابن عبد البر في «الاستيعاب» رواية عن ابن فضيل بأسناده عن حبة بن جوير العرني قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : لقد عبدت الله قبل ان يعبدني احد من هذه الامة خمس سنين» وقال ابن الاثير في الكامل (الجزء الثاني - الصفحة ٢٧-) : «اختلف العلماء في اول من اسلم مع الاتفاق على ان خديجة اول خلق الله اسلاماً فقال قوم : اول ذكر آمن علي ، روى عن علي عليه السلام انه قال : انا عبدالله و اخو رسوله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدى الاكاذب مفر ، صليت مع رسول الله (ص) قبل الناس بسبع سنين»

و بأسناده عن جابر بن عبد الله :
 « بُعث النبي (ص) يوم الاثنين و صلتى على يوم الثلاثاء »
 و بأسناده عن زيد بن ارقم :
 « أول رجل صلتى مع رسول الله (ص) على عليه السلام . »
 و بأسناده عن عليّ (ع)
 « انا عبد الله واخو رسوله و انا الصديق الأكبر لا يقولها بعدى الا كاذب مفتر
 صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين »
 قال « الفقيه الحافظ المحدث » ابن عبد البر المالكي فى كتابه « الاستيعاب فى
 اسماء الاصحاب » :
 « وقال ابن شهاب و عبد الله بن محمد بن عقيل و قتادة و ابن اسحق :
 « أول من اسلم من الرجال على »
 « واتفقوا على انّ خديجة أول من آمن بالله و رسوله و صدّقه فى ماجاء به ثم
 على بعدها »

٩٦ - قيام الرسول بدعوة عشيرته الأقربين و مقام على فيها

بدء الرسول (ص) فى دعوته بأهل بيته و بمن هو اعز الناس بحالاته و صفاته
 وكان منحصرًا اذذاك فى شخصين : زوجته الطاهرة ، خديجة ، و ابن عمه الذى كان
 منه بمنزلة ولده ، على ، فاستقبلا دعوته و صدّقاها فى دعوته و اظهرا الايمان به و بما
 جاءه من عنده ففصليا معه .

ثم قام ، بأمر الله و وحي منه اليه ، بدعوة عشيرته الأقربين ، قوله تعالى :
 « وَاذْذُرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ٢٤ وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢٥ »

نقل ابن الأثير في «الكامل» (الجزء الثاني - الصفحة ٤٠-٤١) عن ابن عباس :
 صعود الرسول بعد نزول آية الإنزال وعطافه ويصالحه، واجتماعهم عليه... الخ.
 ونقل أيضا عن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم : كيفية دعوة الرسول عشيرته
 بعد النزول وحضور خمسة وأربعين رجلاً ومجادرة أبي لهب بالمقال من الزور وسكوت
 رسول الله في ذلك المجلس ودعوتهم ثانية وقوله :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ .
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . لَنْ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ
 أَهْلَهُ . وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَلَصْتُ وَالِي النَّاسِ
 عَامَّةً وَاللَّهُ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَمُوتُونَ وَلَتُبْعَعُنَّ كَمَا تَسْتَفِيطُونَ ، وَلَتُعَاسَبُنَّ
 بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَإِنَّهُ الْجَنَّةُ أَبْدَأُ وَالنَّارُ آخِرًا .»

صديق أبي طالب
 دعوة الرسول

وحينئذ فقال أبو طالب :

«مَا أَحَبَّ إِلَيْنَا مُعَاوَنَتَكَ ، وَأَقْبَلْنَا لِمَصْحُوكِكَ ، وَأَشَدَّ تَمَسُّدِ يَدَيْنَا
 لِحَدِيثِكَ . وَهَذَا بَنُو أَبِيكَ مُجْتَمِعُونَ وَإِنَّمَا أَنَا أَحَدُهُمْ ، فَبِإِنِّي
 أَسْرِعُهُمْ إِلَى مَا تُحِبُّ فَأَمُضِ لِمَا أُمِرْتُ بِهِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَزَالُ أَحُوطُوكَ
 وَأَمْنَعُوكَ . . .»

٩٧ - المخص بالخليفة في دعوة العشيرة

قال محمد بن جرير الطبري في تاريخه (الجزء الثاني - الصفحة ٦٢ - ٦٣) -
 بأساده عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال :
 «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ عَلِيِّ رَسُولِ اللَّهِ (ص) : «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
 الْأَقْرَبِينَ» دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ :

«يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ . . . فَاجْعَلْ لَنَا صَاعًا مِنْ
 طَعَامٍ وَاجْعَلْ عَلَيْهِ رَجُلًا شَاةً وَأَمْلَأْ عُسًا مِنْ لَبَنٍ ثُمَّ اجْمَعْ لِي بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

حتى اُكَلِّمَهُمْ وَابْلَغَهُمْ مَا أُمِرْتُ بِهِ .

« ففعلتُ ما أَمَرْتَنِي ، ثمَّ دَعَوْتُهُمْ لَهُ ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، يَزِيدُونَ رَجُلًا أَوْ يَنْقُصُونَهُ ، فِيهِمْ أَعْمَامُهُ : أَبُو طَالِبٍ وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ وَابُولَهَبٍ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ دَعَانِي بِالطَّعَامِ الَّذِي صَنَعْتُ لَهُمْ فَجِئْتُ بِهِ . فَلَمَّا وَضَعْتَهُ تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) حِدِيَّةً^١ فَشَقَّهَا بِأَسْنَانِهِ ثُمَّ الْقَيْلِهَا فِي نَوَاحِي الصَّخْفَةِ ثُمَّ قَالَ :

خُذُوا وَيَا سَمِ اللَّهِ .

فَأَكَلَ الْقَوْمُ حَتَّى مَالَهُمْ شَيْءٌ مِنْ حَاجَةٍ وَمَا أَرَى إِلَّا مَوْضِعَ أَيْدِيهِمْ .
وَأَيُّمُ اللَّهِ الَّذِي نَفْسٌ عَلَى يَدَيْهِ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِيَأْكُلَ مَا قَدَّمْتُ^٢ لَجَمِيعِهِمْ .
ثمَّ قَالَ :

اسْقِ الْقَوْمَ فَجِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعُسِّ فَشَرَبُوا مِنْهُ حَتَّى رَوَوْا مِنْهُ جَمِيعًا .
وَأَيُّمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِيَشْرَبَ مِثْلَهُ .
فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) أَنْ يَكَلِّمَهُمْ بَدَّرَهُ^٣ أَبُو لَهَبٍ إِلَى الْكَلَامِ فَقَالَ :

لَقَدْ مَا مَسَّحَرَكُم صَاحِبِكُمْ .
فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ ، وَلَمْ يَكَلِّمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) .

١ - بالحاء المهملة والذال المعجمة (على زنة جزية) على ما فى الصباح « قطعة من اللحم قطعت طولاً » وبمعناها « حزة » بالحاء المهملة والزاء المعجمة (على زنة قذة) التى وردت مكان « العذبة » فى كتاب الكامل (الجزء الثانى الصفحة ٤١ - ٤٢) وورديه ايضاً مكان « شقها باسنانه » كلمة « تنفها باسنانه » ومكان « لقدما سحركم » كلمة « لعلمنا سحركم » كتبتا ورد فى تفسير الطبرى (الجزء التاسع عشر - سورة الشعراء - الصفحة ١٢٢) عند نقل الرواية بعينها مكان « لقدما سحركم » كلمة « لهدما سحركم » ونقل المحشى عن « اللسان » : « وفى الحديث ان ابا لهب قال « لهدما سحركم صاحبكم » وهى كلمة يتعجب بها يقال: لهد الرجل اى ما ابطده ثم قال المحشى هو كقولنا لشد ما قال فلان اى ما اهد .

فقال الغد :

« يا على ان هذا الرجل سبقتنى الى ما قد سمعت من القول ، ففترق القوم قبل ان اكلتمهم فعدلتنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم الى .
 « قال : ففعلت ، ثم جمعتهم . ثم دعاني بالطعام فقربت لهم . ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة .
 « ثم قال : اسقهم . فجئت بذلك العس فشربوا حتى رَوَوْا منه جميعاً .
 « ثم تكلم رسول الله فقال :

« يا بنى عبدالمطلب انتى والله ما اعلمُ شاباً فى العرب جاء قومَه بافضل مما جئتكم به انتى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة . وقد امرنى الله ان ادعوكم اليه .
 « فَأَيُّكُمْ يُوَازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ .

نص الرسول (ص)
 بخلافة على
 واحاه ه

« قال : فاحجم القوم عنها جميعاً .
 « فقلت ، وانى لا احدُهم سناً و..... :
 « انا يا نبى الله اكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي ثم قال :
 « ان هذا اخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له واطيعوا .
 قال :

« فقام القوم يضحكون ويقولون لابی طالب :
 « قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ لِابْنِكَ وَتَطِيعَ » .

٩٨ - الوراثة من الرسول

وقال ايضا فى تاريخه (ذلك الجزء - الصفحة ٦٣) بأسناده عن ربيعة بن ماجد :

١ - لا يذهب عنك ما فى قوله (ص) « ان هذا اخى وصيى وخليفتى » : « فاسمعوا له واطيعوه » ثم تدبر فى قول القوم لابی طالب ، ضاحكين « قد امرك ان تسمع لابنك و تطيع » فانصف للشيمة فى ما يقول من كون هذه القضية مما اشتملت النص بالخلافة لملى .

« ان رجلا قال لعليّ عليه السلام يا امير المؤمنين بم ورثت ابن عمك^١ فقال عليّ .

« هاؤم ، ثلاث مرّات ، حتّى اشربّ النّاس ونشروا آذانهم . ثم قال :
« جمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، اودعا رسول الله ، بنى عبدالمطلب ، منهم رهطه ، كلّهم يأكل الجندعة ويشرب الفرق^٢ .

« قال : فصنع لهم مّدّاً من طعام ، فاكلوا حتّى شبّعوا وبقي الطّعام كما هو ، كأنّه لم يمّسّ ، قال :

« ثمّ دعا بغمّره فشرّبوا حتّى روّوا وبقي الشّراب كأنّه لم يمّسّ ولم يشربوا .
قال : ثم قال :

« يا بنى عبدالمطلب انّى بعثتُ اليكم بخاصّةٍ والى النّاس بعامةٍ وقد رايتم من هذا الأمر ما قدر ايتم فايتم بيابعنى على ان يكون اخى وصاحبى ووارثى؟
« فلم يقم اليه احد .

« فقمتم اليه ، وكنت اصغر القوم ، قال : فقال :
« اجلس .

« قال : ثم قال ثلاث مرّات ، كلّ ذلك اقوم اليه فيقول لى : اجلس . حتّى كان فى الثالثة فضرب بيده على يدى .
« قال فبدلك ورثت ابن عمى دون عمى^٣ .»

٩٩- من النصوص بخلافة عليّ

قضية انذار الرسول عشيرته وردت فى الكتب المعتمدة المعتمدة من كتب العامة

- ١ - اى بما ذا تقدمت فى الوراثه عن النبى على عمك العباس .
- ٢ - الجذمة معركة اثنى جذع معركة ايضا وهو قبل الثنى « والفرق مكيال معروف بالمدينة وهو ستة عشر رطلا والغمرايض : القدح الصغير ، « وقد يعرك ... » (صحيح اللغة) .
- ٣ - اى وما ورثه عمى العباس .

والخاصة ولاخلاف بين علماء المسلمين في اصلها وروى الطبري وغيره تنصيب الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، بخلافة اول من صدق، في ذلك اليوم، رسالته وقيل وزارته ومعاونته على ذلك الأمر واراد وراثته وصحابته .

وكذا لاخلاف في احجام الحاضرين المدعوين بل وفي استهزاء بعضهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما لاخلاف في ان علياً هو الذي آمن وصدق، وفي ان الأكثر اثبتوا ان الرسول (ص) امرهم باطاعتهم عنه .

وان كان هنا اختلاف يسير في النقل فيكون في بعض الكلمات والعبارات كما وقع في بعض المنقولات تكرير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله « ثلاث مرآت » وتصديق علي، لاغيره، اياه في كل من تلك المرآت .

وكيف كان تكون ما نقلت من قول الرسول في تلك القضية « ان هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا » وقول القوم ضاحكين مستهزئين لأبي طالب : « قد امرك ان تسمع لابنيك وتطيع » تكون عند الشيعة من النصوص الصادرة عن الرسول لخلافة علي وولايته ولزوم متابعتها واطاعته .

١٠٤ - ابدال لفظ الحديث

بعد ما كتبت كيفية قيام الرسول بدعوة عشيرته على مادريت، في مسوداتي الى هنا وختمت الكلام فيها اتفق لي الآن، حين نقلها الى هذه المبيضة، وكان ذلك بعد سنوات، مراجعة كتاب « اعيان الشيعة » تأليف العالم الخبير الثقة البصير المجاهد بعلمه وعمله في سجل اعلاء الدين السيد محسن الأمين، الحسيني العاملي، عامله الله بلطفه العميم فرايت فيه ما يناسب نقله هنا تكميلاً لانتفاع الناظرين :

قال، قدس سره، بعد ما نقل رواية الطبري عن تاريخه، كما نقلناه :

« ورواه الطبري في تفسيره مثله سنداً و متنأ الا ان الطابعين - جرياً على الشنشة الأخرمية - ابدلوا قوله : « على ان يكون اخي ووصي وخليفتي فيكم » بلفظ

«على ان يكون اخي وكذا وكذا» وأبدلوا قوله: «ان هذا اخي ووصيتي وخليفتي فيكم» بلفظ «ان هذا اخي وكذا وكذا» وابقوا قوله: «فاسمعوا له واطيعوا» وفيه كفاية، وما حذفوه وابدلوه اشارة الى ما صرح به في التاريخ يقيناً، لاتحاد السند والتمن فيهما إلا في كلمتي «كذا وكذا» وعلمت ان الدكتور محمد حسنين هيكل المصري اثبت في كتابه حياة محمد في الطبعة الأولى وحذفه في الطبعة الثانية، نزولاً جند ارادة من ضفط عليه؛ فانظر، واعجب.

«ولمّا كان تصحيح هذا الحديث من الأهمية بمكان فلا بأس بالاشارة الى جملة ممن رواه من اجلاء علماء المسلمين، ليُعلم بذلك اشتهاره واستفاضته بينهم. فرواه محمد بن جرير الطبري في تاريخه وتفسيره، كما سمعت، ورواه، منهم، البيهقي، كما ستسمع. ورواه منهم الشعلبي في تفسيره. قال:

«اخبرني الحسين بن محمد بن الحسين: حدثنا موسى بن محمد: حدثنا الحسن بن علي بن شعيب العمري: حدثنا عبد الله بن يعقوب: حدثنا علي بن هاشم عن صباح بن يحيى المزني عن زكريا بن ميسرة عن ابي اسحق عن اليراء قال:

«لمّا نزلت «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عهد المطلب، وهم اربعون رجلاً، الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العُصّ فامر علياً برجل شاة فأدّمها^١ ثم قال: ادنوا باسم الله.

«فدنا القوم عشرة عشرة فاكلوا حتى صدروا. ثم دعا بقعب^٢ من لبن فجرع منه جرعة ثم قال: اشربوا باسم الله فشرّبوا حتى رَوَوْا. فبَدَرَهُمْ ابولهب فقال: هذا ما^٣ سحركم به الرجل. فسكت رسول الله (ص) ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم انذرهم، فقال:

١ - «والادام ما يؤتدم به تقول منه: آدم الغبذ باللحم يأدم، بالكسر،» (صباح).

٢ - «القعب قلع بن خشب مقعر».

٣ - وفي هذا النقل وردت مكان «لعلماء» و«لقدما» و«لهدما» جملة «هذا ما

سحركم» والله العالم بحقيقة الامر.

« يا بنى عبدالمطلب انى انا النذير اليكم من الله ، عز وجل ، والبشير فاسلموا واطيعونى تهتدوا .

« ثم قال :

« من يؤاخبنى ويؤارزنى ويكون لى ووصىى بعدى وحليفى فى اهلى ويقضى دينى ؟ .

« فسكت القوم .

آخا على، الرسول
ووازه ويكون
وليه ووصيه
وحليفه بعده

« فأعادها ثلاثاً ، كل ذلك يسكت القوم ويقول على عليه السلام : « انا .

« فقال فى المرة الثالثة : « انت » فقام القوم ويقولون لأبى طالب : « اطع ابنك فقد أمر عليك » واورد هذا الحديث ، النسائى فى « الخصائص » قال :

« اخبرنا الفضل بن سهل : حدثنى ابن عثمان بن مسلم : حدثنا ابو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن ابى صادق عن ربيعة بن ماجد ان رجلا قال لعلى بن ابى طالب :

« يا امير المؤمنين لم ورثت دون اعمامك ؟ . قال :

« جمع رسول الله (ص) ، اوقال : دعا رسول الله (ص) بنى عبدالمطلب فصنع لهم مئداً من الطعام فأكلوا حتى شبعا وبقى الطعام كما هو ، كأنه لم يمس ، ثم دعا بعس فشريوا حتى رووا وبقى الشراب كأنه لم يمس ، او لم يشرب .

« فقال : يا بنى عبدالمطلب ، انى بعت اليكم خاصة والى الناس عامة وقدرائتم من هذه الآية^١ ما قدرائتم ، وايكم يبايعنى على ان يكون اخى وصاحبى ووارثى ؟ .

« فلم يقم اليه احد . فقامت اليه ، وكنت اصغر القوم .

« فقال : اجلس .

« ثم قال ثلاث مرات ، كل ذلك اقوم اليه فيقول : اجلس حتى اذا كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى . ثم قال : فبذلك ورثت ابن عمى دون عمى .

١ - ولعلك تكون على ذكر ما اورده عن الطبرى آنفاً حيث كان فى ذلك النقل والابراد مكان هذه الكلمة (من هذه الآية) كلمة « من هذا الامر » واظن ان الانسب فى فى المقام كلمة « من هذا الآية » فهو الاصح فتدبر .

« اقول (السيد محسن الأمين) هذا التعليل في الميراث لا يصح ان يريد ارث المال : امّا عندنا فلان الميراث للبتن بالفرض والردّ واما عند غيرنا فلان الانبياء لا يورثون الا ان يراد ارث العلم ولكن ظاهر السياق خلافه ^١ .

« واورد هذا الحديث صاحب « السيرة الحلبية » بنحو ما مرّ عن الطبري الى

ان قال :

« يا بنى عبدالمطلب ، ان الله قد بعثنى الى المخلوق كافة وبعثنى اليكم خاصة فقال : وَاَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْاقْرَبِينَ ، وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان : شهادة ان لا اله الا الله وانى رسول الله . فمن يجيبني الى هذا الامر ويوازرني على القيام به؟ قال على : انا يا رسول الله .

« قال (يعنى صاحب السيرة الحلبية) : وزاد بعضهم فى الرواية « يكن اخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدى فلم يجبه احد منهم فقام على وقال : انا يا رسول الله . فقال : اجلس ثم اعاد القول على القوم ، ثانياً فصمتوا . فقام على وقال : انا يا رسول الله . فقال : اجلس . ثم اعاد القول ثالثاً فلم يجبه احد معهم فقام على فقال : انا يا رسول الله . فقال : اجلس ، فانت اخي ووزيري ووصيتي ووارثي وخليفتي من بعدى » .

١ - اقول : والظاهر عندي ان التعليل صحيح والمراد بالوراثة وراثه المولوبة وهى

بالحقيقة ، الخلافة . وذلك لان الرجل السائل على ما هو الظاهر يعلم ان الوراثة المالية عن الرسول ، اذا اعترف بانه يورث ، تكون خاصة لبتنه فليس لاحد مع وجودها حق فى ماله وان الوراثة العلمية لاعمى لها عند التحقيق فان العلم المنتقل من النبى الى على انتقل اليه فى زمان حياته فصارع على فى زمان حياة الرسول « باب مدينة العلم » وفتح الرسول عليه الفباب من العلم ووقه الرسول العلم زقا فالذى يصح فيه الوراثة هو خلافة المولوية (من كنت مولاه فعلى مولاه) وهذا ظاهر السياق ايضا لان السائل سئل عن « امير المؤمنين » فى موقع خلافته ولعل سمع من على فى بعض خطبه احقيته بالخلافة فسئل عنه ما سئل واجاب عليه السلام بما اجاب والله العالم .

«ثم حكى (اى صاحب السيرة) عن ابن تيمية انه قال فى الزيادة المذكورة :
« انها كذب وحديث موضوع ، من له ادنى معرفة فى الحديث يعلم ذلك وقد رواه مع
زيادته المذكورة ابن جرير والبيهقى بأسناد فيه ابو مريم الكوفى وهو مُجْتَمَع على تركه
وقال احمد : انه ليس بثقة ، عامة احاديثه بواطيل وقال ابن المدينى : كان يضع الحديث » .

١٠١ - كلام للسيد الأمين مع ابن تيمية

«اقول (السيد محسن الامين) :

« لاشيء اعجب من قدح ابن تيمية ، المجسم (شهادة ابن بطوطة مشاهدة)
والذى مات سجيناً ، بيد اهل نخلته ، على الاقوال والمقالات المنافية لملة الاسلام ، فى
الاحاديث المستفيضة عند جميع المسلمين بالهوى والغرض وقوله « ان من له ادنى
معرفة بالحديث يعلم ذلك » .

كلام للسيد محسن
الاملى مع
ابن تيمية

« مع ان من عنده ادنى معرفة يعلم ان قدح ابن تيمية فيه لم يستند الى معرفة ،
بل الى التحامل على اهل بيته والنصب ، فقد سمعت سند هذا الحديث فى الرواية
الطبري فى تاريخه وتفسيره ورواية الشعلبي له فى تفسيره وليس فيه ابو مريم الكوفى ،
على فرض صحة ما قاله فى رواية البغوي وان فى سندها ابو مريم الكوفى وانه ضعيف
فهل اذا كان الحديث مروياً بعدة طرق بعضها ضعيف يكون قدحاً فى سنده؟ بل الرواية
الضعيفة ان لم تكن معتقدة ومتقوية بالروايات الصحيحة غيرها لا يكون ضعفها موجبا
للقدح فى الصحيحة . وكل من كان له ادنى معرفة بالحديث يعلم ذلك .

«ورواه من مشاهير علماء الشيعة ولغات محدثيهم ...»

ثم نقل السيد الامين روايتين من طرق الشيعة احديهما من الشيخ الصدوق
محمد بن على بن ابي الحسين ، بابويه (المتوفى سنة ٣٨١) بأسناده وثانيتها من الشيخ
الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٦٠) فى مجالسه باسناده ، مثل رواية
الطبري بعينها (مع تفاوت يسير فى بعض اللفاظ) ثم قال :

« وبعد توافق علماء الفريقين على هذه الرواية لم يبق لما ذكر ابن تيمية قيمة. »
انتهى ما اردت نقله من « اعيان الشيعة » - الجزء الثاني - الصفحة ٩٧-١٠١)
وعليك بالتدبر التام والأنصاف .

١٠٢ - دعوة الرسول (ص) الناس كافة

بعث الله رسوله بالحق فصدقته زوجته ، خديجة ، وآمن به ابن عمه ومن ربي في حجه ، علي . ثم مكث الرسول ثلاث سنين وانذر عشيرته الاقربين فلم يصدقوه منهم في تلك الدعوة الا من صدقه بادية بدء من قبل ، مع حداثة سنه ، الذي كان منه بمنزلة ابنه وهو ابن عمه و« اخيه » و« وصيه » و« وزيره » و« خليفته » (علي مانص صاتي الله عليه وآله وسلم به في كلامه) وهو علي . فكان علي ، في تلك المدة ، في الرجال امة واحدة !

فمحمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، كان الرسول وعلي بوحدته وانفراده في الرجال ، كان الأمة !

ثم بعد مضي ثلاث سنين من مبعثه ، والحال هذه من خفاء الدعوة العامة والقيام بدعوة العشيرة الاقربين ، امر الله رسوله ، صلى الله عليه وآله ، بتعميم الدعوة وعلان الرسالة ودعوة الناس كافة فأوحى اليه :

« فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ٩٥ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٩٦ » .
حينئذ قام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدعوة المشركين وانذار المستهزئين واهلن ما امره الله به من امر الدين .

قام الرسول (ص) وهو على اخلاقه العظيمة وصفاته السامية وفضائله الكاملة - الحميدة واعماله الصالحة الفاضلة يدعو عامة اهل بيته وقاطبة طائفة قريش وكافة الناس

الى الله الواحد الأحد الفرد الصمد ويعلمهم الأداب الفاضلة والأعمال الصالحة ويهديهم الصراط المستقيم الى الخيرات ويرشدهم طريق الوصول الى الكمالات والسعادات ويردعهم عن عبادة الأوثان ويزجرهم عن الشرك وينهيمهم عن اعمالهم الرذيلة وافعالهم السيئة الشنيعة .

لكن القوم ، ولاسيما اكابر قريش منهم ، وهم اولئك الذين خُمرت طبيعتهم بالعصبيّة والجهالة الجَهْلَاءُ والتكبر والخِيَلَاءُ وحب المال وحب الجاه وطلب الرئاسة والاعتلاء وكانت شيمتهم اللجاج وشنشتهم الجور والعناد ودينهم البغي والفساد ، لايتوجهون الى الرسول (ص) الا بالأنكار والاستهزاء والأذى واذا لم يتمكنوا هؤلاء الأكابر من ايدائه ولم يجترؤا على الاستهزاء به خوفاً من شيخ البطحاء وكبير العشيرة ، عمّه المكرّم اوغروا نسايمهم بل اغروا صبيانهم على ايدائه فكان الصبيان احيانا يترصدونه في السكك والمعابر فاذا طلع (ص) فيها يشتمونه ويستهزؤن به ويرمونه بالحجارة ويؤذونه :

والرسول الرؤف الرحيم يحتمل كل ذلك بحفاوة قلب وطلاقة وجه وسعة صدر وشدة رافة تفوق رافة الوالد الدود الكريم ويشغل بما أمر به من هدايتهم وارشادهم ونصحتهم رجالا ونساء كباراً وصغاراً ، شأن الأنبياء والرسل ، اولى العزيمة والرافقة والرحمة ، صلى الله عليه وآله وسلم .

كان على في تلك الاحوال في اكثر الأحيان ملازماً لابن عمّه الرسول لايفتر عن مراقبته ولايفترق عن ملازمته وكان بالنسبة اليه كظله يتبعه ويدور اينما دار فيراقبه ويدافع عنه مع الأماكن حتى قيل : حين يتعدى الصبيان والغلمان ، باغراء اكابر قريش ، حدود الأدب ويتجاسرون على رسول الرب فعلى يذب عنه ويفرقهم ايدي سبايفرون منه فرار الحمر المستنقرة من القسورة .

ملازمة على
للرسول

١٠٣ - نشر الدعوة وآثاره

طالت واستمرت مدة اقامة الرسول (ص) بمكة ، بعدان بعثه الله بالرسالة ، ثلاث

عشر سنة واجاب في تلك المدة دعوته ، بعد زوجته ، خديجة المكرمة ، وابن عمه على عدة من مشركى اهل مكة كان اسبقهم عتيقه زيد بن حارثة او العتيق ابوبكر ، الصديق (رضى) اوغيرهما على اختلاف الاقوال والروايات فى ذلكك .

دخل فى تلك المدة من اهل مكة ، فى دين الله ، افراد معدودة ، واحداً بعد واحد ، وخرج صيت الدعوة المباركة من داخل مكة الى خارجها فجاء نفر من اهل يثرب الى مكة وتشرقوا بقاء الرسول (ص) وسمعوا منه وآمنوا به وبايعوه .

سورة الدعوة
ونشرها

صارت الدعوة حينئذ سائرة نحو الشيع والتقدم سالكة سبيل الاعتلاء والتفوق فاحس قريش وسائر المشركين بانشقاق قمر الدعوة وانشعاب انوارها الباهرة وانبساطها الى خارج مكة وادركوا اقتراب ساعة خذلانهم وتضعضع كيانهم .

على ان الرسول (ص) كان يُعيرهم على اتخاذهم من دون الله آلهة ، لانصر ولا تنفع ، ولانطق ولا تسمع ، ويردعهم عن اعمالهم السيئة وعاداتهم المنكرة ويطعنهم فى اخلاقهم المرذولة . فيقول :

« وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً
وَلَا نُشُوراً ۝٣١ » .

ويقول :

« ... فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ
بِكُمْ نَفْعاً ؟ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ۝١١ » .

تضييق المشركين
على الرسول
واصحابه

تلك الأوضاع والأحوال كبرت على المشركين وبعثتهم للتضييق على الرسول وعلى تابعيه المعدودين اشد التضييق بحيث الجاؤهم الى ترك موطنهم ، مكة ، فاضطروا الى الخروج منها والهجرة الى غيرها .

١ - السورة ال ٢٥ (الفرقان) .

٢ - السورة ال ٤٨ (الفتح) .

١٠٤ - هجرة المؤمنين الى الحبشة

ضاقَت ارض مكة على المؤمنين المعدودين بما رَحِبَتْ فَاشار الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، بخروجهم عن مكة، بلد الأمن، واذن لهم بالهجرة الى الحبشة فخرجوا خائفين مترقبين وتسَلَّلوا هاربين خائفين وهاجروا الى الحبشة لاجئين جالين . فبقى الرسول بمكة مهجورا عن عدة من اصحابه واقربائه ويحميه الشيخ الشهم ابوطالب عمه الشريف المكرم، وكان يفديه بنفسه وولده وعشيرته . في مدة حياته وقد صرح نفسه بذلك في موارد عديدة وانشد قصائد في ذلك ضبطها التاريخ الصحيح في صفحاته . منها، من قصيدته اللامية :

« ولَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَأوُدَّ فِيهِمْ
 وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
 وَالْمَ تَعْلَمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مَكْدَبَ
 لَدَيْنَا ، وَلَا بَعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
 « وَابْيَضَّ يُسْتَسْفَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
 ثِمَالُ الْيَتَامَى عَصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
 « يَطُوفُ بِهِ الْهُسْلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 فَهُمُ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
 « كَدَيْبَتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدٌ
 وَلَمَّا نَطَاعِينَ دُونَهُ وَتُقَاتِلُ
 « وَنُسَلِمُ حَتَّى نُصْرَعَ دُونَهُ
 وَنُذْهِلَ عَنِ ابْنَانَا وَالْحَنَائِلِ
 « لَعَمْرِي لَقَدْ كَلَّفْتُ وَجَدًّا بِأَحْمَدِ
 وَآخِيبَتُهُ حُبَّ الْحَبِيبِ الْمَوَاضِلِ

ايات من لامية
 ابي طالب فيها
 تصريح يكون
 الاسلام حقا غير
 باطل ودليل
 على ايمانه

« وَجَدْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتُهُ
 وَدَارَتُ عَنْهُ بِالذَّرِي وَالْكَلاكلِ
 وَفَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمالاً لِأَهْلِهَا
 وَشَبِيحاً لِمَنْ عَادَى وَزَيْنَ الْمُحافِلِ
 « حَلِيماً رَشِيداً حازِماً غَيْرَ طائِسِ
 يُؤالِي آلَ الْحَقِّ لَيْسَ بِمُحِلِّ
 « فَأَيْدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ
 وَأَظْهَرَ دِيناً حَقَّهُ غَيْرَ باطِلِ

١٠٥ - معاهدة قريش على مُعاداة الرسول

امتدّ مدَى التّضيق على الرّسول و على اصحابه المؤمنين واشتدّ ايذائهم حتّى اجتمع المشركون فتعاقدوا على بنى هاشم وبنى عبدالمطلب بان يقطعوا عنهم : فلاننا كحوم ولا يعاملوهم ولا يكالموهم ولا يجالسوا معهم حتّى يسلموا اليهم رسول الله . وكتبوا تلك المعاهدة والمعاهدة على صحيفة وعلقوها في الكعبة .

ضابقت الأرض على الرّسول وحمّاته بما رحبت ، بعد هذه المعاهدة القاسية المشنومة ، فاضطرتّ حامي الرّسول ، ابوطالب ، الى ترك البلد الأمين والانحياز الى الشعب ، شعيب ابى طالب ، فخرج من مكة واقبل وبنو هاشم وبنو عبدالمطلب معه ، والرّسول فيهم بمنزلة الكعبة يطوفون حوله ، نحو الشعب ولجأوا اليها ومكثوا فيها نحواً من ثلاث سنين ، اولها ليلة اول المحرم من السنة السابعة للبعثة .

كان الشعب لهؤلاء اللاجئين بالحقيقة كالمنفى بل كمحبس حبسوا فيها وابتلوا في تلك المدة الطويلة اشدّ البلاء : فالميرة عنهم مقطوعة ، ومعاشرتهم مع غيرهم ممنوعة ، لا يتمكّنون من الخروج عن الشعب الا اياماً قليلاً في المواسم للمناسك ، ولا يمكن لأحد من الخروج ، خوفاً من المشركين المعاقدين ، ان يدخل عليهم فضلاً عن ان

يساعدهم بشيء من الطعام وسائر الحاجيات .

اشتد الامر في الشعب على المحصورين واشتد حتى بلغ الأمر حدًا كبيراً جداً فكان يُسمع اصوات صبيانهم من الجوع ، ومع تلك الحالة والشدة كان الرسول بينهم معزاً مكرماً معظماً يفديه عمه الماجد العظيم بماله ومهجته وولده واخوانه وعشيرته ولاسيما بولده عليّ فكان يوصي ابنه الشاب الشجاع المؤمن المخلص علياً بالتضحية في سبيل الرسالة ولازال يشجعه ويقويه ويؤكد عليه القيام بطاعته والثبات في حفظه وحراسته وكان يأمر علياً في الليل ان ينام مضجع محمد بعد تحويل منامه (ص) ، حتى لا يظهر على الاعداء مبيته (ص) فان كان شقى هناك راصداً للفنكك به جوف الليل مريداً لقتله يسلم ابن اخيه محمد الرسول وان ترتب عليه قتل ابنه علي!

١٠٦ - امر الصحيفة ونهاء الحصر

صار امر الشعب للمحصورين بحيث اثر في اهل مكة فصاروا يتذاكرون هذا الظلم الموجع ويستبشعونه ويتأمرون لذلك العقوق ويستنكرونه فتوجه بعض اكابرهم وهم « هشام بن عمرو العامري وزهير بن ابي امية ابن المغيرة المخزومي والمطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف و ابوالبختري بن هشام وزمعة بن الاسود الاسدي » الى شدة القساوة فرقت قلوبهم ولانت نفوسهم وعزموا على حماية المحصورين واطلاق سيولهم وخرق الصحيفة الملعونة فعدوا ليلاً مجتمعاً سرّياً ودبروا امر تمزيق الصحيفة فأصبحوا ذاهبين الى اندية قريش فأقبل زهير بن امية اليهم وقال بصوت عال :

« اَتَأْكُلُ الطَّعَامَ وَتَلْبَسُ الثِّيَابَ وَبَنُو هَاشِمٍ هَلَكُوا لِالْأَيْبَاعِ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ !؟
والله لا اقعده حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . . . »

وكان ذلك بعدما كان الرسول اخبر عمه اباطالب بضياع الصحيفة واكل الارضة ما كان فيها ، من ظلم وجور وقطعية رحم ، وبقاء ما كان فيها من ذكر الله وبعد انباء ابي طالب ، المشركين بما اخبره الرسول وبعد مشاهدة المشركين ان ما انبا الرسول

من النبأ الغيبى، الألهى كان حقاً وصدقاً، على ما فُصِّل في كتب السير والتواريخ . واذ ليس بناء هذه الاوراق على الاستقصاء والتفصيل فمن اراده فليراجع تلك الكتب . وكيف كان تمّ دَوْر الشعب والحصار فخرج منه المحصورون المحبوسون بعد تحمّلهم ما تحمّلوا من الشدائد والمكاره والآلام .

ولأبى طالب ابيات فى هذه الواقعة، منها فى قصيدته البائية:

« وقد كان فى امر الصحيفة عبرة »

متى ما يُخَبَّرَ غائبُ القومِ يُعْجِبُ

« مَحَا اللهُ مِنْهَا كُفْرَهُمْ وَعَقُوقَهُمْ »

وما نَقَمُوا من ناطقِ الحقِّ مُعْرِبِ

« وَأَصْبَحَ مَا قَالُوا مِنَ الْأَمْرِ بَاطِلًا »

وَمَنْ يَخْتَلِقِ مَا لَيْسَ بِالْحَقِّ يَكْذِبُ^١

والمعروف من ابى طالب فى امر الصحيفة قصيدته الدالية المفصلة التى منها:

« الا هل اتى بحرينا^٢ صنع ربنا

على نأ بهم^٣ والله بالناس اَرَوْدُ

« فَيُخَبِّرُهُمْ اَنَّ الصَّحِيفَةَ مَزَّقَتْ »

وَأَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَرْضِهِ اللهُ مُفْسِدٌ »

وقال ابو طالب بعد الخروج عن الشعب وقُبَيْلَ وفاته ابياتاً يُوصِيُ فيها بنى-

هاشم عموماً وابنيه علياً وجعفرأ واخويه حمزة وعباساً، خصوصاً بحراسة الرسول ونصرتة والذود عن حريمه . منها هذه:

١ - الجزء الثانى من « الكامل » (الصفحة ٦٢) ولابى طالب قصيدة بائية اخرى

ضبطها ايضاً اهل السنة فى كتبهم فيها تصريح بتصديق ابى طالب للنبوة اولها :

« الا ابلغنا عنى هلى ذات بيننا لؤياً وخصاً من لؤى بنى كعب

« الا تعلموا انا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط فى اول الكتب... »

٢ - اراد المهاجرين الى الحبشة، لكونهم وراء البحر.

« أَوْصِيْ بِنَصْرِ النَّبِيِّ الْخَيْرِ مَشْهُدُهُ
 عَلِيًّا ابْنِي وَعَمَّ الْخَيْرِ عِبَّاسًا
 وَحَمِيَّةَ الْأَسَدِ الْمَخْشِيِّ جَانِبُهُ
 وَجَعْفَرًا إِنْ بَدُوْهُ النَّاسُ
 وَهَاشِمًا كُلَّهَا أَوْصِيْ بِنَصْرَتِهِ
 أَنْ يَأْخُذُوا دُونَ حَرْبِ الْقَوْمِ أَمْرًا
 « كُونُوا، فِدَى لَكُمْ نَفْسِي وَمَا وَلَدْتُ،
 مِنْ دُونِ أَحْمَدَ عِنْدَ الرَّوْعِ أَمْرًا
 « بِكُلِّ أَيْضٍ مَخْفُوقٍ عَوَارِضُهُ
 تَخَالُهُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مِقْبَسًا

١٠٧ - خروج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى الطائف

انقضى دور الحصر في الشعب، كما دريت، ولكنه لما ينقض دور الأبتلاء
 بالأبذاء فجاء دور على الرسول امرًا واشدًا.

لم يمض من خروج المحصورين من الشعب ورجوعهم الى مكة اكثر من ستة
 اشهر حتى توفي عم الرسول، وحاميه الشهم الفداء، ابوطالب، و عمره بضع وثمانون
 سنة « وبعد موته بثلاثة ايام توفيت ام المؤمنين، خديجة زوجة الرسول، الصديقة
 الكريمة الحفية فأنثر موتها فيه صلى الله عليه وآله وسلم اثراً عميقاً واغتم على تينك
 الفاجعتين غمًا شديدًا. ومن الذي يعلم ان موتها لم يكن من مقاساتهما الشدائد
 والمكاره والآلام، في الشعب وهما من حيث الشيخوخة وتكلف الحفظ والحراسة عن
 غيرهما، من المحصورين وتكفل شئون معاشهم وحياتهم فكانا لشيخوختهما ابتلاؤهما
 اكثر ومقاساتهما الآلام اشدًا؟

١ - هذا احد الاثوال في تاريخ وفاتهما وهي هنا، كما في امثاله، اختلاف كثير لسنا في

هذه الاوراق بمدد البحث عنها وتطبيق ما هو الحق معها. والله العالم.

وحينئذ تجاسرت قريش على مكاشفة الرسول بالأيداء واجترء عليه القوم بالتجاهر في الاعتداء. وقد اشار الرسول الى ذلك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

« مَا نَالَتْ مِنِّي قَرِيْشٌ شَيْئًا اَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ اَبُو طَالِبٍ » .

ذهب الرسول
الى الطائف
للدعوة وايداء
اهلها اياه

لما اشتد الأمر على الرسول، عزّم ان يخرج الى الطائف ويدعو اهلها الى الله عسى ان يجد من قلوبهم انفتاحاً ويرى من صدورهم انشراحاً فان لم يكونوا ان يقبلوا - الدعوة و يؤمنوا بالله وحده فلعلهم يجيروه وينصروه و يؤوؤه ويمنعوه من قومه ، الجاهلن الجائرين .

ولكن أهل الطائف لم يقبلوا دعوته ولم يستجيبوا له نصرته ولم يجيروه ولم يؤووه بل آذوه اكثر واشد ، مما آذوه سفهاء قريش بمكة واغروا به سفهائهم وعبيدهم يسبونه و يصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والتجأوه الى الحائط^١ و الزموه الخروج من الطائف ورموه بالحجارة حتى دُميت قدماه فاضطر الى الخروج منها الى مكة .

عود الرسول (ص)
من الطائف
واستجاره
بمطعم بن عدي

خرج من الطائف كثيراً حزينا رده الطائف وهو يعلم انه لا تقبله مكة فأقام بنخله خارج مكة واستجار للدخول بمكة اخيراً الى مطعم بن عدي حتى يبلغ رسالة ربه فأجاره وامر بنيه وقومه ان يلبسوا سلاحهم وقال لهم : « كونوا عند البيت فأنى قد اجرت محمداً » .

« واصبح المطعم بن عدي قد لبس هو وبنوه وبنو اخيه فدخلوا المسجد . فلما رآه ابو جهل قال : امجيراً ام متابع ؟ .

قال : بل مجير .

قا : فاجعرتنا من اجرت .

فدخل النبي (ص) مكة واقام بها^٢

١ - الجزء الثالث من تاريخ الطبري - الصفحة ٨٠

٢ - الجزء الثاني من الطبري (الصفحة ٨٤) .

١٠٨ - بيعة العقبتين

دخل النبي (ص) مكة في جوار مطعم واقام بها وكان يعرض نفسه في الموسم اذا كانت على قبائل العرب يدعوهم الى الله ويخبرهم انه نبي مرسل ويسألهم ان يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

و «يقف على منازل القبائل من العرب فيقول :

« يا نبي فلان اني رسول الله اليكم ، يا امرؤكم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وان تؤمنوا وتصدقوني وتمنعوني حتى ابين من الله ما بعثني به »

وفي احدي «المواسم» .

« عرض نفسه على قبائل العرب فبينما هو عند العقبة اذلقى رهطاً من الخزرج

قال : افلاتجلسون حتى اكلمكم ؟

« قالوا : بلى !

« فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن

« فاجابوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ثم انصرفوا عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم اجمعين الى بلادهم فلما قدوا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوه الى الاسلام حتى فشافيهم فلم يبق دار من دور الأنصار الا وفيها ذكر من رسول الله (ص) حتى اذا كان عام المقيل ، وافى الموسم من الأنصار اثني عشر رجلاً فلقوه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل ان يفترض عليهم الحرب

قال عبادة بن الصامت :

« كنت في من حضر العقبة الأولى . وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله

بيعة النساء في العقبة الاولى

صلّى الله عليه وسلّم على بيعة النساء ، وذلك قبل ان يفترض الحرب ، على ان لا نشارك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه فى معروف.....»
وبعد ذلك :

« فلما انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله (ص) مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبدمناف وامره ان يُقرّتهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويُفقههم فى الدين . وكان يسمّى 'مصعب بالمدينة : « المُقرّىء » وكان منزله على اسعد بن زرارّة بن عدس ، ابى أمانة ، فأقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دُور الأنصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون »

فكان بعد العقبة الأولى وبيعة ستة نفر من الخزرج ، وان كان الرسول صلّى الله عليه وسلّم فى ضيق من اذى المشركين ولكن الرسالة نهضت تمشى نحو الامام رويداً ويتقدم بالنشر والنفوذ يوماً فيوماً وتدخل من بيت الى بيت وتخرج من الداخل الى الخارج حتى انتشر صيتها الى يثرب ، مدينة الرسول ، فاعتنق الاسلام نفرٌ من اهلها وفشافيها سريعاً فلم يبق فيها دار من الانصار الا وقد دخلها الاسلام .

« ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة ، وخرج من الأنصار من المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدّموا مكة فواعدوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العقبة ، من ايام التشريق »

فمضوا بعد مضيّ الثلث من الليلة المواعدة متسللين مستخفين حتى اجتمعوا فى الشعب عند العقبة ، وهم سبعون رجلاً ومعهم امرتان ، فجاءهم رسول الله (ص) ومعه عمّه العباس ، وهو بعد على دين قومه ، فتكلّم العباس بما حاصله اتمامه الحجة عليهم فى القيام بحفظ الرسول ومنع المخالفين عنه . ثم تكلم النبى (ص) فتلا القرآن ودعا الى الله ورغب فى الاسلام ثم قال :

« ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نسايتكم وابنائكم » .

فبايعوه وهذه البيعة في العقبة الثانية « في ذى الحجة واقام الرسول بعدها بمكة ببيعة ذى الحجة والمنحرم والصمقر وخرج مهاجراً منها الى المدينة في شهر ربيع الأول وقدمها يوم الاثنين لأنتى عشرة ليلة خلت منه » .

بيعة العرب في
العقبة الثانية

« و بايع رسول الله من بايع من الأوس والخزرج في العقبة الآخرة ، وهي بيعة المخزب ، حين اذن الله عزوجل في القتال بشروط غير الشروط في العقبة الأولى . واما الأولى فانها كانت على بيعة النساء... وكانت بيعة العقبة الثانية على حرب الاحمر والاسود » .

١٠٩ - اذن القتال

بعد تمام هذه البيعة (البيعة الثانية) اذن الله لرسوله (ص) في القتال بقوله تعالى :

« وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ »

وبعد تضييق قريش على المسلمين بايذائهم بالحبس والقتنة « امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ممن هو معه بمكة من المسلمين بالهجرة والخروج الى المدينة واللتحقوا باخوانهم من الانصار وقال :

امر الرسول (ص)
بالهجرة الى
المدينة

« اِنَّ اللَّهَ ، عَزَّوَجَلَّ ، قَدْ جَعَلَ لَكُمْ اِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ فِيهَا :

« فخرجوا ارسالاً^١ واقام رسول الله بمكة ينتظر ان يأذن له ربه بالخروج

والهجرة الى المدينة ... ولم يتخلف معه بمكة احد من المهاجرين الا اخذ فحيسس او فتن آل علي بن ابي طالب و ابو بكر بن ابي قحافة »

١ - « اول من هاجر الى المدينة ابوسلمة بن عبدالاسد » هاجر الى المدينة قبل بيعة اصحاب العقبة رسول الله بسنة وكان قدم على رسول الله بمكة من ارض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه اسلام من اسلم من الانصار خرج الى المدينة مهاجراً .

ثم هاجر بعده عامر بن ربيعة معه امرئته ، ثم عبدالله بن جعش و ابو احمد بن جعش وكان رجلاً ضريب البصر وكان يطوف مكة اعليها واسفلها بغير قائد .

« ثم تتابع استخاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اوصالاً ... »

١١٠ - مؤامرة قريش لقتل الرسول

وحينئذِ هبَّ المشركون، بزعمهم، من هَجَعَتَهُمْ وانتهبوا من غفلتهم وتيقظوا من رقدتهم فشمروا عن ساعدالعداوة وتهيبواالأطفاء نورالله بكل مالهم من القوة والحيلة والقساوة .

وذلكك لما كلنوا يعرفون ان يثرب دار منعة وان القوم ذووشوكة واولو بأس ونجدة فاذا خرج الرسول اليها ولحق بمن فيها اشتد ظهوره وظهر أمره ولعله صلا الأمر الى ما لا يمكن دفعه، فقاموا وقعدوا، وقالوا وسمعوا، فعزموا على ان يدركوا الأمر قبل ان لا يقدرُوا .

اجتماع قريش
في دار الندوة

فاجتمعوا في «دار الندوة»، نادي المؤامرة، للتأمُر، فقالوا واستمعوا، وتذاكروا وتشاوروا، وبعد محاورات كثيرة اتفق رأيهم على ما اقترحه قُدوتهم في العصبية والجهل، ابو جهل، وكان رأيه ان يختاروا من كل بطن من المشركين، من قريش ومن غيرها من القبائل والأفخاذ، «فتي جلدنا نسيباً وسيطاً فيهم» فيأخذ كل منهم سيفاً صارماً ويذهبون ليلاً الى بيت محمد فيضربونه باسيافهم المسلوطة ضربة رجل واحد كي لا يعرف قاتل بعينه فيتفرق الدّم في القبائل وصار الأمر مشتبهاً على بني هاشم فلا يتمكنون من اخذ الثأر من شخص واحد او قبيلة معينة ولا يجترئون ان يحاربوا تلك القبائل المتحدة المتكشّرة فيتجهّرون ولا يدرون كيف يصنعون وبالضرورة بالعقل منهم يرصّون ويأخذ الدية عنهم يقنعون .

في محكي «الأمالي» عن ابي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر :

اتفاق قريش على
راي ابي جهل

« فقال ابو جهل : لكن اري لكم ان تعمدوا الي قبائلكم العشرة فتنتدبوا من كل قبيلة رجلاً نجلاً (اي اصيلاً) ثم تُسلّحوه جسماً مَعْصِباً وتمهل الفتية حتى اذا غسق الليل وغور، يتتوا بابن ابي كيشة ابياتاً فيذهب دمه في قبائل قريش جميعاً

١ - « في الخبر قال ابو عبيان : لقد عظمت ملك ابن ابي كيشة .

« كان المشركون ينسبون النبي الى ابي كيشة وكان ابو كيشة رجلاً من خزاعة . . .

الى آخر ما نقلناه ذيل مطلب ٦٨ سليقة عن جميع الهجرين .

فلا يستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضة قبائل قريش في صاحبهم فيرَضُونَ حينئذٍ بالعقل منهم .

١١١ - العدة المنتخبة

اختلف الأقوال في تعيين العدة المختارة لذلك الشأن الخطير، فالأقل لا تقل عن عشرة، كما يترأى من محكى الأمالي أنفا (وفي صريح بعضها انها لا تقل عن خمسة عشر رجلاً) والأكثر لا تتجاوز عن خمسين .

وفي بعض الأخبار: كانت العدة تلك الليلة خمسة وعشرين . وعن «الخرايج»: «لما كانت الليلة التي خرج فيها رسول الله (ص) الى الغار كانت قريش اختارت من كل بطنٍ منهم رجلاً ليقتلوا محمداً فاختارت خمسة عشر رجلاً من خمسة عشر بطناً، كان فيهم ابولهب من بطن بنى هاشم، ليتفرق دمه في بطون قريش فلا يمكن بنى هاشم ان يأخذوا بطناً واحداً فيرَضُونَ عند ذلك بالدية فيُعْطَوْنَ عَشْرَ دِيَّاتٍ وَحُكْيَ عَنْ اِمَالِي الشَّيْخِ بِالْاِسْنَادِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ :

«... فلما اجتمع اولئك النفر من قريش يطيفون ويرصدونه ويريدون قتله، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهم جلوس على الباب خمسة وعشرون رجلاً فأخذ حَفْنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ ثُمَّ جَعَلَ يُدْرِ عَلَى رُؤْسِهِمْ ...»

وفي كتاب «البدء والتاريخ» المنسوب الى ابى زيد احمد بن سهل البلخي: «... فتفرقوا على هذا (يعنى راي ابى جهل فى المؤتمر) وجمعوا من فتيان قريش اربعين شاباً واعطوهم السيوف وامروهم ان يفتالوا النبى (صلعم) ويقتلوه... فأتوا داره واحاطوا به يرصدونه حتى ينام فيبيتون به، واتاه الخبر من السماء فثمبت حتى امسى ثم اضطجع على فراشه وتجلل رِبْطَةً لَهُ خَضْرَاءَ وَالرُّصْدَ يَرُونَ

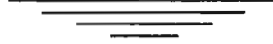
حبيبة المهاجرين
على الرسول (ص)
فى يوم

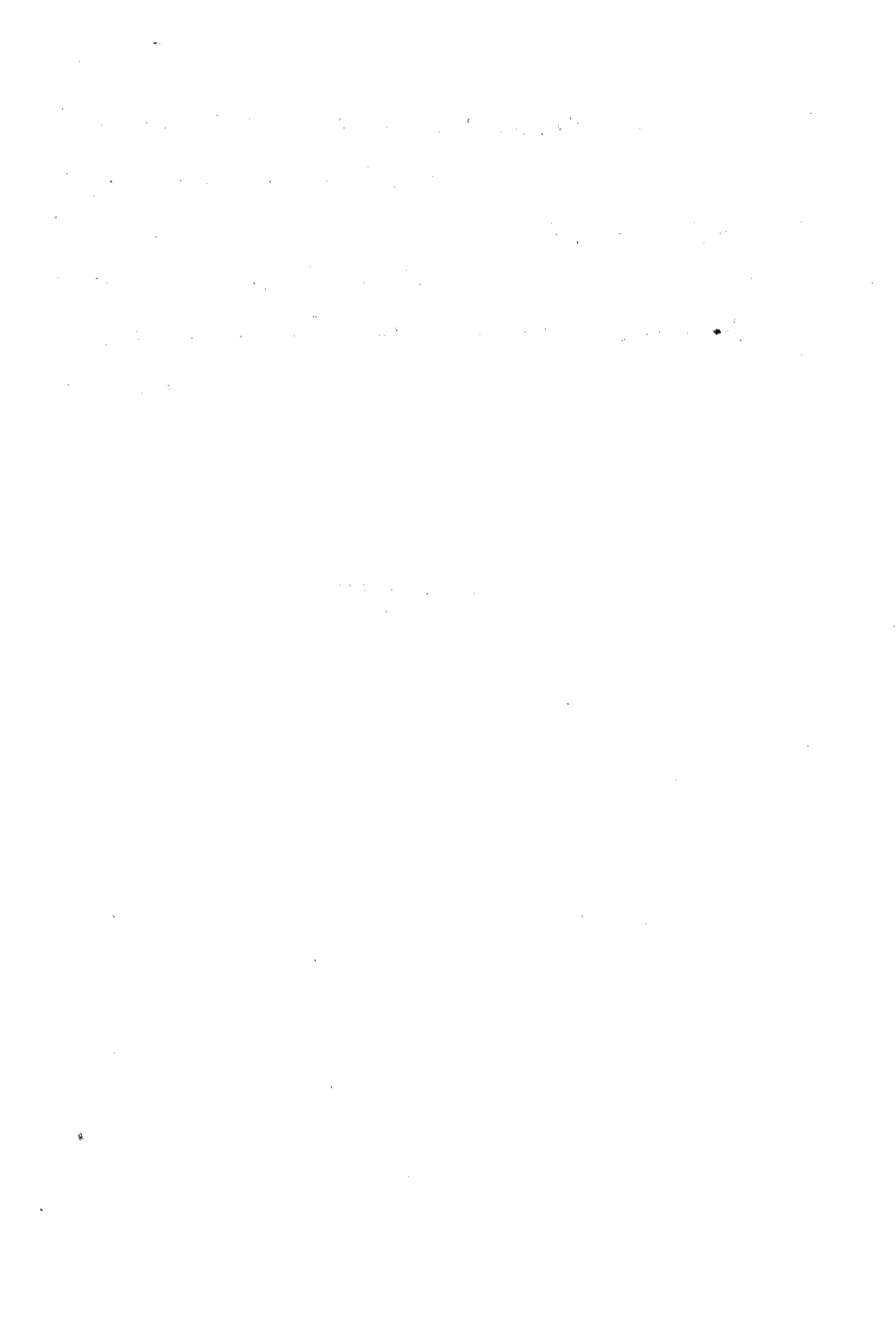
ماصنَعَهُ وَيَرْقُبُونَ نَوْمَهُ . فدعا علياً وقال:

« نَسَمُ عَلَى فَرَأَشِي وان اتاك ابوبكر فأخبره اننى قد خرجت الى ثور
اطحجل ، وهو غار باسفل مكة ، ومُرَّهُ فَلَئِكَ حَقُّ بِي .

« وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وقد اخذ حَفْنَةً من التراب فجعل

يَنشُرُ عَلَى رُؤْسِهِم »





« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ
وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعَاصِينَ »

(في تفسير «التبيان» : ورؤى عن ابى جعفر عليه السلام انه

قال : نزلت في على حين باع على فراش رسول الله

صلى الله عليه وآله وبه قال عمر بن شيبه)

« وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

آوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ ، لَهُمْ

مَغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيمٌ »

(الآية الي ٧٥ من السورة ال ٨)

« قال رسول الله لعلى :

« اثبت اخي في الدنيا والآخرة »

« ووزيري ووارثي »

(الأريهين الخوارزمي)

١- بدء الهجرة الى المدينة .

٢- في طريق المدينة .

٣- وروده (بعض) بالمدينة .

٤- أول خطبة خطبها حين وروده .

٥- في المدينة .

٦- اصطفاه الرسول علياً ابناً لنفسه .

٧- غزوات الرسول وسراياه .

٨- شأن على في تلك الغزوات .

٩- سرعة نشر الاسلام وشدة تأثيره .

١٠- الاسلام خارق للعادة في التعليم والتربية .

٧- حول الهجرة الى المدينة

و
ما جرى فيها وترتب عليها :

١١٢ - بدء هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

وافتداء على له بنفسه

اتفقت كلمة قريش على ذلك الرأي ففرقوا لتعبية ما اجتمعوا عليه فأجمعوا امرهم، وابدعوا كيدهم، واسرعوا مكرهم، احضروا من فتيان القبائل وشبّانهم من اختاروا واعلموهم مادبّروا وواعدوهم الليلية، الاجتماع حول بيت الرسول والأحاطة بمضجعه ثم ضربته باسيافهم دفعة واحدة ضربة قاطعة .

فأوحى الله عز وجل الى رسوله الأجلّ ونبأه بما ازمعوا عليه وامره بان لا ينام تلك الليلية في منامه واذن له ان يخرج من بيته مهاجراً الى يثرب فاسرّ النبي (ص) بذلك لعلى، مخزن سره الفريد، وعيبة علمه الوحيد، وزيره وخليفته، واستقرّ الامر على ان ينام على تلك الليلة في بيت الرسول ويخلفه في مبيته ويراقب كمال المراقبة في اخفاء هذا الأمر كي لا ينشأ للمهاجمين اخفّ تخيل، واضعف توهم، واوهن نفرس في امره حتى يتمكن الرسول من الخروج بالسلامة والصحة، ويتيسر له المسافرة والمهاجرة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى .

« نمّ على فراشي واتشخّ بيّردى الحضرميّ الأخضر فنمّ فيه » .

١ - تاريخ الطبري (الجزء الثاني اصفحة ٩٩) .

وفيه ايضاً (الصفحة ٩٩) « . . . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في بده ذلك اذا نام . . . قال ابو جعفر: زاد بعضهم في هذه القصة في هذا الموضع « وقال له : ان اتاك ابن ابي عافاة فأخبره اني توجهت الى ثور، فمره فليلحق بي وارسل الى طعام واستاجر لي دليلاً يذلني على طريق المدينة . . . » وفيه ايضاً (الصفحة ١٠٠)

« وقد زعم بعضهم ان ابا بكر اتى علياً فسأله عن نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره انه لحق بالغار من ثور، ان كان لك فيه حاجة فالحقه . فخرج ابو بكر مسرعاً فلحق نبي الله في الطريق فسمع رسول الله (ص) جرس ابي بكر في ظلمة الليل فحسبه من المشركين . . . »

وكان الرسول ينام في برده ذلك حين ينام .

١١٣ - على (ع) في مضجع الرسول (ص)

نام على ، مظهر الأيمان والأخلاص والوفاء والمثّل الأعلى للبطولة والشجاعة والفتوة والمروثة والصفاء في مضجع الرسول و منامه وقام بأعباء التضحية والأفداء باحسن قيام في مقامه .

نهام على (ع)
منام الرسول (ص)

كان على تلك الليلة نائباً عنه، خليفة له، قائماً مقامه، بل كان نفسه وعينه عندهم انصف وفتح عينه .

اتشح على بالبُرد الحضرمي الأخضر و نام في فراش الرسول الأطهر صلى الله عليه وآله وسلم وغطى وجهه الأكرم الأنور وخرج الرسول ودخل المشركون ، وهم على يقين من ان النائم في الفراش هو نفس محمد . واراد واحين ماوردوا ان يتموا ما قصدوا ، فيهجموا عليه باسيا فهم المسلوله ويضربوه ضرباً بل ويقطعوه ارباً ارباً ولكن الله، تعالى شأنه ، اراد غير ذلك فاقترح بعضهم ان لا يسرعوا في ما ارادوا ويتريثوا في ما قصدوا حتى اذا نامت العيون واستولى على الأرجاء، السكون، حين استدبر الليل واستقبل الفجر يحملون عليه بسيوفهم فيشفون بقتله قلوبهم .

صادف هذا الرأي و الاقتراح مورد قبول الكل فأحاطوا حول الدار والمنام، واشتدوا والمراقبة، وترقبوا اقتران الفجر ولاريب ان علياً كان يعلم ما يريدون، ويسمع ما يقولون ، ويترصّد ما يقصدون ومع هذا كان رابط الجاش ، مطمئن البال ، ساكن القلب ، متملك النفس ، منشرح الصدر، لاحرك له ولا اضطراب، ولا اى عمل يورث ادنى شكك لهم و ارتياب كان قلبه المليء بالأيمان ممتلئاً بالسرور والنشاط و صدره متوسعاً بالفرح والأنبساط وكيف لا وهو يرى انه في افتدائه هذا وتضحيته صارباعثاً لنجاة من هو اعز عليه من نفسه ، وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فالآن وقد تخلص الرسول من شر هذه الفئة الشريرة ونجا، من الخطر المحدق به وراح واستراح فدع الهلاك والفناء يتوجهه ، الى اى شخص يتوجهه ، على كان هو او غير على ، كل

الأشخاص عند عليّ سواسية لأقدولمحياتهم تجاه حياة الرسول ولاقيمة لوجودهم اذا توجه خطر عليّ ذلك الرجوع .

هذا كلّ ما يخطر ببال عليّ ، ويجتاز عليّ خاطره ويرتكز في نفسه ويتسرّب اليّ ضميره .

سكينة عليّ ،
ورباط جاشه

اجل : انّ عليّاً فرحان بانّه شرى نفسه ابتغاءً رضاء الله وعودس منها ببقاء رسول الله ، قوله تعالى :

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ . وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ٢٠١ » .

١١٤ - كشف الحقيقة

كانت الحالة في تلك الليلة عليّ مادريت : المشركون عليّ أهبة الهجوم وعدة الفتك بالرسول وعليّ في فراشه (ص) عليّ طمأنينة قلب وسكون نفس ورباط جاش وهو مسرور مبتهج يترقب فرج الرسول ورفع البلاء عنه .

اقتربت الساعة واضطربت النفوس المهاجمة والقلوب القاسية وحان حين العمل ونيل الأمل فكشف عليّ عن قمر وجهه وقام عن الفراش عليّ ساقه . القى الغطاء فارفع الخفاء فظهر لهم الخطاء فبهتوا في دهشة ووقفوا من وحشة ، اخذتهم الحيرة وغلبتهم الحسرة ، وفاجتتهم الشكك والرّيبة ، فارتابوا : أهمّ أيقاظ أم رقد؟ وهذا الذي يرونه عليّ أم محمّد؟ متى جاء عليّ ونام؟ وكيف راح محمّد وابن راح وقام؟؟

١ - من السورة الثانية (البقرة) . في تفسير « التبيان » :

« قال قتادة : نزلت هذه الآية في المهاجرين والانصار وقال عكرمة : نزلت في ابي ذر

الغفاري . . . »

« و روى عن ابي جعفر (ع) انه قال : نزلت في عليّ حين بات عليّ فراش رسول الله (ص)

لما ازادت قرينش قلعه حتى خرج رسول الله (ص) وفات المشركين المراضهم . وبه قال صرّين

شبه . . . »

وما ظالت الريبة أكثر من برهة حتى رجعوا الى انفسهم وعلموا انهم ايقاظ
وما يرونه حقيقة يرونها باعينهم وحق يشاهدونه بابصارهم وايقنوا ان من قام بأزائمهم
على لامحمد فليس لهم الآن عليه سلطة ولا يد.

فالآن، وفتوة علي وشهامته وبطولته ومرورته ابطلت ما كانوا يترصدون، وافتداؤه
وتضحيته نقضت ما يقصدون، فما عليهم ان يفعلوا؟! فما يفعلون؟ وكيف يصنعون؟
واين يذهبون؟!

اكتشاف الامر
على المشركين

سألوا علياً عن الرسول ومحلته والحوأ عليه واصروا بل وهددوه فما عرفوا
منه شيئاً فلا جرم حرصاً على الوقت ان لا يفوت وطمعا في الوصول الى الرسول خرجوا
من البيت وذهبوا مع القافة المهرة يقوفون الأثر لعلهم يقفون عنه بخبر.

١١٥ - قفوا اثر الرسول (ص)

تتبع القاتنين اثره الى غار ثور (تقب في جبل ثور بأسفل مكة) الذي التجأ اليه الرسول
وخطى مع ابي بكر فيه^١ وهناك انقطع الأثر واشتبه الخبر. فوقفوا يتذاكرون وتوقفوا
يتشاورون وحينئذ اضطرب الصاحب في الغار، وحزن فانزل الله سكينته على رسوله
وسكن، وايدته الله بجنود لم يروها.

وقع الخلاف بينهم وتحيروا فتحاوروا : هل دخل محمد الغار وغارا ام ذهب
الى السماء وطارا؟

١ - اختلف كلمات الشيعة في صحابة ابي بكر للرسول في تلك الليلة فبعض قال :
« ان الرسول اخبر ابا بكر وهند ابن ابي هالة ، القضية وامرهما بالجلوس والانتظار في
موضع معين فلما هما الرسول حين خرج من البيت في ذلك الموضع واستصحب ابا بكر معه واذن
لاين ابي هالة ان يرجع الى مكة » .

وقال صاحب « الفرائج » بعد ذكر خروجه (ص) من البيت :

« فرأى ابا بكر قد خرج يتجسس عن خبره وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم

فاخرجه معه الى الغار ... »

رأوا على باب الغار بيت العنكبوت ولم يفتنوا انه من او هن البيوت فارتابوا وترددوا في افكارهم وصرف الله عقولهم فارتدوا على ادبارهم . انصرفوا آيسين خائبيين، ورجعوا الى مكة تاعسين خاسرين قوله تعالى :

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالَّذِينَ تَابُوا عَلَيْهِمْ آنَسُوا فِي أَهْلِ الْبَيْتِ لَوْلَا نَصْرُوهُ لَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا . وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا . وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠ » .

١١٦ - في طريق المدينة

استخفى الرسول من الكافرين بغار ثور ويشس المشركون ، بعد عدم تفتنهم بوجوده في الغار ، من ان يظفروا به فانصرفوا الى مكة بالخيبة والحسرة .

لبث الرسول ثلاث ليال ثم خرج نحو المدينة وكان في صحبته ابو بكر ابن ابي قحافة و عبد الله بن اريقط^٢ ، وهو الذي جاء لهما براحتين وكان دليل الطريق في هذا السفر .

ظهرت عن الرسول (ص) في هذا الطريق كرامات صارت سبباً لهداية من كان التوفيق رفيقاً له ولعله يناسب ان تذكر تلك الكرامات ههنا ولكنه رعاية للاختصار المنظور في هذه الوريقات يكتبني بذكر قضية واحدة ضبطها اكثر التواريخ والأخبار وهي ملخصة : علي ما في الكتب المعتمدة :

١ - من السورة التاسعة (التوبة) .

٢ - في الاصابة و عبد الله بن اريقط و يقال : اريقط بالبدال بدل الطاء المهملين . . . دليل النبي صلى الله عليه وآله وسلم و ابي بكر لما اجرا الى المدينة ثبت ذكره في «الصحيح» وانه كان على دين قومه . . . ولم ار من ذكره في الصحابة الا الذهبي في «التجرید» و قد جزم عبد الغنى المقدسي في السيرة له : بانه لم يعرف له اسلاماً و تبعه النووي في تهذيب الاسماء .

«... ثم مرّ في سيره بخيمة أمّ معبد الخزاعية فسألاها هل عندها شيء؟
فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القيرى، والشاءُ عازب (بعيدة
غير حاضرة)، وكانت سنةً شهباء.

« فنظر رسول الله الى شاةٍ في كِسْرِ الخيمة (جانبها) فقال: ما هذه الشاة يا

أمّ معبد؟

« قالت: شاةٌ خلفها الجهد عن الغنم.

« فقال: هل لها من لبن؟

« قالت: هي اجهد من ذلك.

« فقال: اتأذنين لي ان احلبها.

« قالت: نعم، بأبي وامّي، ان رايت به حلبا فاحلبها.

« فمسح رسول الله (ص) بيده ضرعها وسمى الله ودعا فتفاجت عليه (فرجت

بين رجلها واعدت للحلب) ودرت فدعا بأناء لها يربض الرهط (يريد ظرفا كبيرا

واناء وسيماء) فحلب فيه حتى علكته الرغوة. فسقاها فشربت حتى روت وسقى

اصحابه حتى رووا ثم شرب وحلب فيه ثانياً حتى ملأ الأناء. ثم غادره عندها. فقيل ما

لبثت ان جاء زوجها ابو معبد يسوق أعنراً عجافاً يتساوكن هزالاً فلما رأى اللبن

عجب. فقال:

« من اين لك هذا. والشاة عازب، ولا حلوبة في البيت؟

« فقالت: لا والله، الا انه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كَيْتٌ وكَيْتٌ

ومن حاله كذا وكذا.

« قال: والله، انى لأراه صاحب قريش الذى تطلبه. صيف لي يا أمّ معبد...»

١ - ومن طرق الشيعة: في البحار، نقلاً عن «اعلام الورى» في باب معجزاته صلى الله

عليه وآله وسلم: «من معجزات النبي (ص) حديث شاة أم معبد وذلك ان النبي (ص)

بقية العاشية في الصفحة الاتية

فوصف شمائل جمالته الاور الاطهر على ما اخطفتنا نقله .

١١٧ - وروده (ص) بالمدينة

كان من كيفة وروده (ص) المدينة انه بعد ارتحاله يوم الجمعة من قباء وتجميعه باصحابه الجمعة في اليوم الذي ارتحل فيه من قباء في بطن واد بنى سليم بن عوف ، وكانت هذه الجمعة اول جمعة جمعها الرسول في الاسلام كما ان الخطبة التي خطبها في هذه الجمعة كانت اول خطبة خطبها بالمدينة، عمد نحو المدينة فعلى ما في الطبري :

اول جمعة
جمعها
الرسول (ص)
في الاسلام

« ركب ناقته وارخى لها الزمام فجعلت لا ترم بدار من دور الأنصار الا دعاه اهلها الى النزول عندهم وقالوا له : هلم يا رسول الله الى العدد والعدة والمتعة . فيقول لهم : خلوا زمامها فاتها مأمورة . حتى انتهى الى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده ، وهو يومئذ ميربد لغلامين يتيمين من بني النجار في حجر معاذ بن عفراء .

« فلما بركت لم ينزل عنها رسول الله (ص) ثم وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله واضع لها زمامها لا يشنها به ثم التفت خلفها ثم رجعت الى مبركها اول مرة فبركت فيه ووضعت جرائنها ونزل عنها رسول الله (ص) فاحتمل ابوايتوب رحله فوضعه في بيته فدعته الأنصار الى النزول عليهم فقال (ص) :

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

لما هاجر من مكة وسعه ابو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهم عبيد الله بن اريقط الهنبي... ثم نقل القضية، مع اختلاف يسير في بعض الكلمات لما اوردناه في المتن ، وكيف كان فالمراد من لفظة « المعجزات » ما يشتملها ويشمل « الكرامات » لا خصوص « العجزة » بمعناها - الاصطلاحى المعتبر فيه « الهدى » ونقل العجزة والكرامة كانتا من قبيل « التفيز » و « التمكن » اذا اخطفتنا افترقتا واذا افترقتا اجتمعتا .

« المرء مع رحله . فنزل على ابي ايوب ، خالد بن زيد بن كليب ، في بني غنم -
بن النجار .

« وسأل رسول الله (ص) عن الميربند : لمن هو؟ فأخبره معاذ بن عفراء وقال :
هو لبيتمين ، لى سأرضيهما . فأمر به رسول الله (ص) أن يبني مسجداً و نزل على
ابي ايوب حتى ابنى مسجده ومساكنه وتولّى ابناء مسجده صلى الله عليه وسلم
هو بنفسه واصحابه من المهاجرين والأنصار . . . »

كان اول عمل منه صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ، بناء هذا المسجد وبعدهما
مسجداً بالذبيحة والشهقة .

١١٨ - تاريخ الهجرى

مما حدث اول قدومه (ص) المدينة امره بالتاريخ . قال الطبرى (الصفحة -
ال ١١٠ من الجزء الثانى) فى تاريخه :

« ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة امر بالتاريخ فى ما قيل ، حدثنى
. . . عن ابن شهاب : ان النبى (ص) لما قدم المدينة ، وقدمها فى شهر ربيع الاول ،
امر بالتاريخ (قال ابو جعفر) : فذكر انهم كانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه
الى ان تمت السنة . وقد قيل : ان اول من امر بالتاريخ فى الاسلام عمر بن الخطاب
رحمه الله . »

يقول مؤلف هذه الأوراق و يؤيد قول الأول فى امر التاريخ ، ماجاء فى كتاب
« مجمل التواريخ والقصص »^١ فيناسب ان نورد هنا ترجمته عن الفارسية :

قال فى الفصل الذى عقدها لبيان الحوادث الواقعة بعد الهجرة فى السنة الأولى :

١ - كتاب فارسى نسختها المنحصرة بخزانة الكتب المليية بباريس تحت رقم (فارسي

٦٢) اخذ عكسها العلامة محمد القزوينى ثم طبع بتهران بتصحيح الشاعر الفاضل
ملك الشعراء ، بهار ، والكتاب يشتمل على التاريخ الى سنة ال ٥٢٠ الهجرية القمرية وله
توفى المؤلف فى تلك الاوان .

« وفي هذه السنة اشترى النبي عليه السلام سلمان الفارسي . . . هكذا قرأت في تأليف حمزة بن الحسن ، ربّ التاريخ ، قالوا :

« كان سلمان من قرية « جيان » بآصْبَهان وكان اسمه ماهبذ بن بدخشان بن آذر جشنس (آذر كَشَسَب) ابن مردسالار وينتهي نسبه الى منوچهر ، ملكك العجم ، وفرّ ، لأمر جزائي صدر منه ، الى دير راهب بالشّام ودخل في المسيحية وكان ينتقل من صومعة الى اخرى حتى استعبده يهودى يُسمى عثمان بن الأشهل .

ولما هاجر النبي (ص) ابتاعه من اليهودى واعتقه وكتب له عهداً كتبه على بن ابي طالب عليه السلام وهذه عين النسخة لفظاً بلفظ :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما افدى محمد بن عبدالله ، رسول الله ، سلمان - الفارسي من عثمان بن الأشهل اليهودى ، ثم القُرْطى ، بغرس ثلاثمائة نخلة واربعين اوقية ذهباً . وقد برىء محمد بن عبدالله ، رسول الله ، لثمن سلمان الفارسي ، وولاؤه لمحمد بن عبدالله ، رسول الله ، واهل بيته . لاسيلا لأحد على سلمان .

كتاب عهد شراء
رسول الله سلمان
الفارسي

« شهد على ذلك ابوبكر بن ابي قحافة وعمر بن الخطاب وعلى بن ابي طالب وحذيفة بن سعد بن اليمان و ابوذر الغفارى والمقداد بن الأسود وبلال مولى ابي بكر وعبدالرحمن بن عوف .

« وكتب على بن ابي طالب يوم الاثنين فى جمادى الأولى من سنة مهاجرة محمد بن عبدالله ، رسول الله . »

« وكان لسلمان ابن اخ اسمه ماه آذر بن فروخ بن بدخشان ، واسرتهم بشيراز ولهم عهد من النبي بخط امير المؤمنين على ، على اديم ابيض و عليه خاتم الرسول و ابي بكر و عمر و عثمان و على . وهذا العهد وان كان فى السنة التاسعة من الهجرة ولكنه اثبتناه هنا للمناسبة . وهذه نسخته بخط على ، كرم الله وجهه ، لفظاً بلفظ :

١ - « . . . والواقية ، فى الحديث ، اربعون درهماً . وكذلك كان فى ماضى فاما اليوم فى مايتارفعها الناس و يقدر عليه الاطباء فالواقية عندهم وزن عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم ، وهو استار وثلاثا استار ، والجمع الاواقى » (صحاح اللغة) .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله سأله سلمان باخيه ماه آذر فروخ و اهل بيته و عقبه من بعده ، ما تناسلوا ، من اسلم منهم و من اقام على دينه سلم الله ^١ .

« احمد اليك الذي امرني ان اقول: لا اله الا الله وحده، وحده، لا شريك له، اقولها و أمرُ النَّاسِ بها و انَّ الخلقَ خَلَقَ اللهُ و الأمرُ كلمةُ اللهُ ، خَلَقَهُمْ و اماتَهُمْ و هو ينشرهم و اليه المصير، و انَّ كلَّ امرٍ يزول، و كلَّ شئٍ يببى و يفتنى، و كلَّ نفسٍ ذائقة الموت . مَنْ آمَنَ بالله و رسوله كان له في الآخرة دَعَةٌ الفائزين ، و من اقام على دينه تركناه فلا اكراه في الدين .

« فهذا كتابٌ لأهل بيت سلمان : انَّ لهم ذمَّةَ الله، على دمايتهم و اموالهم في - الأرض التي يقيمون فيها ، سهلها و جبلها و مراعيها و عيونها ، غير مظلومين ، و لا مضيق عليهم .

« فمن قرىء عليه كتابي هذا ، من المؤمنين و المؤمنات ، فعليه ان يحفظهم و يكرمهم و يسرهم و لا يتعرض لهم بالأذى و المكروه . و قد رفعتُ عنهم جزَّ النَّاصية و الجزية و الخمس و العشر الى سائر المؤمنين و الكُلَّف .

« ثم ان سألوكم فأعطوهم ، و ان استعانوا بكم فاعينوهم ، و ان استجاروا بكم فأجبروهم ، و ان اسأوا فاغفروا لهم ، و ان أسىء اليهم فامنعوا عنهم ، و لهم ان يُعطوا من بيت مال المسلمين في كل سنة مائتي حِلَّة في شهر رجب و مائة في الأضحية فقد استحق سلمان ذلك منا ، و لأنَّ فضل سلمان على كثير من المؤمنين، و أنزل في الوحي عليَّ « انَّ الجَنَّةَ اشوقُ مِن سَلْمَانَ الَى الجَنَّةِ » و هو ثقيتي و اميني و ثقى و ثقى ، ناصحٌ لرسول الله و المؤمنين ، و سلمان منا اهل البيت .

١ - هكذا في النسخة المطبوعة ، و اظن ان السطرين الى « سلم الله » زيادة ممن كانت

النسخة بيده و كانت نسخة العهد من كلمة « بسم الله » التي صحف بكامة « سلم الله » .

« فلا يخالفنّ احد هذه الوصيّة في ما امرت به من الحفظ والبرّ لأهل بيت سلمان وذريّتهم ، من اسلم منهم ومن اقام على دينه ، ومن خالف هذه الوصيّة فقد خالف الله ورسوله وعليه اللعنة الى يوم الدين ، ومن اكرمهم فقد اكرمني وله عند الله الثواب ، ومن اذاهم فقد اذاني وانا خصمه يوم القيامة ، جزاؤه نارُ جهنّم ، وبرئت منه ذمتي والسلام عليكم .

وكتب عليُّ ابن ابي طالب بامر رسول الله في رجب سنة تسع من الهجرة وحضر ابوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن وسعد وسعيد وابوذر وعمّار وعيينة وبيلال والمقداد وجماعة اُخر من المؤمنين . »

ثم قال مؤلّف الكتاب (مجمل التواريخ والقصص) ما ترجمته :

« انّ هذا العهد موجود بيد اولادهم في هذا الزّمان (سنة ٥٢٠ - تاريخ تأليف الكتاب -) وقد استحضره بعينه من شيراز سلطان محمد (ابن ملكشاه السلاجوقي - ٤٩٨ - ٥١١ هـ . ق .) فلما رآه قبله وبكى ثم امر باستنساخه وردّ الأصل الى صاحبه بعد ما اكرمه ونحوه عطاءً كثيراً » انتهى ما اردنا نقله من الكتاب .

اوردت العهدين بتمامهما واطلت الكلام بتقلهما في هذه الورّيات ، مضافاً لما يظهر منهما من تايد ذلك القول في بدء حدوث التّاريخ الهجري ، راجياً لأن يصير سبباً للفحص والبحث عن وجودهما لعلّ الله يسرّ العثور عليهما .

واتفق لي قبل عهدي بما في الكتاب المذكور من العهدين بما لا يقلّ عن عشرة سنين انّ ليلة كنت بمجلس كان منعقداً لمهرجان الغدير بتهران (وهي ليلة الثامنة عشر من شهر ذى الحجة) فعرّف صاحب المجلس ، كما هو المعمول ، جمعاً من الحاضرين لي وكان فيهم رجلاً زرادشتياً فعجبت من حضوره في المهرجان المذهبي وسألت عنه فقال : لانعجب فأتى من آل سلمان وعندنا عهد بخطّ عليّ بن ابي طالب وصّى به الرسول (ص) لنا ونحن نحبّ عليّاً وحضرت مجلس مهرگانه مفتخراً به .

فاستبعدت ذلك وانكرته باطناً ولما رايت العهد بين بعد مدة في الكتاب اسفت على ماجرى لي من المسامحة في التفتيش والتحقيق وارجو من الله ان يحدث بعد ذلك امراً .

كلام المؤلف
في شان الثاني
من العهدين

١١٩ - ورود عليّ بالمدينة

ورد الرسول (ص) المدينة ، بتلك الكيفية ، ثم جاء عليّ ولحق به في المدينة وقد تحمل في طريقه من المشقة والتعب ما ابكت الرسول ، شفقة عليه ورحمة له . قال ابن الاثير في كتابه « الكامل » :

« واما عليّ فانه لما فرغ من الذي امره به رسول الله (يعني ردّ الودائع والأمانات) هاجر الى المدينة . فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة وقد تفتّرت قدماه . فقال النبيّ (ص) : ادعوا لي عليّاً . قيل : لا يقدران يمشي فأتاه النبيّ صلى الله عليه وسلم واعتنقه وبكى ، رحمةً لِمَا بقدّمه من الورم وتقلّ في يديه وامرّها على قدميه فلم يشتكهما بعد حتى اُقتل . »

١٢٠ - خطبة الرسول (ص) بالمدينة

اول خطبة خطبها الرسول (ص) في اول جمعة صليها بالمدينة في بني سالم بن عوف ، على ما اورده الطبري :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَاسْتَعِينُهُ وَاسْتَعْفِرُهُ وَأَسْتَهْدِيهِ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ وَأُعَادِي مَنْ يَكْفُرُهُ .

« وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ عَلَيَّ فِتْرَةَ مِنَ الرُّسُلِ ، وَقَلَّةٍ مِنَ الْعَالَمِ ، وَضَلَالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَأَنْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ ، وَدُنُوتٍ مِنَ السَّاعَةِ ، وَقُرْبٍ مِنَ الْأَجَلِ .

« مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى وَفُرِطَ وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا .

« وَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمْ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا -

اول خطبة خطبها
النبي (ص) في
اول جمعة
صليها بالمدينة

أَفْضَلَ مِمَّنْ ذَلِكُمْ نَصِيحَةً وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا .

« وَأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ لَمَنْ عَمِلَ بِهِ ، عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، عَوْنٌ صَدَقَ عَلَى مَا تَبْتَغُونَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ .

« وَمَنْ يُصْلِحِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لَا يَتَوَى بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ يَكُنْ ذِكْرًا فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ ، وَذُخْرًا فِي مَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَى مَا قَدَّمَ ، وَمَا كَانَ مِنْ سِوَى ذَلِكَ يَوْذُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَوْفٌ بِالْعِبَادِ . وَالَّذِي صَدَّقَ قَوْلَهُ وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ لَا خُلْفَ لِدَلِيلِكَ فَإِنَّهُ يَقُولُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، « مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ » .

« فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَأَجْلِيهِ ، فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا . وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا .

« وَأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ يُوقِي مَقْتَهُ ، وَيُوقِي عِقُوبَتَهُ وَيُوقِي سَخَطَهُ ، وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ يُبَيِّضُ الْوُجُوهَ ، وَيَرْضِي الرَّبَّ ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ .

« خُذُوا بِحِظِّكُمْ وَلَا تُفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ . قَدْ عَلَّمَكُمْ اللَّهُ كِتَابَهُ ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ .

« فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ . وَعَادُوا أَعْدَائَهُ ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

« فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْيَوْمِ فَإِنَّهُ مَنْ يَصْلِحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ . اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ » .

اصلاح النفس
و تقوى الله

١٢١ - في المدينة

ورد الرسول (ص) المدينة وقد هاجر قبل وروده وبعده جمع من المسلمين اليها. وجاء علي[ؑ] ولحق به في المدينة فكان المسلمون بالمدينة فريقتين: مكيين ومدنيين، وان شئت فقل: المهاجرين والانصار. كانت تسكن بالمدينة قبل هجرة الرسول قبيلتان:

١- الخزرج .

٢- الأوس .

وكان بينهما عداوة عريقة ومنافسة قديمة شديدة تفضى غالباً الى الحرب والمقاتلة وكان ينتهز كل منهما الفرصة للغلبة على الأخرى وتذليلها حتى ظهر الإسلام واعتنقته اولاً عدة من قبيلة الخزرج وبعدها عدة من الأوس .

نزل الرسول (ص) بالمدينة فأنعم الله عليهم وآلف بين قلوبهم وجعلهم اخواناً بعد ما كانوا اعداء قوله تبارك وتعالى :

« وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا... ١٠٣ »^١

فاتفقوا جميعاً على نصرة الإسلام و مساعدة الرسول، ومن ورد عليهم من مسلمي مكة، وكانوا يؤؤنونهم في بيوتهم، ويشاركونهم بأموالهم، ويؤثرونهم على انفسهم، ولو كانت بهم خصاصة، ويتسابقون في النصرة والمعاضدة، فسماهم الله باسم «الانصار» كما سمى الواردين عليهم من مسلمي مكة باسم «المهاجرين» .

انزل الله تعالى في حق الفريقين، ومن اتبعهم بأحسان :

« وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدَأُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٠٠» ١.

استقرَّ الرّسول (ص) ، والمهاجرون بالمدينة واستقبله اهلها خير استقبال فأمن الأذى واطمئن واستراح وانقطعت يد قريش والمشركون عن ايذائه وتمكّن من انفاذ ما امره الله به واجرائه فأخى بين المهاجرين والأنصار وجعل الله بعضهم اولياء بعض يتشاركون ويتناصرون ويتوارثون .

قوله تعالى :

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... ٧٢» ٢
ومدحهم الله بحقيقة ايمانهم وخلوص اعتقادهم ، ووعدهم جنة النعيم والرّزق الكريم فقال ، تبارك وتعالى :

« وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٧٤ » ٣.

١٢٢ - اصطفاء الرّسول علياً للأخاء

أخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين اصحابه من المهاجرين والأنصار كل مع الآخر ، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين والنصف الآخر من الأنصار على المواساة في الحيات والتوارث بعد الممات ٤ .

وأخى ايضاً بين المهاجرين بعضهم مع بعض وفي هذه المؤاخاة اتخذ علياً اخاً لنفسه ولم يؤاخ احداً غيره .

١ - السورة التاسعة (التوبة) .

٢ - السورة الثانية (الانفال) .

٣ - السورة الثامنة (الانفال) .

٤ - نسخ حكم ذلك التوارث بعد واقعة بدر بقوله تعالى « واولوالارحام بعضهم اولى ببعض ... ٧٥ . الآية » سورة الانفال .

فعلى، بعدما كان له شرف نُشُوْءِهِ فِي حَجْرِ الرَّسُولِ (ص)، وشرف تربية الرسول
آياه كولدته، وبعد شرفه بسبقه في الإسلام في الصلوة والأيمان، وبعد شرفه بافتدائه عن
الرسول وخلافته له في ميته وفي قضاء ديونه واداء اماناته بمكة وغير ذلك مما شرفه
الله ورسوله بها وكرم الله وجهه لها، صار متشرفاً بأخائه للرسول المختار، من بين
سائر المهاجرين والأنصار.

ولَعَمْرُؤُ الْحَقِّ وَالْأَنْصَافِ هَذَا شَرَفٌ لَا يُوَازِيهِ شَرَفٌ، وَمَنْزِلَةٌ لَا يَبْعُدُ لَهَا مَنْزِلَةٌ،
وَمَقَامٌ يَلْبِرُكَ وَلَا يُوَصِّفُ فَكُنْ مِمَّنْ تَدَبَّرَ وَانصَفَ .

فِي الْمَحْكِيِّ عَنِ الْمُتَّقِيٍّ لِلْكَازِرُونِيِّ :

كيفية المواضع
بين المؤمنين

« وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ (يعني السنة الأولى) أَخِي ' بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . وَذَلِكَ
أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَخِي ' بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى الْحَقِّ وَالْمَوَاسَاةِ ، يَتَوَارَثُونَ
بَعْدَ الْمَمَاتِ ، دُونَ ذَوِي الْأَرْحَامِ ، وَكَانُوا تِسْعِينَ رَجُلًا : خَمْسَةٌ وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ
الْأَنْصَارِ . وَقِيلَ : كَانُوا خَمْسِينَ وَمِائَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . وَكَانَ
ذَلِكَ قَبْلَ بَدْرِ »

١٢٣ - اخوة الدنيا والآخرة لعلي مع النبي (ص)

وَفِي مَحْكِيِّ « الْمَنَاقِبِ » عَنِ تَارِيخِ الْبِلَازِرِيِّ وَالسَّلَامِيِّ ، وَغَيْرِهِمَا ، عَنِ -
ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَغَيْرِهِ :

« لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » ١٠١ ، أَخِي ' رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْأَشْكَالِ وَالْأَمْثَالِ فَأَخِي ' بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَبَيْنَ عِثْمَانَ
وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَبَيْنَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، وَبَيْنَ
أَبِي عُبَيْدَةَ وَسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، وَبَيْنَ مُصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ وَأَبِي ابْتُوبِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَبَيْنَ أَبِي ذَرٍّ
وَإِبْنِ مَسْعُودٍ ، وَبَيْنَ سَلْمَانَ وَحَدِيفَةَ ، وَبَيْنَ حَمْزَةَ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، وَبَيْنَ أَبِي التَّبَرْدَاءِ

و بلال، وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل، وبين المقداد وعمار، وبين عائشة وحفصة، وبين زينب بنت جحش وميمونة، وبين ام سلمة و صفية، حتى آخا بين اصحابه باجمعهم على قدر منازلهم، ثم قال (ص) :

« أَنْتَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ يَا عَلِيُّ »

أخى النبي (ص)
علياً

وفي المناقب « ايضاً :

« الترمذى و السمعاني و النطنزى انه قال ابن عمر و زيد بن حارثة :

« آخى رسول الله بين اصحابه وجاء على تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بيني وبين احد! فقال النبي: " أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ». وفي المناقب ايضاً :

« وفي فضائل احمد: انما تركتكَ لنفسى، اَنْتَ أَخِي وانا آخُوكَ . وفيه برواية زيد بن اوفى: « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا اخَّرْتُكَ اِلَّا لِنَفْسِي، وَاَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هِرُونَ مِنْ مُوسَى اِلَّا اِنَّهُ لَانْبِيَّ بَعْدِي... الخبير .

« وفي « الأربعين » عن الخوارزمي قال ابورافع : ان رسول الله التفت الى علي فقال :

« انت اخي في الدنيا والآخرة ووزيري ووارثي .

« وفي « اعتقاد اهل السنة » : روى مخدوج بن الذهلي ان النبي (ص) لما آخا بين المسلمين اخذ بيد علي فوضعها على صدره وقال :

« يَا عَلِيُّ أَنْتَ مِنِّي ° وَأَنَا مِنكَ بِمَنْزِلَةِ هِرُونَ مِنْ مُوسَى °... الخبير .

منزلة علي
من الرسول

١- هاتان الكلمتان عين ما وقعتا في قضية انذار العشيرة وقد اشرفنا هنالك، ذهل الصفحة: انه لا يصح ان يراد من الوراثه هنا الا المولويه، وهي الخلافه، لان وراثه المال، ان كان هنا مال ولم يكن حديث « نحن معاشر الانبياء لانورث » مسلما، لا تكون الا لفاطمه والزوجات ووراثه العلم كما عرفت لا تصح الا على التوسع والتجاوز لان ما استفاد علي من علم الرسول كان قبل وفاته (ص) لاهمه حتى يصح ان يطلق عليه الارث فبقي ان يكون المراد منه المولويه. فتدبر.

وفي المناقب ايضا :

« في زيادات المُسند » بسنده عن سعيد بن المسيب قال :

« و آخا (ص) بين اصحابه في مكة فأخا بين ابي بكر و عمر ، رضى الله عنهما ،

وقال لعليّ : انت اخي » .

وفيه ايضا :

« احمد في مُسنده ، بسنده عن حذيفة بن اليمان ، رضى الله عنه ، قال :

« آخا رسول الله (ص) بين المهاجرين و الأنصار و كان يؤاخى بين الرجل و نظيره ،

ثم اخذ بيد عليّ فقال : هذا اخي »

وفي سيرة ابن هشام :

« قال ابن اسحق :

« و آخا رسول الله ، صلى الله عليه و آله و سلم ، بين اصحابه من المهاجرين و الأنصار

فقال ، في ما بَلَغْنَا ، و نعوذ بالله ان نقول عليه ما لم يقل ، :

« تآخوا في الله اخويين آخويين .

« ثم اخذ بيد عليّ بن ابي طالب فقال : هذا اخي .

« فكان رسول الله ، سيّد المرسلين ، و امام المتقين ، و رسول رب العالمين ، الذي

ليس له خطير و لا نظير من العباد ، و عليّ بن ابي طالب ، رضى الله عنه ، آخويين » .

وفي المناقب :

« موفق بن احمد بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال سمعت علياً يقول :

أَنَا آخُو الْمُصْطَفَى لِأَشْكَّتْ فِي نَسَبِي

رُبِّيتُ مَعَهُ وَسَبِطَاهُ هُمَا وَلَدِي

جَدِّي وَجَدُّ رَسُولِ اللَّهِ مُتَّحِدٌ

وَ قَاطِمٌ زَوْجَتِي لِأَقُولُ ذِي فَتْنَةٍ

مما انشاه علي (ع)
في المفاخرة

١٦٣
١٦٤
١٦٥

صَدَّقْتُهُ وَجَمِيعُ النَّاسِ فِي بُهْمٍ
 مِنْ الضَّلَالَةِ وَالْأَشْرَاقِ فِي نَكَدٍ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا لِأَشْرِيكَ لَهْ
 الْبَرِّ بِالْعَبْدِ ، وَالْبَاقِي بِلا أَمَدٍ ،

١٢٤ - المدينة والأسلام

ورد الأسلام بعد نزول الرسول (ص) بالمدينة واستقراره فيها في دور جديد من الحياة : دور المسارعة في النفوذ والتقدم والسياسة ، دور الانبساط والنشوء والنشاط . فما لبث حيناً آلا وقد تجلّت للعرب حقيقته فعرفتها القبائل ، واقبل الناس على التصديق به ، والايان بأدابه ، وعرفوا مانمّ واكمل فيه منهاجاً ، فتسابقوا للدخول في دين الله وقبول منهاجه افواجاً .

كان زمن اقامة الرسول (ص) بالمدينة ومدة حياته فيها ، مدة قصيرة لاتتجاوز عن عشر سنين آلا بشهورٍ وانتفت له في هذه المدة غزوات ، اذا فُحص عن عللها واسبابها وبُحث عن مجارى الاحوال والأوضاع عند حدوثها يظهر على المحقق - الخبير المنصف انّ جلّ تلك الغزوات ، ان سامحنا ولم نقل كلّها ، كانت بالحقيقة دفاعية لانعراضية ولعلّه لايتجاوز عدد كلّ من قُتل في سبيل هذه الدعوة من المؤمن والمشرک في تلك المدة وفي هذه الغزوات لاتتجاوز عن الف نسمة آلا بقليل ! .

وكيف كان مع كون التفوق البيّن عِدّةً وعِدّةً فى جميع غزواته الأولى للعدوّ ، كان النصر والتظفر للمسلمين على المشركين والكافرين .

فتلك غزوة بدر كانت فيها عدّة المشركين المهاجمين تسعمائة وخمسين ، على قولٍ ، والف ومأتا وخمسين ، على قول آخر ، وثلاثة آلاف ، على قولٍ ثالثٍ وكان لهم مأتا فرس يقودونها ولم تكن للمسلمين عدّة تتجاوز عن ثلاثمئة آلا ببضعة عشر ولم يكن لهم اكثر من فرسين وسبعين بعير وستة ادرع وثمانية سيوف !!

وهذه غزوة أحد لم تكن عدة المسلمين فيها تتجاوز عن سبعمائة وفيهم خمسون فارساً وكانت عدة المشركين من قريش، بقيادة ابي سفيان، ثلاثة آلاف، والقيين، فيهم مائة فارس وباقيهم ركبٌ ولهم سبعمائة درع وحملوا نساءهم معهم للتحرير والتضييق فكان يحرضن الرجال بما اشتهرت من ارجوزة هند زوجة ابي سفيان، التي يعرف منها مقدار ثرائهم وحد غنائهم، وهي على ما في «الكامل» :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ ١ نَمَشِيْ عَلَى النَّمَارِقِ
 مَشَى الْقِطَا بِنَارِقِ وَالْمُسْكُ فِي الْمَفَارِقِ
 وَالْدُرُّ فِي الْمَخَانِقِ اِنْ تُقْبِلُوْا نَعَانِقِ
 وَتَفْرِشِ النَّمَارِقِ اَوْ تُدْبِرُوْا نَفَارِقِ
 فَرَاقٍ غَيْرَ وَاَمِقٍ ٢

هذه العدة غير من استأجرها ابوسفيان من الأحابيش والمتطوعة التي قيل في عدتهم: انها كانت الفين في هذه الهجمة للقتال مع النبي والمسلمين .
 وهي غزوة خندق كانت عدة المشركين فيها على قول ثمانية عشر الف رجل والمسلمون لم تتجاوز عدتهم عن ثلاثة آلاف .

اصطلاح
 «الغزوة»
 و«السرية»

ارباب السير والتواريخ اصطلمحوا على ان يسموا ما حضره النبي (ص) من المقاتل والحروب بنفسه باسم «الغزوة» وما ارسل اليها عدة من المسلمين بأمانة واحد من الأصحاب باسم «السرية» .

كان جميع غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، على ما ضبطها ست وعشرين غزوة وجميع سراياه ست وثلاثين سرية .

١ - ارادت بلفظة «طارق»، النجم وفي القرآن المجيد « والسما والطارق، وما ادريك

ما الطارق، النجم الثاقب .»

٢ - في تاريخ الطبري ضبط هكذا : نحن بنات طارق ان تقبلوا نعانق ونسبط

النمارق . . . الخ

١٢٥ - شأن عليّ في تلك الغزوات

ممّا يجب ان لا يغفل عنه ، بل لا بدّ وان يذكر ، ولو كان بالأشارة والأجمال ، انّ في كلّ تلك المعارك والغزوات كان لعليّ (ع) بفتوّته و مروئته وشجاعته و ايمانه و اخلاصه و افتدائه لحفظ الرّسول ، وتضحّيته في سبيل الدعوة ونشر الرّسالة ، سهمٌ لنصر- المسلمين وكسر المشركين و اعداء الدّين ، سهمٌ يفوق كلّ السّهام ولا يُقاس بسهم احدٍ منهم كائناً من كان .

كان عليّ قطب الرّحى والبطل الفدّ في الوغى ، مبارزته في بدر و ابتلاؤه في أحد و افتداؤه لابن عمه و اخيه ، الرّسول (ص) في هذه الأخيرة مشهورة ، بل متواترة ، وفيها قيل في حقّه :

« لاسَيْفَ اِلا ذُو الْفَقَارِ و لا فِتْيَ اِلا عَلِيٌّ » .

قال ابو الفرج الأَمْوِي في « الأغانى » (الجزء ال ١٤ - التّصحيحه ال ١٧) :

« قال محمّد بن جرير الطّبري : و حدّثنا ... قال :

« لما ولى اصحاب الالوية يومَ الأحد ، قتلهم علي بن ابي طالب عليه السّلام^١

ابصر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ :
احمل عليهم .

« فحمل عليّ ففرّق جمعهم و قتل عمرو بن عبد الله الجُمَحِي .

« ثمّ ابصر جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ : احمل .

« فحمل ففرّق جمعهم و قتل شيبة بن مالك ، احد بني عامر بن لؤي .

« فقال جبريل عليه السّلام :

« انّ هذه لتدموا ساة .

١ - في الطبري (الجزء الثاني - الصفحة ١٩٧ -) « لما قتل علي بن ابي طالب اصحاب

الالوية ابصر رسول الله ... الى آخر ما نقله صاحب الاغانى .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« هُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ .

» فقال جبريل : وانا منكم .

» فسمعوا صوتاً : لَاسَيْفٍ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فِتْيٍ إِلَّا عَلِيٌّ .

و في تلك الحرب قتل عليُّ طلحة بن عثمان ، صاحب لواء المشركين ولم يُجهز عليه ١ .

وفي الأغاني ايضاً ٢ :

« ثمَّ انَّ طلحة بن عثمان ، صاحب لواء المشركين قام فقال :

« يا معاشر اصحاب محمد ، انكم تزعمون ان الله عز وجل يعجلنا

بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل منكم احد يعجله الله بسيفي الى الجنة

او يعجلني بسيفه الى النار؟

» فقام اليه علي بن ابي طالب رضى الله عنه ، فقال :

والذى نفسى بيده لا افارقك حتى يعجلك ٣ الله عز وجل بسيفي الى النار او

يعجلني ٤ بسيفك الى الجنة .

فضرب عليُّ فقطع رجله فبدت عورته . فقال :

اَنْشُدْكَ اللهُ وَالرَّحِيمِ يَا ابْنَ عَمِّ . فتركه .

» فكبير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لعلي : ما منعك ان تجهز عليه ؟

قال :

« ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه » .

١ - اجهزت على الجريح اذا اسرعت قتله وقد تمت عليه « (صحاح اللغة) .

٢ - واصله من الطبرى ايضاً .

٣ - فى الطبرى : حتى اعجلك .

٤ - فى الطبرى : حتى تعجلني .

١٢٦ - عليّ وغزوة الخندق

وناهيئك في ذلك ان تذكر غزوة الخندق و مبارزة عليّ، الشجاع العريبد، عمرو بن عبدودّ ، الذي بألف فارس يعدل في الشجاعة ويعدّ ١ ولذا صدر في عليّ ومبارزته هذه من النبيّ الأجد :

« برز الأيمان كله الى الشرك كله » .

وصدر ايضاً لبيان عظمة تلك المبارزة عنه صلوات الله وسلامه عليه :

« ضربت عليّ يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين » .

في كتاب « يتابع الموده » عن « المناقب » مسنداً عن زياد بن مطرف قال :

« كان ابن مسعود يقرأ :

« وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ » .

« وسبب نزوله ان عمرو بن عبدودّ وكان فارساً مشهوراً يعدل بالف فارس ، قد شهد بدرأ ولم يشهد أحدأ. ويوم الخندق نادى هل من مبارز؟ فلم يجبه أحد.

« فقام عليّ عليه السلام وقال : انا يا رسول الله .

« فقال : انه عمرو . واجلسه .

« فنادى ثانية فلم يجبه أحد.

« فقام عليّ عليه السلام وقال : انا يا رسول الله وان كان عمروأ .

١ - وفيه قال مسافع بن عبد مناف :

عمرو بن عبد كان اول فارس جزع المذاذ وكان فارس ليليل

(جزع : قطع . المذاذ : موضع بالمدينة وهو الموضع الذي حفر الرسول فيه الخندق .

ليليل . موضع) .

٢ - الاية ال ٢٥ من سورة الاحزاب (٢٣) وفي التبيان في تفسير الاية « وقيل :

وكفى الله المؤمنين القتال ، بالريح والملائكة وقيل : وكفى الله المؤمنين القتال ، بعلي عليه السلام ، وهي قرأه ابن مسعود ، وكذلك هو في مصحفه ، في قتله عمرو بن عبدود

وكان ذلك سبب هزيمة القوم .

مبارزة علي
وضربه
يوم الخندق

« فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم .
 « قال حذيفة بن اليمان : البسه رسول الله درعَه ، الفضول ، وعممه عمامته ،
 السحاب ، على راسه تسعة ادوار وقال : تَقَدَّمَ .
 « فلمَّا ولي قال النبي :
 « بَرَزَ الأيمانُ كُلَّهُ الى الشُّركِ كُلِّهِ » .
 « وقال : رَبِّ لا تَدْرِنِي فَرَدًّا »
 وفي المحكي عن المناقب عن حذيفة ، رضي الله عنه : قال رسول الله (ص) :
 « ضَرَبَةُ عَلِيٍّ يَوْمَ الخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ أَعْمَالِ امْتِنِي الي يَوْمِ
 القِيَامَةِ » .
 وحدث المؤرخ المحدث ، الخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣ هـ . ق .) في ترجمته
 عن « لؤلؤ القيصري » بأسناده عن النبي (ص) .
 « لَمُبَارَزَةُ عَلِيٍّ بن ابي طالب ، لعمر بن عبدودَ يَوْمَ الخَنْدَقِ افضل مِنْ
 عِبَادَةِ امْتِنِي الي يَوْمِ القِيَامَةِ » .

١٢٧ - عليّ وغزوة خيبر

نجل ختام الكلام في بيان مقام عليّ في « الغزوات » ، ما ثبت واشتهر منه في
 قضية « خيبر » وما صدر في شأنه في هذه الواقعة من الرسول الأكرم (ص) وما قدر الله
 لعليّ من قتله « البطل المجرب » اليهودي المشتهر باسم « مروحب » ومن فتحه ذلك
 الحصن المشيد .
 قال الطبري في تاريخه بأسناده الى بُرَيْدَةَ الأسلمي (الجزء الثاني - الصفحة
 ال ٣٠٠ -) انه قال :

« لَمَّا كَانَ حين نزل رسول الله بحصن اهل خيبر ، اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم

اللّوَاء^١ عمر بن الخطاب و نهض من نهض معه من النّاس فلقوا اهل خيبر فانكشف
عمر واصحابه فرجعوا الى رسول الله (ص) يُجَبِّنُهُ اصحابُهُ وَيُجَبِّنُهُمْ .

على يحب الله
ورسوله ويحبا له

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَأُعْطِينَ اللّوَاءَ غداً رجلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ. »^٢

« فلما كان من الغد تناول لها ابوبكر و عمر .

« فدعا علياً عليه السلام، وهو ارمذ ، فتقل في عينيه واعطاه اللّوَاءَ و نهض

معه من النّاس مَنْ نهض .

« فلقى اهل خيبر . فاذا مرحب يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْبَرُ اَنِّي مُرَحَّبٌ

شَاكِيَ السَّلَاحَ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ

اَطْعَنُ اَحْيَانًا وَحِينًا اَضْرِبُ

اِذَا اللِّيُوثُ اَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

« فاختلف هو و عليّ ضربتين . فضربه عليّ على هامته حتى عضّ السيف

منها باضراره وسمع اهل العسكر صوت ضربته فماتتأم آخر النّاس مع عليّ عليه السلام

حتى فتح الله له ولهم . »

وقال الطّبري ايضاً (الجزء الثاني الصفحه ٣٠١) بأسناده « عن ابي رافع مولى

رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه قال :

١ - العلم وهودون الراية . قيل : سمي باللواء لانه بلوى لكبره فلا ينشر الا عند الحاجة .

٢ - وفي الجزء الرابع من صحيح البخارى (الصفحة ٥٣) وفي الخامس منه (الصفحة-

ال ١٣٤) باسناده عن سهل بن سعد «رضي الله عنه» (و باسناده عن سلمة بن الاكوع) قال :

« كان عليّ رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان به رمذ . فقال :

انا اتخلف عن رسول الله ؟ ! فخرج عليّ فلحق بالنبي (ص) فلما كان مساء الية التي في

صباحها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاعطين الراية ، او قال : لياخذن هداً رجل

يحب الله ورسوله ، او قال : يحب الله ورسوله : فاذا نحن بعلى ، ومانرجوه ، فقالوا : هذا علي

فاعطاه رسول الله ففتح الله عليه . »

« وخرجنا مع علي بن ابي طالب حين بعثه رسول الله (ص) برايته^١ فلما دنا من الحصن خرج اليه اهلُه فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي رضي الله عنه ، باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه . فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه . ثم القاه من يده حين فرغ . فلقد رايتني في نفر سبعة ، آتانا ثامنهم نجهد علي ان نقلب ذلك الباب فما نقله . »

مبارزة علي
موجب

لما بارز علي عليه السلام موجباً وسمع ما يرتجز به ارتجز مجيباً له بقوله :

آتَا النَّدِي سَمْتِنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ

كَلَيْثِ غَابَاتِ كَرِيهِهِ الْمُنْتَظَرَةَ

أَوْ فِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةَ^(٢)

ولما دنا علي عليه السلام من حصون خيبر أطلع يهودي من علا الحصن وقال: من انت؟ فقال: علي بن ابي طالب فقال اليهودي: علبوتم وما أنزل على موسى. هكذا كان شأن علي في سائر الغزوات وكان في الجبل ، بل في الكل ، حامل راية رسول الله (ص) ، وصاحب لوائه وحامي حوزته والملبى لدعوته والمسارع لنصرته والمفدى بمهجته .

١٢٨ - سرعة نشر الاسلام

كانت مدة اقامة الرسول (ص) بمدينة ، مدة قصيرة جداً وهذه المدة القصيرة هي تمام ما تمكن الرسول فيها من اظهار ما أمر به ، بلا معارض يمنعه من اهلها ، ومن ابلاغ الأحكام وتلاوة آيات الله على الناس و تزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة ولاخراجهم من الضلالة ولتنظيم الأمور وتأليف القلوب وتعديل المعاملات وتحسين-

١ - الراية : علم الجيش وهي اكبر من اللواء .

٢ - سكيال كبير واسع .

الأداب والمعاشرات وتجهيز المؤمنين للمدافعات والتعرضات وتعبيتهم للسرايا والغزوات واعدادهم للرشاد والأرشاد، كل ذلك على احسن نظام، واكمل دستور، واعدل قانون، وامتن برنامج، واصلح قرار، وابين شريعة ومنهاج.

اشرفت شمس الرسالة على تلك النواحي الفاسقة فتنورت ارواح اولئك الأفراد الجاهلة المنحطة في مدة قصيرة واثرت فيها تأثيراً سريعاً عميقاً لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر. وبحق كان هذا التأثير بحيث لو كان «التحدى» وقع به، لكان جديراً به ان يعدّ «معجزة» ويدعى بهذا العنوان والسمة.

انظر الى العادات الدينية السابقة والآداب الرديّة الخسيسة والرّسوم القبيحة الشنيعة والأعمال الذميمة والعصبية الجاهلية العريقة والى تلك القلوب القاسية والعقول الجافة الجافية المظلمة كيف زهقت ومحقت وكيف لانت ورقّت.

تأثير الاسلام
السريع في التربة
والعهد

ثم ارجع النظر الى الحالات الحادثة والتحوّلات اللاحقة من الآداب السامية والرّسوم الحميدة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة والعواطف الرقيقة الشريفة والأفكار النيرة المنيرة كيف نشأت؟ وكيف رسخت في القلوب القابلة وتمكّنت من النفوس المستعدة وتملّكت الأرواح وتسيطرّت على الجوارح وتسلّطت على الظواهر والسرائر؟

راحت عنهم حكومة الكبر والخيلاء وزالت عن بينهم سيادة الظلم وسلطة الجور والعدوان ولاحت فيهم محبة التواضع والخشوع ودالت ايام الأمن ودور العدل والأخوة والمساواة والمواساة.

تجلّت على النفوس المستعدة انوار الأيمان فتنورت ارواحهم بشروق اليقين والأخلاص والعرفان، وانشرحت صدورهم بسطوع الحق والحقيقة، واستولت على قلوبهم محبة الله ورسوله، واحاطت على جميع جوارحهم وعلى شراشركيانهم حال المطاوعة والأطاعة لئما اراد الله منهم وامرهم بها من احكام الدين.

صارت تلك النفوس بحيث يتجلّى سرّهم في سرائرهم ويظهر ما في ضمائرهم

من ظواهرهم فزالوا عن طريق الفساد والخلاف، وما زالوا في كل امرٍ وكل عملٍ ناظرين الى وجه الحق منه، عاكفين على حيث الخير والصلاح عنه، حافظين لطور الصدق والخلوص فيه، مخلصين قصاد القربة والزلفى، قاصدين للفوز بسعادة رضوان الله تبارك وتعالى في العقبى.

وَحَقٌّ اِنْ يُقَالُ فِي حَقِّهِمْ .

« كُنَيْمٌ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . . . ١١٠ » .^١

١٢٩ - الإسلام خرق العادة في التربية والتعليم

وُجِدَتْ في العالم الانساني قادة غفيرة ونشأت بين الأمم والملل ساسة جمّة كثيرة، سواء كانوا داعين باسم الله، مدعين للاتصال بعالم الغيب، هادين الى الفضائل وسائقين الى المكارم، ادلاء الى السعادة والكمال ام ناظرين الى اصلاح الملك، مدعين التولى للاشتغال بنظم المجتمع ونظام الاجتماع، وساعين في اعلاء شئون المشهود من عالم الشهود؟، وكيف كانوا، رزقوا التوفيق، قلّ ام كثر، في سبيل مادعوا وادعوا .

لكنّه ممّا لا ينبغي الأرتياب فيه انه لم ترعين الدّهر و ما سمعت اذن التاريخ قائداً يشبه رسول الإسلام في توفيقه باعتبار سرعة نفوذه في افراد كثيرة وقوة رسوخه في قلوبهم الحجرية القاسية بحيث صاغ من تلك العناصر الساقطة هيات فاضلة واشكال معتدلة قاسطة قيّمة .

بدلّ الإسلام، بالحقيقة، تلك الأفراد المتكاثرة الفاسدة في جميع شئون حياتها الى افراد صالحة راقية فاضلة في رمة اطوار كيانها.

هل اتفق لقائده، الهياً كان او عادياً، ان لا يكون وارثاً لرئاسة نظام، ولا يكون صاحب ثروة وغناء، ولا يكون له عشيرة توافقه، وقبيلة تعاضده وتساعد له ولا تكون له عُدّة

وسلاح، ولا يكون متخزناً من مكتب او مدرس و معهد، ولا يكون كاذباً منافقاً محيلاً خداعاً يتكلم على ما يهويه مخاطبوه، وينطق مكرراً ومكيدة بما يرضيه سامعوه بل كان محيط حياته مغلوباً للهرج والمرج، محكوماً باستيلاء الجور والعدوان، معتاداً للتجاوز على حقوق الضعفاء، مسيطراً على الأفراد، الجهل والعصبية والخيلاء واللجاج والاستبداد والاستعلاء وحب السيادة والرئاسة، مرتكراً فيهم الاعتقاد بالأوثان والاصنام وكان ذلك القائد الوحيد في ذلك الجمع العنيد صفر الكف وكانت في قومه وقبيلته، بل في اقربائه وعشيرته، من خالفه وعانده، اعداء الداء له اشداء عليه ومع تلك الأوضاع والأحوال غلب واستولى على اولئك الأشخاص الذين كانوا متصلبين في الكبرياء والخيلاء، متعرقين في الاستبداد واللجاج، متعصبين بالجهالة، متسمين بالقساوة، اشداء في العداوة، الداء في اللجاجة، الذين قست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة؟

تبدل الاسلام
الأفراد المنحلة
وتوجهه

اجل، غاب عليهم ياخلاقه الفاضلة، واعماله الصالحة، وكلماته الفصيحة، وبياناته البليغة الجلابة المعقولة، المقبولة، وعواطفه الكاملة العالية، ورافته المتجلية بالخلوص والوفاء، ومحبته المتحلية بالعبارة لكل فرد، من الرجال والنساء والصغار والكبار ومن وافقه على دعواه وتابعه او خالفه عليها ونازعه، وبسعة قلبه في الحلم والصبر على الأذى، وشرح صدره في كظم الغيظ والعفو عن اساء اليه والتصفيح عن جار عليه واعتدى وبأيمانه بما جاء به من الرسالة، وبمراعاته الحق والعدالة.

«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِهِ شُهَيْدًا ۚ ۲۸ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرِيَهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ... ۲۹»

استولى الرسول تملك الوسائل المعنوية، والكمالات النفسية، والفضائل الشخصية، والتأييدات الألهية، والأسباب الغيبية، على اولئك الطغام الألداء والخصام الأشداء

بحيث صاروا من صميم قلوبهم انصاره واودائه واتباعه واحبائه .
فهو بتلك الصفات السامية، والسمات الراقية، والخصال الفاضلة خلب عقولهم
وجذب قلوبهم وغلب نفوسهم حتى بدلهم من شخصيتهم السابقة الفاسدة اشخاصاً
صالحة يُفدونهم لا بأموالهم فحسب بل بنفوسهم ونفوس آبائهم ونفوس ابنائهم ونفوس
اخوانهم واقاربهم، ويعظّمونه في صدورهم اعظم ما يتصور، ويكرّمونه ويطيعونه بشرائير
اعضائهم وجوارحهم .

فهم ، وهم ، بعدما كانوا على ارذل الأخلاق صاروا على افضلها .
ليس من خوارق العادات ان شخصاً على فقره ، الذي يفتخر به ، وعلى وحدته
وانفراده، وعلى كثرة اعاديه ، الألداء الأثرياء ، يؤثر في هؤلاء الأعداء الأقوياء بحيث
يغيرهم في كل ما اعتادوا بها من الرذائل والسخائف وكبروا عليها من العادات والأهواء
ويبدلهم لا في ظواهر الشئون ومجاري الأمور فقط بل ، في الاكثر ، في اكنان الضمائر
واعماق الغرائز والسرائر ، وفي سويداء القلوب والتصدور ، وفي اغوار العقول وتخوم
النفوس . ؟

ليس من العجب ، العُجاب ان يُصاغ من تلك المواد الخسيسة الدنيّة الدنيويّة
هذه الهيات الشريفة ويصور في تلك الهيوليات الضعيفة الناقصة الطاغية هذه الصور
العليّة الملكوتيّة الالهية الطائفة ! ؟

١٣٠ - من الوقائع العجيبة لتأثير الاسلام

وحسبك للاذعان لما ذكرنا من تذكر حالاتهم ومراجعة تاريخ حياتهم ما حكاها
الطبري في تاريخه بأسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال :

« خرجنا مع رسول الله (ص) في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل من
المسلمين امرأة من المشركين . فلما انصرف رسول الله (ص) قافلاً اتى زوجها ، وكان
غائباً ، فلما أُخبر الخبر حلف ان لا ينتهي حتى يهريق في اصحاب محمد (ص) دمًا

فخرج يتبع اثر رسول الله (ص) فنزل رسول الله (ص) منزلاً فقال : مَنْ رَجُلٌ يَكْتَلُنَا لَيْتُنَا هَذِهِ ؟ . فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار . فقالوا : نحن يا رسول الله . قال : فكونا بقم الشعب ، وكان رسول الله (ص) واصحابه قد نزلوا الشعب من بطن الوادى .

رسوخ الاسلام
فى القلوب

« فلما خرج الرجلان الى قم الشعب ، قال الأنصارى للمهاجرى : اى الليل تحب ان اكفيكه : اوله او آخره ؟ قال : بل اكفى اوله . فاضطجع المهاجرى فنام وقام الأنصارى يصلى . واتى زوج المرأة فلما راي شخص الرجل عرف انه ريبة القوم . فرمى بسهم فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً يصلى ! ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً يصلى . ثم عادله بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد . ثم اهب صاحبه فقال : اجلس فقد اُتيتُ .

« قال : فوثب المهاجرى . فلما رآهما الرجل عرف انهم قد نذروا به .

« ولما راي المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء قال : سبحان الله : اقلا اهنبتنى اول مارماك ! ؟ قال : كنت فى اول سورة اقرأها فلم احب ان اقطعها حتى انفذها ! فلما تتابع على الرمي ركعت فاذننك .
« وَايْمُ اللَّهِ لَوْلَا ان اضيع ثغراً آمَرنى رسوا لله ، صلى الله عليه وسلم ، بحفظه لقطع نفسى قبل ان اقطعها او انفذها ! » .

١٣١ - ختام لبيان التأثير

هكذا كان رسوخ الأيمان فى قلوبهم ونفوذ التعاليم فى نفوسهم فيحق ان يقال :
« حق العدل والحق لقد وفق ذلك الصانع الألهى فصاغ بمهارته فى التزكية والتهديب ، وبحدائقه فى التربية والتعليم ، وبشدة علاقته بصنعتة ، وكثرة محبته للخلق ، وقوة اطاعته للخالق ، وبخلوص مجاهدته فى طريق ارشاد الناس وهدايتهم ، اشخاصاً استولوا بأيمانهم وروحانيتهم واخلاصهم و اخلاقهم واعمالهم واعتدالهم وعدالتهم

لاعلى محيط الجزيرة ولا على نجارالعرب فقط بل على اكثر الأقاليم والبلاد، وعلى ارقى-
العناصر واقرى الأقوام والملل، وفي اقصرمدّة واقلّ زمان .

كان رسول الأسلام من الصّفاء والأخلاص والرّحمة و الرأفة والأيمان، وتجلّى
الحقّ والحقيقة فى اقواله و افعاله و اطواره و احواله، على شأنٍ لم يتفق ان يلاقه احد
ويستمع منه ويطّلع على مقصده ومرامه ألا ان يخضع تجاه عظمة ايمانه ، و يعتقد من
صميم قلبه بصداقته فى دعوته فيؤمن به و يصدّقه فى رسالته (اللهم ألا افرادا نادرة
شاذة ران على نفوسهم رين اللّجاح والعناد، ورسخ فى قلوبهم وسخ التكبير ودرّن الخيّلاء
والتجبروهم الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم و ضرب على ابصارهم غشاوة، لا يرون
ألا انفسهم الخسيصة الخبيثة، ولا يمشون ألا مكبّين على وجوههم المنكوسة، لهم قلوب
لا يفقهون بها و آذان لا يسمعون بها و اعين لا يبصرون بها، امثال ابى جهل و ابى لهب،
وما اقلّ ان يوجد لهما فى الجهالة والعصبيّة والغرور والاستكبار نظير ومثال).

Journal of the American Medical Association

Published weekly, except during the months of December, January, and February, when it is published bi-weekly.

Subscription price, \$5.00 per annum in advance. Single copies, 15 cents.

Entered as second-class matter, October 3, 1917, under post office number 374, at Chicago, Illinois, under special agreement of post office and post office paid.

Acceptance for mailing at special rate of postage provided for in Section 1103, Act of October 3, 1917, authorized on July 1, 1918.

Postmaster: This publication is published weekly, except during the months of December, January, and February, when it is published bi-weekly.

Copyright, 1918, by American Medical Association, 535 North Dearborn Street, Chicago, Ill.

Published by the American Medical Association, 535 North Dearborn Street, Chicago, Ill.

« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ »
 « اَللّٰهُمَّ وَالِ مَنْ وَاوَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ »
 (قالها ثلاثا، كما نقل ابن المغازلي الشافعي،
 او اربعا، كما حكى عن الامام ابن حنبل،)

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيِّهِمْ
 بِخُصْمٍ فَاسْمِعْ بِالرَّسُولِ مُنَادِيًا

الى

فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَكَلِيهٗ
 فَكُونُوا لَهُ اَنْصَارًا صِدْقِ مُوَالِيًا
 هُنَاكَ دَعَا : اَللّٰهُمَّ وَالِ وَكَلِيهٗ
 وَكُنْ لِلَّذِي عَادَى عَلِيًّا مُعَادِيًا
 (نسب الى حسان بن ثابت)

١ - حجة الوداع .

٢ - الخطبة فيها .

٣ - اكمال الدين واتمام النعمة .

٤ - غدِير خُم .

٥ - بيان المولوية لعلي .

٦ - كلمات مع المنكرين .

٧ - حول غدِير خُم .

٨ - ترك الرسول ، الثقلين للامة .

٨ - حَوْلَ مَا جَرَتْ فِي سَفَرِهِ الْاٰخِرِ
 اِلَى مَكَّةَ لِلْحَجِّ :

١٣٢ - حجة الوداع

أيد الله رسوله لبيان احكامه و تبليغ رسالاته فشمّر الرسول عن ساعد الرسالة بالبيان والبلاغ وقرّر للناس ما اوحى الله تعالى اليه من الأحكام و شرائع الإسلام وتدرّج في ذلك من زمن بعثته الى حين رحلته فكانت الاحكام صدوراً كتزول القرآن نجوماً، مبدؤها بدايته ومنتهاها نهايته كل ذلك بحسب ما يقتضيه الأوضاع ويرتضيه الاحوال. تجهز الرسول للحجّ واداء مناسكه وتعليم احكامه وآدابه وتعيين سنّته ومواسمه و امر الناس بالجهاز له، وخرج اليه لخمس ليال بقين من ذى القعدة من السنّة العاشرة ومعه عدّة كثيرة من اصحابه واتباعه، لعلها لاتقلّ من مائة الف، وقد قيل يكون العدّة : نحواً من مائة الف وثلاثين الف .

اراد الرسول (ص)، في هذا السّفر، ان يعرف الناس سنن الحجّ، ويبيّن الفرائض ويعلمهم ما شرع لهم من المناسك، ويُرِيَهُم المواقف والمواسم ويبلّغهم ما حان حين ان يبلّغهم .

قال الطّبري في تاريخه :

« فحين وقف بعرفة قال : هذا ، الموقف ، للجبل الذي هو عليه ، وكل عرفة مَوْقِفٌ . وقال حين وقف على قُزَح ، صبيحة المزدلفة :

« موقفٌ .

« ثمّ لما نَحَرَ بالمنحَر قال :

« هذا المنحر وكلّ مِنَى منحر .

« ففضى رسول الله (ص) الحجّ وقد ارى مناسكهم وعلمهم ما افترض عليهم في حجّهم في الموقف ورمى الجمار والطواف بالبيت وما أحلّ لهم في حجّهم وما حرّم عليهم فكانت حجة الوداع وحجة البلاغ ، وذلك ان رسول الله (ص) لم يحجّ بعدها .

ارادة الرسول
مناسك الحج
وتعليمه الفرائض

١٣٣ - الخطبة

وفي هذا اليوم خطب على الناس خطبته التي بين لهم فيها ما بين وهي على ما نقله الطبري :

« نَحْمَدُ اللَّهَ وَانْتَبِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ . اسْمَعُوا قَوْلِي فَأَنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا الْفَاكِمُ

بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا .

« أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، إِلَى أَنْ تَلْقُوا

رَبِّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا . وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَقَدْ بَلَغْتُ .

« فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ اسْتَأْمَنَهُ عَلَيْهَا .

« وَإِنَّ كُلَّ رِبَا مَوْضُوعٌ وَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا

تُظْلَمُونَ . قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا رِبَا . وَإِنَّ رَبَّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ .

« وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ . وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ ،

دَمَ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثَ فَقَتَلَهُ بَنِي

هذيل ، فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ أَمَا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ

فَأَنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا : لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ

لَا يُؤْطِقْنَ فَرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُوْنَ ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ

مُبِينَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آذَنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ

وَتَضْرِبُوهُنَّ غَيْرَ مُبْرِحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

بِالْمَعْرُوفِ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكُنَّ

حرمة الربا

حق الرجال على النساء وحظهن عليهم

لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنْكُمْ إِنَّمَا آخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ .

استصاه الغير
بالنساء

« فَاَعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَاسْمَعُوا قَوْلِي فَأَنِّي قَدْ بَلَغْتُ وَتَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ . »

« أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي فَأَنِّي قَدْ بَلَغْتُ وَاعْقِلُوا تَعَلَّمُنَّ . »

« إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُ الْمُسْلِمِ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ فَلَا يَحِلُّ

المسلم اخ المسلم

لَا مَرِيءَ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ فَلَا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ . اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ ؟ » .

وحينئذ .

« قَالُوا :

« اللَّهُمَّ نَعَمْ . »

« فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

« اللَّهُمَّ اشْهَدْ »

١٣٤ - اكمال الدين واتمام النعمة

فرغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الحجّ وبلغ ما بلغ ثم ودّع بيت ربه وقفل زاجعاً نحو المدينة مع صحابته .

فلما وصل « غدِير خَم » من « الجُحْفَة »^٢ (هي مرحلة تتشعب فيها الطّرق :

١ - في هذا الموضع لم يذكر الامرين (الثقلين) بل اسراً واحداً منهما وهو القرآن المجيد وما من نسخه وشأنه، وهو السنة، وفيه اندراج الامر الثاني لانه مستفاد من الاول وبينان له .

٢ - في الحديث : « ولت لاهل الشام ، الجحفة » بضم الجيم، هي مكان بين مكة والمدينة معاذية لدى الحليفة من الجانب الشامي قريب من رابع بين بدر وخليص . سميت بذلك لان السيل اجحف باهلها اي ذهب بهم وكان اسمها قبل ذلك ، مهيمة
(مجمع البحرين) .

فطريق منها الى المدينة وطريق الى العراق . ففترق هناك القوافل فيأخذ كل قوم طريقه) وقف وامر بأرجاع من تقدم من القوم سالكاً طريقه الى بلده ومقصده وبأيقاف من تأخر منهم واراد ورود طريقه ، حتى رجع السابق الى اللاحق ولحق اللاحق بالسابق واجتمع الجميع في ذلك الموضع فصلّى ، صلّى الله عليه وآله وسلّم ، بهم الظهر وكان اليوم في شدة الحرارة ثم قام خطيباً ، على اقتاب الجمال وقال ، بعد حمد الله والثناء عليه ، :

« فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ ؟ »

ونادى مناد : ما الثقلان يارسول الله ؟ قال :

« الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ ، كِتَابُ اللَّهِ طَرَفٌ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ لِاتَّضَلُّوا . »

التمسك بالقرآن
وبالعقيدة

« وَالْآخِرُ الْأَصْغَرُ ، عِزَّتِي . »

« وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَأَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ . »

« فَسَأَلْتُ ذَٰلِكَ لِهَمَّا رَبِّي فَلَا تَقْدُمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا وَلَا تَقْصُرُوا »

عِنْمَا فَتَهْلِكُوا . »

ثم اخذ بيد علي فرفعها حتى روى بياض آباطهما وعرفه القوم اجمعون فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ »

قالوا : الله ورسوله اعلم . قال :

« إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ »

أَنْفُسِهِمْ فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ . »

« وَاللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . »

قال ، صلّى الله عليه وآله وسلّم ، الجملة الأخيرة الدعائية ثلاث مرّات ، كما في

المحكي عن ابن المغازلي الشافعي ، بأسناده عن زيد بن ارقم ، او اربع مرّات ،

كما في المحكي عن الفضائل للاحمد بن محمد بن حنبل ، رابع الأئمة الأربعة

المشهوره .

ثم قال :

« وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ وَابْغَضَ مَنْ ابْغَضَهُ وَانصُرْ مَنْ نَصَرَهُ
وَآخِذْ لِمَنْ خَذَلَهُ وَادِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ .
«الآ فليبلغ الشاهدُ ، الغائبَ .» .

وبعد هذا قبل أن يتفرق الجمع نزلت آية : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . . .
الآية ٣ ، ١ .

١٣٥ - نزول الآية يوم الغدير

قال الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٥٤٦٣ ق.) في ترجمة حبشون بن موسى
من تاريخه ، بأسناده عن ابي هريرة انه قال :

« من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم
غدير خم ، لما اخذ النبي (ص) بيد علي بن ابي طالب فقال :
« اَلَسْتُ وِلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال من كنت موليه
فعلني مولته . »

اصحاب صوام
يوم غدير

« فقال عمر بن الخطاب : بَخُّ بَخُّ لَكَ يَا ابْنَ اَبِي طَالِبٍ . اصْبَحْتَ
مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ٢ فانزل الله : الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . »

تهنئة عمر وكونه
على مولاه

١ - من السورة الخامسة (المائدة) .

٢ - قال الشيخ سليمان الحنفي في « ينابيع المودة » :

« وفي « مشكاة المصابيح » عن البراء بن عازب قال : « ان النبي (ص) لما نزل
بغدير خم اخذ بيد علي فقال : الستم تعلمون اني اولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى .
فقال : اللهم من كنت مولاه فعلى موليه . اللهم وال والاه وعاد من عاداه . »

بقية الحاشية في صفحة الاتية

«ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو اول يوم نزل جبرئيل على محمد (ص) بالرسالة»^١ اشتهر هذا الحديث من رواية حبشون. انتهى كلام الخطيب .

١٣٦ - آية التبليغ

ونزلت في ذلك اليوم ، قبل قيام الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بالصلاة والخطبة وابلاغ مولوية علي فيها ، آية التبليغ قال الله تبارك وتعالى:

«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ الآية ٤٧ ، ٤٨ .»

صرح الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بذلك حيث قال في تلك الخطبة ، على ما نقل عن كتاب «الولاية في طرق حديث الغدير» تأليف ابي جعفر محمد بن جريو الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ . ق.) ، :

«ان الله تعالى : بلغ ما انزل اليك من ربك»

وقدامرني جبرئيل عن ربي ان اقوم في هذا المشهد وأُعَلِّمَ كلَّ ابيض واسود :

ان علي بن ابي طالب اخي ووصيي وخليفتي والامام بعدي»

نص الرسول (ص)
على خلافة علي
وامامته

بقية العاشية في صفحة الماضية

« قال : فلقبه عمر بن الخطاب «رض» قال : هنيئاً لك يا ابن ابي طالب ، اصبحت

سولي كل مؤمن ومؤمنة . رواه احمد ايضا . اخرجه احمد في مسنده عن زيد بن ارقم بطريقين : عن عطية الغوثي عن زيد بن ارقم ، وعن ابن ميمون عن زيد بن ارقم .

ايضاً اخرجه احمد عن عمر بن الخطاب «رض» .»

١ - عسال ان تتوجه من اتعاد قدر اجر الصيام في المومنين (يوم البعث بالرسالة

ويوم التصيب بالخلافة) وتفتن منه الى النسبة بينهما والمناسبة لهما .

٢ - السورة الخامسة (المائدة) .

« إِنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيُّ مَوْلَاهُ آلا وقد آدَيْتُ . آلا وقد
بَلَّغْتُ »

انكار المخالف

انكر بعضهم نزول الآيتين (آية الأكمال وآية التبليغ) في ذلك اليوم وفي هذا الشئان ولكن الخبير بالأخبار والجدير منه الانصاف لا يرى في ميزان الاعتبار لهذا الإنكار وزن ومقدار كيف لا وقد صرح بجم غفير وجمع كثير من اكابر علماء اهل السنة بنزولها يوم الغدير وفي شأن علي عليه السلام .

منهم علي ما في كتاب «الغدير» ، وغيره :

محمد بن جرير الطبري في « كتاب الولاية » والحافظ ابن مردويه الأصفهاني (المتوفى سنة ٤١٠) والحافظ ابو نعيم الأصفهاني (المتوفى سنة ٤٣٠) في « كتاب ما نزل من القرآن في علي » و ابن المغازلي الشافعي (المتوفى سنة ٤٣٨) والحافظ ابوبكر الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣) في تاريخه ، والحافظ ابوسعيد السجستاني (المتوفى ٤٧٧) وغير هؤلاء الأكارب من اعظم العلماء .

وهكذا انكر بعضهم نزول آية التبليغ في ذلك اليوم بغدير خم وهذا الإنكار ايضا مما لا اعتداد به ولا اعتبار له ، بعد تصريح الأعلام من علماء اهل السنة بنزولها في غدير خم . منهم (ايضا علي ما في كتاب «الغدير» ، وغيره) :

محمد بن جرير الطبري والحافظ ابن ابي حاتم ، ابو محمد الحنظلي الرازي (المتوفى سنة ٣٧٧) والحافظ ابو عبد الله المحاملي (المتوفى سنة ٣٣٠) والحافظ ابوبكر الشيرازي (المتوفى سنة ٤٠٧) والحافظ ابن مردويه و الثعلبي النيسابوري (المتوفى سنة ٤٢٧) والحافظ ابو نعيم الأصبهاني والحافظ ابوسعيد السجستاني والحافظ ابوالقاسم ابن عساكر الشافعي (المتوفى سنة ٥٧١) وفخر الدين الرازي الشافعي (المتوفى سنة ٦٠٦) والحافظ عز الدين الرسعييني (نسبة الى المدينة راس عين بديار بكر) الموصلي الحنبلي (المتوفى سنة ٦٦١) و بدر الدين العيني الحنفي

(المتوفى سنة ٨٥٥) ونور الدين الصباغ المالكي (المتوفى سنة ٨٥٥) وغيرهم الى ثلاثين من اكابر العلماء الذين سماهم مؤلف « الغدير » وسمى كتبهم ونقل عين عباراتهم وعين ارقام صفحات كتبهم المنقولة عنها. فمن شاء فليرجع المجلد الأول من كتاب « الغدير » (مطبوع تهران الصفحة ال ٢١٤ - ال ٣٣٨) .

١٣٧ - كلمات مع المنكرين

ولولم يشاء المنكر ان يرى ما في كتب هؤلاء الأعظم من التصريحات فليراع جانب الأنصاف و الحقّ و ليتفضّل بالجواب لنفسه عمّا لعله يخطر ببال شخصه ، ايضا ، هنا من الأسئلة . منها :

١ - ماذا هو الأمر الهامّ الذي امر الله رسوله بتبليغه بهذه الشدة والتأكيد بحيث ان لم يفعل كان كلّ ما فعله من تبليغ الأحكام والدين والرسالة كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً وكان كأنه ما بلغ رسالته ؟

٢ - اَوَ يصحّ ان يذهب الى وهم ان الرسول، صلّى الله عليه وآله وسلّم ، كان (والعباد بالله) سامح قبل نزول هذه الآية في دعوة الناس الى التوحيد او الى تبليغ حكم من الأحكام الفرعية حتى يصحّ ان يهدّد وينزل في شأنه « وان لم تفعل ... » ؟

٣ - اَوَ ليس هذه الآية في سورة المائدة وهي سورة مدنية، نزلت بعد فتح مكة (في رمضان سنة ثمان) وقبول اكابر الكافرين ، واعاظم المشركين ، الدعوة ودخول العرب من اقطار الأرض ، ارض الجزيرة ، افواجاً افواجاً في الدين وقبول الشرعة باليقين ؟ ثمّ آليس في نفس هذه السورة وقبل هذه الآية ، في التوحيد والنبوة والمعاد ، من الأصول ، وفي العبادات والمعاملات والعقود والاحكام والسياسات والمحللات والمحرمات ، من الفروع ، بلاغات صريحة ، و بشارات و ائذارات بيّنة ، وآيات واضحة فصيحة ، من دون مجاملة و مساهلة ؟

اولا يكفي المنصف صراحة هذه الآية وصرامتها ؟ « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ الآية ١٧ » في حقّ المسيحيين ؟ وهذه الآية الأخرى وصراحتها في حق اليهود « وَقَالَتِ الْيَهُودُ

اسئلة ينبغي ان يجدر فيها

يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا... الآية ٦٦، وهذه الآية «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم... الآية ١٣٠ ع؟ وتلك الآية وما صرحت بها في حقيهما «وقالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه قُلْ: فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ... الآية ١٨» .

وانظر الى صراحة الكلام في حق الكافرين والمنافقين والذين هادوا «يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا يا أيها الذين آمنوا لئن لم تؤمن قتلوا بهم ومن الذين هادوا، سماعون للكذب... الآية ٤٢» .

ثم انظر الأحكام الفرعية في هذه السورة الشريفة من وجوب الوفاء بالعقود واحلال بهيمة الأنعام إلا ما خرج وعدم جواز احلال شعائر الله والاشهر الحرام... وتحريم الميتة والدم... والامتناع بالازلام واحلال الطيبات وما مسكن المعلمة من الجوارح واحلال المحصنات وعدة من الاحكام الأخر، كالوضوء والتيمم ووجوب العدل وجزاء المحارب والفسد في الأرض وقطع السارق والسارقة والقصاص وعدم اتخاذ اليهود والنصارى اولياء، وغير ذلك .

وبعد ذلك كله : اهل ينجنى ان يتوبهم انه صلى الله عليه وآله وسلم سامح ، خوفاً من احد ، في تبليغ الأصول او الفروع كى يحتاج الى التشجيع بالعصمة ، والتهديد بعدم تبليغ الرسالة ؟ .

١٣٨- تعجهر الرسول بالدعوة

كلاماً ثم كلاماً ، كان الرسول حين كان بمكة وبعث للرسالة ، وحيداً في بادية - الأمر ضعيفاً من حيث التابع والناصر حتى اضطر الى الالتجاء بشعب ابيه طالب والحصر فيه ، ومع تلك الأوضاع والأحوال لا يخاف احداً . يجاهر بالدعوة ، ويعلن ما أنزل اليه وأمر به من الهداية والأرشاد والتبليغ ، فيقرأ من دون خوف «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» ، في حق ابي لهب و يتلو على رؤس الأشهاد «ذَرْنِي وَمَنْ

عدم خوف النبي
من اصل الدعوة
ولا من تبليغ
المنهاج والفرعة

خَلَقْتُ وَحِيدًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَتَلَ ٢٠ سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَا أَذْرِيكَ مَا سَقَرَ ٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ ١ في حق الوليد بن المغيرة الذي وصفه في آيات أخر بما يقول ابن عباس « لانعلم ان الله وصف احداً بما وصفه به من العيوب ٢ وهي : حَلَّافٌ مَهِينٌ ١٠ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ١١ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ ١٢ عَتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ١٣ ٣ ويقرأ « أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ١٠ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦ فَلْيَبْدَعْ نَادِيَهُ ١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ١٨ » ٤ في حق أبي جهل حيث « قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لما انتهره حيث نهاه عن الصلوة : لقد علمت ما يبهار رجل اكبر نادياً مني لأملان عليك هذا الوادي ان شئت خيلاً جرداً ورجلاً مرداً » ٥ وهؤلاء الثلاثة من اعظم قريش واكابرهم .

هكذا كان حاله صلى الله عليه وآله وسلم في عدم خوفه في التبليغ والدعوة وهو بمكة في قلة الناصر وقوة المعاند فكيف وهو بالمدينة وقد فتح قلوب عرب - الجزيرة واستولى على بلادهم وتسلط على نفوسهم وغلب على ام البلاد، مكة، وخضع له جبابرتها، وصدق برسالته طوعاً وكرهاً اكثر الطوائف والقبائل .

فممن كان يخاف؟ ومم يحترز ويحتاط حتى يسامح ولا يفعل ما امره الله؟! اذا كان ذلك الامر من سنخ الدعوة الى التوحيد والرسالة او كان من قبيل ابلاغ الشرائع والاحكام العملية الفرعية او ليس قد بلغها من ذي قبل؟ او ليس جلها في السور النازلة قبل فتح مكة وفي نفس السورة التي هذا الآية فيها؟ او بقي حكم مهم

١ - السورة ال ٧٤ (المدثر) .

٢ - تفسير الجلالين .

٣ - السورة ال ٦٧ (الفلم) .

٤ - السورة ال ٩٦ (للعلق) .

٥ - تفسير الجلالين .

من هذا القبيل لم يكف ببلغها قبل نزول الآية فبلغها بعدها ؟
 وبالجملة فمما كان يخاف الرسول فيتعلل في الأبلغ حتى يؤل الأمر الى
 التقوية والتشجيع من الله تبارك وتعالى بقوله «... وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...»؟
 بل من جليات الامور حتى لدى العقل الضعيف ، فضلاً عن المضاعف منه، ان الرسالة
 والمخافة من الدعوة، ضررتان لا تقترنان وضدان لا يجتمعان فكيف يختار الخبير، العليم
 القدير من هو خائف من الأندار والتبشير وليس للرسالة جدير .

اجل، ما كان الرسول يخاف من المشركين والكفار ولا من احد في تبليغ اصول-
 الاسلام وفروع الاحكام ، ولا بد له من حيث انه رسول ان لا يخاف، ولكنه كان يخاف
 في امر خلافة عليّ ويختاط في ابلاغها ، على الاسلام^١ . اصف الى ذلك ما كان يعرفه-
 الرسول من بعض حبههم للرياسة وطمعهم في الزعامة ومن بعض بغضهم لعليّ قاتل-
 المشركين والكفرة .

١٣٩ - وهم وحسم

كان بعضهم توجه الى بعض ما اشرنا اليه من الأسئلة و عرف ان مصب نزول
 آية التبليغ امر جليل هام وسياقها يأبى أن يكون لأمر من الأمور الاعتقادية الاصلية او-
 العملية الفرعية ولم يشأ اولم يقدر ان يعترف بأن نزولها كان في غدبر خم وكان في امر-
 الخلافة لعليّ كما صرح به جماعة من علماء اهل السنة ، على ما عرفت ، وتقوله الشيعة
 فعاذ من الحرّ بالرمضاء ولاذ الى السواد من البيضاء فقال في تفسيره :

« يا ايها الرسولُ بَلِّغْ » جميع (ما اُنزِلَ اليكَ) ولا تكتم منه شيئاً خوفاً
 من ان تنال بمكروه (وَاِنْ لَمْ تَفْعَلْ) اي لم تبلغ « جميع » ما انزل اليك (فَمَا
 بَلَّغْتَ رسالتَه) بالافراد والجمع لأن كتمان بعضها ككتمان كلها (وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ

١ - ولعل في التعبير بكلمة « من الناس » (في خصوص هذا الموضع) في قوله « والله

يعصمك من الناس دون « الكافرين » او « المشركين » كان اشعاراً بذلك .

مِنَ النَّاسِ) ان يقتلوك . وكان صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال : انصرفوا فقد عصمى الله . رواه الحاكم ^١ وجعل الامر الهام الذى خاف الرسول فى اظهاره من ان ينال بمكروه تبليغ «جميع» ما انزل اليه بـ «الأفراد» و «الجمع» فعليه ان لا يخاف احداً ولا يكتم منه شيئاً .

وانت ترى ما فى هذا الرأى فى التفسير، والوهم للتقدير . وذلك لأن تقدير لفظ «جميع» لا يسمن ولا يغنى من جوع بل يفسد المعنى ويخالف حقيقة الأمر اذ مما لا يخفى على احد ان ما انزل الى النبى (ص) من ربه نزل نجوماً فى مدة تتجاوز عن عشرين سنة ولم ينزل جميعه الى النبى كى يصح امره بتبليغه وكل ما انزل اليه من الآيات والأحكام كان بالأفراد لا «الجمع» وبلغه الرسول حين نزوله وما خاف احداً ولا كتم شيئاً وآية التبليغ هذه فى سورة المائدة التى قال المفسر فى اول السورة بانها «مدنية وآياتها ١٢٠ نزلت بعد الفتح» وقد بلغ الرسول قبل نزولها فى مدة لا تقل عن عشرين سنة جل ما انزل اليه من القرآن وما أمر به من الأحكام فماذا يفيد تقدير لفظ «الجميع»؟ :
ايصح ان يتوهم ان الرسول (ص) ، بحكم هذا التقدير، أمر بتبليغ ما بلغه سابقاً مما انزل اليه من القرآن و اعادة ما بين من الأحكام وضمها مع ما بقى منها حتى كان عاملاً بما امر من تبليغ الجميع؟ كلا ولا اراده المفسر ايضا . فلا بد وان يكون المراد ان يبلغ ما سيقرر من الاحكام وما ينزل من القرآن نجوماً و افراداً حين تقريرها ونزولها . وحينئذ فيعود السؤال جذعاً وهو :

ما هو الأمر الهام الذى كان بينه وبين سائر المتزلات والاحكام التى نزلت فى مدة تربو على عشرين سنة هذا الفرق العظيم الذى «كتمه الرسول خوفاً» من ان ينال بمكروه ، ووعده الله العصمة من «ان يقتلوه» و اوعده و هذده بضياغ تبليغ رسالته وكونه كأن لم يكن ؟

الشبهة، وجمع من غيرها ايضا، تقول بنزل هذه الآية فى حجة الوداع بغدير خم،

وفي شأن الخلافة التي بها يتم الرسالة، وبعدم تبليغها كأنه ما بلغ الرسالة لأن حفظ - الرسالة على ما ينبغي وعلى ما اراده الله وقصده الرسول يتوقف على خلافة من اصطفاها الله وارفضاه الرسول .

بلغ الرسول (ص) ما امره الله بتبليغه من الأحكام نجوماً نجومياً وما بقي من جميع ما يجب عليه ان تبلغه إلا امر الخلافة والوصاية وهذا امر يناسب تبليغه في آخر عهد - الرسالة واقتراب ارتحال الرسول ويكون هذا الأمر للرسالة بمنزلة آخر لبنة لأكمال - البناء واتمامه فبوضعها في محلها ، يكمل الدين وتم النعمة ويتحقق تمام التبليغ فيحق يوم وضعها وتبليغها ان ينزل «الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...»

١٤٠ - اسئلة ، على المخالف ان يجيب عنها

لَوْ اَغْمَضْنَا عَنِ الْحَقِّ وَاصْرَرْنَا عَلَى ان نَزَلَ الْآيَةُ فِي يَوْمٍ آخَرَ لَفِي يَوْمٍ غَدِيرِخَم (كما تعتقد الشيعة عامة وقال به بعض اكابر العلماء من اهل السنة) بل في يوم سابق على يوم الغدير (كما يدعيه العامة من اهل التسنن) فلننظر اى حكم من الاحكام وضع في ذلك «اليوم» السابق او في غير ذلك اليوم وقبله؟ ثم في اى شأن كان ذلك - الحكم حتى صار بحيث كان مكتملاً للدين ومنتماً للنعمة؟

اكان ذلك يوم بلغ فيه الرسول (ص) حكم الصلوة او الصوم او الحج او - الجهاد او غيرها مما يشبهها من الاحكام الفرعية؟ اكان ابلاغ هذه الاحكام فرادى فرادى بهذا المكان من الجدارة ان ينزل في شأنه «الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ...الآية»؟ ثم ايجاد بين الاحكام المنجمة في الصدور فرق من حيث الفرعية حتى يستحق واحد منها بان ينزل في حقه حين صدوره وابلاغه : «الْيَوْمَ اكْمَلْتُ...»؟

وبعد اللتيماً والتي لوزعم زاعم ان المراد من اكمال الدين واتمام النعمة في ذلك اليوم ان جميع ما اراد الله وضعه من الاحكام و ابلاغه تم في ذلك اليوم وختم فما بقي في مقام الوضع وكتاب الشرع حكم الا وقد نزل وبلغ فهله الا اعتبار ، اى

اعتبار الجمع والتّمَام والوضع والختم ، كمل الدين وتمّت النعمة .
ليس على هذا الزّعم يجب ان يكون آخر حكم يتمّ به الجمع ، صادراً و اصلاً
قبل نزول الآية او قبيلها؟ وانت ممّن تكون في ذكره ان الآية في سورة المائدة وهي
على ما نقلنا نزلت بعد فتح مكة وقد صدرت وبلّغت بعد الآية احكام حتى ولعلته في
نفس تلك السّورة وبعد هذه الآية .

وبأخّرة هل يوجد بين تلك الموضوعات والمشروعات ما يكون بمنزلة الخلافة-
الحافظة للدين ، الحامية عن حمى الشرع، التي تعتقد الشيعتان الآية ناظرة اليها ، نازلة آخر
ايام النّبىّ ، ويغدير خم؟

ثمّ كما اسلفنا ، هل يتصوّر انه كان في المسلمين من يخالف تبليغ حكم او
دستور كائنا ما كان من الاحكام الشرعية حين صدور آية التبليغ ؟ فلا مجاله . يجب ان
يعتقد انه كان حكماً لا يوافق ما يهويه ويميل اليه بعض الناس وامراً لا يناسب ما يريد-
بعض النفوس والأشخاص وليس امر بهذه المثابة سوى امر الخلافة والوصاية .

على انه بناء على نزول آية التبليغ يوم غدير خم ، كما عليه الشيعة عامة والخواص
من اعظم اهل السنّة ، بلغ الرّسول ، الأحكام كلّها قبل ذلك اليوم (يوم الغدير)
وعصمه الله من الناس في تبليغها سابقاً فعلى ماذا ينبغي ان يحمل قوله تشجيعاً لرسوله وتقوية
له : « وَاللّهُ بِعَصْمِكُمْ مِنَ النَّاسِ » ؟

١ - « وقوله : اليوم اكملت لكم دينكم ، في تاويله ثلاثة اقوال : احدها قال ابن
عباس والسدّي واكثر المفسرين : ان معناه اكملت لكم فرائض وحدودى امرى ونهى
وحلالى وحرامى... قالوا ولم ينزل بعد هذا على النّبى (ص) شيء من الفرائض في تحليل
شيء ولا تحريره وانه عليه السلام مضى بعد ذلك باحد وثمانين ليلة.... وقال الحكم
وسعيد بن جبير وقعاذة : معناه اكملت لكم حجكم وافردتكم بالبلد الحرام دون
المشركين... وهو الذى اختاره الطهرى قال : لان الله قد انزل بعد ذلك قوله : يستفتونك
في الكلاله قل اله يفتيكم في الكلاله... وقال الفراء هي آخر آية نزلت.... »

(التبيان للشيخ الطوسى)

هذه اسئلة كانت تختلج بالبال وعلى المنصف المتدبر ان يتأمل فيها ويختار للجواب عنها طريقة تقنعه ومسلكاً يرتضيه ويشبعه :

١٤١ - حول غدیر خم

القی النبى خطبة بغدير خم، وكلم بما كان عليه ان يتكلم، وبلغ ما أمر به وبشّر بما أنزل اليه من اكمال الدين واتمام النعمة على المسلمين، ويرضى الرب عن كون- الاسلام لهم الدين و بأن الله مولاه وهو مولى المؤمنين و بأنه اولى منهم بأنفسهم وان- ابن عمه وصهره واخيه، علياً، بعده مولى من كان هو مولاه .

ثم استاذن شاعر رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، حسان بن ثابت الأنصارى ان يشهد فى عليّ وشأنه، فى هذا اليوم فأذن له الرسول فأنشأ وانشد :

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيَّهُمْ

فَأَسْمِعْ بِالرَّسُولِ مُنَادِيًا

يقول : فَمَنْ مَوْلَاكُمْ و ووليُّكُمْ ؟

فقالوا ، ولم يبدوا هناك التعاميا :

الِهكَ مَوْلَانَا وَاَنْتَ وَاِلَيْنَا

وَلَمْ تَرْمِنَا فِي الْوَلَايَةِ عَاصِيًا

فقال له : قُمْ يَا عَلِيّ فَأَنْبِيّ

رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي اِمَامًا و هَادِيًا

فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَاِلَيْهِ

فكُونُوا لَهُ اَنْصَارًا صِدْقِ مَوْلِيَا

هُنَاكَ دَعَا : اللّهُمَّ وَاِلَ وَاِلَيْهِ

وَكَانَ لِلذِّي عَادِي عَلِيًّا مُعَادِيًا

١٤٢ - طرق حديث غدیر

قال الشيخ سليمان البلخي الحنفي النقشبندی فى كتابه القيم ، « ينابيع المودة » ،

في الباب الرابع الذي عقده لنقل حديث « سفينة نوح » و « حديث باب حِطَّة بني اسرائيل » و « حديث الثَّقَلَيْنِ » و « حديث يوم الغدير » (الصفحة ال ٣٠ طبع تهران) :

« وفي المناقب : اخرج محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ خبر « غدير خم » من خمسة وسبعين طريقا وافرد له كتابا سماه « كتاب الولاية » .
« ايضا اخرج خبر « غدير خم » ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد بن عقدة وافرد له كتاباً وسماه « الموالة » وطرقه من مائة وخمسة طريق .
« حكي العلامة علي بن موسى :

« وعلي بن محمد ، ابي المعالي الجويني ، الملقب بـ « امام الحرمين » استاذ ابي حامد الغزالي رحمهما الله يتعجب ويقول :

« رايت مجلداً في بغداد في يد صحافٍ فيه روايات خبر « غدير خم » مكتوبا عليه : « المجلدة الثامنة والعشرون من طرق قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ » و يتلوه المجلد التاسعة والعشرون « انتهى ما في منابع المودة^١ .

قال الخطيب في تاريخ بغداد (ذيل ترجمة ابي عمرو يحيى بن محمد الأخباري - الصفحة ٢٣٦ من المجلد ال ١٤ -) :

١ - يقول مؤلف هذه الاوراق : وفي كتاب « صراط المستقيم الى مستحقى التقديم » لابي محمد نور الدين (او زين الدين) علي بن محمد بن يونس العنقجوري البياضي - العاملي النبطي (المتولى سنة ٨٧٧ هـ . ق) :

« صنّف الحسين بن جبیر کتابا سماه « نخب المناقب لال ابي طالب » اختصره من كتاب الشيخ محمد بن شهر آشوب . . . الى ان قال : « فقد وردت في خبر الغدير وامانيه ، الطوامير . قال ابن شهر آشوب : قال جدي : سمعت الجويني يقول : شاهدت مجلداً ببغداد في رواة هذا الخبر مكتوباً عليه « المجلدة الثامنة والعشرون و يتلوها التاسعة والعشرون . . . »

« اخبرنا ابن بكير : اخبرنا ابو عمرو يحيى بن محمد بن الأخبلى ، فى منزله بدرج الساج ، فى جوار ابن الشونيزى ، فى سنة ثلاث وستين وثلاثمئة ، حدثنا ابو جعفر احمد بن محمد عبدالرحمن بن ابى ليلى قال :

« سمعت علياً - بالرحبة - ينشد الناس : من سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ »
 « فقام اثني عشر بدرجاً فشهدوا انهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كنت مولاه فعلى مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . »

استشهد على من الصحابة لحدث غدیر خم

وقال ابو الفرج عبدالرحمن ، المعروف بابن الجوزى ، (المتوفى سنة ٥٩٧) فى كتابه « صفة الصفوة » :

« وعن زاذان قال : سمعت علياً - بالرحبة - وهو يشهد الناس : من شهد رسول الله (ص) فى يوم غدیر وهو يقول ما قال .

« فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا انهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ رواه الأحمَد » - يعنى ابن حنبل -

وقى يتابع المودة للشيخ سليمان الحنفى (الصفحة ٣٢ - ٣٣ - طبع الحجرى بتهران -) .

« اخبر ابو شعيب فى الحلية ، وغيره ، عن ابى الطفيل ان علياً قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

« اَنشُدُّ الله من شهد يوم غدیر خم ، الا قام . ولا يقوم رجل يقول : « نُبِّئْتُ » او « بلغنى » الا رجل سمعت اذناه ووعاه قلبه .

شهادة سبعة عشر صحابياً بما هم الحديث عن الرسول (ص)

« فقام سبعة عشر رجلاً ، منهم خزيمه بن ثلث وسهل بن سعد وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وابويوب الأنصارى ، وابويعلی الأنصارى وابوالهيثم بن التيهان ، ورجال من قریش .

« فقال على : هاتوا ما سمعتم . فقالوا :

« نشهد اننا لقبلنا مع رسول الله (ص) من حجة الوداع نزلنا بغدير خم . ثم نادى بالصلوة فصلينا معه . ثم قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ما اتم قائلون؟ قالوا : قد بلغت . قال : اللهم اشهد، ثلاث مرات، ثم قال :

« انى اوشيكك ان ادعى فاجيب وانى مستول وائتم مستولون . ثم قال :

« ايها الناس انى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى ، اهل بيتى ، ان تمسكتهم بهما لن تضلوا فانظروا كيف تخافونى فيهما وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض نبأنى بذلك اللطيف الخبير . ثم قال :

« ان الله مولاى وانا مولى المؤمنين . اَلَسْتُمْ تعلمون انى اولى بكم من

انفسكم ؟ قالوا : بلى . قال ذلك ثلاثا . ثم اخذ بيدك يا امير المؤمنين فرفعها وقال :

« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهِ وَعَادِ

مِنْ عَادَاهِ .

« فقال على : صدقتم وانا على ذلك من الشاهدين . »

١٤٣ - تواتر حديث غدِير

يقول المؤلف لهلمه البوريقات ابن العارف العلامة الحاج شيخ عبد السلام، قدس

سره ، محمود الشهابى الخراسانى :

ليس فى جميع الأحاديث حديث يُشبه حديث « الغدير » فى كثرة السند والطريق

(اللهم الا حديث الثقلين) فى كثرة عناية اهل العلم من كل فريق به ، فما اعرف حديثا

وصل الأهتمام به والعناية بشأنه بحيث ان يؤلف فى خصوصه ، بل فى خصوص روايته ،

تأليفاً شتملاً على ما يقرب ، او يبلغ ثلاثين مجلدة وقد ألفوا قديما وحديثا فى شان

حديث الغدير وبيان طريقه . وأسناده واستفاضته ، بل وتواتره ، وتوضيح مفاده كتباً كبيرة

ورسائل كثيرة .

واخيراً ألف في هذا الشأن ، الفاضل المتتبع المعاصر الأميني التجفي كتاباً سماه باسم « الغدير » وهذا الكتاب ، في ما رأيت واعلم ، اوفى كتاب ألف في هذا الموضوع واجمع تأليف قام مؤلفه الخبير بهذا الشأن .

فالمؤلف المتتبع ادام الله توفيقه^٢ احاط بمسئلة الغدير في جميع ارجائها وبرومة ما يتعلق بأطرافها ، من الكتاب والسنة والآثار و الأقوال والأشعار والحكايات والأخبار والكتب المؤلفة في هذا المضمار .

قال في المجلد الأول في الصفحة ال ١٤ .

« ولا احسب ان اهل السنة يتأخرون من الامامية في اثبات هذا الحديث والبخوع لصحته والركون اليه والتصحيح له ، والأذعان بتواتره ، اللهم الا شدّاذ ... فانّ المشبتين المحققين للشأن ، المتولعين في الفن لا تخالجهما اية شبهة في اعتبار اسانيدهم التي انهوها متعاضدة متظافرة ، بل متواترة ، الى جماهير من الصحابة والتابعين . واليك اسماء جملة وقفنا على الطرق المنتهية اليهم على حروف الهجاء ... »
ثم نقل اسمائهم وانهى عدد الذين انتهت الطرق اليهم من الصحابة الى مائة وعشرة صحابياً وقال :

« هؤلاء مائة وعشرة من اعظم الصحابة الذين وجدنا روايتهم لحديث الغدير . ولعل في ما ذهب علينا اكثر من ذلك بكثير . وطبع الحال يستدعى ان تكون رواة الحديث اضعاف المذكورين لأنّ السامعين الوعاة له كانوا مائة الف او يزيدون ... »
وفي ذيل تلك الصفحة علق على قوله في المتن : « بل متواترا » ما عين لفظه وعبارته :

اذعان
اهل السنة
بعوارر الحديث

كثرة
طرق الحديث

١ - وان سبقه في هذا الموضوع صاحب كتاب « عبقات الانوار » السيد السند المتتبع الجليل المعتمد ميرحامد حسين الموسوي الكهنوي الهندي (المتوفى ١٣٠٦ هـ . ق .) رحمه الله تعالى ، في ذلك الكتاب ، كما اعترف نفسه بالاستفادة من علومه المودعة فيه واطهر الشكر المتواصل له ولولده (راجع الصفحة ال ١٥٧ من المجلد الاول من « غديره ») .
٢ - توفي رحمه الله في هذه الاواخر بتهران (سنة)

« رواه احمد بن حنبل من اربعين طريقا وابن عثمة من مائة وخمس طرق
وابن السعيد السجستاني من مائة وعشرين وابو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين
طريقا . وفي تعليق هداية العقول (الصفحة ال ٣٠) عن الأمير محمد اليماني (احد
شعراء الغدير في القرن الثاني عشر) ان له مائة وخمسين طريقا .»

ثم اتبع اسامي الصحابة بنقل اسامي « الرواة لحديث الغدير من التابعين » الى ان
انتهى عددهم الى اربعة وثمانين .

ثم ذكر طبقات الرواة من العلماء قرناً بعد قرن من القرن الثاني الى القرن الحاضر
(القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية) على ترتيب وفياتهم حتى انهيههم الى ستين
وثلاثمائة عالم .

ثم ذكر اسامي المؤلفين في خصوص حديث الغدير من العلماء الأعظم كابن
جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠) والحافظ ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد الهمداني
المعروف بـ « ابن عثمة » (المتوفى ٣٣٣) وانتهى عددهم الى ست وعشرين مؤلفا .
ونقل عن كتاب « الهداية والنهاية » لابن كثير (المجلد ال ٥ ، الصفحة ٢٠٨) :
« وقد اعتنى بأمر هذا الحديث ابو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب -

١ - قال ياقوت الحموي في المجلد ال ١٨ من كتابه معجم الادباء (على ما
في «الغدير» ايضا) في ترجمة محمد بن جرير الطبري : « له كتاب فضائل علي بن
ابي طالب رضي الله عنه تكلم في اوله بصحة الاخبار الواردة في غدير خم ثم تلاه بالفضائل
ولم يتم »

وقال (في الصفحة ال ٧٤) : « وكان اذا عرف (يعني الطبري) من انسان بدعة ابعد
واطرعه . وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد : بتكذيب غدير خم وقال : ان علي بن ابي
طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير خم وبلغ
ابا جعفر الطبري ذلك ، فابتدء بالكلام في فضائل علي بن ابي طالب وذكر طرق
حديث خم فكثر الناس لاستماع ذلك »

وفي «الغدير» ايضا (ج ١ ص ١٥٢) « وقال الذهبي في طبقاته (ج ٢ - ص ٢٥٤)
لما بلغ محمد بن جرير ان ابن ابي داود تكلم في حديث غدير خم ، عمل «كتاب-
الفضائل» و تكلم في تصحيح الحديث ثم قال (يعني الذهبي) : قلت ، رايت مجلدا من طرق-
الحديث لابن جرير فانه هشت له و لكثرة تلك الطرق ... »

التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين اورد فيهما طرقه والفاظه . . .
ونقل ايضا عن الحافظ ابي العلاء العطار الهمداني انه قال:
« اروي هذا الحديث بمأني وخمسين طريقا »

رواية الحديث
مزماني وخمسين
طريقا

١٤٤ - دلالة الحديث

وبالجملة: شأن حديث غدیر خمّ اعظم واجلی من ان يحوم حول صدورها ريب وشبهة وكيف لا وافق عليه اكابر علماء الفريقين من السنّة والشيعه في الأزمنة السالفة اللهمّ الا من نصب العداوة وطلب الغواية واتبع المهوى والعصبيّة. وكان ممن ختم الله على سمعه وكان على بصره غشاوة ووقع تحت تأثير الحكومة الأمويّة المروانيّة الباغية الفاشية، واما في عصرنا هذا والكتب منشورة، والمراجعة اليها ميسورة، والأفكار حرة منيرة، والأفكار حول حرم المحق بالتحقيق، وتمييز الحقيقة ودرك الواقع، طائفة دائرة فلا يكاد يوجد بين ابناء العلم و اخوان الدين، و اولياء النصفه و اولي التحقيق والمعرفة من يأذن لوهمه، بعد المراجعة والنطالعة، ان يقرع باب شكك وارتياب .

نعم قد ارتكبت بعض من تقدم زمانا، في معنى العبارة ودلالاتها (لا في اصل صدورها و عبارتها) ما يمجّ منه الطباع ويعجّ عنه العلم والعدل والأنصاف وهو ان لفظة « مولى » استعملت في اللغة لمعان كثيرة مثل « ابن العم » و « الناصر » و « القريب » وغير ذلك مما يقرب هذه المعاني فتكون الكلمة، في الحديث، محتملة مجملة ولا يصح ان يحمل على خصوص الولاية والأمامة والخلافة التي تعتقدها الشيعة وتحملها عليها . ولكنك، وانت ممن غفي ذكركه نواحي الواقعة ، واظنك مسن تدبّرت مطاوي الكلمات الواردة واحطت بالمطلعة على تلك الأحوال والأوضاع، لا ارايتك الا وان غمرك العجب ممّا أفتصل في ساحة العلم والأدب ولتهزك الأسف على ما استحلّ من انتهاك حرمة العدل .

لحالات باردة

ليست ذمّة الأنصاف رهينة التوجّه الى خصوصيات الواقعة و عرضها على الفاحص من التدبّر والغائر من التأمل؟ ثمّ اما كان الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم

لمّا وصل الى الجُحفة (وهي ملتقى الطّرق : طريق مصر و طريق العراق وطريق -
المدينة) واوشك ان تتفرّق الرُّفقة وتتشعب الشّعوب من القبائل ومن في الصحبة فيأخذ
كل منها طريقه ويسلك سبيله، وقف (ص) في المحلّ كى يلحقه من تأخّر، و امر
بارجاع من سبق وتقدّم؟

فلمّا اجتمع الكلّ في الموضع، في هاجرة ذلك اليوم القانظ الحارّ، أمر بأن-
ينادى « الصلوة جامعة » ولما فرغ من الصلوة قال للجماعة ما قال .

اثريكك تزعم، واظنكك من اهل التدبّر والأنصاف ، انّ ذلك الأهتمام
بالاجتماع ثمّ القاء الخطبة في هذا الوضع من شدة الحرارة واضطراب القلوب وانتظار-
النفوس كان لأن يعلن : بانّ عليّاً « ابن عمّه » او « قريبه » او « ناصره » ؟ ثمّ ما ذا؟.

حاشا العقل والعدل عن مثل هذا الزعم وحاشا الرسول الذي ما ينطق عن الهوى،
ثمّ حاشاه ، عن ارتكاب مثل هذا العمل اللّهُو والقول اللّغو .

ثمّ آو ما قدّم الرسول (ص) في تلك الخطبة مسئلة عن الناس : « مَنْ هُوَ
أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ » وبعد ذلك آو ما اجاب عنهم في بيان السّؤال وتوضيحه:
« اِنَّ اللَّهَ « مَوْلَايَ » وانا « مَوْلَىٰ » المؤمنين، وَاَنَا أَوْلَىٰ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟
واما عبّر عن اولوية الله ورسوله بلفظة « مَوْلَايَ » و « مَوْلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ » عين
تلك اللفظة التي عبّر بها في حقّ عليّ وعقبها بغاء التّفريع؟

فهل يُستساغ في مشرب الذّوق والأدب ان يكون المراد من لفظة « المَوْلَىٰ »
في المتفرّع غير ما كان أريد منه في المتفرّع عليه؟ اللهمّ الا ان يتحامق معاند ويتجاسر
فيقول تلك اللفظة في المتفرّع عليه يكون ايضا بمعنى « ابن عمّ » او « القريب »
او « الناصر » .

دَعِ الذّوق و الأدب يذهب سبيله وقل: علي هذا فما معنى قول عمر (رض)
المنقول سابقاً عن تاريخ بغداد للخطيب مسنداً الى ابي هريرة بعد تلك الخطبة في
ذلك المحلّ :

المولوية
في الحديث
وما يصح ان يكون
مراداً فيمنه

« بَخَّ بَخَّ لَكَ يَا ابْنَ ابْنِي طَالِب. اصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » ؟
 ثمَّ آوَمَ انبِيَا الرَّسُولِ (ص) فِي هَذِهِ الرَّاقِعَةِ ، او فِي هَذِهِ السَّفَرِ ، بِاقْتِرَابِ اجَابَتِهِ
 دَعْوَةَ رَبِّهِ بِقَوْلِهِ :

« اِنِّي يَوْشِكُكَ اِذَا دُعِيَ فَاُجِيبْ وَاِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ رَبِّنَا
 وَعِثْرَتِي ، اَهْلَ بَيْتِي ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَحْفَظُونِي فِيهِمَا » ؟

ثمَّ آوَمَ عَبْرَ بَلْفِظِ الْمَاضِي بِقَوْلِهِ : « مِنْ كُنْتُ مُوَلَاهُ فَعَلَى مُوَلَاهُ » ؟
 وَآلَيْسَ فِي هَذِهِ الصِّيَاغَةِ لِلْكَلَامِ اِشَارَةٌ اِلَى اِنْقِضَاءِ مُوَلَوِيَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ وَاقْتِرَابِ
 دَوْرِ خَلِيفَتِهِ فِي الْمُوَلَوِيَّةِ ، لِلْمُوَلَوِيَّةِ ؟ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ هَلْ يَلِيقُ بِشَأْنٍ مِنْ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ بِمَكَانٍ وَمِنَ الْعَدْلِ وَالنِّصْفَةِ
 فِي مَرَحَلَةٍ ، اَنْ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولَ : اِنَّ لَفِظَةَ « مُوَلَى » فِي تِلْكَ الْخُطْبَةِ اَرِيدُ مِنْهَا « ابْنَ-
 الْعَمِّ » او « الْقَرِيبِ » او « النَّاصِرِ » او مَا يَقْرُبُ مِنْهَا . ؟

وَفِي الْخَاتِمَةِ : اَوَّلًا يَكُونُ فِي الدَّعَاءِ الْمُؤَكَّدِ ، ثَلَاثًا ، او اَرْبَعًا ، (اَللّٰهُمَّ وَال...)
 عَقِيبَ اِثْبَاتِ الْمُوَلَوِيَّةِ اِشْعَارًا بَيِّنًا بِأَنَّ مَقَامَ الْمُوَلَى مَقَامُ الْعِصْمَةِ فَيَجِبُ مُوَالَاةُ وَيَحْرَمُ
 مَعَادَاتُهُ وَاَلَا فِكَيْفَ يَدْعُو النَّبِيَّ ، النَّاطِقَ بِالْوَحْيِ ، الدَّاعِيَ اِلَى الْحَقِّ لِابْنِ الْعَمِّ و « النَّاصِرِ »
 او « الْقَرِيبِ » الْمَحْتَمَلِ مِنْهُ الْخَطَاةُ وَالْاَنْحِرَافُ عَنِ الْحَقِّ ، بِمِثْلِ هَذَا الدَّعَاءِ ؟ فَتَامَلْ جَيِّدًا .

١٤٥ - تَذَكُّرَةٌ فِيهَا تَبْصُرَةٌ

وَهِيَ نَكْتَةٌ أُخْرَى يَنْبَغِي التَّوَجُّهُ إِلَيْهَا وَالتَّدَبُّرُ فِيهَا وَهِيَ اَنْ :

فِي عِدَّةٍ مِنَ الرَّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ بَلْ فِي كُلِّهَا اِبْتِدَاءُ الرَّسُولِ بِشَأْنِ-
 الثَّقَلَيْنِ (كِتَابِ اللَّهِ وَالْعِثْرَةِ) وَتَرْكُهُمَا فِي الْأُمَّةِ لَهَا وَصَرَّحَ بِعَدَمِ افْتِرَاقِهِمَا حَتَّى يَرْدَا
 عَلَيْهِ الْحَوْضُ وَنَهَى^١ عَنِ التَّقَدُّمِ عَلَيْهِمَا وَانَّهُ يورث الهلكة كما انَّ التَّأَخَّرَ وَالْقَصُورَ

القديم على
 العترة كالنقصير
 في حقها يورث
 الهلاك

عنهما بتركهما، ايضاً، يوجب الهلاك^١ ثم عقب ذلك بقوله: « من كنت موليه فعلى مولاه » ثم كرر اخيراً قوله: « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ثلاثاً، كما حكى عن ابن المغازلي الشافعي، او اربع مرات، كما حكى عن الامام احمد بن حنبل (رض).
 اَوْ يَبْقَى، بعد التوجه الى هذه الكيفية من الابتداء والتوسط والانتها في المقال، ريب في مارامه الرسول^٢ (ص)؟ اَوْ يجوز ان يستأذن الوهم خطوره في بال احد بأن- يكون المعنى من لفظة « مولى » في عبارة الخطبة غير المولوية التابعة لمولوية الله ورسوله والتي هي شان من شئونها؟

« اِنَّمَا وَلِيكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ^٣ »

في « ينابيع المودة » للشيخ سليمان الحنفى عن ابن المغازلي الشافعي بأسناده الى زيد بن ارقم انه قال: « اقبل النبي، صلى الله عليه وسلم، من مكة في حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة وخطب. قال:

« ايها الناس اسألکم عن نَفْسِي كيف خَلَفْتُمُونِي فيهما: الأكبر منهما كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به ولا تضلوا والآخر منهما عترتي »

١ - « ان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض . فسألت ذلك

لهما ربي . فلا تقدسوهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا... »

٢ - ولا سيما اذا توجهنا الى ما رواه الحاكم في « المستدرک » ، وغيره في غيره،

بسند صحيح عن ام المؤمنين ، ام سلمة ، قالت : سمعت رسول الله (ص) ، يقول : على مع القرآن و القرآن مع على لن يفترقا حتى يردا على الحوض « والى ما ذكره ابن مردويه في كتاب المناقب من مائة وثلاثين طريقا : « ان العترة على وفاطمة والحسن والحسين » .

٣ - الاكثرون على ان الاية نزلت في حق على . وان شئت الاحاطة على ما قيل فيها

نقلا فعليك بمراجعة تفسير محمد بن جرير الطبري و تفسير التبيان للشيخ ابي جعفر محمد بن حسن الطوسي .

« ثم اخذ بيد عليّ فرمعهما فقال :
 « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَمَعْلِي مَوْلَاهُ . اَللّٰهُمَّ وَالِ مَنْ وَاٰهُ وَعَادِ
 مَنْ عَادَاهُ » . قالها ثلاثا .

وفيه ايضا عن موفق ابن احمد الخوارزمي عن الأعمش الى زيد بن
 ارقم قال :

« نزل النبيّ صلى الله عليه وسلم بغدير خم فقال فيه :
 « تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ :
 « كِتَابُ اللَّهِ وَعِترَتِي ، اهلُ بَيْتِي ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخَالِفُونِي فِيهِمَا
 فَأَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ النَّحْوَسَ »
 « ثم اخذ بيد عليّ وقال :

« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَمَعْلِي مَوْلَاهُ وَمَنْ كُنْتُ وَلِيَهُ فَهَذَا وَلِيُهُ »^١ .
 ثم قال :

« اَللّٰهُمَّ وَالِ مَنْ وَاٰهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ »
 « فقلتُ (يعني الراوي) :

« انت سمعت هذا ؟ قال ما كان هناك احدٌ الا وقد رآه بعينه وسمعه بأذنه .
 فيحق ان يتمثل هنا بما نسب الى عليّ من قوله :
 « ولم آرَ مثلَ ذلكَ اليومَ يوماً

ولم آرَ مثله حقاً أضيحا »^٢

١ - في تغيير التعبير عن كلمة « مولى » بكلمة « ولي » في مقام انكسار ما يزيل كل
 وهم في معنى كلمة مولى .

٢ - في بعض المجاميع القديمة ما هذه خلاصته :
 « قال الكميّ : لما قلت قصيدتي :

« ويوم الدوح دوح غدِيرِ خم
 وأمت علياً في المنام فقال لي : انشد قصيدتك الميية فأنشدتها فقال : « ولم أرَ مثل
 ذلك اليوم يوماً » البيت .

قال ابو الفرج الأصفهاني في كتابه «الأغانى»^١ بأسناده عن يزيد بن عيسى بن مورك .

قال :

« كنتُ بالشَّامَ زمنَ وُلِّيَ عمرُ بنُ عبدِ العزِيزِ وكانَ بهُ خناصرةٌ وكانَ يعطى -
الغرباءَ مائتيَ درهمٍ .

قال :

« فعجنته . فأجده متكأً ، على ازاروكساءٍ من صوفٍ . فقال لى :
« ممَّنَ انتُ؟ قلتُ : من اهل الحجاز . قال : من ايَّهم ؟ . قلتُ : من اهل المدينة
قال : من ايَّهم ؟ . قلتُ : من قريش . قال : من ايَّ قريش ؟ قلتُ : من بني هاشم . قال :
من ايَّ بني هاشم ؟ . قلتُ : مولى اعلی . فسكَّتُ . قال : ممَّنَ ؟ فقلتُ : ابنُ ابي طالب .
« فجلسَ فطرحَ الكساءَ ثمَّ وضعَ يده على صدره وقال : « انا وَاَللهِ مَولى اهلِي »
ثمَّ قال :

« أُشهِدُ على عددٍ ممَّنَ ادركَ النَّبِيَّ (ص) يقول : قال رسول الله (ص) : من :
كنتُ مولاة فعلى مولاة »

١٤٦ - ختام الكلام في حديث غدير

ولنختم الكلام هنا بما اورده اليعقوبى (احمد بن ابى يعقوب الكاتب . المتوفى
بعد سنة ٢٩٢ هـ . ق .) في تاريخه .

قال بعد ما نقل خطبة الرسول (ص) في حجة الوداع حين وقوفه عند زمزم :
« ... ولم ينزل صلى الله عليه وآله وسلم مكة وقيل له في ذلك : لو نزلت
يا رسول الله بعض منازلك . فقال : ما كنتُ لأُنزلَ بلداً أُخرجتُ منه
« وخرج (ص) ليلاً منصرفاً الى المدينة فصار الى موضعٍ بالقرب من الجحفة يقال

له: «غدِيرِخِم» لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحِجَّة .

« وقام خطيباً واخذ بيد على بن ابي طالب (ع) فقال: الست اولى بالمؤمنين من- انفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فمن كنت مولاه فعلى مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. ثم قال (ص): ايها الناس انى فرطكم وانتم واردون على الحوض، انى سائلكم حين تردون على، عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الاكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تفلتوا ولا تبدلوا، وعترتى، اهل بيتى » .

١٤٧ - ترك الرسول الثقلين للامة

« حج الرسول (ص) بأصحابه قبيل وفاته وبلغ فى رجوعه عن الحج ما امر الله ان يبلغه فاكمل الله دينه واتم نعمته ذلك اليوم فقد اقام الرسول بأمر الله تعالى من يجب ان يلى امور المسلمين من بعده على ما بين له وعلمه واعده فأخبر، صلى الله عليه وآله، بان علياً يكون مولى لمن كان الرسول مولاه، ولمن كان هو اولى بهم من انفسهم من المؤمنين .

وكانه لما عبر عما اراد ذلك اليوم ابلاغه من الخلافة، بصيغة الماضى وقال: «من كنت مولاه...»، اشار الى انقضاء حياته، وانصرام امده، واقتراب اجله، ووصول نوبة خليفته . وهكذا وقعت الواقعة وصدقت الاشارة فلم يعش بعد ذلك بأزيد من شهرين ، الا بقليل من ايام .

قال «الفقيه الحافظ المحدث، ابو عمرو يوسف، المشهور بابن عبد البر، المالكي» (٤٦٣-٣٦٣) فى كتاب «الاستيعاب» (الجزء الثالث، الصفحه ٢٨) :

« وروى ابو داود الطيالسى قال : اخبرنا ابو عوانة عن . . . عن ابن عباس : ان رسول الله (ص) قال لعلى ابن ابي طالب : انت ولى كل مؤمن بعدى . وكلمة «بعدى» الواقعة فى هذه الرواية (وهكذا كلمة «كل» مما يجب ان

يتدبر فيها ويتوجه منها الى مناسبتها لما اشرنا اليه من التعبير بصيغة الماضي في الحديث.

١٤٨ - القرآن مع السنّة ، والعترة

لبيّ الرسول (ص) دعوة ربّه وقد فرغ من اداء رسالته بحذا فيرها وبلغ ما أمر بتبليغه .

فخلّف : اولاً دستوراً دينياً ، وقانوناً الهيئاً ، ومنهاجاً سماوياً .

الاول هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن شئون القرآن وفروعه ، السنّة التي قام (ص) بها قولاً او فعلاً او تقريراً .
ولامرية ان السنّة شأن من القرآن وفرع له وهو شرع من الله وقدامر ، جلّ وعلا ، بأخذها ومتابعتها .

فقال ، تعالى وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ... ٧^١

وقال تبارك وتعالى : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ٢١»^٢

وقال ، عزّ من قائل : وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ۙ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ۙ^٣

واستخلف ثانياً ، من نفسه واهله وعترة ، من ربّاه في حُجره ، وكمّله بتربيته ، وعلمه مجامع حكمته ، وقومه بمكارم اخلاقه ، وعرفه بأنّه من علمه باب مدينته ، كى يبين بعد رحلته (ص) مقاصد الدين ويرشد الامة الى حقائق الشريعة ويقيمهم على العمل بالمنهاج . وان شئت فقل : استخلف من يفسر القرآن و يقرّر السنّة كى يكون بأقامة التفسير والتقرير ، على ما ينبغى ويليق ، حافظاً ناشراً للدين عوناً غوثاً للمسلمين :

١ - السورة ال ٩٥ (العشر) .

٢ - السورة ال ٥٣ (النجم)

٣ - السورة ال ٣٣ (الاحزاب) .

فَتَكْمَلْ (ص) ما كان عليه اكماله، من تأسيس الاصل و تعريف الفرع، وتمم ما ارادا تمامه، من اعطاء المنهاج والارشاد، الى من به الأبقاء والرواج .

وحق له ان يصرح بما تواتر عنه :

« اِنْتِي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي »

وصح عنه ان يرشد الأمة الى ما لهلدين الثَّقَلَيْنِ من النفاضة والعظمة وعلو القدر

وجلالة التأثير ويقول :

« ... مَنْ تَمَسَّكَ بِهِمَا لَنْ يَضِلَّ أَبَدًا ... »

ويؤكد ذلك بأنهما :

« لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ... »

قال صاحب ينابيع المودة فيه :

« وفي الصواعق المحرقة: روى هذا الحديث ثلاثون صحابياً وان كثيراً من

طرقه صحيح وحسن . »

فهنيئاً لمن انصف من الأمة، فحمد الله تعالى على ما اكرم الناس في ذلك اليوم

من اكمال الدين وانعام النعمة، بتعريف العترة.

صدق الله الحكيم العظيم :

« الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا . »



« قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ . وَإِنْ تُطِيعُوهُ
تَهْتَدُوا، وَمَا عَلَيَّ الرَّسُولُ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ »

(سورة النور الآية ال ٥٤)

« فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِي
الثَّقَلَيْنِ.... فَلَاتَقْدَمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا
وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا
(من النبوي المستفيض، بل المتواتر)

« فَلْيَسْخِرُوا الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ... »

(سورة النور ٣٦)

- ١ - مرض الرسول (ص)
- ٢ - امره بأتيان اللوح والدواة .
- ٣ - مخالفة امره وحدث الاختلاف .
- ٤ - انصراف الرسول عما امر به .
- ٥ - ماذا الذي اراد (ص) كتابته .
- ٦ - الشرحة والعثرة هنا تركة الرسول .

٩ - حول ماجرى في مرض الرسول

صلّى الله عليه وآله وسلم

وحين وفاته:

١٤٩ - مرض الرسول (ص)

مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم واشتد مرضه ، فأراد ان يترك للامة كتاباً يوصيهم فيه بأمرٍ مهم يشغل باله في تلك الحالة فقال لمن كان حوله :

« اَيْتُونِي بِاللَّوْحِ وَالذَّوَاةِ اَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّونَ بَعْدَهُ »^١.

فقال بعض من حضر ، وبشما هذرو هجر ، « ان رسول الله يهجر » !! .

وكثر اللغظ والأختلاف عند النبي (ص) فقال (ص) : « قَوْمُوا » .

وكان ابن عباس يقول :

« الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب

من اختلافهم ولغظهم » .

قال الطبري في تاريخه (الجزء الثاني - الصفحة ال ٤٣٦) بأسناده عن سعيد

بن جبير عن ابن عباس انه قال :

« يوم الخميس وما يوم الخميس ؟ »

« قال (اى ابن جبير) : ثم نظرت الى دموعه تسيل على خديه كأنها نظام اللؤلؤ .

قال : قال رسول الله (ص) :

« ائتوني باللوح والذوابة ، او بالكتف والذوابة ، اكتب لكم كتابا لاتضلون

بعده » .

« قال (اى ابن عباس) : فقالوا : ان رسول الله (ص) يهجر » .

١٥٠ - صحيح البخارى وحديث الكتابة

ورد البخارى هذا الحديث فى صحيحه بأسناده عن طرقٍ متعدّدة فى مواضع

١ - فى تاريخ الطبري (الصفحة ٣٦٤ من الجزء الاول) بأسناده عن سعيد بن

بقية العاشية فى الصفحة الاتية

كثيرة من صحيحه^١ .

منها (الجزء الاول - الصفحة ال ٣٤) : بأسناده عن ابن عباس قال :

« لما اشتد بالنبي (ص) وجعه قال :

« ايتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده »

« قال عمر : « ان النبي غلبه الوجع ، وعيندا كتاب الله ، حسبنا . »

« فاختلفوا وكثر اللغط . قال :

« قوما عسى ولا يتبغى عندى التنازع » .

فخرج ابن عباس يقول :

« ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه » .

ومنها (الجزء الرابع - الصفحة ال ٩٩ - باب اخراج اليهود من جزيرة العرب)

بأسناده عن سليمان الأحول سمع سعيد بن جبير سمع ابن عباس ، رضى الله عنهما ، يقول : يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى بل دمه الحصى . قلت : يا ابن عباس ما يوم الخميس؟ قال : اشتد برسول الله (ص) وجعه فقال : « ايتوني بكتف اكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده ابدا » .

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

جبير عن ابن عباس قال : « يوم الخميس وما يوم الخميس؟ » قال : ثم نظرت الى دسوعه تسيل على خديه كانها نظام اللؤلؤ . قال : قال رسول الله (ص) : « ايتوني باللوح والدواة ، او بالكتف والدواة ، اكتب لكم كتابا لاتضلون بعده . وقال : فقالوا : ان رسول الله بهجر » .

٢ - نقلنا هذه الاحاديث من نسخة صحيحة عن الصحيح ، صححها جمال الدين محمد بن

مالك واعربها ، وكانت فى خزانة كتب بمصر فأمرسلطان عبدالحميد العثماني عدة من العلماء من المذاهب الاربعة لمراجعة النسخة ومقابلتها ثم بعد تمام الامر طبعت بأمر السلطان فى مطبعة بولاق بمصر المحمية وجعلها وفقاً عاماً . ودورة من مجلداتها الاربعة موجودة بخزانة كتب كلية الحقوق بجامعة تهران .

مخالفة عمر لامره
الرسول (ص)
على ما حدث به
البخارى ايضا

«فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ماله؟ أهجر؟ استفهوه فقال:

«ذُرُونِي فَإِلْدِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَ نَسِي إِلَيْهِ»^١.

ومنها (الجزء السادس - الصفحة ال ٦) بأسناده عن ابن عباس، رضى الله

عنه، قال:

«لَمَّا حَضِرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص)، وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ص).

«هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَلُّوا بَعْدَهُ.»

«فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجْعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ، حَسْبُنَا

كِتَابُ اللَّهِ.

«فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ (يَعْنَى مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ مِنَ الرِّجَالِ) وَاسْتَحْصَمُوا فَمِنْهُمْ

مَنْ يَقُولُ: قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَلُّوا بَعْدَهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ.

«فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): قُومُوا!»

«....» فَكَانَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الرِّزِيَّةَ كُلَّ الرِّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ

وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لِإِخْتِلَافِهِمْ وَلِغَطِّهِمْ.

ومنها (الجزء السابع - الصفحة ال ١٢٠) بأسناده عن طريق الزُّهْرِيِّ... عن

عبدالله بن عباس قال^٢:

«لَمَّا حَضِرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص)، وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ، فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ

النَّبِيُّ (ص):

«هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَلُّوا بَعْدَهُ.»

«فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجْعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ. حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ.

١ - نقل البخارى أيضا (فى الجزء السادس - الصفحة ال ٩) من صحيحه عين هذه.

الرواية باختلاف يسير كحذف كلمة «بكف» وتبدل كلمة «لاتضلوا» بكلمة «لن تضلوا» وكلمة «ماله؟ أهجر؟» بكلمة «ما شأنه؟ أهجر؟» وامثال ذلك.

٢ - نقل البخارى أيضا هذه الرواية بعين الفاظها فى الجزء التاسع باب كراهية الخلاف

من صحيحه (الصفحة ال ١١١).

«فاختلف اهل البيت فاختلفوا» الى آخر ما مرّ نقله .

١٥١ - الحديث من غير كتاب البخارى

وفي كتاب البَدءِ والتاريخ، المنسوب الى ابي زيد احمد بن سهل البلخي .
«وروى الواقدي عن الشعبي عن ابن عباس (رضي) قال :
«لمّا اشتدّ وجع رسول الله (ص) قال : ايتوني بدواة وصفحة اكتب لكم كتابا
لن تضلّوا بعده ابدا .

« فتنازحوا . فقال بعضهم : مالكم؟ اَهَجَرَ؟ فاستميدوه . وقال عمر: قد غلبه -
الوجع، من لفلاة وفلانة؟ حسبنا كتاب الله . فلمّا لغظوا عنده قال : دَعُونِي
قَوْمُوا . فقاموا » ١ .

١٥٢ - ماذا اراد الرسول (ص) ان يكتب؟

والآن ننظر ونرى الأمر الذي كان ينبغي ان يشغل خاطر الشريف في تلك الحالة
ويهمّه اظهاره وتقريره في تلك الحين حتّى امرهم باتيان ما يكتب فيه، ويبين لهم ما ان-
قبلوا منه وعملوا به، فازوا بالرّشاد وحفظوا عن الضلال ابد الآباد .

افترى! ماذا كان ذلك الأمر الهامّ المهمّ؟

هنا نرى الشيعة تعتقد انّ ما اهمّه (ص) لم يكن شأنه شان الأحكام الفرعية -
الجزئية بل كان امراً اساسياً اصلياً خطيراً ذا بال جدّاً وليس ذلك الا تعيين من يخلفه
بعده كتباً . ولم يكن هو الا ابن عمّه وصهره عليّ، الذي يدور مع الحق اينما دار ولا

منظور الرسول
(ص) تعيين علي
للخلافة

١ - قال السيد محسن العاملي (ره) في الجزء الاول من كتابه ايمان الشيعة (المصفحة -

ال ١٠٧) : « ... ولكن فكرة الرجعة اول من قال بها عمر بن الخطاب روى ابن سعد في
« الطبقات » بسنده عن ابن عباس : ان النبي (ص) قال : ايتوني بدواة وصفيحة اكتب لكم
كتابا لن تضلّوا بعده ابدا قال عمر: من لفلاة وفلانة؟ مدائن الروم، ان رسول الله ليس
بميت حتى تفتحها، ولومات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى (الحدث) » .

ولا يفترق من الثقل الاكبر ويكون التمسك به، ليدورانه مع الحق، عصمة عن الضلال الى الأبد كما صرح بذلك شفهيًا بغدير خم و اشار اليه في حديث الثقلين، وفي مواضع أخر .

تؤيد الشيعة ذلك الاعتقاد والنظر بما خلاصته:

هل يصح ان يتوهم ان ما اراد الرسول (ص) كتابته، كان امراً مخفياً على الحاضرين، مستوراً على المستمعين^١ ؟ او كان في نظرهم وبحسب تصورهم، امراً راجعاً بشأن موضوع جزئي شخصي لا يضر بشخص خاص من الحاضرين، او بغرض مخصوص منهم، ومع هذا بادر بعض من خالف ممن حضر بقوله في حق من نزل في شأنه :

« مَا ضَلَّ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَى » وانه :

« مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ »

بانه (ص) « هَجَرَ » (نعوذ بالله) كما نقل على طريق الخبر ، او « اَهَجَرَ » على سبيل الأنشاء والاستفهام ، كما رايت في ما نقل عن صحيح البخاري ، فصار بهذا القول الزور والكلام الساقط المرذول، سبباً للاختلاف واللحظ وباعثاً لأنضجار النبي (ص) وانصرافه عما اراد وقصد . ؟

١٥٣ - ملاحظة كلام المانع

نذر ذلك القوك الزور والكلام الباطل يموت بترك ذكره وننظر الى ذلك - الكلام الذي صدر بتعبير، لعلنه بحسب الظاهر ، برعاية حریم الأدب اقرب على انه قائله في الصحاح والمسانيد معين بشخصه مصرح باسمه ففي المسند « للامام، ابن- حنبل، (حديث ٣١١١) بأسناده «... عن ابن عباس قال :

١ - وكيف يتوهم ذلك وكان ذلك معزوقاً عند الناس معمولاً وحسبك ما ترى من عمل أبي بكر (رض) عند موته من احضاره الكاتب واملائه عليه عهدته في استخلافه عمر (رض) فاعتبر .

« لَمَّا حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ وَفِيهِمْ عُمَرُ بْنُ خَطَّابٍ قَالَ النَّبِيُّ (ص) :
 « [هَلُمُّ] اَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوْا بَعْدَهُ اَبَدًا .
 « فَقَالَ عُمَرُ : اِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الرَّوْجُ . وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ . حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ .

« فَاخْتَلَفَ اَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لِاتَّضِلُّوْا بَعْدَهُ . وَفِيهِمْ مَنْ يَقُولُ : مَا قَالَ عُمَرُ .
 « فَلَمَّا اكْتَرَّوْا اللَّغْوُ وَالْاِخْتِلَافُ » اِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ وَفَقَّ مَا رَأَيْتَ عَنْ صَاحِبِ -
 الْبِخَارِيِّ اَنْفَاءً ، وَوَرَدَ فِي صَاحِبِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ .

فعلى ماذا ينبغي ان يحمل صدور هذا القول « ان رسول الله قد غلب عليه الوجدان »
 وعندكم القرآن ! حسبتنا كتاب الله ! « وقد صدر عن رجل كان في سامي مراتب السياسة
 والذرية والدواء والعقل والتدبير و اظهار الايمان والاخلاص ؟

١٥٤ - توضيح المقال

هل كان الرجل يحتمل ان الرسول (ص) اذا اطع امره وجبىء بكتاب ودواة له
 يأمر بكتابة شيء في شأن الأمور العادية ! او يوصى برعاية شأن ذلك الرجل او احد
 من اصدقائه ، او يُملى عليهم بخلافته او خلافة من لا يخالفه ، من بعده ، ومع هذا النحو
 من الاحتمالات باذَرَّ بما قال وحال بين الرسول وبين ما اراد بما حال ؟

اَوْ يَنْبَغِي اَنْ يُتَوَهَّم اَنْ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اَهْمَهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ
 اَنْ يَأْمُرَهُمْ بِكِتَابَةِ اَمْرٍ يَتَعَلَّقُ بِالْفُرُوعِ ، كَالطَّهَارَةِ وَالتَّصَلُّوَةِ وَالصَّوْمِ وَالخُمْسِ وَالتَّزَكَاةِ
 وَاشْبَاهِهَا ، مِنْ قِسْمِ الْعِبَادَاتِ ، اَوْ اَمْرٍ يَرْتَبِطُ بِقِسْمِ الْعُقُودِ وَالْمَعَامَلَاتِ ، كَالْبَيْعِ وَالصِّلْحِ وَالْمِزَارَعَةِ
 وَالْمَسَاقَاةِ وَالْقِرَاضِ وَالتَّنْكَاحِ وَاضْرَابِهَا ، اَوْ اَمْرٍ يَرْتَبِطُ بِالْاِبْقَاعَاتِ ، كَالطَّلَاقِ وَامْتِثَالِهَا ،
 اَوْ اَمْرٍ يَرْتَبِطُ بِالْاَحْكَامِ ، كَالغَصْبِ وَالثَّرَثِ وَالاَقْرَارِ ، اَوْ بِالسِّيَاسَاتِ ، كَالْحُدُودِ وَالدِّيَّاتِ

والتحذيرات؟ فأمرهم الرسول صلى الله عليه وآله بأتيان الكتاب والدواة ليكتب لهم ما لن يضلوا بعده ابداً، فمنعهم عن اطاعة الرسول من منع، ولهج بما لهج حتى حصل الغوغاء، وحدث الاختلاف والبغضاء، وتأثر عن ذلك من عصمه الله عن الزلل والخطل والخطاء، حتى اظهر انصرافه عما أمرهم بالقيام من عنده والمخرج من بيته .

ثم انه لو فرض ان ذلك الامر الذي اراد الرسول كتابته كان من قبيل الأمور- المذكورة فما الذي حمل الرسول على كتابة خصوص هذا الحكم وقد جرت العادة في ابلاغ الاحكام كلها شفهيّاً لا كتبيّاً؟ وماذا يمكن ان يكون ذلك الحكم الجزئي المقيّد المحدود المفروض كونه من تلك الاحكام كي يعصم الأمة من الضلالة الكلية المطلقة؟ وبعدها التّيبّ والتّيبّ لو كان منها وكان امر اميرت حافى كتاب الله وكان حسنب الأمة ذلك ويكفيهم، فكيف خفى على الرسول ولم يعرف (والعايا بالله) ان الأمة عندهم كتاب الله وهو حسبهم وهم في غنبيّة عن ان يكتب لهم ما لا يضلون بعده ابداً، وظهر ذلك على فرد من الأمة، بعد ما كان خافيا على الرسول، فنبه الأمة وعرفهم ذلك؟ أو يتصور ان يكون امر بهذا الشأن، الخطير الذي يكون العلم به موجبا لعدم الضلال المطلق الى ابدال الآباد ويكون بحيث يقول ابن عباس، حبر الأمة وفقهها، بعد- الواقعة: «... الرّزية كل الرّزية.... الخ»، من مقولة ما عرفت وقلنا؟

ثم لو كان كذلك وما كانت ارادة الرسول ناظرة الى الكتابة في شأن الخلافة وكانت الخلافة عند ابن عباس قبل خلافة علي واقعة موقعا مستقرة في قرارها وموضعها فماذا اراد ابن عباس من قوله «الرّزية....»؟

١٥٥ - سؤال عمّا يرتفع به الضلال

وكيف كان يختلج بالبال هنا سؤال وهو انه هب ان يتسامح في كلام عمر از اى رجل كان، وذو ما اراد ورام ممّا لهج وقال، كى يكون مشكوك الصدور، مشكوك المراد، ليس كلام الرسول في طلبه اللوح والدواة، لحفظ الامّة عن الضلالة مقطوع الصدور، منصوص المفاد؟ والتيسر المنع عن الكتابة وانصراف الرسول امر

معلوم؟ مقطوع وحينئذ يقال: كلام الرسول ظاهر في ان عدم الضلال للامة ابدأ منوط بما يريد ان يكتب فاذا لم يتحقق ما اريد لم يتحقق ما أُنيط .

وعلى هذا فغير الشيعة ، التي تعتقد دركها مراد الرسول والاطاعة له والعمل به ، وهو منكر لما تعتقده الشيعة من مراد الرسول ولا يعرف ايضاً شيئاً آخر لما اراده فيطيعه و يوافق عمله عليه كى لا يضلّ ابداً ، كيف يكون له الحال من حيث عدم الضلال ؟ فتدبر جيداً .

١٥٥ - غرض المانع

ممّا تعتقده الشيعة ، عصمة الانبياء والرسل ولاسيما سيدهم وخاتمهم وسيدهم - الكلّ ، محمد بن عبدالله . وتعتقد اعتقاداً راسخاً باتّأ بانه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ما ضلّ و ما غوى لا في حال السلامة ولا في حال غلبة الوجد ! وما ينطق عن الهوى لا بالطمع ولا للفرع ، وتعتقد ان اطاعة الرسول و الانقياد لأوامره واجبة في كلّ حال « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ٢٠ » فتقف عند قول الرجل ، ولوبدّل بالانشاء ، الخبر واستصح بلفظة « اهجر » ، وتكل امر القائل الى ما قضى الله له وقد رثم تنظر الى ما نقل ، حتى في صحاحهم عن عمر من تلك العبارة الساقطة - الساخطة المستبشرة : « انّ الرسول قد غلب عليه الوجد » ، ولاسيما مع اردافها بقوله « وعندكم القرآن . وحسبنا كتاب الله » ، وترى فيها ما دُبر من السياسة وتتعجب فتقول :

اذا فرض ان الناطق بها كان لا يحبّ خلافة عليّ ، او يحب ويريد استخلاف غير عليّ ، او كان يتوقعها لنفسه ، ويتيقن ان امر الكتابة لو تمّ لا يتمّ الا باستخلاف عليّ ولا تضرّ تلك الكتابة احداً الا من كان مائلاً الى الخلافة ، آملاً لها ، آيساً ان تكون الكتابة بشأنه و في حقّه ، او بشأن من يريد به ويحبّه ، فماذا على ذلك المتيقظ العارف بالحال ان يفعل او يقول في ذلك المجال كى يدفع او يرفع ما رامه الرسول (ص) واراد؟ هل يوجد في شرع السياسة و عرف التدبير طريق اقصر و آثر مما سلكه

واشاد؟ او قول "انفذوا عرق في المخادعة مما خادع به وكاد؟

اوليس في استعمال تلك الكلمة او التعبير بهذه العبارة استنتاج احدي النتيجتين

ضرورياً لامناص منه؟:

١ - فان اثر المنع والتكلم بذاك الكلام البشع الكريه و تلك العبارة المرذولة ، في النفس النبوية المعصومة وحدث منه اللفظ والاختلاف فصار سبباً لانصراف الرسول عمّا اراد وامر، كما اثر وانصرف ورفض^١ فهو المطلوب المؤثر .

٢ - وان لم يؤثر في نفسه الزكية الطاهرة فألحّ واكد ما اراد، واصرّ وابرّم ما رام، واطهر ما خفي من قصده، وكشف عن مستور ضميره، وامر بكتابة ما أمر به، فلهذا الكلام المرذول اثره اللازم المقصود وهو انفصام العروة بألقاء الشبهة وحلّ - العقدة باحداث الشك والريبة .

وفي ما نقلناه عن كتاب «البدء والتاريخ» أنفاً، مسندا عن الشعبي عن ابن عباس: «... وقال عمر: قد غلبه الوجع، من لفلاة؟...» ولعلهما كانتا من الرواقي اي صاحبات الرقي^٢، تظهر على المتأمل المنصف جلية الحال في ما فعل المانع وقال ،

١ - في المسند للإمام احمد بن حنبل (الجزء الخامس) بأسناده عن جابر : « ان النبي دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتابا لا يضلون بعده . قال : فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها » اقول : كان عمر (رض) على ما يرى في مواضع متفرقة يرى جواز مخالفة الرسول (ص) بحسب اجتهاده ورايه سواء في حياته (ص) او بعد وفاته ! . قال الشيخ الامام ابو عبدالله الدمشقي الحنبلي ، المعروف بابن القيم الجوزي ، (٦٩١ - ٥٧٥١ . ق .) في المجلد الاول (الصفحة ٢٦٢) من كتابه (زاد المعاد في هدى خير العباد) : « .. وان المغيرة بن شعبة يكنى بابي عيسى فقال له عمر : اما يكفيك ان تكنى بابي عبدالله ؟ فقال : رسول الله (ص) كنانتي . فقال : ان رسول الله قد غفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر وانا لفي جلجلتنا . فلم يزل يكنى بابي عبدالله حتى هلك » . وفي الاغانى (الجزء الثالث عشر ذهل ترجمة المغيرة بن شعبة وردت هذه الحكاية مع اختلاف يسير . فراجع .

٢ - في الصحاح « الرقية معروفة والجمع رقى ... وقول الراجز : لقد علمت والاجل -

الباقى * ان لن ترد القدر الرواقي . كأنه جمع امرأة راقية ... »

وفي ما اكّد الرسول (ص) من قوله: دَعُونِي دَعُونِي... قَوْمُوا...، كما في البدء والتاريخ، او قوله (ص) : « ذَرُونِي فَالذِّي اَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي اِلَيْهِ » كما في الصحيح للبخارى ، فتدبر .

١٥٦ - مخرج الكلام المانع!

قال عز الدين ، عبد الحميد بن ابي الحديد في شرحه على نهج البلاغة :
« وقال (يعني عمر) : « مُتَعَتَانِ كَانَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَآنَا مُحَرَّمُهُمَا وَمُعَاقِبُهُمَا عَلَيْهِمَا : مُتَعَةُ النِّسَاءِ وَمُتَعَةُ الْحَجِّ » وهذا الكلام وان كان ظاهره منكراً فله عندنا مخرجٌ وتأويل وقد ذكره اصحابنا الفقهاء في كتبهم .

« وكان في اخلاق عمر ، والفاظه جفاءً وعسجبهيةً ظاهريةً يحسبها السامع لها انه اراد بها ما لم يكن قد اراد : او يتوهم من تحكي له انه قصدها بها ظاهراً ما لم يقصده . »

ثم قال :

« فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله (ص) ومعاذ الله ان يقصدها بها ظاهراً ولكنها ارسلها على مقتضى خشونة غريزية ولم يتحفظ منها ، وكان الأحسن ان يقول : مغموراً او مغلوباً بالمرض » وحاشاه ان يعني به غير ذلك ! »

١ - هذا القول « الاحسن » المقبول عند ابن ابي الحديد ايضاً مردود عند-

الشيعة لان الشيعة لاعتقادها « العصمة » للرسول ، صلى الله عليه وآله ، بمعناها الذي تعتقده ، لا يسلم ، بل ولا يتوهم ، ان يكون للمرض امكان ان يغلب الرسول او يغمره بحيث يصير جائزاً لمسلم ان لا يصغى الى قوله ولا يطيعه في امره . ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق في اية حالة عن الهوى . ثم كيف يمكن ان يحمل ذلك القول على غير ظاهره مع ان حجية ظواهر الالفاظ مما لا يكاد ان ينكر ولا سيما هذا القول المقرون بالعمل وهو « المنع » ؟ فتدبر .

١٥٧ - اعتراف عمر بمنعه عن الكتابة

قال ابن ابي الحديد ايضاً (الجزء الثاني عشر من شرحه في ذيل كلامه عليه السلام

«لله بلاد فلان فقد قوم الأمد...»):

« عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال :

« دخلت على عمر في اول خلافته وقد القى له صاعٌ من تمر على خصفة . فدعاني الى الأكل فاكلتُ ثمرةً واحدةً واقبل يأكل حتى اتى عليه ثم شرب من جرّةٍ كانت عنده واستلقى على مرفقة له وطفق بحمد الله ، يكرر ذلك . ثم قال :

« من اين جئت يا عبدالله ؟

« قلت من المسجد .

« قال : كيف خلّفت ابن عمّك ؟ فظننته يعنى عبدالله بن جعفر

« قال : لم أعن ذلك . انما عنيتُ عظيمكم اهل البيت .

« قلت : خلقتُه يمتحُ بالغرب (الدلول العظيمة) على نخيلات من فلان ، وهو يقرأ القرآن .

« قال : يا عبدالله عليك ماء (؟) (مأة) البُدُن ان كتمتنيها . هل بقى في نفسه

شيءٌ من امر الخلافة ؟

« قلت : نعم .

« قال : آيزعمُ ان رسول الله نصّ عليه ؟

« قلت : نعم . وآزيدك : سألتُ ابي عما يدعيه فقال : صدق .

« فقال عمر : لقد كان من رسول الله ، ولقد اراد في مرضه ان يصرّح باسمه فمنعت

من ذلك اشفاقاً وحيطة على الاسلام ! لا وربّ هذه البنية لانجتمع عليه قریش ابدأ ولوليها لانتقضت عليه العرب من اقطارها . فعلم رسول الله انى علمت ما فى نفسه فأمسك

وابى الله الا امضاء ما حتم .»

ثم قال ابن أبي الحديد:

« ذكر هذا الخبر احمد بن ابي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه ١

مسنداً .

و كيف كان خالف عمر (رض) رسول الله في امره (ص) باتيان اللّوح والذّواة وانجرّ الخلاف الى اللّغظ والأختلاف بحيث « رفض » النّبى (ص) ما قصد واراد ونال عمر بما شاء وكان له المراد .

ففى المسند للامام احمد بن محمد بن حنبل بأسناده الى جابر .

١ - كتاب تاريخ بغداد هذا الذى ذكره ابن ابي الحديد هنا ، غير تاريخ بغداد - المعروف تأليف ابي بكر احمد بن على الخطيب البغدادى (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ . ق .) وكان ذلك مقدماً بالزمان على هذا . فقد نقل الخطيب عن ذلك الكتاب فى تاريخه فقال (فى المجلد الاول) عند « ذكر مقدار ذرع جانبى بغداد » : « اخبرنا محمد بن على الوراق ... قال : ذكر احمد بن ابي طاهر فى « كتاب بغداد » ان ذرع ... الخ » وعلى هذا كان عنوان الكتاب وسمته « كتاب بغداد » لا « كتاب تاريخ بغداد » كما ورد فى عبارة ابن ابي الحديد ولعله كانت زيادة كلمة « تاريخ » من ابن ابي الحديد ويؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم فى « الفهرست » (فى تعديد مؤلفات احمد بن ابي طاهر بقوله : « وله من الكتب ... كتاب بغداد » هذا ، ولكن ياقوت الحموى قال فى معجم الادباء (ذيل ترجمة ابي الفضل احمد بن ابي طاهر) : « واسم طاهر طيفور ، مروزى الاصل ، احد البلغاء الشعراء ، الرواة ، من اهل الفهم ، المذكورين بالعلم ، وهو صاحب كتاب « تاريخ بغداد » فى اخبار الخلفاء والامراء واياهم . مات سنة ثمانين ومائتين ... »

ونقل ياقوت فى ما نقل عن ابن النديم ، فى تعديد كتب ابن ابي طاهر « كتاب بغداد » . وعلى هذا يحتمل زيادة كلمة « تاريخ » فى كلام ياقوت ايضا ويحتمل ان يكون الكتاب معلوناً بكلا العنوانين ولعله كان عنوانه الحقيقى « كتاب اخبار بغداد » كما ورد فى « سراج الذهب » للمسعودى (٣٤٦) فانه فى اول الجزء الاول منه (بعد ما قال : « وقد ضم الناس كتباً فى التاريخ والاخبار ... » وعدة من المؤلفين وسمى كتبهم فى هذا الباب) قال : « و احمد بن ابي طاهر صاحب كتاب المعروف بـ « اخبار بغداد » ... » وقال فى الجزء الثامن منه (الصفحة ٤٨٩) ، ذيل ترجمة المعتضد : « وكانت وفاة احمد بن ابي طاهر - الكاتب صاحب كتاب اخبار بغداد سنة ثمانين ومائتين » .

«انّ النبيّ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلّون بعده. قال (يعنى جابر) : فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها .»

١٥٨ - توجيه انصراف الرسول

ولعلّ زاعم يزعمُ انّ مارامه الرسول (ص) ان كان امراً له هذا الشان الجليل فكيف رفضه الرسول وانصرف عنه؟ فليتذكّر ان الامر صار دائراً بين المهمّ والأهمّ ولاريب في حكم العقل بان اختيار الأهمّ، اقوم والزم . وذلك لأنّه لمّا رأى رسول الله (ص) خلاف من خالف ، وهو رأس اهل الحلّ والعقد ورئيسهم ، خاف ان ينجرّ الخلاف في الخلافة الى الخلاف في اصل الرسالة^١ لأن القوم كانوا حديثي عهد بالاسلام فاذا حدث الاختلاف بين اكابرهم يرتدون ويرجعون القهقريّ وينبذون سائر الأحكام والأوامر ايضاً وراء ظهورهم العوجاء .

وكأنّه كان الأمر منه (ص) بأتيان ما أمرّ ، مع كونه عارفاً بالأوضاع والأحوال وما سيحدث من المخالفة والأمتناع ، لملاحظة امور :

١ - وقد صرح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، كما نقله ابن ابي الحديد (شرح نهج البلاغة - الجزء الثاني - الصفحة ٧٨ -) ، وسنذكره في محل آخر من حديث ذهاب عائشة الى ام سلمة « لمخادعتها على الخروج للطلب بدم عثمان ... » ووقوع تذكيرات من ام سلمة لعائشة واعترافها بها: «... قالت ام سلمة : واذكرك ايضاً: كنت انا وائت مع رسول الله (ص) في سفر له ، وكان عليّ يتعاهد نعلي رسول الله (ص) فيخصفها ويتعاهد اثوابه فيغسلها فنبت له نعل فاخذها يومئذ يخصفها وقعد في ظل سمرة وجاء ابوك وسعه عمر فاستأذنا عليه . فقمنا الى الحجاب ودخلا يحادثاه في ما ارادا . ثم قالا : يا رسول الله انا لاندري قدما تصحبنا فلوا علمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفرعاً . فقال لهما: اما الى قدارى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو اسرائيل عن هرون بن عمران فسكتا . ثم خرجا . فلما خرجنا الى رسول الله (ص) قلت له وكنت اجرا عليه منا ، من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم ؟ فقال : خاصف النعل . فنزلنا فلم نر احداً الا هلياً . فقلت يا رسول الله ما ارى الا علياً . فقال : هو ذاك فقالت عائشة : نعم اذكر ذلك ... »

- ١ - لعلّ من يبطن الخلاف لا يتجرّى ، والحال تلك الحال ، على اظهار ما كان يكمنه ويطنه من المخالفة .
- ٢ - تمييز المخالف من الموافق ، والمطيع عن غيره .
- ٣ - تنبيه الأمة وإيقاظهم لمعرفة من خالف .
- ٤ - لَقَّتْ الأنظار الى مكانة المخالفة لمكان شأن المخالف والدلالة على وجه العُذر في الانصراف والرفض .

١٥٩ - فائدة امر الرسول

مما ينبغي ان يتوجه اليه و يتذكر هنا هو ان امر النبيّ (ص) بأتيان الكتاب والدّواة كان له اثره المطلوب على اى حالٍ وذلك لأنه لو كان الأمر يؤدّى الى الموافقة والأطاعة منهم ، فيملى الرسول عليهم ما اراد فالمطلوب حاصل وان كان يُفضى الى الخلاف ، كما حدث ، فلامحالة ينعكس صديبه فتطلع الأمة فى الأزمنة اللاحقة التى تغيّرت تلك الاوضاع والأحوال وزهقت الأطماع والأمال والأهوال ، فيتوجه من ليس له نظر الا الى استخراج الحقائق من المتون واستظهار الوقائع من البطون والكمون ، ويتدبّر في تشخيص ارادة الرسول و توجيهها و يتفكّر فى تعليل المخالفة وتحليلها فيعرف مراد الرسول (ص) ويخضع له بالأطاعة والقبول وهو المطلوب .

« وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ٦٩ » .

١٦٠ - ماترك الرسول للأمة

ولنرجع الى ما كنّا فيه ، من حديث وفاة الرسول (ص) :

تُوَفِّي النَّبِيَّ ، وقُدِّمَتْهُ اللهُ تَعَالَى وَايَّدَهُ لِأَدَاءِ الرَّسَالَةِ وَتَمَامِ الدَّعْوَةِ كَمَا لَتُوفِيقِ

فقد خلف لهداية الناس و تركيتهم وتعليمهم منهاجاً قويماً وبرنامجاً مستقيماً بل ترك،
فيهم نوراً مبيناً وسراجاً منيراً: « القرآن وما من شئونه وفروعه، هي السنة ». كتاب الله والعترة
ثم خلف لبيان هذا المنهاج، الهادي للتي هي اقوم، ولتفسيره وتاويله وحراسة
مآربه ومقاصده السامية العليا و ارشاد الخلق اليها، قادة هداةً وساسةً دُعاةً وائمةً
كُفاةً: « اهل بيته المكرمة وعترته الطيبة الطاهرة، وعلى اصل العترة ورأسها » ونص
على انهما لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض :

وبعد ذلك فالامة واختيارها فان عرفت شأنهما وتمسكت بهما سلكت طريق-
الرشاد والهداية، وفازت بالكمال والتصلاح، ونالت بالسعادة والسداد وان رفضت
جمعهما تورطت في الغواية والتضلالة وتخبطت في الهلكة والشقاوة قوله صلى الله
عليه وآله وسلم: « . . . وانتي تركت في ما بينكم اثنين لن تضلوا ما ان تمسكتم
بهما من بعدى : كتاب الله وعترتي »^١.

١٦١ - علي هو الهادي

قال محمد بن جرير الطبري في تفسيره (ذيل آية « اِنَّمَا اَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ
قَوْمٍ هَادٍ » - سورة الرعد) :
« حدثنا احمد بن يحيى عن ... عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال :

« لما نزلت « اِنَّمَا اَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ » وضع صلى الله عليه
وسلم يده على صدره فقال :
« اِنَّا الْمُنذِرُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ وَاوْمَا بِيَدِهِ عَلِيٌّ مَنكِبِ عَلِيٍّ فَقَالَ :
« اَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيُّ ، بِكَ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بَعْدِي »^٢.

علي يهدي
المهتدون
بعد الرسول (ص)

١ - ترجمة تفسير محمد بن جرير الطبري (سورة محمد ، ص ،) .

٢ - وفي كلمة « بعدى » وفي كلمة « من بعدى » في الرواية المذكورة ألفا مالا يخفى

على المنصف المتدبر.

كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين بلاخلاف و لليلتين
بقيتا من شهر صفر الخير على المشهور بين الشيعة والمحكي عن التهذيب^١ من السنة
العاشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة .



١- وفي الكافي «... وبقي بمكة بعد سبعته ثلاثة عشر سنة ثم هاجر الى المدينة ومكث
بها عشر سنين ثم قبض لائنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول يوم الاثنين...»
وفي تاريخ الطبرى «اما اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلاخلاف بين
اهل العلم بالاخبار، فيه انه كان يوم الاثنين من شهر ربيع الاول غير انه اختلف فى اى الاثنين كان
موته، صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم فى ذلك... عن فقهاء اهل الحجاز قالوا : قبض
رسول الله (ص) نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول... وقال الواقدي:
توفى يوم الاثنين لثنتى عشره ليلة خلت من شهر ربيع الاول...»

« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
 أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »
 (الآية ال ۳۳ - من سورة الاحزاب -)

« وَسئِلْتُ عائشة ، رضى الله عنها عن
 امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه ،
 فقالت :

« وَمَا عَسَيْتُ اَنْ اَقُولَ فِيهِ وَهُوَ
 اَحَبُّ النَّاسِ اِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ قَدْ جَمَعَ شَمَلْتَهُ عَلَى عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ
 وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَقَالَ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ
 بَيْتِي ، اَللَّهُمَّ اذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ
 وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً .
 « قيل لها :

« فكيف سرتِ اليه ؟ قالت انا نادمة وكان
 ذلك قَدراً مقدوراً . »

(المحاسن والمساوى للبيهقي)

۱ - من هي عترة الرسول الطاهرة ؟

۲ - آية التطهير .

۳ - مقام اهل البيت .

۴ - موضع على في العترة .

۵ - على في نشأته وتكوُّنه الذاتى .

۶ - نبذة مما صحَّ فى شأنِ على .

۱۰ - حَوْلُ الْعَتْرَةِ وَاهْلِ الْبَيْتِ :

١٦٢- من هي عترة الرسول الطاهرة؟

كانت للرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، ازواجٌ عدة، اولهنّ زوجاً، واكملهنّ شرفاً وكرامة، واشرفهنّ نتاجاً، سيّدة نساء مكّة و « سيّدة نساء الجنّة » خديجة بنت خويلد .

اسلام خديجة

سبقّت خديجة باسلامها على غيرها من النساء والرجال، وصلت قبل كلّ احدٍ مع الرسول، وانفقت ثروتها الوفيرة في سبيل اعلاء كلمة التوحيد وتأييد الاسلام والمسلمين، وجدت واجتهدت لحفظ الرسول ونشر الرسالة وبثّ الأيمان، واصطبرت في الشدائد والنوائب كلّها مع الرسول، وتجرّعت الغصص والهموم حتّى رفعها الله الى ملكوته العليا، واختارها القرب بجواره الاعلى، في العاشر من شهر رمضان المبارك من السنة العاشرة للبعثة، بمكّة، وهي بنت خمس وستين سنة .

كانت خديجة حبيبة رسول الله فهو، صلى الله عليه وآله وسلم، يُحبّها، ويكثر من ذكرها، ففي حديث عائشة، كما في صحيح البخارى ومسلم :
« ما غيرتُ على احدٍ من نساء النبيّ (ص) ما غيرتُ على خديجة، وما رايتها ولكنّ النبيّ يُكثرُ ذِكْرَها وربما ذبح الشاةَ ثمّ يقطعها اعضاءاً ثمّ يبعثها في صدائق خديجة .

« فقلت له : كأنّه لم يكن في الدنيا الا خديجة ! فيقول :

« انها كانت حبيبةً لى، وكانت عاقلةً، وكان لى منها ولد .

وزاد مسلم « وانى رزقتُ حبّها . »

رزقتُ خديجة من رسول الله عدة اولاد: القاسم وعبدالله، الملقّين بالطيّب والظّاهر، ومن البنات : زينب ورقية وامّ كلثوم، ثمّ فاطمة الزهراء، وهي اصغر بناتها .

ام المؤمنين
خديجة وحب
النبي (ص) لها

اولاد خديجة
من النبي (ص)

١٦٣ - فاطمة الزهراء

كان الرسول (ص) يحبّ ابنته فاطمة اشدّ الحبّ، يحبّها لأنّها تذكّر لزوجته - الجليلة الحبيبة ، التي فدت بنفسها وبما لها ، الوفير في سبيله ، وسبيل دعوته ، يحبّها لمكان فضائلها النفسية ومكارمها الذاتية^١ ، فهي كما أعلن الرسول (ص) في حقّها بَضْعَةٌ مِنْ مَنْ اذيلها فقد اذيله ، ولذلك هي سيّدة نساء العالمين ، يحبّها لأنّها أمّ الذريّة واصل العترة ، منها نسلت سلالة النبوّة وبها انتشرت سادة الطاهرين اولاد سيّد المرسلين ، الأئمة المعصومين ، والهداة المهديّين .

في صحيح البخاري باب مناقب قرابة رسول الله ومنتقبة فاطمة عليها السلام بنت - النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم :

« وقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم :

« فاطمة سيّدة نساء اهل الجنة » (الجزء الخامس - الصفحة ٢٠ -) .

وفيه ايضاً ، في الباب المذكور (الصفحة ال ٢١) : بالأسناد عن المسور بن مخرّمّة ان رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم . قال :

« فاطمة بَضْعَةٌ مِنْ مَنْ اَغْضَبَهَا اَغْضَبَنِي » .

وفيه ، ايضاً (الجزء الرابع - الصفحة ال ٢٠٣ -) بأسناده عن عائشة (رض) :

قالت :

« اقبلت فاطمة تمشي كأنّ مشيتها مشى النبيّ (ص) فقال النبيّ (ص) :

١ - نقل الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ . ق .) في تاريخه (في ترجمة

حسين بن معاذ) بأسناده عن عائشة ، ام المؤمنين ، انها قالت : قال رسول الله :

« اذا كان يوم القيامة نادى مناد : يا معشر الخلائق طاطاوا رؤسكم حتى تجوز فاطمة

بنت محمد » ونقل بسند آخر عنها عن النبي (ص) :

« ينادى مناد يوم القيامة : غضوا ابصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد . »

« مرحباً بابنتي » ثم اجلسها عن يمينه ، او عن شماله ، ثم أسرَّ اليها حديثاً فبكت .

« فقال لها : لِمَ تبكين؟ .

ثم أسرَّ لها حديثاً فضحكت .

« فقلت : ما رايتُ كالיום فرحاً اقربَ من حزن .

« فسألتهما عما قال . فقالت : ما كنتُ اُفشي سرَّ رسول الله . حتى قبضت

النبي فسألتهما . فقالت :

« أسرَّ اليَّ ان جبريل كان يعارضني القرآن كلَّ سنةٍ مرَّةً وانه

عارضني العام مرَّتين ، ولا أراه الا حصرَ اجلي ، وانكك اول اهل بيتي

ليحاقاً بي . فبكت . فقال : اما ترضين ان تكون سيِّدة نساءِ اهل الجنة؟ ،

او نساءِ المؤمنين ، فضحكت لذلك .

وعن صحيح مسلم ^١ :

« انما فاطمة بضعة مني ، يؤذيني من اذاها ويُسِرُّني من اسرها »

وعن الترمذي ^١ :

« انها بضعة مني يربيني ما رابها ويؤذيني ما آذاها .

« وعن عائشة ، وقد سُئِلت : اى الناس احب الى النبي (ص)؟ قالت : فاطمة .

قيل : من الرجال؟ قالت : زوجها .

« اخرجه الترمذي .

« وعنهما قالت : ما رايتُ رجلاً احبَّ الى النبي من علي ولا احبَّ

اليه من فاطمة » ^١ .

١٦٤ - علي وفاطمة

لما كانت فاطمة من ابية الرسول (ص) بهذه المكانة من المحبة الفائقة ،

اختار الرسول لها أَحَبَّ الخلق لديه ، و اقربهم اليه ، و آثرهم عنده ، اولهم اسلاماً ، و اصدقهم ايماناً ، و اكملهم علماً و فقها ، و افضلهم خلقاً ، و اسخيتهم نفساً ، و اشجعهم قلباً ، و امزهم اشجاعة ، و اشدّهم جهاداً ، و اشدّهم اقداماً ، و ازيدهم اخلاصاً ، و اخلصهم عملاً ، و اغزهم اجتهاداً ، و اعرقهم حسبا و نسباً و ادباً ، و اشبههم بنفس الرسول كمالاً ، و انسبهم له اسرةً و نجارا ، و اكثرهم له طاعة و حباً و وداداً ، الا هو ابن عمّه ، الذى ربّاه من اوان صباه ، كولد له فى حُجره ، و ارتضاه اخاً لنفسه ، بل و اصطفاه ، على ما فى آية المبالغة ، عَيَّنَ نَفْسِهِ .

١٦٥ - الحسن و الحسين ابنا رسول الله

اختار ، صلى الله عليه و آله و سلم ، لبصنعتة الحبيبة ، حبيبه الفداء ، و زوجها منه ، فقرن السعدين بزواج الحبيين ، و صارت نتيجة ذلك القران السعد ، و الزواج المبارك ، منهما عدة اولاد ذكوراً و اناثاً منهم ابنان سمى الرسول (ص) اكبرهما باسم « الحسن » و اصغرهما باسم « الحسين » و كان ينظر اليهما نظر الوالد الرؤف الرحيم الى ولده الصميم و يحبهما حباً شديداً يتجاهر به ، و كثيراً ما يعبر عنهما بلفظة « ابناى » ، و يعرفهما بانتهما سيّدا شباب اهل الجنة و هما امامان قاما او قعدا .

١٦٦ - حُبّ النبىّ (ص) الحسنين و ابويهما (ع)

نقل الشيخ سليمان الحنفى فى « الباب الرابع و الخمسون - فى فضائل الحسن و الحسين رضى الله عنهما » من كتابه القيم ، ينابيع المودة ، عدة احاديث « صحيحة » و « حسنة » فى حُبّ النبىّ (ص) لهما ، يناسب ان يورد هنا بعض منها .

١ - « المزهر ، الشديد القلب ... قال العباس بن مرداس :

ترى الرجل النحيف فتزدرجه و فى اثوابه رجل مزهر
و هروى اسد مزهر .
(صحيح)

فمنها :

« في سنن الترمذى : حدثنا . . . (بأسناده) ان رسول الله (ص) اخذ بيد الحسن والحسين وقال :

حب النبي (ص)
فاطمة و ابنه
واباهما

« مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَٰذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

« ايضا اخرج هذا الحديث احمد في «المسند» وموفق الخوارزمي و الترمذى عن انس بن مالك قال :

« سُئِلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) : أَيُّ أَهْلِ بَيْتِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ (ص) : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ » .

« وكان، صلى الله عليه وآله وسلم، يقول لفاطمة :
« اُدْعُوِي لِيْ اِبْنِيَّ . فَيَشْتُمُهُمَا وَيَضُمُّهُمَا إِلَيْهِ » .

ومنها :

« اخرج الطبراني عن ابي هريرة قال :

« خرج علينا رسول الله (ص) ومعه حسن و حسين ، هذا على عاتقه وهويلثم هذا مرةً وهذا مرةً حتى انتهى الينا فقال :

« مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي » .

وزوى الخطيب فى تاريخ بغداد (بأسناده) عن ابي هريرة قال :

« سمعت رسول الله (ص) يقول :

على غير من ابنه

« مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي » .

وروى ايضا فيه (بأسناده) : قال رسول الله (ص) :

« الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ

مِنْهُمَا » .

١٦٧ - حديث الكساء وآية التطهير

قال « شيخ الاسلام ، امام الحُفَاط » ابن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ . ق .) في كتابه « الأصابة » .

« ... واخذردائه فوضعه على علي وفاطمة والحسن والحسين وقال :

« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً ۚ » ١ .

وفي « المسند » للإمام احمد بن محمد بن حنبل (الجزء الثالث) بأسناده عن انس بن مالك :

« انّ النبيّ (ص) كان يمرّ ببیت فاطمة ستة اشهر ، اذا خرج الى الفجر ، فيقول :

« الصلوة يا اهل البيت . انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم

تطهيرا » .

وفي ينابيع المودة (كتاب مودة القربى) (بأسناده) عن انس بن مالك :

« كان النبيّ (ص) يأتي كل يوم باب فاطمة عند صلوة الفجر فيقول :

« الصلوة يا اهل البيت . انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم

تطهيرا » تسعة اشهر (وفي موضع ستة اشهر) بعد ما نزلت : « وَامْرَأًا هَلَكَتْ

بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرَ عَلَيْهَا ۚ » ٢ .

« وَرَوَى هَذَا الْخَبْرَ عَنْ ثَلَاثِمَاءَ مِنَ الصَّحَابَةِ » ٣ .

١ - السورة ال ٣٣ (الاحزاب) .

٢ - السورة ال ٢٠ (طه) .

٣ - هكذا في مودة القربى وقد اثرتنا سابقاً ان في محكي « العناقب » لابن مردويه

انه ذكر من مائة وثلاثين طريقاً : « ان « العترة » علي وفاطمة والحسن والحسين »

خير من جين النبي
تسعة اشهر كل
يوم باب فاطمة
وقرأته آية
التطهير ، مروى
عن ثلاثمأة
من الصحابة

وفى ينباع المودّة (الباب الرابع والخمسون فى فضائل الحسن والحسين
رضى الله عنهما) :

« وفى مسند احمد من حديث امّ سَلَمَةَ قالت :

« دخل علىّ و فاطمة ومعهما الحسن والحسين فوضعهما فى حُجْرِهِ فقبلهما
واعتنق عليّاً باحدى يديّه و فاطمة بالأخرى فجعل عليهم خميصةً (ثوب مربع)
سوداء . . . »

« وله طرق وفى بعض طرقه « كساء » بدل « خميصة » .

« واصله فى صحيح مسلم عن عائشة قالت :

« خرج النبىّ غداً وعليه مرط مرجّل من شعر اسود فجاء الحسن بن علىّ
فأدخله . ثمّ جاء الحسين فأدخله معه . ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها . ثمّ جاء علىّ فأدخله .
ثمّ قال :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهّركم تطهيرا »

وفى كتاب « المحاسن والمساوى » للبيهقى :

« و سئِلْتُ عائشة ، رضى الله عنها ، عن امير المؤمنين علىّ بن ابى طالب ،

رضى الله عنه فقالت :

« فما عسيْتُ ان اقول فيه و هو احبّ الناس الى رسول الله ، صلّى الله عليه وآله
وسلم . لقد رايت رسول الله صلّى الله عليه وسلم وقد جمع شملته علىّ و فاطمة
والحسن والحسين وقال :

« هؤلاء اهل بيتى . اللهم اذهب عنهم الرجس وطهّرم تطهيرا »

« قيل لها :

« فكيف سرتِ اليه؟ قالت : انا نادِمةٌ . وكان ذلك قد رآ مقدوراً .

وفى « تاريخ الخلفاء » للسيوطى (الصفحة ال ١٦٩) .

« واخرج مسلم عن سعد بن ابى وقاص قال :

« لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ «... نَدْعُ ابْنَانَا وَابْنَاتِكُمْ... ٦١ » دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ :
« اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي » .

١٦٨ - العترة هي اهل البيت

قال ابن ابي الحديد في شرحه بياناً لقوله عليه السلام «... وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيِّكُمْ » :

« وَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عِتْرَتَهُ مَنْ هِيَ ؟ لَمَّا قَالَ : « اِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الشَّقَلَيْنِ » فَقَالَ :

« عِتْرَتِي ، اَهْلُ بَيْتِي » .

« وَبَيْنَ فِي مَقَامٍ آخَرَ : مَنْ اَهْلُ بَيْتِهِ ؟ حَيْثُ طَرَحَ عَلَيْهِمُ الْكِسَاءَ وَقَالَ حَسْبُ نَزَلَتْ « اِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ... » :

« اَللّٰهُمَّ هٰؤُلَاءِ اَهْلُ بَيْتِيْ فَادْهَبِ الرَّجْسَ عَنْهُمْ »

« فَاِنْ قُلْتَ : فَمَنْ هِيَ الْعِتْرَةُ الَّتِي عَنَاهَا امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا الْكَلَامِ ؟
« قُلْتُ : نَفْسَهُ وَوَلَدَهُ . وَالْاَصْلُ ، فِي الْحَقِيقَةِ ، نَفْسَهُ لِأَنَّ وَلَدِيَّهَ تَابِعَانُ لَهُ وَنَسَبَتُهُمَا إِلَيْهِ كَنَسْبَةِ الْكُورَاكِبِ الْمَضِيئَةِ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ الْمَشْرِقَةِ . وَقَدْ نَبَّهَ النَّبِيُّ (ص) عَلَيَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

« وَآبُوكُمَا خَيْرٌ مِنْكُمَا ... »

وَفِي يَنْابِيعِ الْمَوْدَةِ (الصفحة ال ٢٥) عَنْ مُسْلِمٍ بِالْإِسْنَادِ « عَنْ يَزِيدِ بْنِ حَبَّانَ عَنْ يَزِيدِ بْنِ أَرْقَمٍ » :

« قَالَ : دَخَلْنَا عَلَيْهِ (يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ يَزِيدِ بْنِ أَرْقَمٍ) فَقُلْنَا : لَقَدْ رَأَيْتَ خَيْرًا لَقَدْ صَاحَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ ، حَدَّثَنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ عَنْ

اهل بيته اهل
الكساء وهم
العترة واصلمهم
على (ع)

رسول الله (ص) . . . الى ان قال (ص) : الا وانى تارك فيكم الثقلين احدهما كتاب الله عز وجل . . . وعترتى اهل بيتى . . . فقلنا: من اهل بيته؟ نساؤه؟ قال: آيّمُ - الله ان المرأة تكون مع الرجل، العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى ابيها وقومها ، واهل بيته صلى الله عليه وسلم اصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده .
 قد تحصل مما وردت في هذا الشأن واوردنا نبذة منها ان المراد من «العترة» و«اهل البيت» باتفاق الشيعة وموافقة الاكابر من علماء اهل السنة : هو على وفاطمة والحسن والحسين والذرية الطاهرة المعصومين من ولد الحسين (المنصوصة اسمائهم والمعروفة اشخاصهم) .

١٦٩ - الصلوة على آل محمد، وهم العترة في الصلوة

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب ابنته، فاطمة، وزوجها، علياً، وابنيهما، الحسن والحسين ، حباً يأنهج به، ويفصح عنه، ويبتهج بتذكاره، ويلتذ من تكراره، فصرح بذلك مرات متعددة وبعبارات مختلفة تؤدى معنى واحداً وهوان هؤلاءهم منه و«من آذاهم فقد آذاه ومن ابغضهم فقد ابغضه» و«من والاهم فقد والاه ومن عاداهم فقد عاداه» وهم احد الثقلين الذين تركهما لحفظ الأمة عن الضلال .

وكل ذلك لم يكف لوجود النسبة البحتة، بل لمكانتهم الفاضلة، وفضائلهم - السامية ، ومناسبتهم الذاتية وسنخيتهم الجوهرية ، وكيف لا وهم الذين طهرهم الله واذهب عنهم الرجس، وكرمهم وشرّفهم فجعل علياً والرسول تحت عنوان «انفسنا» فى آية المباهلة وفاطمة بضعة منه والحسن والحسين ابنيه، سيدى شباب اهل الجنة .
 فهم «اهل بيت» الرسول (ص) و«عترته»، وهم آله المنتجبون وصفوته، الذين يتوقف على اتصال ذكرهم بالرسول، للتصايف فى التشهد، كمال الصلوة بل صحته.

الصلوة على الال
 فى الصلوة

وهم هداة الأمة وقادتها وسراة الأمة وساستها .

وقد صرح الرسول (ص) في ما صرح به في غدير خم وفي غيره بان « العترة » مع القرآن ، وهما الثقلان ترَكهما وخلفهما لحفظ الأمة عن الضلال ، فهما لا يفترقان الى يوم القيام ومن تمسك بهما في اى عصر وزمان وى بلد ومكان كانا له كافيان فيكون من السعداء ولن يضل ولن يشقى ا .

فى صحيح مسلم بن الحجاج (باب الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد التشهد) :

« عن ابى مسعود الأنصارى قال : اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له : بشير بن سعد : امرنا عز وجل ان نصلى عليك يا رسول الله فكيف نُصَلّى عليك يا رسول الله ؟ قال : فسكت رسول الله (ص) حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله (ص) : قولوا :

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد . والسلام كما قد علمتم » .

١٧٠ - خطبة الحسن (ع) وتصريحه بانهم العترة

وأحد الثقلين

خطب الحسن بن على عليهما السلام ، بعد بيعة الناس له بالخلافة ، (على ما حكى فى كتاب ينابيع المودة عن كتاب « المناقب » لابن مردويه) فقال فى ما قال : « نَحْنُ حِزْبُ اللَّهِ الْغَالِبُونَ . وَنَحْنُ عَشْرَةُ رَسُولِهِ الْأَقْرَبُونَ .

١ - قد تكرر، حكاية عن المناقب لابن مردويه، انه ذكر فيه من مائة وثلاثين طريقاً

ان العترة، التى امرت الامة بالتمسك بها كى لن يضلوا ، هم على وفاطمة والحسنان .

وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِهِ الطَّيِّبُونَ . وَنَحْنُ أَحَدُ الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ خَلَفَهُمَا جَدِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي أُمَّتِهِ . وَنَحْنُ ثَانِي كِتَابِ اللَّهِ ، فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ فَالْمَعْوَلُ عَلَيْنَا تَفْسِيرُهُ ... »

١٧١ - مثل اهل البيت

العترة، واهل البيت، وآل محمد، هم الذين يعرفون القرآن ويفسرونه ويرشدون الى سبيل الهدى والسعادة ويسلكونه ولهذا قال الرسول في حقهم :
« ان مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك »^١ ، او غرق^٢ .

وايضا قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« وانما مثل اهل بيتي فيكم مثل باب حطة » في بنى اسرائيل من دخله غفرت له .

الى غير ذلك مما قال (ص) في شأنهم و اشار به الى حقهم و ابان لبيان مقامهم و فضلهم . كل ذلك لكونهم اكمل و افضل و اتقى و ازهد من كل من سواهم فانهم من الرسول بضعة ، خلقوا من طينته و نوره ، و نشأوا في بيت الوحي و الرسالة ، و رضعوا من ثدى الكرامة و الامامة ، و ربوا في حُجُر الطهارة و السفارة ، لا يقاس بهم من الامة احد ، و لا يوازيهم في صفاتهم و كمالانهم الحسبية و النسبية بشر .

فهم بتلك الفضائل و الكمالات ، رضيعا لبان مع الحق ، يدور معهم اينما داروا ، و بتلك المكارم و الصفات استحقوا اقتران ذكرهم في التصلية بالرسول (ص) .

قال الخطيب في تاريخ بغداد (في ترجمة حسين بن نصير) بأسناده عن بريدة

الخزاعي قال :

١ - « كما عن مشكوة المصابيح » .

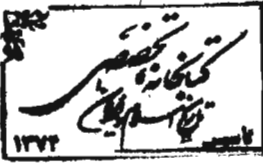
٢ - « كما عن جمع الفوائد رواية عن احمد بن حنبل » (ينابيع المودة) .

« قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف « السَّلام » عليك. فكيف « الصَّلوة » عليك؟

قال (ص) :

« قُولُوا: اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا جَعَلْتَهَا عَلٰى اِبْرَاهِيْمَ اِنَّكَ حَمِيْدٌ مَّجِيْدٌ »

١٧٢ - على لا يُقاس به احد



في « مودة القُرْبى » على ما في ينابيع المودة :

عن ابي وال عن ابن عمر ، رضى الله عنه ، قال :

« كُنَّا اِذَا عَدَدْنَا اَصْحَابَ النَّبِيِّ قُلْنَا : اَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ وَقَالَ رَجُلٌ :

يَا اَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ اِفْعَلِيْ ؟ قَالَ : عَلِيٌّ مِنْ اَهْلِ الْبَيْتِ ، لَا يُقَاسُ بِهِ اَحَدٌ . هُوَ مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ فِي دَرَجَتِهِ . اِنَّ اللّٰهَ يَقُولُ : « اَلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَاَتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِاِيْمَانٍ اَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ » ففَاطِمَةُ مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ فِي دَرَجَتِهِ وَعَلِيٌّ مَعَهُمَا .

وفيه ايضا : « وعن احمد بن محمد الكرزوى البغدادي ، رضى الله عنه ، قال :

سمعت عبدا لله بن احمد بن حنبل قال :

« سألت ابي عن « التفضيل » فقال : اَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ . ثُمَّ سَكَتَ .

فقلت :

« يَا اَبَتِ : اِبْنُ عَلِيٍّ بِنِ ابِي طَالِبٍ ؟ »

« قَالَ : هُوَ مِنْ اَهْلِ الْبَيْتِ ، لَا يُقَاسُ بِهِ هٰؤُلَاءِ .

قال على نفسه في كلام له نقله عنه ، الفقيه المالكي ابن عبد ربه (المتوفى

٣٢٨ هـ . ق .) في كتابه القيم « العقد الفريد » (الجزء الرابع - كتاب العسجدة -) :

« اَلَا اِنَّ الْاَبْرَارَ عِثْرَتِيْ ، وَاَطَائِبَ اُرُوْمَتِيْ ، اَحْلَمُ النَّاسِ صِيغَارًا وَاَعْلَمُ النَّاسِ كِبَارًا . اَلَا وَاِنَّا اَهْلَ الْبَيْتِ ، مِنْ عِلْمِ اللّٰهِ عَلِمْنَا وَبِحُكْمِ اللّٰهِ حَكَمْنَا وَمِنْ قَوْلِ صَادِقٍ سَمِعْنَا فَاَنْتَبَعُوْا اَثَارَنَا تَهْتَدُوْا بِبِصَائِرِنَا ،

مقام على
واهل البيت
على ما قال
ابن عمر
واحمد بن حنبل

مَعَنَا رَايَةَ الْحَقِّ مَنْ تَبِعَهَا لِحَقِّ وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا غَرِقَ الْاِوَابِنَا
تُدْرِكُ نِيرَةَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَبِنَا تُخْلَعُ رِبْقَةُ الدُّلِّ مِنْ اَعْنَاقِكُمْ وَبِنَا فَتُنِجَ
وَبِنَا خُتِمَ .

جَعَلَنَا اللهُ وَايَاكُمْ مِمَّنْ عَرَفَ لِلْعِتْرَةِ ، الْحَقِّ ، وَاَمِنَ بِمَا قَالَ فِي شَأْنِهِمْ -
الرَّسُولِ الْمَصْدَقِ ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ التَّمَسُّكِ بِهِمْ وَصَدَّقَ . فَفُوزٌ بِسَعَادَةِ
النَّشَاطِينَ ، بِتَمَسُّكِنَا بِذَيْلِ الثَّقَلَيْنِ .

١٧٣ - موضع علي من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

كان علي ابن عم الرسول (ص) وتحت كفالته وتربيته في بيته وفي حجره ،
وكان اقرب الناس اليه ، وآسهم به ، واخلصهم للافتداء في سبيله ، واحبهم لديه ،
ولذا زوج ابنته المحبوبة وبَضَعته الطاهرة منه واتخذهُ صهرًا له .

لم يكك يتجاوز سن علي ستة سنة حين ذهب الرسول (ص) مع عمته ، عباس
وحمزة الى بيت عمه الأكبر ابي طالب لتخفيف كاهله عن اعباء العائلة باستصحاب
بعض ولده فارضى النبي (ص) عليًا و آتى به الى بيته المبارك كابن له ، فجعله تحت
تربيته وتكفله .

كان ذلك قبل بعثته (ص) بالرسالة بسنين (سبع ، او اكثر) فكان علي في
حجره وتحت مراقبته وتربيته حين بعثه الله تعالى .

قال علي ، عليه السلام ، في بعض كلماته المنقولة في نهج البلاغة :

« وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ (ص) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ
وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعْنِي فِي حُجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ
وَيَلْقُسُنِي فِي فَرَاشِهِ وَيَمَسُّسُنِي بِجَسَدِهِ وَيَشْمُسُنِي بِعَرْفِهِ وَكَانَ يَمَضِغُ الشَّيْءَ
ثُمَّ يَلْقِمُنِيهِ .

وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلِي وَلَا اَخْطَاةً فِي فِعْلِي .

نشأ علي في حجر
الرسول وفي دار
الوحي وبيت
العتزل

وَلَقَدْ قَرَّبَ اللهُ بِهٖ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ ، مِنْ لَدُنْكَ كَانَ فَطِيماً اَعْظَمَ
مَلَائِكَتِهِ بِسَأَلِكُكَ بِهٖ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ اَخْلَاقِ الْعَالَمِ ،
لَيْلَهٗ وَنَهَارَهٗ .

وَلَقَدْ كُنْتُ اَتَّبِعُهٗ اِتِّبَاعَ النَّفْصِيْلِ اَثَرُ اُمِّهٖ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ
عِلْماً مِنْ اَخْلَاقِهٖ وَيَا مُرْنِي بِالْاِقْدَادِ بِهٖ .

هكذا كان موضع علي من رسول الله (ص) كما افصح علي نفسه عنه ويعرفه -
الناس منه . بعث الله محمداً بالرسالة فكان علي اول من آمن به وصدقته وصلى معه
واتبعه فهو كان كما صرح بنفسه في الخطبة القاصعة :

« . . . فلم يجتمع بيت في الاسلام غير رسول الله وخديجة وانا اللهمما .
ارى نور الوحي والرسالة وانشم روح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان
حين نزل الوحي عليه (ص) » .

١٧٤ - علي والقرآن

كان علي (ع) مع الرسول (ص) في بيته حين البعثة واول نزول الوحي : « واستسقى
عروقه من منبع النبوة ورضعت شجرته ثدي الرسالة وتهدلت اغصانه
من نبع الامامة ونشأ في دار الوحي وربى في بيت التنزيل ولم يفارق
النبي في حال حياته الى حال وفاته » .

لم يكند يفارقه قبل البعثة وبعدها ، لا في الحضر ولا في السفر ، لا في السهل ولا
في الحزن ، لا في البر ولا في الجبل لا في الضيق ولا في السعة ، لا في الحرب ولا في الصلح
والدعة لا في السر ولا في العلن ، ولا في الشدة ولا في الرخاء .

وقد اشار عليه السلام بذلك حيث قال :

« والله ما من آية نزلت في بر أو سهل أو جبل في ليل أو نهار الا وآتانا
اعلم في من نزلت وفي اى شيء نزلت » .

وحيث قال بعد قدومه الكوفة (على ما فصل في الباب التاسع و الثلاثين من كتاب الينايع)^١ :

« ... اِنِّي لَأَعْرِفُ نَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ وَمَحَكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ .

وَمَا مِنْ حَرْفٍ نَزَلَ اِلَّا وَاَنَا اَعْرِفُ فِيْ مَنْ اُنزِلَ وَفِيْ اَيِّ يَوْمٍ وَفِيْ اَيِّ مَوْضِعٍ اُنزِلَ ...

اَنَا الَّذِيْ اَنْزَلَ اللهُ فِيْ « وَتَعَيَّهَا اُذُنٌ وَاَعِيَةٌ » فَاِنَّا كُنَّا عِنْدَ رَسُوْلِالله (ص) فَيُخْبِرُنَا بِالتَّوْحَى فَاَعِيَهُ وَيَقُوْتُهُمْ فَاِذَا خَرَجْنَا قَالُوْا : مَاذَا قَالَ ؟ ...^١ »

١٧٥ - على مع القرآن لن يفترقا

« وفي رواية طويلة^٢ رواها، في من رواها، الحاكم في المستدرک بسند صحيح عن ام المؤمنين ام سلمة قالت : « سمعت رسول الله (ص) يقول :
« على مع القرآن والقرآن مع علي لئن يفترقا حتى يردا علي الحوض ».

« رواها ايضا احمد بن موسى بن مردويه في كتابه « المناقب » من عدة طرق. منها بأسناده عن محمد بن ابي بكر قال :

« حدثتني عائشة ان رسول الله (ص) قال :

« الحق مع علي لئن يفترقا حتى يردا علي الحوض ».

« وروى اخطبا خطباء خوارزم بأسناده عن ثابت مولى ابي ذر عن ام سلمة

قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول :

١ - نقل عن « شرح المواقف » للمدقق الشريف بهذه العبارة : « قوله تعالى : وتعيها

اذن واعية اي حافظة، اكثر المفسرين على انه على ... »

٢ - بناء المقالة .

« عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَبْرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ » .

كتب عليه السلام في جملة ما عهد به الى مالك الأشتر حين ولاه مصر :
« وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا » .

اهل الرسول
هم اولو الامر
وهم الذين
يستنبطون

« فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ ، الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ . وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ ، الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ الْغَيْرِ الْمُتَفَرِّقَةِ . وَنَحْنُ أَهْلُ الرَّسُولِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، الَّذِينَ نَسْتَنْبِطُ الْمُحْكَمَ مِنْ كِتَابِهِ وَنُمَيِّزُ الْمُتَشَابِهَ مِنْهُ وَنَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنْ نَسَخِ اللَّهِ ... »

هذه الروايات واضرابها المتواترة تُشير كلها الى مقام عليٍّ و مرتبته في الدين واحكامه ، وبالنسبة الى القرآن ومقاصده و اغراضه ، وتشير بان علياً «رأس العترة» واصلمها .

١٧٦ - اشارة الى نكتة

وفي ختام هذه الروايات يناسب ان نشير الى نكتة تختلج بالبال وهي :
ان جملة « لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَبْرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ (او «لا يفترقان الى...») صدرت عن الرسول ، في موضعين ، لعله لا يوجد لهما ثالث : احدهما في هذه الروايات الواردة بشأن عليٍّ مع القرآن وثانيهما ماوردت بشأن «العترة» والقرآن .
وكذلك جملة « لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ » (او «لا تضلوا بعده ابدأ») صدرت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في موضعين ، لعله لا ثالث لهما بهذا الاسلوب ايضاً : احدهما في ما وردت بشأن التمسك بالقرآن والعترة . وثانيهما في ما وردت بشأن الأمرين كتاب ودواة عند احتضاره ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أوليس في ذلك تنبيه وإيماء الى كمال ارتباط هذه الموضوعات في تلك -
المواضع بل بالحقيقة اتحادها ووحدتها عند الرسول وفي نظره صلى الله عليه وآله وسلم؟
فتدبر .

١٧٧ - علي في نشأه الديني

كان علي (ع) كما تعلم اول من سمع القرآن وعلمه، وعمل به ، وتحقق
بحقيقته ، وتشرف بمعرفته ، وتخلق باخلاق الرسول العظيمة ، واستضاء من انوار
علومه العيمة ، واطلع على بعثه بالرسالة ، فتأدب بأدابه اقدم واكثر من اى فرد من -
الصحابية ، وتأثر من ارشاده وهدايته ، لاسبق واقدم تأثير فحسب ، بل اشد وانفذ وادوم
تأثير يمكن ان يتأثر به غيره ، ممن فاز بعده بشرف الاسلام وكرامة الصُّحبة .

وكيف لا؟ وهو الذي ، مع سبقه بقبوله الاسلام على الكل ، باتفاق الكل ، كان
قلبه الشريف لحدائته وطهارته كمرآة صافية خالية عن كل نقش ورقش ، آلاماً
انتقش فيه ، من جلكوات جمال الله الواحد الأحد ، واشراقات جلاله وعظمته وقدرته
وكبريائه وجبروته ، وآلاماً علمه الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم ، من حال
مبدئه ، ومن برنامج حياته ، وكيفية ما ينبغي له ان يختاره من اطواره واقواله واعماله
وافكاره ، ومن عاقبة حاله في معاده ، وصيرورة امره اليه في مآله ، وآلاماً كان يرى
ويعرف من الرسول من خلوصه وايمانه وفعاله وصفائه وسائر حالاته .

فتلك التجليات الالهية ، والتعاليم النبوية والمشاهدات العينية ، رسخ في
سويداء خاطره ونفذ في اعماق قلبه ، واثّر في مكنتون نفسه وروحه ونور شراشر وجوده
بحيث صح له وحق ، ان يكشف عن تلك النورانية العريقة العميقة ، في الأزمنة
اللاحقة بما اشتهر من قوله :

« لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا أَزْدَدْتُ يُقِينًا »

فكرة لا تربوية
الرسول (ص)
في علي

١٧٨ - مولدُ عليٍّ ومماتُهُ

وُلد عليٌّ، على ما هو المشهور، في بيت الله، مهد الأيمان، (الكعبة) وعاش ممسوساً بنور الأيمان، وانتقل الى جوار ربه الأعلى من بيت الله (مسجد الكوفة) بكمال الأيمان وتمام الأخلاص و فاز بسعادته العظمى كما لهج به حين ضربه الشقى المرادى، عبد الرحمن بن الملجم، فقال :

« فُزْتُ وَرَبَّ الكَعْبَةِ »

فطلعت شمس وجوده (ع) من شرق بيت الله (الكعبة) وغربت حين اقولها في بيت الله . (مسجد الكوفة) فكان موضع ولادته كموضع شهادته. نعم طلع عليٌّ (ع) من الحق ودار معه حيثما دار ورجع الى الله الحق ولحق بالمكرمين الفائزين بالحق .

١٧٩ - اخلاص عليٍّ

كان ايمان عليٍّ غير مسبوق بالشرك والألحاد، غير مشوب بدران الشبهة والأرتياب، غير مقرون بالتزلزل والأضطراب، فهو في ايمانه خالص مخلص، ثابت كالجبل الراسخ لا يحرّكه العواصف والقواصف، ولذا كان يقى الرسول بنفسه ويفديه بحوائه ومهجته .

صرّح عليٌّ بذلك بعد قول الرسول (ص) له بأخائه، (على ما في المناقب) :

« إِنَّمَا اخْتَرْتُكَ لِنَفْسِي أَنْتَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »

وبكائه شوقاً وفخراً بأخائه، فقال :

« أَقْبَلْتُكَ بِنَفْسِي أَيُّهَا الْمُصْطَفَى الَّذِي

هَدَانَا بِهِ الرَّحْمَنُ مِنْ هَمَّةِ الْجَهْلِ

وَآفَدِيكَ حَوْبَائِي، وَمَا قَدَرُ مُهْجَتِي؟

لِمَنْ أَنْتَمَى مِنْهُ إِلَى الْفِرْعِ وَالْأَصْلِ

مطلع علي (ع)
ومفر به بيت الله

وَمَنْ ضَمَّنِي مُدَكُّنْتُ طِفْلاً وَيَافِعاً
 وَانْعَشَّنِي بِالْبِرِّ وَالْعَمَلِ وَالنَّهْلِ
 وَمَنْ جَدُّهُ جَدِّي وَمَنْ عَمُّهُ عَمِّي
 وَمَنْ آهْلُهُ أُمَّي وَمَنْ بِنْتُهُ أَهْلِي
 وَمَنْ حِينِ آخَا بَيْنَ مَنْ كَانَ حَاضِراً
 دَعَانِي وَأَخَانِي وَبَيَّنَّ مِن فَضْلِي
 وَمِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ وَنُقِلَ عَنْهُ حَتَّى فِي كِتَابِ الْمَعَاصِرِينَ مِنْ فَضْلَاءِ أَهْلِ السَّنَةِ قَوْلُهُ:

مُحَمَّدُ النَّبِيُّ أَخِي وَصِهْرِي
 وَحَمَزَةُ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ عَمِّي
 وَجَعْفَرُ الَّذِي يُمَسِّي وَيُضْحِي
 يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أُمَّي
 وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكْنِي وَعِرْسِي
 مَنْوُطٌ لَحْمُهَا بَدْمِي وَلَحْمِي
 وَسَيْطَا أَحْمَدٍ وَلَدَايَ مِنْهَا
 فَأَيُّكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي؟
 وَصَلَّيْتُ الصَّلَاةَ وَكُنْتُ فَرْداً
 فَمَنْ ذَابِدَعِي يَوْمًا كَيَوْمِي؟

مطاهرة على (ع)

١٨٠ - الرَّسُولُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَعَلِيٌّ

من اصل واحد

كان عليٌّ في جميع اوصافه وفضائله وكمالاته، من العبادة والعدالة والشجاعة والفتوة والمرونة والسخاء والوفاء والورع والزهد والتقوى والعلم واضرابها، من الكمالات والفضائل، شخصاً فardاً، متميزاً عن سائر الصحابة، وكان قمرأ تالياً لشمس الرسالة

متأسياً بالرسول ، متأدياً بأدابه ، متابعاً له في اقواله وافعاله ، مطيعاً لأوامره ولذلك حين آخا الرسول (ص) بين المؤمنين ، اتخذها اخاً لنفسه فأشار بذلك الى ان علياً انسب به (ص) من غيره واشبه له في كمالته واقرب اليه في فضائله وصفاته فهو وعلى من اصل واحد لا يوازيهما احد في مراتب العرفان والأيمان ولا يؤاخيهما من حيث كمال الفضيلة والكمال والأخلاص ، كائناً من كان .

وللاشارة الى ذلك التناسب والتشابه قرنه الله ، تعالى ، برسوله (ص) وجعله كنفسه في قضية المباهلة التي هو ذابيتلى عليك .

١٨١ - تأكيد لما سبق من مقام علي من الرسول (ص)

اتفقت كلمة ارباب التاريخ ، واهل السيرة ، وعلماء التفسير ، على ان اساقفة نجران وعلمائها حين وفدوا الى مدينة الرسول للمناظرة معه (ص) وانتهى الأمر الى قرار المباهلة معهم غداً انزل الله :

« قل تعالوا نَدْعُ ابْنَانَا وَابْنَاتِكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ١٦١ » .
جاء الرسول صباح الغد ولم يكن معه الا ابن عمته ، صهره واخاه علي ، وابنته ، فاطمة ، وابناه منهما ، الحسن والحسين ٢ .

فلما رأى الاساقفة والعلماء ان الرسول (ص) جاء ، واتي معه بأعز الأنفس لدينه وانفسها ، وباحبها عنده وآثرها ، علموا انه على يقين من ربه ، واطمئنان من نفسه ، وايمان راسخ من امره ، فانصرفوا عن المباهلة ، واقترحوا المصالحة ، واقتنعوا بالمسالمة .

١ - من السورة الثالثة (آل عمران) .

٢ - « واخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية « ندع

ابنائنا... الآية » دعا ، صلى الله عليه وآله وسلم ، علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً فقال : اللهم هؤلاء اهلى » (تاريخ الخلفاء للسيوطي - الصفحة ١٦٩) .

فجعل الله علياً في آية المباهلة هذه داخلاً في كلمة « أَنْفُسِنَا » ووضعه في أعلى موضع يليق به، وادرجه في ما عتبر به عن رسوله .

عقد الشيخ سليمان الحنفى فى كتابه « ينابيع المودة » باباً لبيان « انّ علياً ، كرم الله وجهه ، كنفس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » وهو السابع من ابواب الكتاب واورد فيه عدة احاديث فى هذا المعنى من « الصّحاح » و « المسانيد » وغيرها من الكتب - المعتمدة المعتمدة عند علماء السنّة ، نورد بعضها منها هنا :

منها :

« عن مسند احمد بن حنبل عن عبد الله بن حنطب قال : قال رسول الله (ص) لو فُقد ثقيف حين جاءه :

« لَتَسْلَمُنَّ او لَا بَعَثَنَّا اليكم رجلاً كَنَفْسِي لِيضْرِبَنَّ اعناقكم وليَسْبِيَنَّ ذراريكم وليأخذنَّ اموالكم .

« فَالتفت الى علىّ واخذ بيده فقال :

« هُوَ ، هَذَا . مرتين » ١ .

ومنها :

« عن زوائد المسند عبد الله بن احمد بن حنبل عن . . . عن ابن عباس قال : قال رسول الله لأُمّ سَلَمَةَ ، رضى الله عنها :

« يَا اُمَّ سَلَمَةَ عَلَىّ مَنْى وانا من علىّ : لَحْمُهُ مِنْ لَحْمِي وَدَمُهُ مِنْ دَمِي وَهُوَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هِرُونَ مِنْ مُوسَى .

١ - وفى شرح ابن ابي الحديد (المجلد الاول - الصفحة ٩٧ -) : « ... وفى

هذه الواقعة كان الخبر المشهور عن رسول الله (ص) قال لبنى وليعة : لتنتهن يا بنى وليعة او لابعثن عليكم رجلا عديل نفسى يقتل مقاتلكم ويسبى ذراريكم .

« قال عمر بن الخطاب : فماتت الامارة الايوئذ وجعلت انصب له صدرى رجاء ان يقول : هو هذا ، فأخذ بيد على وقال : هذا » .

« يَا أَيُّهَا سَلِيمَةُ ، اِسْمَعِي وَاشْهَدِي ، هَذَا عَلِيُّ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ »

١٨٢ - حديث المنزلة

ممّا ينادى بعلو منزلة عليّ وفضل مقامه وسمو موضعه وشدّة اتصاله بالرّسول وقربه منه ، حديث « المنزلة » .

رؤى حديث المنزلة عن طرق كثيرة معتمدة اوردها مشيخة اهل الحديث واساطينهم في صحاحهم و مسانيدهم و مناقبهم ، وما شبهها من كتبهم الموثوقة بها عندهم ، المعتمدة عليها لديهم .

جمع صاحب ينابيع المودة عدّة منها واوردها في الباب السادس من الكتاب وهو الباب الذي « في ذكر الأحاديث الواردة في انّ حبّ عليّ من الأيمان و حديث فتح خيبر و حديث المنزلة » ننقل هنا ايضاً بعضاً منها من ذلك الكتاب :

منها :

« عن صحيح البخارى بأسناده عن سعد بن ابى وقاص قال : قال النّبىّ (ص)

لعليّ :

« مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَرُونَ مِنْ مُوسَى ؟ »

« وعن صحيح مسلم بأسناده عن سعيد بن المسيّب عن عامر بن سعد بن ابى-

وقاص عن ابيه ، قال :

« قال رسول الله (ص) لعليّ :

« أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَرُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا بَنِيَّ بَعْدِي »

« قال سعيد : فاحببت ان اُشافهه بها سعداً . فلقيت سعداً ، فحدثته بما حدثنى

به عامر .

١- في الجزء الخامس (الصفحة ال ١٩ من طبع بولاق بإمر السلطان عبدالحميد)

هذه الرواية مسندة عن البخارى عن ابراهيم بن سعد بن ابى وقاص .

فقال : اناسمعته . قلت : انت سمعته ؟ فوضع اصبعه على اذنيه فقال : نَعَمْ
والا فاستكثنا^١ .

ومنها :

« عن احمد بن حنبل و عن ابى المؤيد موفّق بن احمد الخوارزمي بنديهما
عن زيد بن ابى اوفى قال :

« دخلتُ على رسول الله (ص) فى مسجده و قد آخا بين اصحابه فقال على :
يا رسول الله فعلت باصحابك وما فعلت بى فقال صلى الله عليه وآله :
« وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا اَخَرْتُكَ لِنَفْسِي ، فَاَنْتَ كَمِئْسَى
بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى اِلَّا اَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، فَاَنْتَ اَخِي و وَاْرِيئِي وَاَنْتَ
مَعِيَ فِى قَصْرِى فِى الْجَنَّةِ مَعَ ابْنَتِي فَاَطْمَء وَاَنْتَ رَفِيقِي .
ثمّ قرأ : اِخْوَانًا عَلٰى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِيْنَ »^٢

ومنها :

« عن صحيح ابن ماجه ، بأسناده عن سعد بن ابى وقاص ، قال :
« قدِم معاوية فى بعض حجّاته فدخل عليه سعد فذكروا عليّاً فقال منه ، فغضب
سعد فقال : تقول لهذا الرّجل ؟ ! سمعتُ رسول الله (ص) يقول :

« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ »

و سمعته يقول :

« اَنْتَ مِئْسَى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، اِلَّا اَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي »

و سمعته يقول :

١- استكك : صم . قال ابن سبجان على ما فى الاغانى :

فان كان نادى دعوةً فسمعتها

فشلت يدي واستكك منى المسامع

٢- الاية ال ٧٧ من السورة ال ١٥ (الحجر).

«لَا عَظِيمَيْنَ الرَّايَةَ الْيَوْمَ (غداً) رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^١.

وفي صحيح البخارى^٢ بأسناده عن مصعب بن سعد عن ابيه : ان رسول الله (ص) خرج الى تبوك واستخلف علياً فقال : اتخلفنى فى الصبيان والنساء ؟ قال (ص) : «الَا تَرْضَى اَنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزَلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، اَلَا اِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِى ؟»

وفي صحيح البخارى ايضاً^٣ فى «باب مناقب على بن ابي طالب القرشى الهاشمى ابي الحسن رضى الله عنه» : وقال النبى لعلّى عليه السلام : « اَنْتَ مِنِّى وَاَنَا مِنِّكَ » .

وروى البخارى ايضاً عين هذه الجملة فى باب عمرة القضاء (الجزء الخامس الصفحة ال ١٤١) فى قضية ابنة حمزة .

ولنجعل ختام الكلام فى هذا المقام مارواه ابن حجر العسقلانى الشافعى (٧٧٣ - ٨٥٢ . ق) (الجزء الرابع الصفحة ال ١٧٠) بالأسناد عن ابي ليلى الغفارى، انه قال : «سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي فِتْنَةٌ فَاِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالزَّمُوا عَلِيَّ بْنَ اَبِي طَالِبٍ فَانَّهُ اَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِسَيِّ وَأَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ الصِّدِّيقُ الْاَكْبَرُ ، وَهُوَ فَارُوقُ هَذِهِ الْاُمَّةِ ، وَهُوَ بَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَالُ

على
يسوب المؤمنين

١- قد اوردنا بعض ماورد فى الصحيح (الجزء الخامس) فى هذا الشأن. وفيه ايضاً بأسناد البخارى « عن سلمة ، رضى الله عنه ، قال : كان على ، رضى الله عنه ، تخلف عن النبى (ص) فى خيبر وكان رمداً. فقال : انا اتخلف عن النبى ؟ ! فلحق فلما بتنا الليلة التى فتحت قال : «لا عظيمين الراية غداً ، اولياخذن الراية غداً ، رجل يحب الله ورسوله ، يفتح عليه» فنحن نرجوها . فقيل : هذا على . فأعطاه ففتح عليه» .

٢- الجزء السادس - الصفحة ال ٣١ - (طبع بولاق) .

٣- الجزء الخامس .

يَعْسُوبُ الْمُتَأَفِّقِينَ»^١.

١٨٣- تلخيص المقال في هذا المجال

والآن ، وقد كنّا في بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حال احتضاره وامره بلتيان الكتاب و الدّواة و شاهدنا ما وقع هنا من اللّغظ و المجدل فقادنا نظم الكلام الى- الإشارة ببندة يسيرة ممّا ورد عنه (ص) في شأن عليّ توطئة لما استراه من حديث السقيفة وبعده ، فلنلخص المقال و نرجع الى سرد حديث وفاة النبيّ (ص) وما حدث بعدها فنقول :

خلاصة القول : انّ الرّسول قد اكمل التعريف بمقام عليّ عند الله و عنده وفي الأمة و بموضعه منه ، و باختصاصه به ، و بأنته شأن من شأنه ، و حسنة سامية من حسناته ، كل ذلك في مدى حياته و لا سيّما قبيل وفاته بعد رجوعه من حجة وداعه في موضع غدِير خُم ، و اشار بان ذلك التعريف و التّعيين من اكمال الدّين ، و اتمام النّعمة ، و ابلاغ ما أنزل اليه من الرّسالة و اتمّ التعريف بالأبصاء اليه بأن يؤدّي دينه و ان يتولّى غسله و كفنه و دفنه .

لم يجعل
النبي (ص)
احداً اميراً
على علي

و بالجملّة انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم اعلن في موارد متعدّدة متناسبة و باساليب مختلفة في التعبير ، متفكّة في الوصف و التعريف ، موضع عليّ من نفسه (ص) ، و اظهر علوّ شأن عليّ في مقام القرب الى الله و قرابته ، في الجسم و الرّوح منه (ص) ، و امتيازّه في الفضل و الفضيلة عمّن سواه ، و استحقيقه لأن يكون له - المولويّة و الخلافة .

و لذلك كما تعتقد الشيعة و تصرّح به لم يجعله مدى حياته تحت اّمارة غيره

١- وفي جمع الجوامع (المعروف بالجامع الكبير) لجلال الدين السيوطي : «ان هذا اول من آمن بي ، وهذا اول من يصابحنى يوم القيامة ، وهذا الصديق الاكبر ، وهذا فاروق هذه الامة ، يفرق بين الحق و الباطل ، و هذا يعسوب المؤمنين ، و المال يعسوب الظالمين» (قاله لعلي)

ولم يُدخله في جيش أسامة الذي أدخل فيه اكابر الصحابة كأبي بكر وعمر (رض) وغيرهما و امرهم بالخروج معه تحت امارته^١.

ختام الكلام

و لنجعل الختام في هذا الباب ما اورده جلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ . ق) في كتابه جمع الجوامع (المعروف بالجامع الكبير) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

« ان وصيتي وموضع سرّي وخير من اترك بعدى و ينجز عِدّتي و يقضى ديني علىّ بن ابي طالب » و نقل الحديث عن :

« مجمع الزوائد (ج ٩ الصفحة ال ١١٣) كتاب المناقب ، مناقب علىّ باب ، في ما وصى به رضى الله عنه » وقال : و عن سلمان قال : قلت :
« يا رسول الله ان لكل نبي وصياً فمن وصيُّك ؟ فسكت عني . فلما كان بعد رأني فقال :

« يا سلمان فاسرعت اليه . قلت لبئيك قال :

« تعلم من وصى موسى ؟ قلت نعم ، يوشع بن نون . قال : ليم ؟ قلت : لانه كان اعلمهم يومئذ . قال :

« فانّ وصيتي وموضع سرّي . . . و ذكر الحديث . وقال رواه الطبراني . . .)

١- انتخاب أسامة وهو شاب لم يتجاوز سنه ثمانية عشر سنة ، لهذا المهم و امارته على شيوخ الصحابة و اكابرهم مثل ابي بكر و عمر و اضرابهما مضافاً الى ماتعتده الشيعة في توجيهه من اخلاء المدينة عن من يحتمل ان يطع في الخلافة و يعير مالماً لخلافة علىّ يحتمل ان يكون لاختضاع الاكابر والشيوخ لمن كان سنه اقل منهم فاذا وقع لهم الانقياد و الخضوع لاسامة ، و سنه سنه ، فلعله يسهل عليهم الانقياد لعل و سنه ينيف على ثلاثين سنة و يقرب من اربعين ولا يعتذرون بأنه اقل سنّاً منهم .

وَأَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ فَلَئِنَّهُ وَقَى اللَّهَ شَرَّهَا .
فَمَنْ عَادَ إِلَى مِثْلِهَا فَاقْتُلُوهُ ،
(مأثور عن عمر ، رض ،)

خلافة ابي بكر و ما وقع فى ايامها

- ١- السقيفة و تعيين الخليفة .
- ٢- الاجتماع فى السقيفة .
- ٣- السقيفة تحت المداقة .

(وفىها ابراد امور سبعة جديرة بالتأمل)

- ٤- اجتهاد القوم .
- ٥- اهل البيت احقّ بالأمر .
- ٦- الاتفاق للأبتراز .
- ٧- البيعة او الاجماع .
- ٨- حديث الفلنة .
- ٩- كتمان امر السقيفة .

١٠- اباحة قتل الصحابى .

١١- قتل سعد بن عبادة (الصحابى المكرّم)

١١- حول الخلافة والخليفة :

١٨٤- السَّقِيفَة و تعيين الخليفة

وردت عن النَّبِيِّ (ص) ، كما دريت ، تلويحات و تصريحات بتعريف عليّ ، و وصف شأنه و تعيين حقه ، و شاعت بين النَّاس و دارت على الألسنة والأفواه فكان يحقّ لعليّ أن يؤكّد في نظره و رايه أنّه لا يكاد يخطر ببال احدٍ ان ينازعه في ما هو حقه فكيف بارادته ان ينتزع عنه ماخوّل الله و رسوله من الحقّ و يصرف عنه الولاية والخلافة ولاسيّما بتلك السرعة والعجلة اي حين كان جسد الرسول المطهر بين ايديهم لم يُغسل ولم يُدفن بعدُ ! (كما صرّح بذلك نفسه في بعض خطبه)
ولكنّ الدهر ذوشتون فيأتي بعجائب لا يكاد تصدّقه العقول ، و لا يوشك ان يتصورها الصافيه من القلوب .

قال ابن ابي الحديد في شرحه على « نهج البلاغة » بعد ما نقل تأكيد الرسول و تشديده لخروج اسامة و جيشه في مابعثه ، و تناقل اسامة و تساهل بعض الصحابة و اشتداد غضب رسول الله (ص) لذلك و رجوع اسامة مع ابي بكر و عمرو و ابي عبيدة لما ظهر لهم آثار وفاة الرسول . صلّى الله عليه و آله و سلّم ، الى المدينة :

« فانتهوا الى رسول الله ، صلّى الله عليه و آله ، حين زالت الشمس من يوم الاثنين و قد مات ، واللواء مع بُرَيْدَةَ بن الخصيب . فدخل باللواء فركزه عند باب رسول الله ، وهو مغلق و عليّ و بعض بني هاشم مشغولون بأعداد جهازه (ص) و غُسله . » فقال العباس لعليّ ، و هما في الدار .

« اُمّد يدك ، ابايكم فيقول النَّاس : عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يختلف عليك اثنان ا .

اقترح العباس
لعليّ ، البيعة
وكيفية المكالمة
بينهما

١- هذا الاقتراح من العباس وهو ، هو ، في عقله و تدبيره و تحنكه و شبه خوخته

بقية الحاشية في الصفحة الاتية

« فقال له :

« أَوَ يَطْمَعُ فِيهَا طَامِعٌ غَيْرِي ؟

« قال : ستعلم . !

« فلم يلبثا ان جائهما الأخبار بانّ الأنصار اقعدت سعيها لتبايعه وانّ عمر

جاء بابني بكر قبليعه وسبق الأنصار بالبيعة . »

١٨٥ - عليّ (ع) و اشتغاله بتجهيز الرسول (ص)

اجاب الرسول داعي الحقّ ولبّاه ، و فاز بما يتمناه من الانتقال الى جوار الله و ثقياه ، وكان عليّ مملوء القلب من الحزن و الغمّ ، مشغول البال بما اصابه من عظيم المصيبة ، لا يكاد يخطر بباله موضوع الخلافة ولا يُهمّه الاّ تخطر فقد الحبيب
 عليّ ان مثله مع ذلك المقام الشامخ الظاهر ، و تلك الكلمات الواردة من الرسول بشأنه و في حقّه ، لا بدّ و ان يكون ، بحسب العادة ، في اطمئنان القلب ، و انشراح الصدر ، و فراغ البال من ذلك الجانب ، جانب الخلافة .
 وكيف كان فتولّى ملاكان عليه ان يتولّى فاشتغل بتجهيز الرسول بالغسل والكفن و الدفن .

كان عليّ في شغل شاغل من امر التّجهيز و لا يخطر بباله ملاكان في سقيفة

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

وقربه من رسول الله (ص) وعلاقته بالاسلام وكونه اسن من عليّ يرشد الى امور:

منها استحقاق عليّ للخلافة عن الرسول.

و منها اولويته من غيره .

و منها عدم مانع لقبول العرب ، او القوم خلافتها ، بعدوا اسن او بعدوا النار او بعدوا

عدم جواز اجتماع الخلافة والنبوة في بيت كما تفوه بذلك .

و لعمر العدل و الانصاف لو قدسه من اخره و خضع له من منعه و ساعده من عانده .

لتمايلت القلوب اليه و تمايلات القوم عليه بل و خضعت رقاب العرب و العجم لديه .

بنى مساعدة في حال التكوّن والتحقّق فقد تماّلت فيها عدّة لا يخلو جمعهم ممّن لم يؤثر الإسلام بعد في طبائعهم الجاهليّة القاسية اثره العميق الراسخ ولم يستأصل عروق الغرور والخيلاء والنخوة من نفوسهم ، ولم يبسّر حبايا حبّ النفس والجاه و ارادة العلوّ والرئاسة والاستكبار في قلوبهم ، فاجتمعوا للبحث عن الخلافة و تعيين الخليفة و دارالبحث بينهم و انجرّ الكلام الى المجادّلة والمشاحنة حتى اوشك ان ينجرّ الأمر الى مالا تحمّد عاقبته .

١٨٦- اجتماع الأنصار في السقيفة

خلاصة القول : لما اجتمعت الأنصار في السقيفة وصل خبر السقيفة و ما كان يجرى فيها الى عمر (رض) فهتف بابى بكر (رض) فأسرعا الى السقيفة و لقي ابا عبيدة الجراح (رض) فذهبوا اليها و كانت غاصّة باهلها من الأنصار ، فارغة عن المهاجرين الابرار و كان ظاهر الامر انهم يريدون ان يبايعوا سعد بن عبادة رئيس الخزرج و كبيرهم . و كانوا « اخرجوه اليهم » ، و هو مريض لا يقدر على الحركة و على الأسماع ، فأقعدته الأنصار ليبايعه و اوشك الامر ان يتم له ففاجاهم ورود المهاجرين الثلاثة : ابى بكر و عمر و ابى عبيدة .

ورود المهاجرين
الثلاثة بسقيفة

قال الطبري في تاريخه ١ :

« فتكلّم ابوبكر فلم يترك شيئا نزل في الأنصار و لا ذكره رسول الله صلى الله عليه و سلّم من شأنهم الا و ذكره . وقال : لقد علمتم ان رسول الله (ص) قال :

١- قال الطبري في تاريخه (بعد قضية غزوة حنين و اعطاء الرسول (ص) الغنائم في قريش و قبائل العرب دون الانصار ، و بعد ذكر تأثر الانصار و تألمهم من ذلك ، و امر الرسول سعد بن عبادة ان يجمع قومه ، و اجتمعهم بأمر الرسول (ص) لاستماع كلامه (ص) : قال في آخر ما قال لهم : « فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار . ولو سلكت الناس شعبا و سلكت الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار . اللهم ارحم الانصار و ابناء الانصار و ابناء ابناء الانصار . . . »

«لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَاذِيًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَاذِيًا سَلَكَتُ وَاذِي الْأَنْصَارِ»
ولقد علمت يا سعد ان رسول الله قال ، وانت قاعد ، قريش ولاة هذا الأمر
ثم بعد مجادلات بويج ابوبكر .

قال الطبري ايضا في تاريخه :

« . . . فقالت الأنصار ، او بعض الانصار ، لا نُبَاعُ إِلَّا عَلِيًّا »

و في رواية من الطبري بأسناده :

«وَأُتِيَ عُمَرُ الْخَبَرَ (يعني خبر الاجتماع في السقيفة) فأقبل الى منزل النبي (ص)
فأرسل الى ابي بكر ، و ابوبكر في الدار و علي بن ابي طالب عليه السلام نائب في
جهاز رسول الله ، فأرسل الى ابي بكر ، ان اخرج الى . فأرسل اليه اني مشغول .
فأرسل اليه : انه قد حدث امر لابد لك من حضوره . فخرج اليه .

« فقال : أما علمت ان الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة ، يريدون
ان يولتوا هذا الأمر سعد بن عبادة ؟ و احسنهم مقالة من يقول : منّا امير ومن قريش
امير . فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا ابا عبيدة بن الجراح . فتماشوا اليهم ثلاثتهم . . . »

١٨٧ - السقيفة تحت المداقة

مما يجدر بالمنصف ان يتوقف عنده ويتأمل فيه من ماجرايات قضية السقيفة
امورٌ اوردها ابوجعفر محمد بن جرير الطبري (مرجع المؤرخين ومعتمد المفسرين)
في تاريخه ونحن نوردها هنا مراعيًا في نقلها عين الفاظها وهي هذه :

الأول :

«ان الأنصار ، او بعض الأنصار ، قالت : لا نباع إلا عليًا»

هذا ما نقله الطبري ويناسبه ما نقله ابن ابي الحديد عن كتاب «السقيفة» لابي بكر

احمد بن عبدالعزيز الجوهرى انه روى عن حباب بن يزيد عن جرير بن المغيرة :

«ان سلمان و الزبير و الانصار كان هويهم ان يبايعوا علياً عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه و سلم . . . »

ارادة الصيغين
ان يبايعا علياً

بل و نقل عن ابي بكر الجوهري ايضاً انه قال في ذلك الكتاب :

« وسمعت ابازيد عمر بن شبة يحدث رجلاً بحديث لم احفظ أسناده قال :

« مرّ المغيرة بن شعبه بأبني بكر و عمر ، وهما جالسان على باب النبي (ص)

حين قبض . فقال :

« ما يتعدكما ؟

« قالوا :

« ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه ، يعنيان علياً ،

قال :

« أتريدون ان تنظروا حبل الحبلّة من اهل هذا البيت ؟ ! وسعوها في

قريش تشع . »

١- « ونهى عن بيع حبل العجلة » ، بتحريكهما : اى فى ما بطن الناقة ، او حمل الكرمة

قبل ان تبلغ او ولد الولد الذى فى البطن ، وكالت العرب تفعله»

(قاموس)

وفى « الصحاح » : « وحبل العجلة نتاج النجاج وولد الجنين . وفى الحديث: نهى

عن حبل العجلة . . . وربها جاء بالتسكين» :

قال ابو نعيم ، فى الحلية بعد ما قال عن مالك عن نافع عن ابن عمر « ان

النبي (ص) نهى عن بيع حبل العجلة» : مشهور من حديث مالك فى الموطأ .

٢- لا يخفى على الناظر ان هذا النقل لا يوافق ما نقلوه وما اوردناها من حديث السقيفة

فى هذه الاوراق ولا يلائم ايضاً ما يراه الصحابان ، ولا سيما الثانى منهما فى اسر الخلافة .

فان كان النقل صدقاً والحديث صحيحاً يمكن ان يكون هناك امر رآه الشاهد ولا يراه

الغائب كان بحسبه لازماً ان يراقب و يمدارك .

وكيف كان فما نسب الى المغيرة من القول لا يخلو عن ملاتمة شديدة لما عرف

فى التاريخ من طور فكر هذا الصحابى الداى و ظهوره فى اعماله و اقواله .

وقال : فقلما الى سقيفة بنى ساعدة»

الثانى :

انه كان الاحتجاج على من اراد الولاية من الأنصار ، للانصار ، بأن النسبة الى قريش والقراية من النسبى (ص) تكون لها شأنها الخاص ، و اثرها اللائق بها فى امر الولاية والخلافة ، فعلى رواية أنه (ص) قال : الأئمة من قريش ، وعلى رواية اخرى قال : «قريش ولاة هذا الأمر»^١

وقال ابوبكر (رض) فى تقرير الاحتجاج وتأكيده :

« . . . فهم أول من عبّد الله فى الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته ، واحقّ الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك الا ظالم . وانتم يا معشر الأنصار من لا يُنكر فضلُهُ فى الدين . . . »

وقال عمر (رض) فى كلام عارض به حجاب بن المنذر فى السقيفة فى ما قال :

١- لا يذهب عليك ان مفاد امثال هذه الروايات (ان فرضت صحة صدورهما) ليس انشاء حكم ايجابى بل يكون مصاغها الاخبار ويظهر ذلك مما رواه الخطيب البغدادي فى تاريخه (ذيل عبد الله بن محمد بن ابي الاسود (المتوفى سنة ٢٢٣ هـ . ق) - المجلد العاشر- الصفحة ال ١٨٢ هـ-) بأسناده عن عمر و بن العاص قال النبى صلى الله عليه وسلم : «الناس تبع لقريش فى الخير والشر» وما رواه ايضا (فى المجلد العاشر - ٥٣١ هـ-) ذيل ترجمة عبد الله بن ابي مقاتل) بأسناده « . . . ثم قال النبى (ص) « . . . اما بعد يا معشر قريش فانكم ولاة هذا الامر » . و اظهر بين الروايتين فى الاخبار ماورد فى تاريخ الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ال ٤٤٤ -) فقد روى بأسناده (قضية سقيفة) :

« . . . فتكلم ابوبكر فلم يترك شيئا نزل فى الانصار ، ولا ذكره رسول الله من شأنهم

الا و ذكره .

«وقال : لقد علمتم ان رسول الله قال : لو سلك الناس واديا وسلك الانصار واديا

سلكت وادى الانصار .

«ولقد علمت يا سعد ان رسول الله قال ، واثبت قاعد ، : قريش ولاة هذا الامر فبر الناس

تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم . . . »

احتجاج ابى بكر
وعمر لصف
الامر عن الانصار

«... ولنا بذلك على مَنْ اَبى من العرب، الحجّة الظاهرة والسّلطان المبين .
 «مَنْ ذا يَنازعنا سلطانَ مُحَمَّدٍ وَاِمَارَتَهُ وِنَحْنُ اَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ اَلَا مُدُلٌّ
 بِبَاطِلٍ اَوْ مُتَجَانِفٍ لِأَثْمٍ اَوْ مُتَوَرِّطٍ فِي هَتَكَةِ ؟»

١٨٨ - اسئلة حول الاحتجاج

ولا على الباحث المنصف ان يمكث هنا هُنَيْهَةً و يتأمل الاحتجاج ويحلّلها
 فيرى بما ذا يصحّ ان يجاب على شيعته ان سألوا :

«أولاً : أما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على ما نقله ابو بكر نفسه :

«لَوْ سَلَكَكَ النَّاسُ وَاذِيًا . . . لَسَلَكْتُ وَاذِيَّ الْاَنْصَارِ . . .»

ثمّ اما اجتمعت الأنصار على سعد بن عبادة ؟ بل اما اجتمعت على عليّ فقالت :
 «لأنبايع الا علياً؟ فلمّ لم يسلكوا سبيل الأنصار وما عذرهم في عدم الأُسوة بالنسبيّ
 المختار؟

النظر
 في الاحتجاج

هَبَّ اَنْ لَهُمُ الْعُذْرُ بِالنَّسْبَةِ اِلَى سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ بِاَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قُرَيْشٍ وَصَحَّ
 عِنْدَهُمْ اَنْ «الائمة من قريش» فما عذرهم بالنسبة الى عليّ و سلوك الأنصار واذي بيعته
 بقولهم «لأنبايع الا علياً» اما كان هو ايضا من قريش ؟!

و ثانياً : اذا كان الملاك في الاحتجاج و الاستدلال لزوم كون الخليفة من قريش
 و لزوم كونه « اول من عبدالله و اول من آمن بالله و بالرسول ، وكان مناط الأحقيّة
 بهذا الأمر كونه من اوليائه و عشيرته ، فهل كان في قريش احد اولي و احقّ من عليّ

١- وفي المنقول عن كتاب السقيفة لابي بكر الجوهري :

«... لنا بذلك الحجّة الظاهرة على من خالفنا و السلطان على من نازعنا . من ذا

يغاصمنا في سلطان محمد و ميراثه و نحن اولياؤه؟...» .

و بما يستلفت النظر في هذا المنقول كلمة «و ميراثه» و كلمة «سلطان محمد» و كلمة

«و نحن اولياؤه» فيه و في ما نقل في المتن .

بهذا المناط؟ اما كان هو اول من آمن و صدق؟ اما كان هو الذي عبد و صلى سنين لم يكن احد غيره و غير خديجة، ام المؤمنين،؟ و هل كان في عشيرة الرسول و اوليائه احد اقرب رحماً منه اليه (غير العباس ، الذي يقترح على علي، البيعة) و اخص به منه ، و آثر و احبّ لديه عنه ، و اقرب عنده ، كي يكون بخلافة الرسول احقّ منه ، و لا يكون في منازعته له ، في حقّه « مُدُلٌّ بباطل » ، او « متجانف لأثم » ، او ظالم متجاوز و متعدّد متجاسر؟

و لِنَدَرُ ما تقوله شيعة عليّ ، او يصحّ ان تقول هنا ، في سنبله ، و ننظر الى عليّ نفسه ، و نصفي ما يقوله في هذا المقام :

فمن كلام له (ع) لما انتهت اليه انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله (ص) ، قال عليه السلام :

« ما قالت الأنصار؟ »

قالوا : قالت : منّا امير و منكم امير .
قال :

فهتلا احتججتُم عليهم بان رسول الله وصى بأنّ يُحسَنَ الى محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم ؟

قالوا : وما في هذا من الحجّة عليهم ؟

فقال : لو كانت الامامة لهم لم تكن الوصية بهم .

ثمّ قال : فما ذا قالت قريش ؟

قالوا : احتجّت بانّها شجرة الرسول .

فقال : احتجّوا بالشجرة و اضاعوا الثمرة .

فليُنظر الى هذا الكلام « احتجّوا بالشجرة . . . » و ليتأمّل فيه كيف احتجّ عليهم بعين ما احتجّوا لهم فاستدلّ لنفسه بعين ما استدّلّوا ، بامتن تعبير . فما اللفظ و اظرفه استدلالاً ؟ .

و في نَهج البلاغة ، بعد كلام طويل له عليه السلام ، :

« و اعتنياه ا تكون الخلافة بالصحابة والقراة . . . ؟ » قال الشريف الرضى ،
 رحمه الله ، : و روى شعر له فى هذا المعنى :
 « فإِن كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكَتْ أُمُورَهُمْ
 فَكَيْفَ جَهَذَا وَ النُّشَيْرُونَ غُيَّبُ ؟
 و ان كنت بالفُرُوسِ أَحَجَجْتَ نَحْصِيْمَهُمْ ؟
 فَغَيْرِكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَ أَقْدَمُ »

١٨٩ - السّؤال الثالث هل كانت البيعة سالمة

عن الأغراض الفاسدة ؟

وثالثاً :

انه اما كانت في صرف الأمر عن سعد بن عبادة ، سيّد الخزرج ، بعد ما كاد ان يتمّ له ، وفي عطفه الى ابي بكر وتمامه له ، عواملُ قويّة من الحسد والعصبيّة والمنافسة- القومية والسياسة الشخصية ؟!

ابن عم سعد
وحده عليه

وذلك انّ بشير بن سعد ، وهو ابن عمّ لسعد بن عبادة ، كان حاسداً عليه في رئاسته ، ومنافساً له على مقامه ومكانته ، لا يكاد يتحمّل رئاسة ابن عمّه على خاصّة قبيلته ، الخزرج ، فكيف يرضى ويتحمّل ان يربّه خليفة الرسول وامير المؤمنين ورئيساً على عامّة القبائل من المسلمين ؟

هذا ، ومن جانب آخر كانت الأوس و الخزرج في الجاهليّة اعداءً فالّف الله بينهما بالاسلام واصبحتا بنعمته اخواناً فلما رأت « الأوس » في السقيفة « ما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض ، وفيهم أسيد بن حُضَيْر ، وكان احد النقباء : وَالله لئن وليتها الخزرج عليكم مرةً لازالت لهم عليكم بذلك ، الفضيلة ولاجعلوا لكم معهم نصيباً ابداً .

كان الأمر على ما علمت في قبيلة الخزرج نفسها من التنافس والتحاسد وهكذا كان الأمر بين القبيلتين : الخزرج والأوس ، ولذلك لما تمّ كلام ابي بكر في السقيفة وتكلّم حباب بن المنذر^١ من الأنصار بكلامه المشهور :

١ - « الحباب المنذر الجموح ... شهد بدرأ و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة . . .

« يا معشر الأنصار املكوا عليكم امركم... انا جُذَيْلُهَا المَحْكُوكُ وَعُدَّ يَنْفُهَا
 الْمُرْجَبُ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُمْ... »^١ وعارضه عمر على ذلك وقال في
 ما قال :

« ولنا بذلك على من ابى من العرب، الحججة الظاهرة... الخ » ودار الكلام بينهما
 وصار الى الخشونة والغلظة حتى قال عمر له : « اذأ ليقتلك الله » وقال هو لعمر : « بل
 آياك يقتل » وحينئذ فقال ابو عبيدة :

« يا معشر الأنصار انكم اول من نصر وآزر فلا تكونوا اول من غير »^٢.

١٩٠ - اول من بايع ابا بكر

هي هنا انتهز بشير بن سعد ، ابن عم سعد بن عبادة ، الفرصة واغتمها فتكلم
 ونصح الأنصار وحثهم من مخالفتهم ومنازعتهم وقال في ما قال :

→

وكلهم ذكره في البدرين ، الا ابن اسحق في رواية سلمة عنه . وكان يقال له : « ذوالراى »
 وهو الذى اشار على رسول الله ان ينزل على ماء بدر للقاء القوم . قال ابن عباس فنزل
 جبريل عليه السلام فقال : « الراى ما اشار به حباب » وشهد احد والخندق والمشاهد
 كلها مع رسول الله (ص) وهو القائل يوم السقيفة « انا جذيلها المحك وعذيقها المرجب
 منا اسير ومنكم اسير » مات الحباب المنذر في خلافة عمر... (الاستيعاب) .

١ - الجزء الثانى من « الكامل » (الصفحة ال ٢٢٣) والطبرى .

٢ - وفي تاريخ يعقوبى « وقام عبد الرحمن بن عوف (بعد ابي عبيدة -
 وعلى هذا كان المهاجرون اربعة -) و تكلم فقال :

« ياسعشر الانصار انكم وان كنتم على فضل فليس فيكم مثل ابي بكر وعمر وعلى .

« وقام المنذر بن الارقم فقال :

« ما ندفع فضل من ذكرت ، وان فيهم لرجلا لو طلب هذا الامر لم يتنازع فيه احد ،

يعنى على بن ابي طالب . »

التنافس
والتحاسد في
الخروج وبينها
وبين الاوس

«ألا ان محمدًا من قريش وقومه احقّ به واولىٰ وَاَيْمُ اللهُ لايرانى الله اُنازعهم في هذا الامر ابدأ» .

وحينئذ أُتيح لأبي بكر (رض) ما يركن اليه و يتقوىٰ به في ما دبّر و اراد فأشار الى صاحبيه، عمر و ابى عبيدة، ودعى الانصار الى بيعة من اختاروه منهما وردّ الصاحبان عليه بأنّه احقّ لتولّى الامر وقال له :

« ابط يدك نبايعكك » .

« فلما ذهابا ليبياعاه سبقهما اليه بشير بن سعد فبايعه .

« فلما رأى الحباب بن منذر ذلك من بشير، وكان يُعرف الحسد والمنافسة

منه لسعد، ناداه :

« يا بشير بن سعد عقت عقاقاً ما احوجكك الى ما صنعت ؟ انفست على ابن-

عمكك الأمانة؟ » .

هكذا روى الطبري في تاريخه (وابن الأثير في كتابه « الكامل ») و روى ابن

ابى الحديد عن كتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري، بعد نقل قول ابى بكر لعمر (رض) :
« هلمّ نبايعكك » وقول عمر له « بل اياك نبايع » :

« قال عمر: فكنت اول الناس مديده الى ابى بكر فبايعه ، الا رجلا من الأنصار،

ادخل يده بين يدي ويد ابى بكر فبايعه قبلى » .

فكان بشير بن سعد الخزرجى من الأنصار هو الذى فتح باب البيعة و بعد بيعته

وصل دور اُسَيْدِ الاَوْسِ .

فلما رأى اُسَيْدِ بن حُضَيْمٍ ما فعله بشير من مبادرته الى البيعة، وهو من الخزرج

وابن عمّ للمترشح للأمانة والخلافة، سهل عليه الأمر فقام و بايع ابابكر .

و فى الأغانى (الجزء ال ١٤ - الصفحة ال ١٤ ذيل ترجمة نعمان بن بشير بن

سعد :

« . . . وله صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولأبيه بشير بن سعد . . . و ابوه

بشير بن سعد اول من قام يوم السقيفة من الأنصار الى ابى بكر، رضى الله عنه ، فبايعه

ثمّ توالى الأنصار فبايعته . . . »

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز ، على ما نقل عنه ابن أبي الحديد :

« فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن عبادة ، وكان حاسداً له وكان من سادة الخزرج قام فقال :

« أيها الأنصار اننا وان كنا ذوى سابقة ... ان محمداً رجل من قريش وقومه احق بميراث امره . وآيتم الله لا يرانى الله انازعهم فى هذا الأمر . فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم » .

« فقام أبو بكر وقال :

« هذا عمر و أبو عبيدة^١ ايها شتم

« فلما بسط يده وذهب لبياعانه سبقهما اليه بشير بن سعد .

« فنادى حباب المنذر :

« يا بشير عتكت عفاقاً ، والله ما اضطرك الى هذا الأمر الا الحسد لأبن عمك .

« ولما رأت الأوس ان رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع قام أسيد بن حضير ،

وهو رئيس الأوس فبايع حسداً لسعد ايضاً وناقسة له ان يلى الأمر ، فبايعت الأوس كلها لما بايع أسيد » .

وقال الزبير بن بكار فى كتابه « الموفقيات » (بنقل ابن أبي الحديد ايضاً عنه) :

« وذكر محمد بن اسحق ان الأوس تزعم ان أول من بايع ابابكر بشير بن

سعد . وتزعم الخزرج ان أول من بايع أسيد بن حضير » .

وكيف كان فقالت الأنصار بعضهم لبعض : « فقوموا فبايعوا ابابكر فقاموا اليه

فبايعوه فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا اجمعوا له من امرهم » .

مبايعة بشير
واسيد
حسد او منافاة

١ - يظهر من هذه العبارة ان عبد الرحمن بن عوف ، او غيره من المهاجرين ، لم

يكن فى السقيفة .

١٩٣ - السُّؤال الرَّابِع كيف اكتملت البيعة

مع عدم حضور الأَكابر؟

ورابعاً:

ليس ممّا اتفق عليه الكلّ أنّه وقعت البيعة على ما وقعت ولم يكن في السَّقيفة وقتل من المهاجرين عدّة من الأَكابر؟

فما كان هناك علىّ، ابن عمّ الرّسول وصهره واخوه، وما كان ايضاً عباس، عمّ الرّسول، وعثمان ذوالنورين، والزبير، حواريّ الرّسول، وطلحة وسعد بن ابي وقاص وعبدالرحمن بن عوف (على اكثر الروايات وعلى ما يستظهر من كلام ابي بكر حين اقتراح البيعة) وغيرهم من قريش واكابرهم وما كان هناك سلمان وابوذر ومقداد وعمّار واضرابهم العظماء من اصحاب الرّسول، المهاجرين البديين، والتّدين قام بجهدهم وجهادهم، الناشى من خلوص ايمانهم وعمود الاسلام، ولم يكن في السَّقيفة ايضاً أسامة بن زيد التّدى كان بأمر الرّسول اميراً عليهم وكان عليهم ان لا يتخلّفوا عنه.

كانت عدّة من حضر في السَّقيفة من المهاجرين ثلاثة: ابوبكر وعمر و ابو عبيدة (او اربعة على رواية) وهم وان كانوا من كانوا ولهم شأنهم ومقامهم، ولكنّه يبقى هنا للسُّؤال مجال، فيقال:

هل نزلت آية او صدرت رواية تفرض على سائر المهاجرين وعموم المسلمين فضلاً عن القرشيين، ولاسيما بنى هاشم، عشيرة الرّسول الأقربين، وفيهم عمّه وابن عمّه، اتّباع تلكئ العدة في ما رأوه من امر الخلافة وعملوا به من فعل البيعة؟ ثمّ أوّ يصحّ عند العقل أنّ يُحكّم بأن سائر الأَكابر (غير هؤلاء الثلاثة، وهم، هم في الفضل والفضيلة والنسبة والقرابة والصّحبة، يلزمهم ان يتبعوا اولئك الثلاثة في ما رأوه، في مثل هذا الأمر الهامّ فيجب عليهم الأظاعة في هذه الشّأن الخطير، الواقع فلتة (كما ادعوا)، والتّسليم بلا مناقشة ولانكثير؟!

أَوَّهْلَ يَقْتَضِي الْعَدْلَ أَنْ لَا يُرَاعَ لِلْغَائِبِينَ ، وَهَمَّ أَكْثَرَ الْمَجَاهِدِينَ ، وَفِيهِمْ أَقْرَبُهُمْ إِلَى الرَّسُولِ ، وَاحْتِبَهُمْ لَدَيْهِ ، حُجَّتَهُمْ وَأَنْ يُجْبَرُوا عَلَى أَمْرٍ غَابُوا عَنْهُ وَمَا حَصَلَ مِنَ الْحَاضِرِينَ ، الْأْتِفَاقَ عَلَيْهِ؟ فَهَذَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَوْلَادُهُ وَأَقْرَبَاؤُهُ ، وَلَعَلَّ ابْنَ الْمُنْذِرِ وَأَصْحَابَهُ ، اسْتَنْكَفُوا فِي السَّقِيفَةِ عَنِ الْبَيْعَةِ .

وَلَعَلَّتْكَ تَكُونُ مِمَّنْ لَا يَشْكُكَ فِي أَنْ الْعَقْلَ وَالشَّرْعَ وَالْأَنْصَافَ وَالْعَدْلَ عَلَى التَّطَابُقِ وَالتَّوَافُقِ فِي أَنْ الْجَوَابَ عَنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ لَا يَبْصَحُ إِلَّا بِاخْتِيَارِ جَانِبِ النَّفْيِ .

١٩٤ - الْأَعْتِذَارُ بِالْأَجْتِهَادِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَيْرَادِ

ان قيل :

اجتهادهم اجاز لهم الورود في هذا الموضوع ، والأقدام بما رأوا من الرأى وزعموا فيه من المصلحة .

فليتأمل في ذلك الاجتهاد وفي هذه الأسئلة التي تتوجه إليه :

١ - هل يجوز الاجتهاد مع وجود النص ؟

٢ - هل كان الاجتهاد خاصاً بفئة ولم يكن جائزاً لغيرهم ؟

٣ - هل كان الغائبون عن السقيفة ، وفيهم على و اكابر الصحابة ، جاهلين بما يقتضيه الدين من مصالح المؤمنين والمسلمين ، عاجزين عن الاجتهاد قاصرين ؟ .

٤ - بماذا ثبت اعتبار ذلك الاجتهاد : بدلالة آية او اشارة رواية ؟ ان كانت

فابن هي ؟ .

وكيف اقتصت باعتبار بعض الاجتهادات دون بعض او باعتبار اجتهاد بعض-

المجتهدين دون غيره ؟ .

وما مناط الترجيح في الاعتبار ؟ .

وبأى دليل يجب على من لم يكن اهل الاجتهاد ان يتبع بعض المجتهدين دون بعض ،

وهم سواسية ، من حيث الاطلاع على المدارك ، والعلم بالمباني والدلائل ، والعلاقة

برعاية الخيرات والمصالح؟

اللهم! ألا ان يقال : اعتبار اجتهاد دون غيره ، وان لم يكن هنا مرجح او كان
وكان مع غيرالمعتبر، ايضا بالاجتهاد!

كلمات
على الاجتهاد
للبيعة
وما يتلوها

وبالجملة اما كان الغائبون من المهاجرين امثال الحاضرين فى الاجتهاد، ان لم
يكونوا افضل واقوى؟ فكما ان اجتهاد الحاضرين جوز لهم الأقدام فى هذا الأمر-
الخطير الهامّ جاز ان يكون اجتهاد الغائبين ادى الى خلاف ما رآه الحاضرون فارشدهم
الى وجود الاجحام عمّاراً وه وراموه، والى ترك الأقدام على ما دعوا اليه وارادوه،
ولزوم التريث والتلبث والتشاور لا ارتكاب البغته والفلته والتبادر.

هَبْ انّ درك المصلحة لنقض ما كان ان يُبْرَم من بيعة سعد فى السقيفة، حملهم،
بل واضطّروهم الى السرعة والفلته لبيعة من بايعوه، فهتلا تركوها بعدالنقض ودفعت سعد
باختيار الأُمَّة ومشاورتهم؟ اللهم! الا ان يدعى انه وجب شرعاً ولزم عقلاً على من بويع
بتلك الكيفيّة ان يحفظ تلك البيعة ويُجْبِر الغائبين ويلزّمهم بها!!

ثمّ اذا صحّ ان يستند فى لزوم البيعة ووجوب التبعيّة، على من كان حاضراً فى
السقيفة ولم يبايع ، كسعد بن عبّادة واولاده واقربائه ومن كان رأيه معه، او على من لم
يكن حاضراً فيها، بوقوع البيعة فى السقيفة (او كما يعبر عنه «الأجماع» من اهل
الحلّ والعقد) وانعقادها فماذا هو الذى يصحّ ان يستند اليه شرعاً (سوى الرأى
الشخصى - الاجتهاد!) لتصحیح بيعة اوّل من بايع فيها؟ وما هى الحجّة الشرعية
على صحّة البيعة من باديتها؟.

فهل يجوز ان يتوهم بيعته كانت مستندة بأية ناصّة او رواية، عامّة او خاصّة،
بل او بيعة او اجماع، بل او وحتىّ مشاوره ومؤامرة من اهلها؟.

ولعلّ الى هذا المعنى اشار الفاروق (رض) حيث عبر عن تلك البيعة بانّها «كانت
فكّلتة» وشدّد فى القول حتىّ امر بقتل من عاد الى مثلها' ، كما ستعرف عن قريب.

١ - وليس لاحد، ولو كان من القائلين بالقياس الفقهي او بالقانون العقلى المشهور:

وكيف كان، اذا كان، ولم يكن هنا لكك سوى الرأى الشخصى فالأشخاص فيه شرع سواء و افراد المسلمين كلهم ، من الحاضرين و الغائبين ، ولاسيما المهاجرين - السابقين ، و البدرين المجاهدين ، سواسية الحق فى الرأى و النظر ، متماثل الأختيار فى القبول او الرد ، ولو وجدنا فرق فيكون بالبيعة اى بعدها و بتمام شرائطها للبيعة و قبل تحققها و تمامها من اهلها فتدبر .

١٩٥ - عدم مبايعة على ستة اشهر

قضى امر البيعة و تم شأن ذلك الحدث الجلل فرُفع لواء الخلافة و انتخبت الخليفة، على ما عبر عنه على (ع) بالاستبداد لا بالاستشهاد، و بالمبادرة لا بالمشاركة، و على ما صرح به عمرو (رض) ، على نحو الفلته و البغنة لاعلى و وجه التريث و المهلة .
قال على لأبى بكر فى مقال :

→

« حكم الامثال فى ما يجوز ولا يجوز ، من جهة المائلة الثابتة ، واحد » ان يقول اذا كان قتل الداعى او القائد واجبا فقتل البادى اوجب . وذلك لان « الاجتهاد » على ما وسعوا فى تفسيره يجوز ان يصير رافعا للنص كما صار كذلك فى عدة موارد منها فى قضية مالك بن نويرة الذى قتله خالد بن الوليد و تزوج من امراته ابيلة قتله فنكلم عمر ، ابا بكر و « اكثر عليه فى ذلك . فقال : هيه ! يا عمر ، تأول فأخطأ . فارفع لسانك عن خالد فالى لا اثم (يعنى لا اعمد) سيفاسله الله على الكافرين . وودى مالك . . . » (الكامل - الجزء الثانى ، الصفحة ٢٦٣ ، -) .

وقال عمر (رض) مخاطبا لخالد بعد ان قام اليه ونزع اسهماً كان مغروراً فى عمامة خالد وخطبها : « ارناء ؟ ! قتلت مسلما ثم نزوت على امراته او الله لارجمكك باحجارك . . . » (الجزء الثانى من الكامل - الصفحة ٢٦٣ - فانظر الى القول فى الاجتهاد وسعته كيف يبرىء خالداً لقتل المسلم و نزوه على زوجته ؟ ثم كيف يجوز للخليفة ان يجعل عمل خالد على التأويل والاجتهاد بحيث يأسر عمر ان يرفع لسانه عنه مع انه يعلم ان خالداً قتل مسلماً (لاغدى ودى عنه) ولذا على امراته و عمر نفسه يحلف باستحقاق خالد للرجم ومع ذلك لا يرحمه بعد القدرة عليه ، وهذا ايضا بالاجتهاد .

« أَفَسَدَتْ عَلَيْنَا أَمْرَنَا لَمْ تَسْتَشِرْ وَلَمْ تَرْعَ حَقَّنَا » .

أورد الطبري في تاريخه نقلاً عن الزُّهري ، بعد سؤال رجلٍ عنه « أَفَلَمْ يبايعه عليُّ سنة اشهر؟ » وبعد قوله في جوابه : « لا' ولأ' احد من بني هاشم حتى يبايعه عليُّ »^١ ، كيفية ذهاب ابي بكر الى بيت عليُّ وقد جمع بني هاشم عنده :

« فقام عليُّ وبعد حمد الله والأثناء عليه قال :

كُنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقًّا فَاسْتَبَدَدْتُمْ بِهِ عَلَيْنَا » .

قال الفقيه المالكي الأندلسي ، ابن عبد ربّه ، في الجزء الخامس من كتابه «العقد الفريد» بعد ما سمى «الذين تخلّفوا عن بيعة ابي بكر، عليُّ و العباس والزُّبير... فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث اليهم ابوبكر، عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة وقال له :

« ان ابوا فقاتيلهم .

فأقبل بقبس من نارٍ علي ان يضرم لهم الدار . فلقينته فاطمة فقالت :

يا ابن الخطاب اجئت لتُحرق دارنا؟!

قال : نعم أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة... »

وقال ايضاً :

« ومن حديث الزُّهري عن عروة عن عائشة قالت : لم يبايع عليُّ ، ابا بكر

حتى ماتت فاطمة وذلك لستة اشهر من موت ابيها فأرسل عليُّ الى ابي بكر فأتاه في منزله فبايعه وقال :

« والله ما نفيسنا عليك ما ساق الله اليك من فضل وخير . ولكننا نرى ان لنا

في هذا الأمر شيئاً فاستبددت به دوتنا وما ننكر فضلك » .

صرح عليُّ في هذه الجملة وحلف علي ما صرح به ، بان تخلّفه عن البيعة لم

يكن ناشئاً عن حسدٍ ، او حبّ جاهٍ ، او هوى نفسٍ ، او بخلٍ ، او عداوة له ، او رذيلة

١ - وفي «الكامل» لابن الاثير (الجزء الثاني - الصفحة ٢٢٠ -) : « ... والصحيح

ان امير المؤمنين ما بايع الابد ستة اشهر » .

ذهب ابي بكر
الى بيت علي

مجيء عمر
لاحراق دار
فاطمة ولها
علي والعباس
والزبير

بريها فيه، او غير ذلك، من الدواعى النفسانيه بل كان لاعتقاده ان ابابكر استبد في ما كان الحق لعليّ فيه، وافسد عليه ما كان له ، تصديبه وتوليّه.

١٩٧- البيعة خارج السقيفة

نقل ابن ابى الحديد عن كتاب السقيفة لأبى بكر بن عبد العزيز ما نصّ الفاظه :
« اجتمعت بنواميته الى عثمان بن عفّان واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن فأقبل عمر اليهم و ابو عبيدة فقال : مالى اراكم ملثائين ! قوموا فبايعوا ابابكر فقد بايع له الناس وبايعه الأنصار.

» فقام عثمان و من معه و قام سعد و عبد الرحمن و من معهما فبايعوا ابابكر و ذهب عمر و معه عصابة الى بيت فاطمة ، منهم أُسيّد بن حُضَيْر و سلمة بن اسلم فقال لهم :

« انطلقوا فبايعوا . فأبوا . عليهم . وخرج اليهم الزبير بسيفه .

فقال عمر : عليكم الكلب ! . فوثب عليه سلمة بن اسلم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار . ثم انطلقوا به وبعلى ، ومعهما بنو هاشم ، وعلی يقول : « اَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَاخُو رَسُولِ اللَّهِ » حتى انتهوا به الى ابى بكر . فقيل له : « بايع » فقال :

« اَنَا اَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، لَا اُبَايِعُكُمْ . وَاَنْتُمْ اَوْلَىٰ بِالْبَيْعَةِ لِي . اَخَذْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ الْأَنْصَارِ وَاَحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِالْقُرَابَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فَأَعْطَوْكُمْ الْمَقَادَةَ وَسَلَّمُوا إِلَيْكُمْ الْأَمَارَةَ ، وَاَنَا اَحْتَجُّ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ مَا اَحْتَجَجْتُمْ بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ فَأَنْصِفُونَا ، ان كنتم تخافون الله ، من انفسِكُمْ واعرفوا لنا من الامر مثل ما عرفت الانصار لكم . وَاَلَا فَبُؤْرًا بِالظَلَمِ وَاَنْتُمْ تَعَلَّمُونَ » .

» فقال عمر :

« انك لست متروكاً حتى تباع !

« فقال له عليّ :

« أُحْلِبُ بِأَمْرِ حَلْبَا لَكَ شَطْرُهُ ، أَشَدُّ لَهُ الْيَوْمَ أَمْرَهُ لِيَرُدَّ عَلَيْكَ غَدًا . لَا وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُ قَوْلَكَ وَلَا أُبَايِعُهُ . »

فقال له ابوبكر : « فأن لم تبايعني لم اكرهك . »

« فقال له ابو عبيدة »

« فقال عليّ :

« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، اللَّهُ ، اللَّهُ ، لَا تُخْرِجُوا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ عَنْ دَارِهِ وَبَيْتِهِ إِلَى بِيُوتِكُمْ وَدُورِكُمْ وَلَا تَدْفَعُوا أَهْلَهُ عَنْ مَقَامِهِ فِي النَّاسِ وَحَقِّهِ ، فَوَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ . أَمَا كَانَ مِنَّا الْقَارِيءُ لِكِتَابِ اللَّهِ ، الْفَقِيهُ فِي دِينِ اللَّهِ ، الْعَالِمُ بِالسَّنَةِ الْمَضْطَلَعُ بِأَمْرِ الرَّعِيَّةِ ؟ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَفِينَا . فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى فَنَزَادُوا مِنَّا الْحَقَّ بُعْدًا . »^١

فقال بشير بن سعد :

« لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ ، قبل بيعتهم لأبى بكر ما اختلف عليك اثنان ، ولكنهم قد بايعوا . »

١ - لا يذهب عليك متانة هذا الاحتجاج و ظرافته فانظر كيف احتج بما كانوا احتجوا به على الانصار بل اعاد عليهم لنفسه ، عين عباراتهم و اشار بان الخلافة حقه وهو اهله اولاً ثم صرح وحلف بان اهل البيت ، وهو اصلهم ورأسهم ، احق بهذا الامر من غيرهم ثانياً ثم بين ووضع سلاك الاهلية والاحقية وهو لقراءة لكتاب الله والفقة في دين الله والعلم بالسنة والاضطلاع بأمر الرعية وحلف بالكناية بانه هو الذي فيه الملاك . واخيراً لما اقام الحججة عليهم نصحهم وانذرهم عن اتباع الهوى وازدياد البعد من الحق . وحينئذ فجرى الحق على لسان بشير بن سعد حيث قال : لو كان هذا الكلام سمعته منك الانصار . . . الخ

كلام علي :
« فوالله لنحن
اهل البيت
احق بهذا الامر
منكم »

لم يبايع علي
حتى ماتت فاطمة

« وانصرف عليّ الى منزله ولم يبايع ولزم بيته حتى ماتت فاطمة، فبايع » .
وقال الطبري في تاريخه (بعد ذكر واقعة السقيفة) :
« فبايع الناس ، واستثبتوا لليعة . وتخلّف عليّ والزبير واخترط الزبير سيفه
وقال : لا اُغمده حتى يبايع عليّ ... »

١٩٨ - أوّل من ابتزّ حقّ عليّ عليّ ما صرّح به معاوية

ارسل محمد بن ابي بكر حين كان عازماً على الخروج مع عليّ الى صفين كتاباً الى معاوية بن هند وذكر فيه مقام عليّ ونصح معاوية وانذره فكان في ما كتبه معاوية في جوابه (عليّ ماحكي ، ابن ابي الحديد عن نصر بن مزاحم - المجاهد الاوّل -
الصفحة ٢٨٤ -) :

« ذكرت حقّ عليّ بن ابي طالب وقديم سابقته ، وقرابته من نبيّ الله ، ونصرته له ،
ومؤاساته ، في كلّ خوف وهول ، واحتجاجكك عليّ وفخرك لفضل غيرك
لابفضلك . فأحمد الهأ صرف ذلك الفضل عنك وجعله لغيرك .

« فقد كنّا و ابوك معنا في حياة نبيّنا نرى حقّ ابن ابي طالب لازماً لنا وفضله
مبرزاً علينا .

« فلما اختار الله لنبيّه ما عنده ، واتمّ له ما وعده ، واظهر دعوته ، وافلج حجته
قبضه الله اليه .

« فكان ابوك وفاروقه ، أوّل من ابتزّه وخالفه على ذلك .

« اتفقنا واتسقا ثمّ دعوا الى انفسهما .

« فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما .

« فهتمّا به الهوم وارادا به العظيم .

« فبايعهما وسلّم لهما .

« لا يُسرّ كانه في امرهما ، ولا يطلّ اعانه عليّ سرهما ، حتى قبضنا وانقضى امرهما ،

الفاقيهما على
ابتزاحق علي
ومخالفتهما له

ثم اقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان فان يكن مانحن فيه صوابا فابوك اوله وان يكن جوراً فابوك اُسّه ونحن شر كاؤه فبهديبه اخذنا، وبفعله اقتدينا . راينا اباك فعل مافعل فاحتدينا مثاله واقتدينا بفعله فعيب اباك بمبادلته او دَعّ والسلام . « هذا ما كتب معاوية في حقّ عليّ وفي شأن من ابتزّه ، وخالفه بالانتفاق والانتساق ، وهمّ الهموم به ، واراد العظيم له واكرهه على البيعة ، ثم صرف الأمر منه الى ثالث ثلاثة .

١٩٩ - أول من ريّث عن هذا الامر

يناسب ان نذكر هنا ما نقل من عمر بن الخطاب (رض) في هذا الشأن . قال ابوالفرج الاصبهاني الأموي (في ترجمة « زهير و اخباره » من كتابه الأغاني) بأسناده عن عمر بن عبدالله الليثي . قال : قال عمر بن الخطاب ليلة مسيره الى الجابية :

« اين ابن عباس ؟ فأتاه . فشكنا تخلف عليّ بن ابي طالب رضى الله عنه .

« فقال : أو لم يعتذر اليك ؟

« قال : بلى !

« قلت : هو ما اعتذر به .

« ثم قال : أول من ريّثكم عن هذا الأمر ، ابوبكر .

ان قومكم كرهوا ان يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة »

٢٠٠ - بعض من تخلف عن بيعة ابي بكر

قال اليعقوبي في تاريخه :

« وجاء البراء بن عازب (يعنى بعد السقيفة) فضرب الباب على بني هاشم

وقال :

« يا معشر بنى هاشم! بويح ابوبكر . فقال بعضهم :
 « ما كان المسلمون يُحدِثون حدثاً نغيب عنه ونحن اولىٰ بمحمد .
 « فقال العباس : فَعَلُّوها وربِّ الكعبة .
 « وكان المهاجرون والأنصار لا يشكّون في عليّ عليه السلام .
 « فلمّا خرجوا من الدّار قام الفضل بن العباس ، وكان لسانُ قريش ، فقال :
 « يا معشر قريش : انه ما حقّت لكم الخلافة بالتّمويه ونحن اهلها .
 « دونكم وصاحبنا اولىٰ بها منكم .

« وقام عتبة ابن ابي لهب فقال :

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الْأَمْرَ مُنْصَرِفٌ

عَنْ هَاشِمٍ ثُمَّ مِنْهَا عَنْ أَبِي الْحَسَنِ

عَنْ أَوَّلِ النَّاسِ إِيمَانًا وَسَابِقَةً

وَأَعْلَمِ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ

وَأَخِيرِ النَّاسِ عَهْدًا بِالنَّبِيِّ وَمَنْ

جَبْرِئِلُ عَوْنٌ لَهُ فِي الْغُسْلِ وَالْكَفَنِ

مَنْ فِيهِ مَا فِيهِمْ لَا يَمْتَرُونَ بِهِ

وَلَيْسَ فِي الْقَوْمِ مَا فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ

« فبعث اليه عليّ فنهاه .

« وتخلّف عن بيعة ابي بكر قومٌ من المهاجرين والأنصار ومالوا مع عليّ ابن-

البيات في استبعاد
الصراف الامر
عن علي (ع)

اسماء الاكابر
من المتخلفين

١ - وفي «قاموس الرجال» (المجلد الرابع - الصفحة ١٢ -) للمحقق الشوشترى المعاصر
 نقلا عن المفيد في ارشاده « ان خزيمه بن ثابت ، ذوالشهادتين ، انشأ يقول في غضبهم
 لحق امير المؤمنين عليه السلام : ما كنت احسب هذا الامر منصرفاً ... الخ و زاد بعد ما
 في المتن من الايات ، هذا البيت :

ها ان بيعتكم من اغبن الغين .»

ماذا الذي ردكم عنه فنعلمه

ابى طالب ، منهم العباس بن عبدالمطلب و الفضل بن العباس و الزبير بن العوام -
ابن العاص و خالد بن سعيد و المقداد بن عمرو و سلمان الفارسى و ابوذر الغفارى
و عمار بن ياسر و البراء بن عازب و ابي بن كعب

٢٠١ - البيعة ، او الاجماع ، وما فيها

مما يورث العجب اطلاقهم لفظ «الاجماع» على تلك «البيعة» فى كلماتهم ،
واعجب منه ما نقل ابن الحديد عن «اصحابه» فى تصحيح ذلك «الاجماع» بحقيقة
معنى الكلمة ، واغرب من هذا جداً ادعاء تأثير صحة خلافة عمر فى صحة خلافة
ابى بكر باستناد حصول «الاجماع» على خلافة عمر . فانظر واعتبر .

فهو ، ابن ابي الحديد ، بعد ما نقل كلام قاضى القضاة فى «اجماع الأمة على
خلافة عثمان» ورد السيد المرتضى عليه واطال بما نقل عنهما من التقص والأبرام
قال :

« قلت : اما اذا احتج أصحابنا على امامة ابي بكر بالاجماع فاعتراض حجبتهم ،
بخلاف سعد وولده واهله اعتراض جيد ، ولا يقول أصحابنا فى جوابه :
« هؤلاء شذوذ فلان تحفيل (اى لانعتد) بخلافهم وانما المعتبر بالكثرة التى
بأزاتهم . »

وكيف يقولون هذا وحجتهم «الاجماع» ولا اجماع؟

ولكنهم اجابوا عن ذلك بأن سعد مات فى خلافة عمر فلم يبق من يخالف فى
خلافة عمر فاعتقد «الاجماع» عليها ! و بايع ولد سعد واهله من قبل . واذا صحت
خلافة عمر صحت خلافة ابي بكر لأنها فرع عليها . ومحال ان يصح الفرع ويكون
الأصل فاسداً !

فهكذا يجيب أصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد ، اذا احتجوا بالاجماع . . .
فيا لله ولهذا الجواب من اصحاب الوفا ! وهل يكون هذا الجواب الا مصداقاً جليلاً
للاكل من القفا .

ان كنت ممن يتعجب من غرابة هذا الجواب من اصحاب العدل وارباب الفضل للتصحيح والمرمة فاعلم ان العجائب جمّة فهذا جلال الدين السيوطي ، علامة - العلماء مفضل الفضلاء ، قال في ما قال في حق عبد الملك بن مروان (تاريخ الخلفاء - الصفحات ١٢ - ٢٢٠ -) .

« افضى الأمر الى عبد الملك والمُصحف في حُجره فأطبقه وقال : هذا آخر - العهد بك . . . »

« . . . وهو أول من غدر في الإسلام . . . وأول من نهى عن الأمر بالمعروف . »
« وقوله في الخطبة التي خطبها بالمدينة : « . . . والله لا يأمرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا ألا ضربت عنقه » .

« وقلت (السيوطي) : لو لم يكن من مساوي عبد الملك إلا الحجاج ، وتوليته آياه على المسلمين وعلى الصحابة ، رضى الله عنهم ، يهينهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً ، وقد قتل من الصحابة واکابر التابعين ما لا يحصى ، فضلاً عن غيرهم ، وختم في عنق انس وغيره من الصحابة ختماً ، يريد بذلك ذلهم ، فلا رحمه الله ولا عفا عنه . »

ومع ذلك قال (السيوطي) : « وُلد عبد الملك سنة ست وعشرين (٢٦) بويج بعهد من ابيه في خلافة ابن الزبير ، فلم تصحّ خلافته . وبقي متغلباً على مصر والشام . . . الى ان قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين فصحّت خلافته من يومئذ . »
وقال في موضع آخر (من تاريخ الخلفاء) :

« والأصحّ ما قاله الدهبي : ان مروان لا يُعدّ في امراء المؤمنين بل هو باغٍ خارج على ابن الزبير ولا عهده الى ابنه بصحيح وانما صحّت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير ١ » .

تصحيح خلافة
عبد الملك :
بقوله ابن الزبير
الخلافة ١ .

١ - ليس من العجب العجائب ان يصير الباغي على الخلافة والقائل له ، خليفة وصارت خلافته « صحيحة » من حين قتله الخلافة . اللهم الا ان يكون المراد من الصحة في قوله

٢٠٢- السؤال الخامس اماصرح عمر (رض) بكون

تلك البيعة فلتة ؟

و خامساً :

أما كان «بيعة ابي بكر كانت فلتة» وقى الله شرها» كما اشتهر بينهم، وحتى اعترف بها الشيخان^١ ؟

صرح عمر نفسه (رض) بذلك وقد نقل عنه في الكتب المعتمدة المعتمدة الكثيرة منها التاريخ الطبري فيه «بعدها كان سمع عن بعضهم انه قال: «لو قدمات امير المؤمنين (يعنى عمر) لقد بايعت فلاناً» صعد المنبر وقال :

«ثم بلغنى ان قائلاً منكم يقول : لو قدمات امير المؤمنين بايعت فلاناً .

«فلا يغرنّ آمرأ ان^١ يقول : ان بيعة ابي بكر كانت فلتة . فقد كانت كذلك

غير ان الله وقى شرها .

«وانه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه (ص) ان علياً والزبير ومن معهما

تخلفوا عنّا فى بيت فاطمة و تخلفت عنا الأنصار بأسرّها واجتمع المهاجرون الى ابي بكر^٢ .

ان بيعة ابي بكر
كانت فلتة

→ معنى آخر لا يفهم العرف و على اى حال ليس هذا اول قارورة كسرت فى الاسلام فهو معاوية، الباغى على على الخليفة بالحق، يحاربه و يحارب الصحابة الكبار و يقتلهم فيصير خليفة المسلمين واسير المؤمنين : و تصح خلافته (على ما اهداه السيوطى) بعد ما لم تكن بصحيحة !

١- وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى ، فى فصل المبايعة لابي بكر (رض) :

«روى الشيخان ان عمر بن الخطاب (رض) خطب الناس مرجعه من الحج فقال

فى خطبة «قد بلغنى ان فلاناً منكم يقول : لومات عمر بايعت فلاناً . فلا يغترن امرؤ...»

٢- ماذا اراد عمر (رض) بهذه الجملة و الجملة التى بعدها (و بايعه المهاجرون)

و لم ينقل احد اجتماع المهاجرين الى ابي بكر قبل السقيفة ولا اجتماع المهاجرين فى-

السقيفة غير ابي بكر و عمر و ابي عبيدة (وعلى رواية و عبد الرحمن بن عوف) كى يصح

«بايعه المهاجرون»؟ فابن كان ذلك المجتمع؟ و من كانوا هؤلاء المجتمعون من المهاجرين .

اللهم الا ان يقال : كان الاجتماع من اجتماع قبل السقيفة و لتدبير امر السقيفة فتدبر.

«فقلت لأبى بكر : انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الأنصار . فانطلقنا نؤمهم .
 فلما اشفتُ الاختلاف قلت لأبى بكر : ابسط يدك ابايعةك .
 فبسط يده فبايعته و بايعه المهاجرون و الأنصار .
 ثم نزلنا على سعد (وهو وجيعٌ مُزْمَلٌ) حتى قال قائلهم : قتلتم سعد بن
 عبادَةَ ! فقلت : قَتَلَ اللهُ سعدًا »

قال ابن ابى الحديد بعد نقله هذه القضية عن الطبري كما نقلنا :
 «فامّا حديث «الفلثة» فقد كان سبق من عمر ان قال :
 «ان بيعة ابي بكر فلثة و قى الله شرّها . فمَن عاد الى مثلها فاقْتُلُوهُ»

٢٠٣ - خطبة عمر (رض) وكون البيعة فلثة

قال «الامام العلامه عمده المؤرخين» و عمادهم عز الدين على بن ابى الكرم
 محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير
 الجزري ، (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ . ق) في كتابه الكامل (الجزء الثاني - الصفحة ال ٢٢٠)
 «وقال ابن عباس : كنت اُقرىءُ عبدالرحمن بن عوف ، القرآن فحجّ عمر
 وحججنا معه فقال لى عبدالرحمن :

«شهدتُ امير المؤمنين اليوم بمنى وقال له رجل : سمعت فلاناً يقول : لومات
 عمر لبايعتُ فلانا .

» فقال عمر : انتى لقائم العشيّة بين الناس احذرهم هؤلاء الرهط الذين

١- قال ابن ابى الحديد (المجلد الاول الصفحة ال ١٢٣ من شرحه) : «وقال شيخنا
 ابو القاسم البلخي : قال شيخنا ابو عثمان الجاحظ ان الرجل الذى قال «لومات عمر
 لبايعت فلانا» عمار بن ياسر قال : لو قد مات عمر لبايعت عليا عليه السلام و هذا القول
 هو الذى هاج عمر ان خطب بما خطب به . وقال غيره من اهل الحديث : انما كان
 المعزوم على بيعته لومات عمر ، طلحة بن عبيدالله .

يريدون ان يغتصبوا الناس امرهم^١ .

« قال : فقلت :

« يا امير المؤمنين انّ الموسم يجمع رَعَاع النَّاسِ و غوغائهم و هم التّدين يغلبون على مجلسك و اخاف ان تقول مقالة لا يعرّوها ولا يحفظوها [ولا يضعوها على مواضعها] و يطيروا بها [كلّ مطبر] ولكنّ امهل حتى تقدّم المدينة و تخلص باصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلم فتقول ماقلت [متمكّنا] فيّعوّوا مقالتكك .
« فقال : و الله لأقومنّ بها أوّل مقام اقومه بالمدينة .

« قال : فلمّا قدمت المدينة هجرت يوم الجمعة لحديث عبد الرحمن فلمّا جلس عمر على المنبر حمد الله و اثني عليه ثمّ قال ، بعد ان ذكر الرّجم و مانسخ من القرآن فيه ، :

« انّه بلغني انّ قائلاً منكم يقول : « لو مات امير المؤمنين بايعت فلاناً ، فلا يغرّنّ امرءاً ان يقول : انّ بيعة ابي بكر كانت فلتة . فقد كانت كذلك و لكنّ الله و قيّ شرّها^٢ و ليس منكم من تقطع اليه الأعناق مثل ابي بكر و انّه كان خيرنا حين توفّي رسول الله (ص) . و ان عليّاً و الزبير و من معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة . . .^٣ »

١- لاتستل عن امر السقيفة و الاغتصاب فظن به خيرا .

٢- حدث البخارى في صحيحه (الجزء الرابع - باب رجم الحبلى من الزنا اذا احصنت)

بأسناده عن ابن عباس هذا الحديث بزيادات :

منها ، الاشارة الى انزال الله آية الرجم .

و منها آية «ان لا ترغبوا عن اباكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن آباكم . . .»

و منها فى آخره قوله (رض) : «فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع

هو ولا الذى بايعه تغرة ان يقتله» .

٣- ما نقلناه عن الكامل المذكور فى الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ٤٤٥)

٢٠٤- حديث ابن عمر عن ابيه في كون البيعة فلتة

قال ابن ابي الحديد (شرح نهج البلاغة) : (نقلًا عن الشافى للسيد المرتضى)
 « روى الهيثم بن عدى عن عبدالله بن عباس الهمداني عن سعيد بن جبير ،
 قال :

« ذُكر ابو بكر عند عبدالله بن عمر فقال رجل :

« كانا والله شمسى هذه الأمة ونورينها .

« فقال ابن عمر : وما يدريك ؟ قال الرجل : اليس قد ائتلتا ؟

« قال ابن عمر : بل اختلفا ، لو كنتم تعلمون .

« أشهد انى كنت عند ابي يوماً ، وقد امرنى ان احبس الناس عنه ، فاستأذن

عليه عبدالرحمن بن ابي بكر فقال عمر : دُويبة سوءٍ و لهو خير من ابيه !

« فأوحشنى ذلك منه . فقلت ، يا ابا ، عبدالرحمن خير من ابيه ؟ !

« فقال : ومن ليس خير من ابيه ؟ لا ام لك . ائذن لعبدالرحمن .

« فدخل عليه . فكلمه فى الحطية الشاعر ان يرضى عنه ، وقد كان عمر

حبسه فى شعره قاله .

« فقال عمر : ان فى الحطية اودأ فدعنى اقومه بطول حبسه .

« فألح عبدالرحمن و ابي عمر فخرج عبدالرحمن .

« فأقبل على وقال :

« افى غفلة انت الى يومك هذا ، عما كان من تقدم اُحيمقُ بنى تيم علىّ

و ظلمه لى ؟

« فقلت : لاعلم لى بما كان من ذلك .

١- «و الحطية ، الرجل القصير قال ثعلب و به سمي الحطية لدامته .»

كلام عمر فى
 حق ابن ابي بكر
 و انه خير من ابيه

« قال : يا بُنَيَّ فما عسيت ان تعلم ؟

فقلت : والله لهو احبّ النَّاس من ضياء ابصارهم .

« قال : انّ ذلك لكذلك على رغم ابيك و سخطه .

« فقلت : يا ابت افلا تجلّتي عن فعله بموقف في الناس لثبّين ذلك لهم ؟

« قال : وكيف لى بذلك مع ما ذكرت انه احبّ الى النَّاس من ضياء ابصارهم ؟

اذن يُرَضِّخ راس ابيك بالجنديل :

« قال ابن عمر : ثمّ تجاسروا الله فجسر فما دارت الجمعة حتى قام خطيبا في-

الناس فقال :

« ايها الناس انّ بَيْعَةَ ابي بكر كانت فَلَئْتُمْ وَقَيَّ اللهُ شَرَّهَا فَمَنْ دَعَاكُمْ

الى امثليها فاقْتُلُوهُ »

٢٠٥- تصريح ابي بكر بكون البيعة فلتة

قال عز الدين بن ابي الحديد ايضا : (المجلد الاول - الصفحة ال١٢٨)

« وفي كتب غريب الحديث » في تَمَّة كلام عمر :

« فأَيُّما رجل بايع رجلا بغير مَشُورَةٍ من النَّاس فلا يُؤمَرُ واحد منها تَغِيرَةً

ان يُقْتَلَا »

« قالوا : غرر تغيراً و تغيرة كما قالوا : حلل تحليلاً و تحليلة و علل تعليلا

و تعليّة ، وانتصب ههنا لأنّه مفعول له . و معنى الكلام انه اذا بايع واحد لاخر بغتة

من غير سُورى فلا يُؤمَرُ واحد منهما لأنّهما غرّرا بأنفسهما تغيرة و عرضاها لأن

يُقْتَلَا »

وقال ايضا (المجلد الاول - الصفحة ال١٣٢-) رواية عن ابي بكر بن عبد العزيز

الجوهري ، بعد نقل ذهاب عمر و عصابة ، منهم أسيد بن خُصَيْبٍ ، الى بيت

فاطمة و اخذهم سيفي عليّ و الزبير وكسرها ثمّ اخراج عمر اياهما وسوقهما لأخذ

البيعة :

ظلم ابي بكر
لعمر في تقدمه
عليه على ما قال
به عمر

«ثم قام ابوبكر فخطب الناس و اعتذر اليهم وقال :
« ان يبعثى كانت فلنته وقى الله شرها و خشيت الفتنه . . . »

٢٠٦- السؤال السادس ماوجه كتمان عمر امر السقيفة ؟

وسادساً :

لما اذا اراد عمر (رض) ان يكتم امر السقيفة ، قبل ذهابه اليها عن غير ابى بكر
من المهاجرين ؟

فقد كان اكابر المهاجرين مجتمعون فى بيت النبى (ص) و ، على ما دريت
من قول الطبرى ، كان ابوبكر معهم فيه « فلما اتى عمرو الخبى فأقبل الى منزل النبى (ص)
فأرسل الى ابى بكر : ان اخرج الى . . . فخرج اليه فقال : اما علمت ان الانصار
قد اجتمعت فى سقيفة بنى ساعدة ؟ . . . فمضيا مسرعين نحوهم . فلقيا ابا عبيدة بن
الجراح فتماشوا اليهم ثلاثهم . . .
وهيلنا يتوجه هذا السؤال :

لِمَ خُصَّ ابوبكر بالأطلاع على هذا الأمر الهام الذى يتعلّق بالاسلام ،
ويتوقف على آراء المسلمين عموماً ، ويرتبط بالمهاجرين ، ولا سيما القرشيين
منهم ، و فيهم عم الرسول و ابن عمه و زوج ابنته ، خصوصاً ؟

ولِمَ لم يُخبروا بذلك العباس وعلياً والزبير وغيرهم من الأكابر والأقارب-
الذين كانوا فى بيت الرسول و كان ابوبكر فيهم و معهم ؟!

اترى ان هذين العظيمين يزعمون ان افشاء الامر و اظهاره لهؤلاء الأكابر ،
ودعوتهم الذهاب معهما جميعاً الى السقيفة يوجب لهم و هن و فشل فى افحام الانصار
و صرف الأمر عنهم و عطفه على المهاجرين او على خصوص قريش ؟!

او تزعم ان هؤلاء الأكابر من قريش و المهاجرين كانوا راضين بالبيعة لمن
اراداه و يرباه ، موافقين لمن اقترحاه و مع هذا اقدما فى كتمان الأمر عنهم و اخفاء
الواقعة عليهم ؟

أَوْ تَظَنّ أَنْ الْأَنْصَارَ فِي السَّقِيْفَةِ كَانُوا بِحَيْثُ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ هَؤُلَاءِ الْعِظَمَاءُ مَتَّعُوهُمْ وَ طَرَدُوهُمْ وَ لَمْ يَرْتَضُوا بِصَحَابَتِهِمْ مَعَهُمَا فَأَشْفَقُوا لَهُمْ وَ لَمْ يَخْبِرَاهُمْ صَوْنًا لِكِرَامَتِهِمْ ۱؟

أَمَا كَانَ هَذَا مِنْ « اغْتِصَابِ النَّاسِ أَمْرَهُمْ » الَّذِي لَا يَرْتَضِيهِ عَدْلُ عَمْرٍو (رَضٍ) وَ يَتَحَاشَاهُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي مَا نَقَلَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ عَنْهُ وَ أوردناه آنفًا ؟

٢٠٧- السّؤال السّابع بما ذا يوجّه الأمر بقتل الصّحابى العظيم ؟

و سابعاً (وبه نكتفى عن السؤال)

ما هو الامر الذى سوّغ لعمر ان يأمر بقتل سعد بن عبادة ، بل لما ذا اراد ان يقتله بنفسه ؟

فلننظر ماذا هو الذى اباح دم هذا الصّحابى الكبير وصيره مهذور الدم بل جعله واجب القتل ؟

اقتضى من سعد بن عبادة ؟

هل كان سعد فى السقيفة اشرك بالله العظيم ؟ او انكر رسوله و كفر بدينه ؟ او قتل مؤمناً متعمداً بغير حق ؟ او ارتكب عملاً منكراً و اتى بفاحشة مبيّنة استوجب القتل ؟

لعلك ايها الناظر لاتعرف سعداً و تحب ان تعرفه فانظر الى ما اورد بتعريفه و الحافظ ، المحدث ، الفقيه ، المالكي ، ابن عبد البر (المتوفى سنة ٤٦٣) فى كتابه « الأستيعاب فى اسماء الأصحاب » و اعرف شأنه ايضا ممّا عرفه به « شيخ الإسلام ، امام الحفظ ، الفقيه ، الحافظ ، المحدث » ابن حجر العسقلانى الشافعى (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . ق) فى كتابه « الأصابة فى تمييز الصحابة » . و ان صعب عليك النظر فى ذينك الكتابين المعتبرين فأعير نظرك لمحةً و انظر الى ما نلخصه منهما ، مع حفظ عين عبارتهما ، و نذكره لك فاعرفه ثم انصف :

٢٠٨- ملخص ما في الاستيعاب

قال ابن عبد البر :

« سعدُ بنُ عبادة بن دليم . . . الأنصاري كان نقيباً شهيد العقبة و شهيد بدرأ على ما قاله جماعة ، منهم الواقدي . . . وكان جواداً ، سيداً في الأنصار ، وجيهاً ، له رئاسة و سيادة يعترف قومه له بها .

« و في هذا السعد و سعد بن معاذ جاء الخبر المأثور ان قريشاً سمعوا صائحا يصيح ليلاً على ابي قبيس :

« فأن يُسلم السعدان يُصبح محمداً

بمكة لا يخشى خلاف المخالف »

« والى هذين السعدين ارسل رسول الله (ص) يوم الخندق يشاورهما في ما اراد ان يعطيه يومئذ عيينة بن حصين من ثمر المدينة لينصرف بمن معه من غطفان ويخذل الأحزاب فاراد الرسول (ص) اعطاء الثلث و ابي عيينة الا ان يأخذ النصف فأرسل رسول الله (ص) الى سعد بن معاذ و سعد بن عبادة دون سائر الأنصار ، لأن ابن معاذ كان سيد الأوس و ابن عبادة كان سيد الخزرج فشاورهما في ذلك . فقالا :
« يا رسول الله ان كنت اميرت بشيء فافعله وامض له ، و ان كان غير ذلك فوالله لانعطيهم الا السيف .

« فقال رسول الله :

« لم لومر بشيء . لو اميرت بشيء ماشاورتكم . و انتم اري اعرضه عليكم
« فقالا : يا رسول الله ما طمعوا بذلك منا قط في الجاهلية فكيف الرسول و قد هدانا الله بك و اكرمنا و ايدنا ؟ والله لانعطيهم الا السيف .

١- في النسخة بالياء المثلثة و يحتمل ان يكون في الاصل بالمنقطتين و كيف كان

فالمراد به التمر.

« فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِذَلِكَ وَقَالَ لِعُيَيْنَةَ ، وَ مِنْ مَعَهُ : اِرْجِعْ فليَسَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ اِلَّا السَّيْف .

لم يبايع سعد
حتى مات بعد
مضى سنتين
و نصف من
خلافة عمر

« وَ تَخَلَّفَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَ لَمْ يَنْصَرَفْ إِلَيْهَا إِلَى أَنْ مَاتَ بِحُورَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، بِسِتِّينَ وَ نِصْفٍ مَضِيًّا مِنْ خِلافةِ عُمَرَ وَ ذَلِكَ سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةَ .

« وَ لَمْ يَخْتَلَفْ أَحَدٌ أَنَّهُ وَجِدَ مَيْتًا فِي مُغْتَسَلِهِ وَقَدْ اخْضَرَ جَسَدُهُ وَ لَمْ يَشْعُرُوا بِمَوْتِهِ حَتَّى سَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ وَ لَا يَرُونَ أَحَدًا :

نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخِـ
زَرْجَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ
نَحْنُ رَمَيْنَاهُ بِسَهـ
سَمِينٍ لَمْ نُخْطِ فِؤَادَهُ
« وَيُقَالُ : إِنْ الْجَنِّ قَتَلْتَهُ . » اِنْتَهَى مَا فِي الْأَسْتِعَابِ مَلَخْصًا .

٢٠٩- ملخص ما في الأصابة

و ملخص ما أورده ابن حجر العسقلاني في شأن ابن عبادَةَ في كتابه «الأصابة» .
« سعد بن عبادَةَ بن دليم ، كانت لأُمِّها عمرة بنت مسعود صحبة و ماتت سنة خمس و شهد سعد العَقَبَةَ وَ كان أحد النقباء . وَ اثبت البخاري شهودَهُ بدرأ .
« وقال ابن سعد : كان يكتب بالعربية و يُحسن العَومَ وَ الرَّمْيَ فكان يقال له :
«الكامل» وَ كان مشهوراً بالجدود ، هُوَ وَ أبوه وَ جدُّه وَ ولده .

« وَ عن ابن عباس : كان لرسول الله (ص) في المواطن كلها رايَتان : مع عليٍّ راية المهاجرين و مع سعد بن عبادَةَ راية الأنصار .

« وقال قيس بن سعد : زارنا النبيّ (ص) في ميزنا فقال (ص) :

١- قيس بن سعد هذا كان بمنزلة الشرطي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما في الكتب المعتمدة . منها في كتاب «البدء والتاريخ» (الصفحة ١١٥ من المجلد الثاني) : «ومن ولده (يعني ولد سعد) قيس بن عبادَةَ ، الداہي ، الشجاع ، الفطن ، وهو من شيعة علي ، فكان للنبي (ص) بمنزلة الشرطي يهابه الناس مالا يهابون غيره وكان صاحب راية الانصار يوم بدر»

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ... الحديث . وفيه : ثم رفع يده فقال :
«اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَتَكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى آلِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ» وروى
ابو يعلى من حديث جابر قال : قال رسول الله (ص) :

«جَزَى اللَّهُ عَنِّي الْآنَ نَصَارَ خَيْرًا وَلَا سَيِّمًا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ حَزْمٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ»
و رُوِيَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ :

«كَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ إِذَا آمَسُوا انْطَلَقَ الرَّجُلُ بِالوَاحِدِ وَالرَّجُلُ بِالْأَثْنَيْنِ وَالرَّجُلُ
بِالْجَمَاعَةِ فَأَمَّا سَعْدٌ فَكَانَ يَنْطَلِقُ بِثَمَانِينَ .

«وَقَصَّتْهُ فِي تَخَلُّفِهِ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ مَشْهُورَةٌ...» انتهى ما فى «الأصابة»
ملخصاً ايضاً .

وقال ابو نعيم فى حلية الأولياء (المجلد السادس - الصفحة ال ٣٢٧) بالأسناد
عن عبد الله بن وهب عن الامام مالك بن انس انه قال :

«ان راهباً كان بالشام فلما رأى اوائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
الذين قدموا الشام...»

وقال : والذى نفسى بيده ما بلغ حوارى عيسى بن مريم عليهما السلام ، الذين
صُلبوا على الخشب ، و نُشروا بالمنشير ، من الاجتهاد ما بلغ اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم .

« قال عبد الله بن وهب : قلت لمالك بن انس : تسميهم . فسمى ابا عبيدة
و معاذاً و بيلالاً و سعد بن عبادَةَ »

٢١٠- ما الذى أبيع به قتل الصحابى البدرى ؟

قدورد فى سائر الكتب المعتمدة المعتمدة فى شأن ذلك الرجل العظيم ، والصحابى -
الكبير ، المعاضد للنبي ، و المجاهد البدرى ، الذى كان رأس اهل الحل و العقد ،
وسيد اهل الكرم والمجد ، و معتمد الرسول فى مشاورته ، وصاحب لوائه و رايته ،
مثل ماورد فى الكتابين و نقلنا ملخصهما .

سعد وما بلغ
من الاجتهاد
فى العمل الصالح

فهل كان من الجزاء الخير الذى دعا به النبى له ، و من ثمرات السلام والصلوة
والرحمة عليه و على آله ، ان يصير دمه مباحاً ، و يُحرّض على قتله ؟ !
ماذا اوجب ، ام اباح ، قتل الصحابى البدرى ، صاحب راية الرسول فى
المواطن كلها ؟

هل كان حضوره فى السقيفة (بل احضاره واخراجه واقعاده - لأنه كان مريضاً-)
اباح دمه و اوجب قتله ؟

او هل كان كلامه فى موضوع الأمانة (للاخلافة) اورث ذلك ؟ فلماذا ؟ ولم
يكن ذلك كفراً بالله ولا مخالفاً لنص من القرآن او نقل من السنة (على حسب ما ادعوا)
اولا اقل من اجماع صحيح .

او هل يصح ان يقال : ان ميله الى الرئاسة و حبه الأمانة التى فوض امرها ،
على ما قالوا و اعلنوا ، من جانب الله و رسوله ، باختيار الأمة و انتخابهم فلهم تعيين
الأمير (او الخليفة) ، مباحاً لأراقة دمه و اباحة قتله ؟

فما الدليل عليه ؟

هل كان هنا نهى شرعى و منع دينى يمنع فرداً من الأمة ان يهوى الى الأمانة ،
ويريدها لنفسه ، و يعمل لنيلها ، و يسلك طريق الوصول اليها ، و يعزم على حفظ الإسلام
والمسلمين ، و اعلاء كلمة الدين ؟

البيس اذا لم يكن هنا نص من الله و رسوله على شخص خاص للخلافة (كما قالوا)
جائز لكل واحد من افراد المسلمين اذا رأى من نفسه التمكن و الصلاح ، كائناً من كان ،
ان يريد لها لنفسه ، و يدبر فى سبيل تحصيلها لشخصه ، بل يعارض غيره ان رآه غير
صالح او يرى نفسه اصلح ؟

فكيف بسعد ؟ وهو هو ، من طول الصحبة للنبى (ص) و خلوص الخدمة له ،
و شدة الدفاع عنه ، و كثرة الجهاد بنفسه و ماله و قومه و عشيرته فى سبيل اعلاء الدعوة .
هذا مع علو شأنه حسباً و نسباً و عظمة مقامه فى الأنصار بحيث كان مرشحاً بينهم ،

باتفاقهم ، للأماره حتى «أخرجوه مريضا» و «أقعدته الأنصار» لأن يبايعوا معه وقد كان كاملا في السخاء والشجاعة ، اصيلا في الأماره ، عريقا في الرئاسة ، فقد كان طيلة الزمان رئيسا على قومه ، كآبائه ، نافذا أمره في قبيلته ، ومع ذلك كله كان له مقام الشيخوخة والتحكُّك والتجربة والممارسة في العرب و في الإسلام . على ان لقومه و قبيلته الخاصه من الأنصار ايضا كان مقامهم الشامخ في الاسلام و بين المسلمين ، كما ابان عنه سعد نفسه ، على ما نقل عنه في الكتب المعتره ، وهو ذائقها .

٢١١- كلام سعد في السقيفة

قال محمد بن جرير الطبري في تاريخه (مسنداً) :

«ان النبي لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا :

«نؤتي هذا الأمر بعد محمد، عليه السلام ، سعد بن عبادة ، و اخرجوا سعداً اليهم ، و هو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه ، او بعض بني عمه ، : اني لا اقدر لشكوى ان اُسمع القوم كلهم كلامي ولكن تلق مني قولي فاسمعهموه ، فكان يتكلم و يحفظ الرجل قوله . فيرفع صوته فيسمع اصحابه .
وقال بعد ان حمد الله و اثنى عليه :

« يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان محمداً ، عليه السلام ، لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن ، وخلق الأنداد و الأوثان فما آمن به من قومه الا رجال قليل . وكان ما كانوا يقدرون على ان يمنعوا رسول الله و لا ان يعزوا دينه و لا ان يدفعا عن انفسهم ضيماً عموا به .

مقام الانصار
في الاسلام

«حتى اذا اراد بكم الفضيلة ، ساق اليكم الكرامة و خصكم بالنعمة فرزقكم الله الأيمان به و برسوله والمنع له و لاصحابه و الأعزاز له و لدينه و الجهاد لأعدائه .
« فكنتم اشد الناس على عدوه منكم و اثقله على عدوكم من غيركم حتى

استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً و أعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً حتى اثنى الله عز وجل ، لرسوله بكم الأرض ، ودانت باسيافكم له العرب ، و توفاه الله وهو عنكم راضٍ و بكم قرير عين . استبدوا بهذا الامر دون الناس^١ .

« فأجابوه بأجمعهم : ان قد وُفِّتَ في الرأى واصبت في القول و لن نعدوَ ماريتَ . نوليك هذا الامر فانك فبنا مُقْنِعٌ و لصالح المؤمنين رضى »

هذه كلمات القيلها سعد ، بعد ما كانت الأنصار مجتمعاً في السقيفة ، متفقاً على توليته هذا الأمر ، ثم اخراجه مريضاً اليهم ، و نطق بها ذلك اليوم .

فهل كان قصد الأنصار و اتفاقهم على توليته او اخراجهم اياه سيئة منه يوجب

قتله ؟ !

او هل يُوجد و يُرى في ما قال ، بعد ما اخرجه مريضاً اليهم و صدقوه باجمعهم و هم اكثر من غيرهم و فيهم من الصحابة و البدريين من لا يخفى شأنه ، ان كان المناط الكثرة او الصحبة او الجهاد في البدر ، و رأوه صالحاً و اجابوه بانه : موثق في الرأى ، مصيب في القول بل و لوه هذا الأمر قولاً ، لأنه « مُقْنِعٌ فيهم و لصالح المؤمنين رضى » ، ما يسبغ قتله و يبيح دمه ؟ !

٢١٢ - لزوم سلوك وادى الأنصار

ثم من جانب آخر :

أما سلك الأنصار وادياً ، و هو اجتماعهم لأمارته و ولايته ، و اخراجهم اياه مريضاً ، و اجابتهم له (باجمعهم) بالتوفيق و الاصابة ، و اتفاقهم على توليته ، لكونه مُقْنِعاً فيهم و رضى لصالح المؤمنين ؟

ليس فرضاً على من كان مؤمناً بان له في رسول الله اسوة حسنة سعداً كان او غيره

١ - و في هذا التعبير (دون الناس) ما لا يخفى .

ان يتأسى بالرسول و يسلك وادى الأنصار و يخضع لرأيهم ، و يتبع اجماعهم ، و ان يترك وادى الناس ، لو كان يوجد هناك واد ، و لم يكذ يوجد ، بل احدثوا و اوجدوا (المهاجرون الثلاثة) بعد ورودهم فى السقيفة وادياً آخر ؟

و بعد اللتيآ و التي اما كان الأوفى لمن يتبع النبى و يطيع او امره ان يحفظ و صية الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى كرشه و عيبته ، الأنصار ، و ان يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم ولا سيما اذا كان من الأنصار سيدهم و شيخهم ، سعد بن عبادة ؟

٢١٣ - حب الأنصار آية الايمان و بغضهم آية التناق

فى المسند للامام احمد بن محمد بن حنبل (الجزء الخامس) بأسناده عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

« ان الأنصار كرشى^١ و عيبتى^٢ و ان الناس يكثرون و يقلون ، فاقبلوا من محسنهم و اعفوا عن مسيئهم »

و فى صحيح البخارى (الصفحة ال ١١ من الجزء الثانى) بأسناده عن ابن عباس

قال :

« سعد النبى (ص) المنبر و كان آخر مجلس جلسه متعظفا ملحفة على منكبيه قد عصب رأسه بعصابة و اتنى عليه ثم قال :

ايها الناس الى . فتابوا اليه . ثم قال :

« اما بعد فان هذا الحى من الأنصار ، يقلون و يكثروا الناس فمن ولى شيئاً

ايضا النبى
بالانصار خيراً

١- « ... و فيها لغتان : كرش و كرش مثل كبد و كبد و كرش الرجل ايضاً عياله

من صغار ولده و الكرش ايضاً الجماعة من الناس و منه الحديث : الانصار ، كرشى و عيبتى »
(صحيح اللغة)

٢- العيبة : من الرجل موضع سره ، ماتجعل فيه الشباب .

من أمة محمد فاستطاع ان يضرّ فيه احداً، او ينفع فيه احداً فليقبّل من محسنهم ،
و يتجاوز عن سيئهم »

وفيه ايضاً (الجزء الأول - الصفحة الـ ١٢) - بأسناده عن انس عن النبيّ صلى الله
عليه وسلّم قال :

« آية الأيمان حبُّ الأنصار و آية التّفاق بغض الأنصار »

وقال عمر نفسه (رض) على ما فى الصّحيح ايضاً (الجزء الخامس باب فضائل
اصحاب النبيّ صلى الله عليه و سلّم) فى حديث طويل اوصى فى آخره للخليفة من-
بعده قبيل وفاته :

« و اوصيته بالانصار خيراً ، الذين تَبَوَّؤُوا الدّار و الأيمان من قبلهم ، اَن
يُقْبَلَ من محسنهم ، و اَن يُعْفَى من مُسيئهم »

وفيه ايضاً بأسناده « عن ابن عباس رضى الله عنهما » (الجزء الرابع) قال :
« خرج رسول الله فى مرضه التّي (الذى) مات فيه بمِلْحَفَةٍ . . . حتّى جلس
على المنبر . . . ثمّ قال :

« اما بعد فأنّ النّاس يكثرون و يَقلُّ الأنصار حتّى يكونوا فى النّاس بمنزلة
الملح فى الطّعام .

« فمن ولى منكم يضرّ فيه قوماً و ينفع فيه آخرين فليقبّل من محسنهم
و يتجاوز عن سيئهم »

« فكان آخر مجلس جلس به النبيّ (ص) » (روى البخارى هذه الرواية فى الجزء-
الخامس من صحيحه ايضاً - الصفحة الـ ٣٥١ -)

وفيه ايضاً (الجزء التاسع - الصفحة الـ ٨٦) - بأسناده عن ابى هريرة ، و ايضاً
بأسناده عن عبد الله بن زيد ، عن النبيّ (ص) أنّه قال :

« لولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار ولو سلك النّاس وادياً ، او شعباً لسلكتُ
وادي الأنصار و شعبها »

وفيه ايضا « باب قول النبى صلى الله عليه وسلم اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » (الجزء الخامس الصفحه ال ٣٤) بأسناده عن انس بن مالك يقول : مرّ ابو بكر، والعبّاس ، رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يتبكون فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبى (ص) منّا . فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك قال : فخرج النبى (ص) وقد عصّب على راسه حاشية برد . قال فصعد المنبر ولم يضعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثى عليه ثم قال :

« اوصيكم بالأنصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم . فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم »

وفي جمع الجوامع، المعروف بـ«الجامع الكبير» لجلال الدين السيوطى (المتوفى ٨٤٩ - ٩١١ هـ . ق) نقلاً عن البخارى و احمد بن حنبل و ابى داود و ابن اسى خيشمة و جمع آخر (الحديث ال ٧٥٢٧) :

« انكم يا معشر الأنصار لانهاجروا الى احد و لكن الناس يهاجرون اليكم . والذى نفس محمد بيده لا يحب رجل ، الأنصار حتى يلقى الله الا لقى الله تعالى وهو يحبّه ، ولا يبغض رجل الأنصار حتى يلقى الله الا لقى الله وهو يبغضه »

٢١٤ - امر عمر بقتل سعد ، الصحابى العظيم :

وكيف كان فماذا الذى يسوغ لصحابى عظيم مثل عمر (رض) ان يحرض على قتل هذا الصحابى الكبير سعد بن عباد ، الذى لم يجترح ما يبيح قتله و يهدر دمه ، ولم يقترب ما يسوغ قتل نفسه المجترمة ، بل كان فى جملة من رضى الله تعالى عنهم و بشرهم بالجنة ؟ قوله تعالى :

« وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُتَجَرِّبِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِأِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَآعَدَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِ بْنِ فَيْهًا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^١»
 وماذا هو الدليل الذى جوزه له (رض) ، ان ينادى جهاراً (بعد ما كادوا يطؤون
 سعد بن عبادَةَ فقال ناس من اصحابه :
 «سعد ! اتقوا الله سعداً لاتطؤوه» و يقول :
 «اقتلوه ! قتله الله !»

ثم يقوم على راسه و يصرخ عليه :
 « لقد هممتُ ان اطأك حتى تندر عضوك ! » و حينئذٍ فاهتم سعد لحفظ حياته
 فجمع نفسه و اخذ بلحية عمر و قال :
 «والله لو حصصت^١ منه شعرة^١ مارجعت^١ وفيك واضحة^٢»

٢١٥ - عاقبة امر سعد

هكذا كان ماجرى بين عمر و سعد فى السقيفة . فان سليم و خلص سعد فى
 ذلك اليوم فما نجا ممّا أُريد به ، و ان تأخر ، و ما تخلص عمّا دُبّر له و ان تسترّ .
 فقد قال الفقيه ، ابن عبد ربه المالكي فى الجزء الخامس من كتابه «العقد الفريد»
 «وامّا سعد بن عبادَةَ فأنه رحل الى الشام .
 «ابومحمد عن الكلبي قال :
 بعث عمر رجلاً الى الشام فقال : اُدعهُ الى البيعة و اعمل له بكل ما قدرت عليه
 فان ابى فاستعن الله عليه .

«فقدِم الرجلُ ، الشام فلقية بحوران فى حائط فدعاه الى البيعة .
 «فقال : لا اباع قرشياً ابداً .

١- اى قطعت او نقصت .

٢- الاسنان التى تبدو عند الضحك (الثنايا)

« قال فأنتى اقاتلك .

« قال : و ان قاتلتنى .

« قال : افخارج انت مما دخلت فيه الأُمَّة . ؟

« قال : اما من البيعة فانا خارج .

« فرماه بسهم فقتله »

٢١٦- توجيهٌ لحضور سعد فى السَّقيفة

لعلّه كان فى محلّه ان نجعل ختام الكلام عن سعد ، كلاماً يتّضح به وجه حضوره فى السَّقيفة و اعتذاره عنه فنقول :

لا يبعد ان يكون حضور سعد فى السَّقيفة (حيثما اخرجوه اليهم ، مع مرضه) لاحتماله ان الأمر سيتمّ لعلّى لأنّه كان يعلم ما صدر عن النبى (ص) فى مواطن شتى فى شأنه وحقّه ، بحيث عرفها المهاجرو الأنصار و كان يعلم ان الأنصار يعرفون الحقّ لعلّى (و لهذا قالوا على مانقل الطّبرى وغيره : « لا نباع إلاّ عليّاً » كما نقلناه سابقاً) فبعد اللّتيّ والتّى فأن كان الأمر لعلّى ، على ما زعمه فيها و نعمت ، وان رأى ان الأمر على غير ما يزعم و يريد ، ويكون هنا دسيّسة لتحويل الأمر الى غير من له الحقّ ، فيدافع عن الحقّ و لا اقلّ من ان يدفع و يصرفه عمّن ادّعاه بالباطل (بزعمه) و لو استلزم ذلك ترشيح نفسه ، او امتناعه عن بيعة غيره ، فلمّا ورد السَّقيفة واستشمّ التّوطئة زعم انّ الأوفى للوضع و الاصلح للحال و الارجح فى ميزان العقل ان يقول ما قال :

ويؤيد ما احتملناه و ذكرناه مانقله صاحب كتاب « الدرّة النّجفيّة » بهذه العبارة

(الصفحة ال ٢٤٨) :

« . . . ما ذكره محمّد بن جرير الطّبرى فى كتاب المواهب عن ابى علقمة

عن سعد بن عبادة .

« قال : قلت لابن عبادة ، و قد مال الناس الى بيعة ابى بكر ، : الا تدخل فى

مادخل فيه المسلمون ؟

« قال :

د و انهم
لو بايعوا علياً
كان اول
من بايع سعد»

« اليك عنى فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا انامت تفضل الأهواء و يرجع الناس الى اعقابهم فالحق يومئذ مع على و كتاب الله بيده ، لاتبايع احداً غيره .
« فقلت له : هل سمع هذا الخبر احد غيرك من رسول الله (ص) ؟ فقال :
« اناس فى قلوبهم احقاداً و ضغائن .

« قلت : بل نازعتك نفسك ان يكون هذا الأمر لك دون الناس كلهم .
« فحلف انه لم يهيم بها و لم يردّها و انهم لو بايعوا علياً كان اول من بايع

سعد .»

ثم قال صاحب الكتاب (الدرّة النجفيّة) عن الشيخ الفاضل ابوالسعادات الحلّي فى شرحه على الدعاء انه روى :

« اجتمع ابوبكر و عمر و ابو عبيدة فى سقيفة بنى ساعدة يطلبون الحكم و البيعة من غير اكتراث باهل البيت و بنى هاشم ، و كل واحد من هؤلاء الثلاثة يرجو الأمر ، و الحكم لنفسه و يعطفه على صاحبه فانكر عليهم الأنصار و اصرّوا على الدفاع و الأمتناع و احتجّوا عليهم بما قال رسول الله (ص) فى على من التوكيد فى امامته فى مواطن شتى و يأمرهم بالتسليم عليه بأمره المؤمنين .

« فقال ابوبكر : قد قال ذلك لكن نسخه النبى بقوله : «انا اهل بيت كرمنا الله و اصطفانا بالنبوة و لم يرض لنا بالدنيا و ان الله لا يجمع لنا النبوة و الخلافة .
« فصدّقاه عمر و ابو عبيدة فى ذلك و علّلا يعود على فى بيته و الأشتغال بتجهيز- النبى (ص) دون تصدى امر الخلافة لعلمه بتحويل الامر عنه .

« فقالت الانصار : اذا و الله لانرضى بأماره غيرنا علينا ، منا امير و منكم امير ...
و معهنّا قد اصرّ بعض اهل السقيفة فى التخلّف من بيعة ابى بكر و قالوا : لاتبايع احداً غير على بن ابى طالب . وقد صرّح به سيد المحدثين فى «روضة الاحباب» .

... فَكَانَ أَبُوكَ، وَفَارُوقُهُ، أَوَّلَ مَنِ ابْتَزَرَهُ
 وَخَالَفَهُ عَلَى ذَلِكَ .
 «اتَّفَقَا وَاتَّسَقَا . ثُمَّ دَعَوَاهُ إِلَى أَنْفُسِهَا ...
 (من كتاب معاوية الى ابن ابي بكر)

زَعَمُوهَا فَلْتَةٌ فَاجِئَةٌ لَأَوْرَبِ الْبَيْتِ وَالرُّكْنِ الْمَشِيدِ
 إِنَّمَا كَانَتْ أُمُورًا نُسِجَتْ بَيْنَهُمْ أَسْبَابُهَا نَسِجَ الْبُرُودِ
 (لبعض الأقدمين)

- ١- عودٌ إلى السَّقِيفَةِ .
 - ٢- حدوثُ الاجتماعاتِ .
 - ٣- هل البيعة كانت فلتة .
 - ٤- زَمَعَاتُ قَرِيْشٍ .
 - ٥- التَّوَطُّؤُةُ وَقَضَاءُ اللَّيْلِ .
 - ٦- أمورٌ يُسْتَأْنَسُ مِنْهَا التَّوَطُّؤُةُ .
- الأوَّلُ : انكار عمر (رض) موت الرسول
 صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .
 الثَّانِي : اخفاؤه (رض) خبر السَّقِيفَةِ .
 الثَّالِثُ : عدم صحَّة كون الاجتماع ...
 الرَّابِعُ : ماورد في كتاب ...

١٢- حول العودة الى السَّقِيفَةِ :

٢١٧- عود الى السقيفة

اجتمعت الأنصار في السقيفة ، وانضم اليهم المهاجرون الثلاثة و تمت البيعة ، على مادريت ، فلننظر الآن في ذلك الاجتماع و نبحت هل كان امراً مخلوق الساعة فلتة ، و شأناً اتفاقياً و بالصدفة ، او كان مولود التدبير و التوطئة ، و كان نسج الليالي و الأيام ، و مبرماً بالتفكير و المؤامرة ؟

لعل الباحث عن الحقيقة لا يكاد يتجاوز هذا الموضوع الا و قد اختلج بباله اسئلة من هذا القبيل فيشوقه الامر ان ينكشف له و يصير مشوقاً الى درك الواقع ، و مشتاقا اليه .

فينبغي ان نرجع الى السقيفة و نعيد النظر فيها و نحلل ما يحتمل ان يستند تأسيسها اليه من الأمور الجلية و الخفية بحسب ما يناسب هذه الوريقات عسى ان تنكشف امثال هذه المسائل و الاسئلة . و ليقدم هنا مقدمة كلية وهى :

٢١٨- حدود الاجتماعات

الاجتماعات البشرية و ان كانت قد تحدث بالمصادفة ، و تتكون بالاتفاق و المباغنة و لكنها نادرة جداً و الغالب في حدوثها و تحصلها هو ان يوجد لها الروية و الحزم ، و يحدثها التوطئة و التدبير ، من رجال ذوى الأيدي و الابصار ، و اشخاص اولى الجاه و الاعتبار ، اهل الحل و العقد ، و ارباب العزم و القصد ، لأغراض عالية تعود الى القوم ، و التنوع ، او لأطماع محدودة تختص بالشخص ، او لغير ذلك ، فقلما ان تجتمع افراد لأمر و لم يكن اجتماعهم مستندا الى يد قوية او اباد جامعة ، ظاهرة كانت او خفية ، و لاسيما اذا كان للشؤون الهامة التى تكون فى مقام ارفع من ان تنالها

مبدء الاجتماعات
و مآلها

افكار العامة ابتداءً ، وفي افق ابعد من ان تنفذ فيه شعاع ابصار اواسط الناس ، فكيف بادانهم ، مستقيماً ، وفي محيط اوسع من ان يصير مَطْمَحاً و مجالاً لأنظار الكل ، و مَطْمَعاً لأميالهم . فلننظر كيف كان حدوث الاجتماع في السقيفة ؟

٢١٩- شأن الأجماع في السقيفة

جاء الإسلام و غلب على المسلمين ما يُبعدهم عن التشتت و الفرقة ، و يُقربهم الى التآلف و الوحدة ، فانقلب ما كان فيهم من التفاخر بعناوين القبائل و الأقسام ، و التلهي بالتكاثر بالعشائر و الأفاخذ ، الى التوجه بعنوان واحد ، وهو الإسلام ، فضعف في المسلمين عنوان القبيلة و القوم و الطائفة و العشيرة و اضرابها ، و ذهبت تلك العناوين ، ولو حيناً من الدهر ، اذ راج الرياح ، و صار عنوان «المهاجر» و «الأنصار» عنواناً اسلامياً دينياً للمسلمين ، و كان ذلك باعتبار التضحية في سبيل الإسلام بالأنفس و الأموال ، و بلحاظ السعي و الجهد في طريق كسب الكرامة الحقيقية بسلوك طريق التقوى و الصالحات من الأعمال .

هكذا كان الأمر في زمن رسول الله ، صلى الله عليه و آله و سلم ، فلما لبى دعوة الحق ، و يا للأسف تشعبت الكلمة فاجتمعت الأنصار : فاجتمعت الانصار ، بما هم انصار ، في السقيفة ، واجتمعت بنو أمية حول عثمان ، سيدهم و كبيرهم ، واجتمعت بنو زهرة حول عبد الرحمن بن عوف و سعد بن ابى وقاص ، يترصدون ما يحدث ، و أمّا بنو هاشم ، عشيرة الرسول الاقربون ، فكانوا في بُهتٍ من عظمة المصيبة و في شغل من تجهيز الرسول .

و بين تلك الاجتماعات لم يكن اجتماع ، من حيث التأسيس و التجمع ، لغرض مصرح به و مقصود معين ظاهر ، هو البحث في موضوع الامارة ، اجتمعوا له ، و من حيث العدة و العدة ، اعظم و اهم من اجتماع الأنصار في السقيفة .

فمن الذى كان باعثاً لذلك الأجماع العظيم المنتج ؟

وكيف حصلت تلك التوطئة ؟

اكانت من الأنصار ؟ ام من المهاجرين الكبار ؟

فأن كانت من الأنصار فمن كان راس التوطئه و بانيتها ؟ اسعد كان ، وهو مريض لا يقدر على الخروج ؟ وقد رايت تصريح الطبري ، و غيره من عمدة ارباب التاريخ ومعتمديها ، بانهم « اخرجوا سعداً اليهم وهو مريض » و « اقلدته الأنصار ليأبوه » وكان بحيث لا يقدر على اسماع القوم كلامه ولذا « قال لابنه ، او لبعض بني عمته : اني لا اقدر لشكوى ان اُسمع القوم كلامي ولكن تلتق مني قولي فاسمعهموه .. » او غير سعد منهم ؟ فمن كان ذلك الغير من الأنصار ؟

وعلى هذا فهل كان ذلك الغير يريد الأنتاج لنفسه ؟ ولا يرى فيهم ، على ما يعرف من حالهم ، من كان يتوقع ، بل يتوهم ، لنفسه ذاك المقام ، او يريد له غيره ؟ ولا يظن ان احداً ممن كان له خبر عن المؤامرات والمؤتمرات التي تنعقد في زماننا ، والزمان يدور كهيشه ، يتوهم ان مؤتمراً يوجد من جمع كثير وبارادة اشخاص اولى الحزم والتدبير من دون ان يكون ذلك الجمع دبّر الأمر من ذى قبل و ابرموا لحمته وسديته ، ونسجوه على منوال يُحتمل ان يصير مانسجوه خارجاً عن اختيارهم ويملكه غيرهم .

قال ابن ابى الحديد :

« ان الشيعة لم تسلم لعمر » ان بيعة ابى بكر كانت فلتة . . . » قال محمد بن

ما كات البيعة
فلتة

هاني المغربي :

و لكن امرأ ابرم بينهم
وان قال قوم فلتة غير مبرم

وقال آخر :

زعموها فلتة فاجئة

لا ورب البيت والركن المشيد

انما كانت اموراً نسجت

بينهم اسبابها نسج البرود

هذا مانسبه ابن ابى الحديد الى الشيعة ونقله عنهم فالشيعة ، لافحسب ، بل كل

من تدبّر في الأمر واعتبر نواحيه بالنظر والفكر بعيد جدّاً ان يعتقد ان اجتماع السقيفة كان من الاجتماعات الاتفاقيّة والفجائيّة بل يعلم ان يداً قويّة ، ومحركة غير مرئية كانت من ورائه ، محيطة عليه من جميع نواحيه و جهاته .

٢٢٠- التوطئة ممّن ؟ و لِمَ ؟

جملة القول ان ذلك الاجتماع حدث و حصل بتوطئة من بعض المهاجرين ، و بتدبيرهم و لاستفادتهم ' ولما كانت المصلحة في الاجتماع و الاستفادة منه لا تتمّ لهم الا باجتماع خصوص الانصار و بلاشركة من سائر المهاجرين ، فواظنوا بعض الانصار على ايجاد الاجتماع في السقيفة و على « اخراج سعد و هو مريض اليهم » و الى ترشيحه للأمارّة لتطمع من لا يكاد يتوجّه الى باطن الأمر و سرّ الاجتماع ، من اقاربه و عشيرته و قومه ، ليسهل عليهم الحضور و يحصل الاجتماع المنظور و لعلّه كان لبشير الخزرجي ابن عمّ سعد و منافسه في الامارة و لأسيّد بن خضير الأوسي ، كبير الأوس و سيّدهم و مطاعهم ، اللذان تقدّما على الانصار كلّها في البيعة ، بل و تبادلوا اليها و سبقا كلّ الحاضرين ، سهم و فير ، و نصيب كثير في تلك المواطة و التوطئة ، و في تدبير ذلك الاجتماع في السقيفة .

و ذلك لأن المواطنين عرفوا ان النبيّ (ص) لا يبرء من مرضه و انه يرحل عن قريب الى جوار ربّه فتخلفوا عن جيش اسامة و اتوا قلوبا حتى غضب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و شدّد في خروجهم عن المدينة و اكد التزامهم الجيش و الحركة مع اسامة .

و كانوا يعرفون ايضا ان قريش و سائر المهاجرين ، و فيهم عليّ و العباس و الزبير و عثمان و اشباههم لا يتنازلون لخلافة من كان دونهم في الحسب و النسب و لا يخضعون لأمارّة من لا يدانيهم ، باعتقادهم ، في القرابة او السبب .

١- ان كنت في ذكر سمانقنا سابقا عن الطبري (طى الامر الخامس) من قول عمر (رض)

« ... واجتمع المهاجرون الى ابي بكر» (يعني قبل السقيفة) تتفطن الى التوطئة.

ويعلمون ان قريشا وان كانوا « كرهوا ان يجمع لبنى هاشم النبوة والخلافة » ،
على ما نقل عن عمر (رض) ، و لكنهم اذا دار الأمر بين علي و بينهم لا يتجاوزون عنه ،
ولولم يكن ذلك حباً لعلي بل لكرهتهم تحمّل امارة من هو « اقل حياً و اذل بيتاً »
وادون أسرة منهم .

وناهيك في ذلك ما صرح به ابوسفيان ، حين رأى الاجتماع على بيعة ابي بكر
واقبل عليهم ، من قوله :

« اما والله انى لأرى عَجاجة لا يُطْفِئُها الا الدم .

« يا لعبد مناف ! فيم ابوبكر من امركم ؟

« آيّن المستضعفان ؟ آيّن الأذّ لان ؟ يعنى علياً والعبّاس .

« ما بال هذا الأمر في اقلّ حتى قريش ؟

ثم قال لعلي : ابسط يدك ابايعك فوالله ان شئت لأملأتها على ابي فضيل ،
يعنى ابابكر ، خيلاً و رجلاً .

فامتنع علي عليه السلام فلما يش منه قام عنه وهو ينشد شعر المتلمّس :

و لا يُقِيمُ عَلِيّ ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ

اِلاّ الأذّ لان : عَيْرُ الحى والنوتدِ

هذا على الخسْفِ مَرَبُوطِ برُمته

وَذا يُشجُّ فلا يرئى له اَحَدٌ »

وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى (الصفحة ال ٦٧) : « و اخرج الحاكم و صححه

الذهبي عن مرة الطيب قال : جاء ابوسفيان بن حرب الى علي فقال :

« ما بال هذا الأمر فى « اقل قريش قلّة و اذلّها ذلاً ؟ » - يعنى ابابكر -

والله لئن شئت . . . »

وفى مروج الذهب (المجلد الثانى - الصفحة ال ١٤) فى واقعة الجمل عن عمير -

بن الاهلب الضبىّ احد اصحاب الجمل ، او كما عبّر نفسه عند موته عن نفسه : « مخدوع

المرثة » انه قال :

« اذل بيت
فى قريش
واقل حياً »

لقد اوردتنا حومة الموت أمنا فلم تنصرف الا ونحن رواء
 اطعنا بنى تيم لشقوة جدنا وماتيم الا اعبد، واماء
 حكى ابن ابي الحديد عن كتاب «السقيفة» لأبى بكر بن عبدالعزيز الجوهري .
 « جاء ابوسفيان الى على عليه السلام ، فقال :
 « ولتيم على هذا الأمر اذ ل بيت في قرينش » انا والله لئن شئت لأملأنها
 على ابي فضيل خيلاً ورجلاً . . . »
 وحكى ايضا (فى المجلد الاول الصفحة ال ١٣٠) عن ذلك الكتاب : « ان
 اباسفيان لما بويع عثمان قال :

كلام ابي سفيان
 فى شأن تيم وعدي

« كان هذا الأمر فى تيم وانى لتيم هذا الأمر ؟
 « تم صار الى عدى . وعدى فابعد وابعد .
 « ثم رجعت الى منازلها واستقر الأمر قرارها فتلقفوها تلقف الكرة !

٢٢١ - شأن البيوت فى العزة والذلة

ومما يدل على ان شأن البيوت فى العزة او الذلة لها، كان امر أمر تركزاً فى نفوسهم
 وكان من الصعب العسير جداً ان يعترف الاعز الاعلى منها للادنى والاذل ويخضع
 لحكومته و امارته ، ماورد فى عدة كتب معتمدة وهى :
 « نازع ابوسفيان ، ابابكر فى امر فأغلظ له ابوبكر فقال ابوقحافة :
 « يا بنى ! اتقول هذا لأبى سفيان ، شيخ البطحاء ؟
 « قال :

الاسلام
 رافع بيوت
 وواضع بيوت

« ان الله رفع بالاسلام بيوتاً ووضع بيوتاً . فكان مما رقع ، بيتك يا ابا تيم ومما
 وضع بيت ابي سفيان »

روى المدائنى فى كتاب « الأمثال » (على ما حكاه ابن ابي الحديد) :
 « ان رسول الله لما خرج من مكة يعرض نفسه على قبائل العرب خرج الى

ربيعة ، ومعه علي^٤ (ع) وابوبكر (رض) فدُفِعوا الى مجلس ربيعة . فتقدم ابوبكر وكان نَسَابَةً ، فسَلِمَ . فردوا عليه ، للسلام فقال :

«ممن القوم ؟»

«قالوا : من ربيعة .»

«قال : آمِنَ هَامَتِيهَا ام مِّن لِّهَازِمِيهَا^١ ؟»

«قالوا : من هَامَتِيهَا^٢ العُظْمَى .»

«فقال : من اى هَامَتِيهَا العُظْمَى انتم ؟»

«قالوا : من ذُهل الأكبر .»

«قال : افمنكم عوف ، الذى يقال له : لآخر بوادى عوف ؟»

«قالوا : لا .»

«قال : افمنكم بسطام ، ذوالنواء ومنتهى الأحياء ؟»

«قالوا : لا .»

«قال : افمنكم الحوفران ، قاتل الملوك و سالبها انفسها ؟»

«قالوا : لا .»

«قال : افمنكم المزدلف ، صاحب العمامة الفردة ؟»

«قالوا : لا .»

«قال : افانتم اخوان الملوك من كِنِيلة ؟»

«قالوا : لا .»

«قال : فلستم اذا ذُهل الأكبر . انتم ذُهل الأصغر .»

«فقام اليه غلام^٣ ، قد بقل وجهه ، اسمه ذُخْفَل فقال :

اِنَّ عَلَى سَائِلِنَا اَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعِيبَ لَا نَعْرِفُهُ اَوْ نَحْمِلِيهِ

١- اللهزمة «عظم ناتئ» فى اللحي تحت الاذن وهما لهزمتان» جمع لهازم .

٢- «هامة كل شئ» . راسه و رئييه و سيده» من الهوم .

«يا هذا انك قد سألتنا فأجبناك ولم نكتصك شيئاً . فعمّن الرجل ؟

وقال : من قريش .

«قال : بخ بخ اهل الشرف والرئاسة . فمن اى قريش انت ؟

«قال : قيس بن مرّة .

وقال : امكنت ، والله ، الرامى من الشعرة . امنتكم قصى بن كلاب الذى

جمع القبائل من فيهر فكان يدعى مجمماً ؟

وقال : لا .

«قال : افيئكم هاشم الذى هشم لقومه الشريد ؟ [ورجال مكة مسنتون

عجاف]^١ .

وقال : لا .

«قال : افيئكم شيبه الحمد مطعم طير السماء ؟ [الذى كان وجهه قمرامضيثا]

وقال : لا .

«قال : افيئ المفيضين بالناس انت ؟

وقال : لا .

«قال : افيئ اهل الندوة انت ؟

وقال : لا .

«قال : افيئ اهل الوفادة انت ؟

وقال : لا .

«قال : افيئ اهل الحجابة انت ؟

وقال : لا .

«قال : افيئ اهل السقاية انت ؟

وقال : لا .

١- «واستوا اذا اصابهم الجدوية...» (فتح اللغة).

« فاجتذب ابوبكر زمام نافته ورجع الى رسول الله (ص) هارباً من الغلام .
 فقال دَغْفَل :

صَادَفَ دَرَّ السَّيْلِ دَرًّا يَدْفَعُهُ

[فِي هَضْبَةٍ تَرَفَعُهُ وَتَضَعُهُ]

« أما والله لو ثبتت لأخبرته : انك من زعمات قريش .

« فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ عَلِيُّ لِأَبِي بَكْرٍ ، لَقَدْ وَقَعْتَ
 يَا أَبَا بَكْرٍ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ عَلَى بَاقِعَةٍ ٢ قَالَ : أَجَلٌ ، إِنَّ لِكُلِّ طَامَّةٍ طَامَّةً وَبِلَاءُ
 مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ . فَذَهَبَتْ مِثْلًا ٣ ،

٢٢٢- كيفية التوطئة للسقيفة

ولنرجع الى ما كنا فيه من امر السقيفة . قلنا : ان المواطاة و التوطئة على ما
 يترأى كانت من بعض المهاجرين مع بعض الأنصار بعد ما عرفوا عاقبة مرض الرسول
 وعلموا ان قريش وسائر المهاجرين ، وفيهم على والعباس ، لا يتنازلون للخلافة في غيرهم
 و ايقنوا ان قريش ، وشيخهم ابوسفيان ، وان كرهوا جمع النبوة والخلافة في بنى هاشم ، كما
 زعم عمر ، لكنهم يتحاشون عن التسليم لخلافة من كان « اقل حياً » و « اذل بيتا » ،
 وكان « من زعمات قريش » والخضوع لها .

الى هنا وصل كلامنا ، فنعود الى تمام البحث في ما عُدنا الى السقيفة ونقول :

١- «الزمنة : التلعة الصغيره . ومنه «انك من زعمات قريش» اى لست من اشرافهم»
 (مجمع البحرين)

٢- اى داهية . الرجل الذكى العارف لا يدهى .

٣- نقلت هذه الحكاية فى الجزء الثالث من كتاب «العقد الفريد» (الصفحة ال ٢٧٤)

وفى كتاب «المحاسن والمساوى» للبيهقى (الصفحة ال ٧٦-٧٧) مع اختلاف يسير فى بعض-
 الكلمات اشترنا الى بعضها بالمعقتين . وايضا نقلها محى الدين العربى فى كتابه «محاورة-
 الابرار وسامرة الاخيار» مع اختلاف يسير جدا .

وعلموا ايضا انّ الأنصار قلوبهم مع عليّ ، يحبّونه و يعتقدون عظمة شأنه ، وعلوّ قدره ، ولم يكن لهم عصبية في « جمع النبوة والخلافة في بني هاشم » ، ولم يكن من عليّ ثارٌ في الأنصار ، كما كان منه في قريش ، و غير ذلك من الأمور التي كانوا يعرفونها في هذا المورد .

فما كان يليق بهم ان يفعلوا ؟

و لنفرض ، حملاً لتصحيح عملهم ، انهم (رض) لم يكونوا قاصدين للامارة والخلافة ، لنفسها ، ولا مریدين للعلو والرئاسة ، لأنفسهم ، وحتى لم يكونوا مخالفين لخلافة خصوص عليّ ، بل كانوا مشفقين لحفظ الاسلام ، خائفين من تفرق الكلمة ، فزعين الى اختلاف الأمة ، و نازعين الى الأتحاد و الأتفاق ، هل كان لهم ، و هم اهل الحلّ والعقد ، ذوو الحزم والعزم ، والحال هذه ، مناص من ان يتدبّروا الأمر و يعالجوا الواقعة قبل وقوعها و ينتهزوا الفرصة قبل فواتها بوفات الرسول و يواطئوا مع موافقيهم بتوطئة الامور لما بعد الوفات ؟

ما ذا ينبغي ان يفعل الرجل اليقظ المدبّر الحازم في امثال تلك الأوضاع

و الأحوال ؟

لا يكاد يرتاب من كان له ادنى مسكة انّ على العاقل الحازم الذي له علاقة بالأمر ، في مثل هذه الحالة ان يشمّر عن ساعد الجدّ و الجهد لتدارك الأمر في اسرع وقت و بأمتن وجه .

فيكون أوّل ما يفعل ان يجتمع مع من يظنّ موافقته في المآرب و المقاصد ، و يربيه طامعاً في الفوائد و العوائد ، فيتآمرون و يتذاكرون ، فيختارون اقصر طريق يوصلهم الى المطلوب .

فليفحص هذه الطّرق كي نعرف الطّريق الموصول و نعلم انه كيف ينبغي الوصول

اليه ؟ و على ما ينبغي ان يكون السلوك فيه ؟

٢٢٣- الطّرق المتصوّرة، و الموصل المنتج منها

هل يكون من الطّرق الصّحيحة ان يطرح الموضوع مع عشيرة الرّسول الأقرين و رأسهم علىّ، و هو ولو لم يكن منصوص الخلافة، او لم يكن يعتقد انها حقّه، او لم يكن في سوبداء خاطره ارادتها لنفسه، فلا اقلّ من عدم اطمئنانهم بموافقته لهم في مراموه فلا يجوز ايقاظه فضلا عن طرح المنظور معه؟ او مع سائر بنى هاشم و الأقرين من العشيرة (و فيهم العبّاس، عمّ الرّسول، و هو الذّي يعتقد الخلافة لعليّ و يقترح عليه ان يبايعه «حتّى يقول الناس بايع عمّ الرّسول» فيتبعونه بالبيعة ويتمّ الأمر لعليّ) و حالهم في عدم الأطمئنان بموافقته لهم في منظورهم تلك الحال؟

او هل يكون من الطّرق السّويّة ان يُشاوّر مع قريش، و فيهم ابوسفيان، و هو على ما عبّر عنه ابوقحافة و ارتكز في الأذهان «شيخ البطحاء» و هو الذّي لعله لا يرى في الرّئاسة حقّاً لغيره، فكيف اذا كان هذا الغير «اقلّ حياءً» و «اذلّ بيتاً» في قريش، كما كان بصرّح به، و لا يكاد يرضى بها الا لنفسه، و لكنّه لما كان يرى انّ بينه و وبين مطلوبه بون بعيد، و دون وصوله اليه خرط القتاد، فلا بدّ و ان لا يخرج الأمر من بنى عبد مناف، و لاسيّما عمّن يُمدّ الأعناق اليه، و تسكن القلوب و الأصوات لديه، و هو علىّ و آل فعمّ الرّسول، العبّاس^١؟

او هل يجوز ان يُستدعى المهاجرون اجمعون و يُطرح الموضوع في مُجتمعهم و يُعلن بالمنظور في ندوتهم، و فيهم من فيهم من قريش و من بنى هاشم و من مؤاليهم و محبيهم؟

او هل يصحّ في عرف السّياسة و التدبير، ان يُدعى القبيلان : المهاجرون

١- و يرشد الى هذا انه يحرضهما و يشجعهما معاً فيقول : « اين المستضعفان؟ اين

الاذلان... فواته ان شئت لاملانها على ابي فضيل، يعني ابا بكر، خيلا و رجلا... »

و يتمثل بيت المتلمس «ولا يقيم على ضيم يراد به، الا لاذلان...»

والأنصار كى يُؤلّف متديّ من الفريقين ومؤتمراً من القبيلين ثم يُجعل الأمر شورى بينهم فى هذا النّادى ؟

أوليس ، اذّاك ، من المظنون المُتّاحمّ بالعلم ، بل من المعلوم المقطوع حدوث الاختلاف بمخالفة المهاجرين اجمعين اولاً اقلّ بمخالفة بعضهم وعدم خضوعهم لامارة من كان « اقلّ حياً » و « اذلّ بيتاً » ؟

اجتماع بنى امية
و بنى زهرة
حول اكابرهم

وقد عرفت ممّا نقلنا حكايته عن ابنى بكر بن عبدالعزيز ان « بنى امية اجتمعت الى عثمان ، و بنى زهرة الى سعد و عبدالرحمن بن عوف » و علمت ان بنى هاشم كانت فى بيت الرسول (ص) و حول علىّ لجهاز الرسول (ص) فتعرف من ذلك ان كلّ من يُترقّب له الامارة والخلافة من المهاجرين كان حوله اجتماعٌ من حيه و بيته ولا ذكرهنا من حىّ تيم و عدىّ فهل كان عدم اجتماعهم حول كبرائهم لكونهم « اقلّ » ، و اذلّ » كما عبّر ابوسفيان او لأمر آخر ؟ العلم عند الله .
وكيف كان فلا بدّ للوصول الى المطلوب ، و تحصيل البيعة من تأليف افراد ، و تكوين اجتماع .

٢١٤- الرّاجح من الطرق ، اجتماع الأنصار

اجاب دعوة ربّه نبيّ الرحمة ، واستولى الدّهش والحيرة على الأُمّة ، وملك-
التأثر والتحيّر العامّة ولا سيّما الأقرباء والعشيرة ، بنى هاشم .
فعلىّ ، والحالة تلك الحالة ، لمكانه المعلوم و قرابته الخاصّة ، لا بدّ وان يكون بصدد جهاز الرسول بتغسيله و تكفينه و تدفينه (ص) فهو مشغول به ، منصرف عن كلّ شىء سوى هذا الأمر الشاغل ، ولا همّ له و لأقربائه و اوليائه الا بما يرتبط بهذا الشان-
الهامّ العاجل .

فأذا كان هنا منّ اراد صرف الخلافة الى نفسه ، لما يرى فيه من المصلحة للاسلام ، او لما يحبّ و يهوى من الرئاسة (والعباد بالله) و اتباع الهوى ، فما عليه ان يفعل فى

فى الحاضر من الوقت ؟ و بما ذا يرشده التدبير و الرأى ؟

أَمِنْ الحزم ان يسلك طريق الأناة و التسامح فى الأقدام فىؤخر الأمر الى فراغ على و اقرباء النسبى (ص) من الجهاز و يأخذ بالصبر و التراخى الى ان يستقر الأفكار ، و نظمئن قلوب الأصحاب ، و تسكن النفوس عمّا دهتمه من الانقلاب و الاضطراب و تجد الأمة و اولياء النظر و الفكرة فرصة للتوجه و الخوض فى تشخيص المصلحة و المفسدة ، و تمييز الحق من الباطل ، و تعيين الاقرب الأنسب الأفضل الأولى ؟

الطريق المختار

والتأخير آفات ؟

أَوَ لَيْسَ مِنَ الْمُتَيْقِنِينَ انّ التّأخِيرَ انّ لم يورث اتمام الأمر لعلى او للعبّاس ، او لغيرهما من اكابر قريش و اعاضم الاصحاب ، كالزبير و طلحة و عثمان ذى النورين ، فلا اقلّ يورث صرفه عمّن ليس له حى يساعده و بيت يعاضده ، او على ما قال ابو سفيان من كان « اقلّ حياً » و « اذلّ بيتاً » ؟

و كيف كان فلان من التّعجيل فى الأقدام و التّسريع بالانتماء بحيث لا يطلع - المهاجرون على الأمر الا بعد اتمامه و على هذا فلا بدّ وان لا يكون التّأليف و الاجتماع الا من الأنصار فحسب .

هذا ما يجزم به الحزم ، و يحكم به العزم ، و يقتضيه التدبير و الكياسة ، و يرتضيه - الحكمة و الدّهاء و السياسة .

فالآن ، و الحال على ما تدرى ، كيف ينبغي ان يكون الأقدام لدعوة الأنصار و جمعهم ؟ و باى طريق يصلح تحريضهم على الاجتماع ، بحيث يبادرون اليه بلا تأمل ، و يسارعون فيه من دون اختلاف و تفرّق ؟

٢٢٥- كيفية دعوة الأنصار للاجتماع

أَمِّنَ المصلحة ان تكون الدعوة باسم احد من اقرباء الرسول (ص) او باسم
خصوص على؟

الْيَسَسَ في هذا الهتاف والدعوة نقض الغرض ممايرام، والوقوع في مايحذر
منه ويخاف؟

أَمْ هل من المصلحة ان يكون الهتاف والدعوة باسم خصوص الصاحب ، ابي بكر
وهو مع انه ليس من الأنصار يكون «اقل حياً» و «اذل بيتاً» في المهاجرين الأبرار
و احطّ شأننا للرئاسة عند الانصار من رؤسائهم الكابرين و شييوخهم الشاغلين؟

الدعوة للانصار
من الانصار
وباسم الانصار

فلاجرم من ان تكون الدعوة للانصار، من الأنصار، وباسم الأنصار اى يكون -
الداعي لهم منهم و باسم شخص من عظامانهم فلا بدّ و ان يكون المرشح للإمامة ابتداءً
من انفسهم ، وان يكون اعظمهم عندهم قدرأ ، و ارفعهم لديهم شأنأ، و اكبرهم مقاما ،
واقولهم فيهم أسرة ، و اكثرهم حياً ، و اعزهم بيتاً ، و اشرفهم ذاتاً ، و اجلهم
بين المهاجر و الأنصار شخصاً ، و اعرفهم سخاءً و شجاعةً و كمالاً ، و هو في ذلك -
الوقت لم يكن الا سعد بن عبادة ، شيخ المدينة و رئيس الأنصار و كبيرهم ، و حامل
لواء الأنصار بأمر الرسول (ص) في الغزوات والحروب .

فأعدوا القوم لذلك و هتفوا باسمه فاجتمعت الأنصار في السقيفة « و اخرجوا
سعد بن عبادة اليهم وهو مريض لا يقدر على الحركة » و جرى فيها ماجرى من ورود -
الفجائي (على ظاهر الامر) المهاجرين الثلاثة بموقعه و احتجاجهم بأن « الأئمة من

١- احضار سعد في السقيفة و اخراجه اليها ، مع ما هو فيه من المرض ، كان في
عرف الحزم و شرع التدبير ، لازماً و ضرورياً و ذلك لانه لولم يحضر لم تجتمع عشيرته
فيها ولو اجتمعت لم تباع حتى ترى رأيه و تتحقق نظره و اذنه ، فلم يتيسر ما هو المطلوب
من عقد السقيفة و سرعة البيعة على انه لولم يكن حاضرا لم يصير مغلوبا بتلك الكيفية و كان
بعد على حجته و قدرته ، مؤثراً في مخالفته ، سيما اذا وافق عليها و مال الى معاضدته و مبايعته .

من قريش» و سبق بشير بن سعد الخزرجي ، ابن عم سعد ، الى البيعة فلتة ثم مبادرة اُسيد الأوسى اليها ثم قول بعض الانصار (ولعلهم كانوا في المواطنين واعدوا لذلك من قبل) لبعضهم «قوموا فبايعوا ابابكر . . .» وجسارتهم السريعة الغير المعتادة على ان يطاءوا سعداً كى ينصرف هو واقربائه عن الموضوع و ينعطف اهتمامهم بحفظ نفس سعد فصار الهرج بحيث خافوا ان يتلف سعد فيذهب بحياته هو جاء الغوغاء فينادوا : «اتقوا الله ، سعداً لا تطأوه» . و فى هذه الجسارة والجراثة ما يرشد المتدبر الى سبق- التوطئة فتدبر .

و بالجملة يظهر من جميع ذلك ان الأنصار لم تجتمع بدعوة رئيسهم ، سعد ، بل اخرجوه اليهم فلم تكن التوطئة من قبله و لم يكن ايضاً هو عالماً بها محتملاً لها وكيف يتصور ان تكون التوطئة من سعد ، وهو هو فى الحنكة والتجربة ، و لم يكف ينضجها بحيث يستنتج منها ما اراد بل يصير الأمر بحيث كاد ان يُقتل ؟ او كيف يمكن ان يكون عالماً بها و لم يأخذ أهبتة و لم يكمل عدته ؟
ومما يُستأنس منه ان الاجتماع فى السقيفة كان بتوطئة من قبيل و قضاء فى- الليل وكانت التوطئة للخلافة من قبيل من نال بها و احرزها ، امورٌ نشير اليها :

٢٢٦- شواهد على كون التوطئة للبيعة من قبل

الأول :

انكار عمر (رض) موت الرسول (ص) .

قال ابن ابي الحديد :

« وروى جميع اصحاب السيرة ان رسول الله صلى الله عليه و آله لما توفى

كان ابوبكر فى منزله بالسُّنْح^١ فقام عمر بن الخطاب فقال^٢ :

١- بضم السين والنون ، او بسكون النون ، على ما قيل ، موضع بهوالى المدينة ، فيه

سنازل بنى العارث بن الخزرج .

٢- «ان رجلاً من المنافقين يزعمون ان رسول الله توفى . والله ما مات ولكنه ذهب ←

«مات رسول الله (ص) ولا يموت حتى يظنهم ردينه على الدين كله. وليس يرجعنا وليقطعنا أيدي رجال وارجلهم ممن ارجف بموته. لا اسمع رجلاً يقول : مات رسول الله الا ضربته بسيفي .

«فجاء ابوبكر وكشف عن وجه رسول الله (ص) وقال :

«بابي وامي طبت حياً وميتاً . والله لا يدبكم الله الموتين ابداً .

«ثم خرج والناس حول عمر وهو يقول لهم : انه لم يموت . ويحلف .

«فقال : ايها الحالف على رسلك .

«ثم قال : من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله

حي لا يموت . قال الله تعالى :

«انك مت ميت وانهم ميتون . وقال :

«اقان مات او قتل ، انقلبتم على اعقابكم . . . »

ثم نقل ابن ابي الحديد «ما تكلمت الشيعة في هذا الموضوع» وما اجاب قاضي-

القضاة في كتاب «المغنى» عنها وما اعترض به السيد المرتضى في كتاب «الشافى»

على ذلك الجواب وبعدها التتبي والتى قال :

«ونحن نقول :

«ان عمر كان اجل قدرأ من ان يعتقد ما ظهر عنه في هذه الواقعة ولكنه لما

علم ان رسول الله (ص) قد مات ، خاف من وقوع فتنة في الأمامة وتغلب اقوام عليها

اما من الأنصار او غيرهم .

« وخاف ايضا من حدوث ردة ورجوع عن الإسلام فانه كان ضعيفا بعد

لم يتمكن .

« وخاف من تيرات توشن ودماء تراق ، فان اكثر العرب كان موتوراً في

← الى ربه كما ذهب موسى بن عمران . والله ليرجعن رسول الله فليقطعن اهدى رجال وارجلهم

زعموا انه مات» (الكامل لابن الاثير الصفحة ال ٢١٩) وما يستلفت النظر في هذا المنقول

اطلاق «المنافقين» على من زعم ! الوقات ، ثم الحلف بعدم موته (ص) !

في حياة رسول الله (ص) يقتل من قَتَلَ اصحابه منهم . . . »
 « فاقترضت المصلحة عنده تسكين الناس . . . وكذلك عمر اظهر ما اظهر
 حراسةً للدين و الدولة الى ان جاء ابوبكر وكان غائبا بالسُّنْح ، و هو منزل بعيد عن
 المدينة .

« فلما اجتمع ابي بكر قوى به جأشه و اشتدّ به ازره و عظم طاعة الناس له
 وميلهم اليه ، فسكت عن تلك الدعوى التي كان ادعيها ، لأنه قدامن بحضور ابي بكر
 من خَطْبٍ يحدث او فساد يتجدد . . . »

يقول كاتب هذه الكلمات . يبالي انى رايت فى بعض الكتب المعتمدة ، و لا
 اذكره الآن ، لبعد العهد و طول الزمن ، انّ قبل مجيىء ابي بكر و قراءة الآية
 على عمر قرء بعض من حضر هنا على عمر (رض) عين ماقرأها بعده ابوبكر عليه
 فلم يلتفت اليه ولم يعتدّ به و لم يسكت عن تلك الدعوى فكانته لم يسمع ماتليت عليه
 ولعلته ينتظر مجيىء ابي بكر اليه .

ماقال
 ابن ابي الحديد
 لوجوبها لانكار
 عمر موت
 النبي (ص)

٢٢٧ - الشاهد الثانى على التوطئة

الثانى :

كتمان عمر (رض) خير السقيفه وعدم افشائه لمن حضر من اكابر المهاجرين .
 قال الطبرى فى تاريخه (وغيره ايضا فى كتبهم) :
 « لما اتى عمرُ الخبرَ فأقبل الى منزل النبى (ص) فأرسل الى ابي بكر ،
 و ابوبكر فى الدار ، و علىّ بن ابي طالب (ع) دائب فى جهاز رسول الله فأرسل الى
 ابي بكر ان اخرج الىّ انه قد حدث امرٌ لا بدّ لك من حضوره .
 « فخرج اليه فقال : اما علمت . . . فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا ابا عبيدة بن
 الجراح فتماشوا اليهم ثلاثهم . . . »

كتمان
 خير السقيفه

فمما لا يكاد ان يرتاب فيه انّ العادة (والعقل السليم والطبع المستقيم) فى مثل

تلك الحادثة تحكّم بان يُعلَن بما حدث، من اجتماع الأنصار، عند قاطبة المهاجرين ، اهل الرّأى والحلّ والعقد ، و يُشاور معهم و يُستعان بهم و يُستمدّ في مؤامرتهم من آرائهم ولا سيّما في تلك الحالة ، الحالة التي كانت اكابر المهاجرين حاضرين هنا ، وفيهم صهر الرسول واخوه و ابن عمّه علىّ ابى طالب وعمّه العباس وحواريه الزبير و طلحة و اعظم الصحابة كسلمان و ابى ذر و مقداد و عمّار و اضرابهم ، فالانحراف عن الطّبيعة العرفيّة السّاذجة و العادة المألوفة المرضيّة ، بل و راي العقل ، لا يكون آلا وان يكون لسبب توطنه للامر و تقدّم مشاورّة و مؤامرة و تدبير له .

٢٢٨- الشاهد الثالث على كون التّوطئة قبلاً

الثالثة :

عدم صحّة كون التّوطئة من سعد بن عبادة .

لا يصحّ ان يتوهّم ان اجتماع الأنصار في السقيفة كان بتمهيد و توطئة من سعد بن عبادة وذلك لأنّه كان « مريضاً مزمّلاً » لا يقدر على الحركة بحيث « اخرجوه اليهم » فلتة و « اقعده » بغتة على انه لو كان بتمهيد منه لم يصر الأمر الى ما آل اليه من سرعة خيبته و شدة و طئته .

فمن ذا الذي مهّد الأمر و اعدّه و هيّأ السقيفة فدعا الأنصار اليها و ندبهم

للإجتماع فيها ؟ فلننظر :

كان في من حضر السقيفة أسيّد بن حُضير ، سيّد الاوس و رئيسهم المُطاع عندهم و التّأفد امره فيهم ، وكان ايضاً ممّن حضر بشير بن سعد الخزرجي ، ابن عم سعد بن عبادة . وله في الخزرج ، كما دريت ، شأنٌ من الشأن و موقعٌ و مكان . افتري ، و انت على ما يُظنّ بك ممّن ترعى الأنصاف و تحيط خبيراً باطراف الواقعة و الأكناف ، انهما حضرا في السقيفة ليكونا عوناً على امارة رقيهما و من كانا يحسدان عليه و ينافسانه في رئاسته و هو سعد بن عبادة ؟ او حضرا فيها ليشاهدا بيعة

اصحابهما و قبيلتهما اياه ؟ او حضرا لأخذ البيعة و تحصيل الامارة والرئاسة لفسهما
و مع هذا النظر اخرجوا سعداً المكرّم المقدم عليهما اليهم و لم يصرفا الأنصار من
اخراجهم اليهم ؟

لا يُظنّ بك هذه الظنون ، و لاسيّما مع ما تذكر ان بشيراً هو الذي سبق
بالبيعة فسهّل الطريق بمخالفته القوم و الفريق ، فريق الخزرج ، انصار سعد .
ولعلك على ذكرك من قول الطبري هذا :

« . . . اشار ابوبكر الى صاحبيته : عمر و ابى عبيدة . و دعا الانصار الى بيعة
من شاؤا منهما . و ردّ الصّاحبان عليه بانّه احقّ لأن يتولّى الأمر و قالاله : ابسط يدك
نبايعك .

سياق
بشير الخزرجي
الى المبايعة
و سراع
اسيد الاوس
في المعايعة

« فلماً ذهباً ليبياعاً ، سبّهما اليه بشير بن سعد فبايعه . . . »

و بعد ان بايع بشير الخزرجي ، بايع أسيد الأوسى فتمّ التدبير و قضى بما
سبق من التوطئة و التمهيد و حينئذٍ قالت عدّة ، أعدت لذلك من غوغاء الأنصار ،
لبعضهم :

« و . . . فقوموا فبايعوا ابابكر . فقاموا اليه فبايعوه . . . » و وثبت تلك العدة
على سعد و وطفوه كى يشغل هو ، و اقرباؤه ، بحفظ نفسه الأهمّ ، و يشغلوا عن ما كانوا
فيه من المهمّ المهمّ ، فتمّ بذلك ما ارادوا و قضى الأمر على ما كادوا و اشادوا .

٢٢٩ - بشير و اسيد قبل السقيفة و بعدها

مما استلفت النظر ان بشيراً و أسيداً قديداً كان مع ابى بكر و عمر (رض)
قبل جريان واقعة السقيفة و كانه لا ينسى ما فعلا للسقيفة و فيها ، فيذكران بعدها
ولا سيّما اسيدا فيتوجه اليه بالاجارة و المجازاة و بتقابل بالأثابة و المكافاة .

اما ما يكون من قبيل الأول :

قد حكى ابن ابى الحديد نقلاً من « كتاب السقيفة » لأبى بكر احمد بن عبد العزيز

بأسناده عن عبدالله بن عبدالرحمن، فى قضية امرالنسبى (ص) أسامة بن زيد بالأغارة على مؤتة حيث قُتل أبوه، زيد، و ان يغزو وادى فلسطين، انه لما افاق الرسول فى مرضه :

« . . . فجعل يقول :

« اتفدوا بعث أسامة . لعن الله من تخلف عنه . فكرر ذلك .

« فخرج أسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتى اذا كان بالجرف

نزل . ومعه ابوبكر وعمر و اكثر المهاجرين . و من الأنصار اسيد بن حضير و بشير بن سعد . . . »

واما ما يُشعر بالثانى :

فقد حكى ابن حجر العسقلانى الشافعى (٧٧٣-٨٥٢ هـ . ق) فى كتابه «الأصابة»

رواية عن الواقدى من طريق طلحة بن عبيدالله التيمى :

« قال كان ابوبكر لا يقدم احداً من الأنصار على أسيد بن حضير »

وفى «الأصابة» ايضاً ، رواية عن عروة ، قال :

« لما مات أسيد بن حضير باع عمر ما له ثلاث سنين فوقى بها دينه و قال :

« لا اترك بنى اخى عالة ، فرد الأرض و باع ثمرها » ٢ .

١- اختصاص الخروج مع أسامة بهما لعله كان من اجل موافقتهما مع الصحابين او

مخالفتها لعلى ، ولا كذلك سائر الانصار، وكان نظر الرسول (ص) كما تعتقد الشيعة فى بعث أسامة اخلاء المدينة من المخالفين . والله العالم بحقائق الامور .

٢- لعله لم يوجد فى تاريخ الاسلام مورداً آخر عمل فيه عمر (رض) مثل ما عمل

فى هذا المورد وقال فيه مثل هذا القول : « لا اترك بنى اخى . . . » اللهم الا ان يدعى عدم

وجود ميت فى زمانه من المسلمين بحيث كان لدينا حتى لا يترك بنوه عالة ! وكيف كان

فحمل عمر نعشه بنفسه . و تقديم ابى بكر اياه على كل واحد من الانصار كائنا من كان

يبين ايضاً علو قدره و سمو مقامه عندهم .

وقال ابو عمرو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر «الفتية الحافظ المحدث - المالكي» (٣٦٣ - ٤٦٣ هـ . ق) في كتابه الاستيعاب :

« توفى اسيد بن حضير في شعبان سنة عشرين . . . و حمله عمر بن الخطاب بين العمودين من عبد الأشهل حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه »

وقال ايضا :

« واوصى (يعنى اسيداً) الى عمر بن الخطاب فنظر عمر في وصيته فوجد عليه اربعة آلاف دينار فباع نخله اربع سنين باربعة آلاف و قضى دينه . و قيل انه حمل نعشه بنفسه بين الأربعة الأعمدة و صلى عليه . »

وعلى هذا فمن القريب جداً ان يكون لهذين الأنصارين العظيمين دخل عظيم في تلك التوطئة و وساطة قوية ، خفية او جلية ، لاصل الاجتماع و تكوينه في - الأبتداء كما كان لأقدامهما سريعا على البيعة و ابرام امرها بعداً اثرها المطلوب في - الأنتهاء .

من
اركان التوطئة
بشير و اسيد

فانظر مرافقه أسيد و معاضدته بعد السقيفة في امر البيعة ، لعمر (رض) :

قال ابوبكر ، احمد بن العزيز ، في « كتاب السقيفة » (على ما حكى ابن ابي - الحديد عنه) بأسناده عن ابي الاسود قال :

« غضب رجال من المهاجرين في بيعة ابي بكر بغير مشورة .
و غضب على و الزبير فدخلا بيت فاطمة ، عليها السلام ، معهما السلاح .
فجاء عمر في عصابة ، منهم أسيد بن حضير و سلمة بن سلامة بن وقس ، وهما من بنى عبد الأشهل .

« فصاحت فاطمة عليها السلام و ناشدتهم الله .

« فأخذوا سيفى على و الزبير فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما . . . »

٢٣٠- الشاهد الرابع على التوطئة

الرابع :

كلام معاوية في كتابه لمحمد بن ابي بكر (رض) و هذا عين لفظه (قد مرّ سابقاً بعض ما فيه) :
« فكان ابوك و فاروقه اول من ابتزه وخالفه على ذلك ، اتفقا و اتسقا ثم دعواه الى انفسهما » .

«... فَإِنْ كُنْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ طَلَبْتَ فَحَقَّنَا أَخَذْتَ .
وَأِنْ كُنْتَ بِالْمُؤْمِنِينَ فَتَحَنُّ مِنْهُمْ ...
فَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ يَجِبُ لَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ فَمَا
وَجَبَ إِذْ كُنَّا كَارِهِينَ ...
(من كلام عم الرسول، عباس ، لأبي بكر)

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكَتْ أُمُورَهُمْ
فَكَيْفَ بِهِذَا وَالمُشِيرُونَ غُيِّبُ ؟

وَأِنْ كُنْتَ بِالقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ
فَغَيَّرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَاقْرَبُ
(رَوَى عَنْ عَلِيٍّ عَلَى مَا قَالَهُ الشَّرِيفُ الرِّضِيُّ)

١- بعد السَّقِيفَةِ .

٢- احتجاج العباس على ابي بكر .

٣- تطميع ابي سفيان و اسكاته بالمال .

٤- تهديد عمر (رض) فاطمة بنت النّبى (ص)

وسيدة نساء العالمين ومن كانت ابدانها ابداء

الرسول (ص) بأحراق بيتها على على وغيره

من اهل البيت . . .

٥- استنكاف امرأة من الصحابيات المهاجرات

عما أرسل اليها من بيت المال .

١٣- حول ماجرى بَعْدَ السَّقِيفَةِ :

٢٣١ - بعد السقيفة

قال البراء بن عازب ^١ :

«لم ازل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول الله (ص) خيفتُ ان تتَمَّأَ لأقريش على اخراج هذا الأمر عنهم فأخذني ما يأخذ الوالدة العجول ، مع ما فى نفسى من الحزن لوفاة رسول الله (ص) ، فكنت اتردد الى بنى هاشم ، وهم عند النبى فى الحجرة وانفقَدُ وجوه قريش فانى كذلك اذ فقدتُ ابا بكر وعمر واذا قائل يقول :

«القوم فى سقيفة بنى ساعدة واذا قائل آخر يقول :

«قد بويع ابوبكر !

«فلم البث واذا انا بأبى بكر قدا قبل ومعه عمر و ابو عبيدة وجماعة من اصحاب- السقيفة وهم محتجزون بالأزْر الصنعانية لايمرون بأحدٍ الا يخطوه! وقدموه! فمدوا يده فمسحوها على يد ابى بكر بياضه! شاء ذلك اوابى! ^٢ .

أخذ البيعة
بعد السقيفة
بالقهر

١- شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (الجلد الاول - الصفحة ال ٧٣١ -) ذيل شرح الخطبة الشقشقية . وفيه (فى المجلد الاول الصفحة ١٣٢ -) (تقلا عن ابى بكر احمد بن عبد العزيز) قال : حدثنى المغيرة بن محمد المهلبى من حفظه وعمر بن شبة من كتاب بأسناد رفعه الى ابى سعيد الخدرى قال : سمعت البراء بن عازب يقول : «لم ازل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول الله تخوفت ... الخ .

٢- «قال ابوبكر احمد بن عبد العزيز الجوهرى : وحدثنى احمد بن اسحق بن صالح قال : حدثنى عبدالله بن عمر بن معاذ عن ابن عون قال : حدثنى رجل من زريق ان عمر كان يومئذ ، قال : يعنى يوم بويع ابوبكر ، محتجزاً بهرول بين يدي ابى بكر ، ويقول : الا ان الناس قد باهوا و ابا بكر . قال : فجاء ابوبكر حتى جلس على منبر رسول الله (ص) فعمد الله و اثنى عليه ثم قال : اما بعد فانى وليتكم و لست بخيركم و لكنه نزل القرآن و سنت السنن و علمنا فتعلمنا . ان اكيس الكيس ، التقى و احمق الحمق ، الفجور و ان اقويكم عندى الضعيف ، حتى أخذ له بالحق و اضعفكم عندى القوى حتى أخذ منه الحق . ايها الناس انما انا شيع و لست بمبتدع . اذا احصنت فاعينونى و اذا زغت فقومونى»

«فأنكرتُ عقلى و خرجتُ اشتدُّ حتى انتهيتُ الى بنى هاشم و البابُ مُغلقٌ .
فضربتُ عليهم البابُ ضرباً عنيفاً و قلتُ :
«قد بايعَ النَّاسُ لأبى بكر بن أبى قحافة !
«فقال العباسُ :

« تربت ايديكم الى آخر الدهر اما قد امرتكم فعصيتونى .
« فمكثتُ اُكابدُ ما فى نفسى ورايتُ فى الليل ، المقداد و سلمان و اباذر
و عبادة بن الصّامت و ابا الهيثم ابن التّيهان و حذيفة و عمّاراً و هم يريدون ان يُعيدوا -
الامر شورى بين المهاجرين . و بلغ ذلك ابا بكر و عمر فأرسلا الى ابى عبيدة و الى -
المغيرة بن شعبة فسألاهّما عن الرّأى . فقال المغيرة :

«الرّأى ان تلقوا العباس فتجعلوا له وولده فى هذه الامرة نصيباً لتقطعوا بذلك
ناحية على بن ابى طالب عليه السلام !»

«فانطلق ابو بكر و عمر و ابو عبيدة و المغيرة حتى دخلوا على العباس ، و ذلك
فى الليلة الثانية من وفاته رسول الله (ص) فحمد ابو بكر الله و اثنى عليه و قال :

« . . . فقد جئناك و نحن نريد ان نجعل لك فى هذا الامر نصيباً ! و لمن بعدك
من عقبك ! اذ كنت عمّ رسول الله (ص) ، و ان كان المسلمون قد رآوا امكانك
من رسول الله و مكان اهلك ثم عدلوا بهذا الامر عنكم .

« و على رسليكم بنى هاشم فان رسول الله منّا و منكم !
« فاعترض كلامه عمر و خرج الى مذهبه فى الخشونة و الوعيد و اتيان الامر من
اصعب جهاته فقال :

« اى والله .

« و اخرى انّا لم نأتكم حاجة اليكم ولكن كرهنا ان يكون الطعن فى ما اجتمع
عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم و بهم فانظروا لأنفسكم و لعامّتهم ثم سكت .

١- فى موضع آخر «تقطعوا به من ناحية على و يكون لكم الحجة ، عند الناس على
على اذا مال عليكم العباس . فانطلقوا . . . »

« فتكلم العباس . فحمد الله و اتنى عليه . ثم قال :
 « ... فان كنت برسول الله طلبت فحقنا اخذت وان كنت بالمؤمنين فنحن منهم .
 « ماتقدمنا في امركم فرطاً و لاحتلنا وسطاً و لانزحنا شحطاً .
 « فان كان هذا الامر يجب لك بالمؤمنين ، فماوجب اذكنا كارهين و ما ابعد
 قولك « انهم طعنوا » من قولك : « انهم مالوا اليك »
 « واما ما بذلت فان يكن حقك اعطيتناه فأ مسيكة عليك ، وان يكن حق -
 المؤمنين فليس لك ان تحكم فيه ، و ان يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض .
 « و ما اقول هذا اروم صرفتك عما دخلت فيه ولكن للحجته نصيبها من البيان .
 « واما قولك : « ان رسول الله (ص) « منا و منكم » فان رسول الله (ص) من
 شجرة نحن اغصانها و انتم جيرانها » .
 « واما قولك يا عمر : انك تخاف الناس علينا ، فهذا الذي قدمتموه اول
 ذلك و بالله المستعان »
 هكذا روى ابن ابي الحديد في شرحه على نهج البلاغة (الجزء الاول الصفحة -
 ال ٧٣ - ٧٤) .

٢٣٢- ارضاء ابي سفيان للبيعة

و نقل هو (ابن ابي الحديد) فيه ايضاً :
 « وروى ابو بكر احمد بن عبدالعزيز الجوهري في « كتاب السقيفة » .. بأسناده
 عن مالك بن يسار انه قال :
 « كان النبي قد بعث اباسفيان ساعياً فرجع من سعابته و قد مات رسول الله (ص)
 فقال :

« من ولى بعده ؟

« قيل : ابو بكر .

« قال : ابو فضيل ؟

« قالوا : نعم . . . »

« فكلّم عمر ، ابا بكر . فقال : انّ اباسفيان قد قدّم وانا لانا من شرّه فادفع له ما فى يده . ففترّكه فرضي »

قال الفقيه المالكي ، ابن عبد ربّه فى كتابه « العقد الفريد » (الجزء -

الصفحة ال -) :

« تُوِّفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو سَفْيَانَ غَائِبٌ فِي مَسْعَاةٍ أَخْرَجَهُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ جَعَلَ يَطُوفُ فِي أَزْقَتِهَا وَيَقُولُ :

« بَنِي هَاشِمٍ لَا يَطْمَعُ النَّاسُ فِيكُمْ

وَلَا سَيِّمًا تَيْمٌ بِنِ مَرَّةٍ أَوْ عَدِي

» فَمَا الْأَمْرُ إِلَّا فِيكُمْ وَإِيَّاكُمْ

وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا أَبُو حَسَنٍ عَلِيٌّ

» فقال عمر لأبى بكر :

« انّ هذا قدّم وهو فاعل شرّاً ، وكان النبىّ يتألفه على الإسلام . فدع له

ما بيده من الصدقة . ففعل ! . فرضى ابوسفيان و بايعه . »

٢٣٣- ختم الكلام عن السقيفة وماجراياتها

هذا انموزج ممّا ورد فى الكتب المعتمدة ، و نُقِلَ عن الرواة الموثقة المعتمدة من اهل السنّة ، فى قضية السقيفة بدءً وختماً و قبلاً و بعداً ، و يظهر من مجموعها جلياً انّ بناء البيعة قامت على دعامة التدبير والأبرام ، ثمّ على عماد الأكرام والاكرام و على الوعيد و الأيعاد و التهديد و الأرعاد و على التطميع و البذل و الأرفاد .

و لنكتف بهذا الأنموزج و نختم الكلام فى شأن السقيفة و بعدها بما رواه ابن -

ابى الحديد عن ابى بكر احمد بن عبد العزيز و هذا لفظه :

« قال : لمّا بويح لابي بكر ، كان الزبير و المقداد يختلفان فى جماعة من الناس

الى عليّ وهو في بيت فاطمة فيتشاورون و يتراجعون امورهم .

« فخرج عمر حتى دخل علي فاطمة عليها السلام وقال :

« يا بنت رسول الله ما من احد من الخلق احبّ الينا من ابيك وما من احد احبّ الينا منك بعد ابيك .

و اَيْمُ اللهُ ما ذاك بما نَعِيَ انِ اجتمع هؤلاء النَّفَر عندك ان امر بتحريق البيت عليهم »

و روى ايضا عن كتاب السقيفة لأبي بكر احمد بن عبدالعزيز في قضية السقيفة بعد نقل كلام حباب بن المنذر وما اجابه به عمر ما هذا نصّه (المجلد الاول - الصفحة ال ١٣٣ -) :

« . . . فتكلّم ابوبكر فقال : نحن الأمراء و انتم الوزراء و الأمر بيننا نصفان كشقّ الأبلّمة^٢ . فبويح .

« وكان أوّل من بايعه بشير بن سعد والّد النّعمان بن بشير . فلما اجتمع الناس على ابي بكر قسم قسمًا بين نساء المهاجرين و الأنصار . فبعث الى امرئة من بنى- عبدالنّجار قسمها مع زيد بن ثابت .

« فقالت : ما هذا ؟

« قال : قسم قسمها ابوبكر للنساء .

« قالت :

« اترشوني عن ديني ؟ والله لا اقبل منه شيئاً فردّته عليه . . . »

وفي كتاب « صفة الصّفوة » (المجلد الثاني - في ذكر المصطفيات من الصحابيات)

لأبن الجوزي^٣ تحت عنوان « امرئة أُخرى من المهاجرات » :

١- وقد نقل انه امر كما حلف و حرق باب البيت و عسف .

٢- « . . . و الأبلم : الغليظ الشفتين . و بقلة لها قرون كالباقلي او خوص المقل . و يثك اوله كالابلمة مثلثة الهمزة و اللام . و المال بيننا شق الابلمة اي نصفين » (قاموس)

٣- الشيخ العلامة جمال الدين ابوالفرج عبدالرحمن ابن . . . الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ق .) صاحب التآليف الرائقة و المواظ الانيقة الفاتقة .

حلف عمر
بصهريق بيت
فاطمة علي :
علي و جمع
من بنى هاشم

« عن ابن سيرين : انّ ابا بكر اُتِيَ بِمال فقسّمه بين الناس . فبعث منه الى امرئة من المهاجرات فلما اُتِيَتْ به قالت :

« ما هذا ؟

« قالوا : ابوبكر جانه مال فقسّمه فى الناس فقسّم منه فى نُظرائك .

« قالت : اتخافونى ان ادعَ الاسلام ؟

« قالوا : لا .

« قالت : افترشوننى على دينى ؟

« قالوا : لا .

« قالت : فلاحاجة لى فيه »

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»

(الآية السابعة من سورة البيّنة قال النبي (ص) بعد نزول الآية :

«أَنْتَ يَا عَلِيُّ وَشِيعَتُكَ»

(تفسير الكبير لابن جرير الطبري)

«... وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ فِيكَ ثَلَاثَ فِرَقٍ :

فِرْقَةٌ اتَّبَعُوكَ وَآحَبُّوكَ وَهُمْ «الْمُؤْمِنُونَ» وَفِرْقَةٌ

عَادُوكَ وَهُمْ «النَّاكِبُونَ» وَ«الْمَارِقُونَ»

و«الْقَاسِطُونَ» وَفِرْقَةٌ غَلَبُوا فِيكَ

وَهُمُ الضَّالُّونَ . يَا عَلِيُّ أَنْتَ وَاتِّبَاعُكَ

فِي الْجَنَّةِ»

(أخرجه موفق بن أحمد الخوارزمي)

١- اسم الشيعة ونشأتها .

٢- حبّ عليّ وبغضه .

٣- طاعة عليّ و موالاته .

٤- نبذة مما ورد في عليّ و شيعته .

١٤ - حول نشأة الشيعة :

٢٣٤ - نشأة الشيعة ونسبتها

حصلت البيعة في السقيفة، وحدثت عنوان الخلافة وعينت الخليفة، على مادريت، فوجب ان يؤكد بنيان البيعة ويشيد اركان الخلافة. فجلس ابوبكر (رض) في الغد من ذلك اليوم على منبر الرسول (ص) «فقام عمر (رض) فتكلم قبل ابى بكر فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال . . .»

«وبعد ماتم كلامه توجه الى الناس وقال :

«فقوموا فبايعوا»

«فبايع الناس ابابكر، العامة بعد بيعة السقيفة .

«ثم تكلم ابوبكر فحمد الله واثنى عليه بالذى هو اهله ثم قال :

«اما بعد : ايها الناس فانتى قد وُلّيتُ و لستُ بخيركم فان احسنتم فاعينونى

وان اسأتُ فقومونى .

«اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلاطاعة عليكم . قوموا

الى صلوتكم ، رحمكم الله»^١ .

فصارت البيعة فى ذلك اليوم عامة وانقطع رجاء الخلاف ومع ذلك بقي جمع

من اعظم المهاجرين و الأنصار لم يبايعوا بعد ، كعلى و عباس و سائر بنى هاشم قاطبة

وكسعد بن عباد و اولاده، و بعض من عشيرته الاقربين، وجمع من اكابر الصحابة فلم

يبايع هؤلاء الا بعد مضى من الزمن^٢

١- «الكامل» لابن الاثير (الجزء الثانى - الصفحة ٢٢٤) و تاريخ الطبرى وغيرهما .

٢- هذا سوى سعد بن عباد فانه لم يبايع حتى مات فى الطبرى (وغيره)

«... وكان (يعنى سعدا) لا يصلى بصلوتهم ولا يجتمع معهم و يحج ولا يفيض معهم

بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك ابوبكر ، رضى الله عنه ، ولم يبايع عمر بعد ابى بكر

ايضا حتى مات او قتل »

البيعة العامة
وكلام الخليفة:
«... ولست
بخيركم...»

و ذلك حين رأوا ان الأكثر ذهب الى البيعة وانهم بالنسبة الى من بايع و تابع فى غاية من القلّة و انّ التخلّف عن البيعة و المقاومة فى المخالفة و المفارقة فى الكلمة لا يكون ضررها عائداً اليهم فحسبُ بل يمكن ان يورث هدمَ اساس الإسلام، و يرجع- القوم، القهقري، و يعتنقوا الجاهلية الأولى، فالتجأوا، حفظاً للإسلام، الى البيعة ولكنّه كان فى اعتقادهم انّ الحقّ أزيل عن مركزه و كان فى ذُكرهم قول النبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم .

«على مع الحقّ و الحقّ مع علىّ» ، يدور اينما دار

«روى الحاكم^١ فى المستدرک بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن (على ماحكى

السيد العلامة ، محسن الأمينى العاملى فى كتابه «ايعان الشيعة») انها قالت :

« لما سار علىّ الى البصرة دخل على امّ سلمة زوج النبىّ (ص) يودّعها

فقال :

«سرفى حفظ الله و فى كنفه . فوالله انّك لعلىّ الحقّ و الحقّ معك . ولولانى

اكره ان اعصى الله و رسوله فأنة امرنا ان نقرّ فى بيوتنا لسرتُ معك ولكن و الله

أرسل معك من هو افضل عندى و اعزّ علىّ من نفسى ، ابنى عمر ،

«وقال صحيح على شرط الشيخين» انتهى ما رواه العلامة العاملى (ره)

فكان هوى ذلك الجمع و ميلهم مع علىّ يحبونه لفضائله فيطيعونه و يشيعونه

فنشأت تلك العقيدة من ذلك الحين ثمّ اشتهر عنوان «الشيعة» لهم فصار عنواناً خاصاً

لمن يعتقد امامة علىّ و خلفته بعد النبىّ و من يعتقد امامة احدى عشر من اولاده المعصومين

وقد يعبر عمّن يعتقد ذلك « بالشيعة الاثنى عشرية » ، كما قد يطلق على هذه الفرقة

من الشيعة «الشيعة الامامية» ايضا ولكل وجه .

١- محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالحاكم والمدعو باين البيع ، كان امام

اهل الحديث فى عصره وقد اخذ الحديث (كما قال المحدث القمى فى كتابه هدية الاحباب)

عن عدة كثيرة تقرب الفين محدثا او من مصنفاته كتابه المشهور «المستدرک على الصحيحين»

وكتاب «فضائل فاطمة» وكتاب «تاريخ علماء نيسابور» توفى فى شهر صفر الخير سنة

(٤٠٥ هـ . ق.)

٢٣٥ - عنوان «الشيعة»

صارت كلمة «الشيعة» كما دريت باطلاقها، عنواناً خاصاً للامامية الاثني عشرية فكل من يهوى علياً ويواليه و يعتقد امامته و امامة احد عشر من اولاده المعصومين- المعروفين فهو شيعة باطلاق الكلمة كما قد يطلق عليهم عناوين أخر تفيد تلك المعاني وقد روى عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، في شأن المنتمين الى علي (ع) بالحبّ والموالة والأتباع وكذا في حقّ الجائرين له، بالبغض والمعاداة والأنحراف روايات جمّة في «الصّحاح» و «المسانيد» و «المناقب» وغيرها من الاصول المعتمدة والكتب المعتمدة لعظماء اهل السنّة، فاطلاق عنوان «المحبّ» و «المطيع» و «المؤالي» و «المتبّع» علي من تابع علياً، و احبّه و اطاعه، و احبّه و اتبعه و شايعه، كأطلاق «المبغض» و «المُعادي» علي من عاداه و ناصبه، بعين الكلمات، او ما يفيدها، في الاحاديث الصّحيحة- المستفيضة، بل المتواترة، تواتراً اجمالياً، بل معنوياً، ان لم يكن لفظياً، كثير جداً. نورد انموذجاً منها هنا :

٢٣٦ - نبذة مماورد في شأن عليّ و شيعته في الكتب المعتمدة

لأهل السنّة

في كتاب « ينابيع المودة » ' للشّيخ سليمان الحنفى روايات كثيرة جداً نقل

شردمة منها :

ليس لـحب علي
حسرة عند
الموت ولا
وحشة في القبر
ولا فرح
يوم الحساب

١- « عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها، رَفَعَتْهُ :

« يا عليُّ حَسْبُكَ أَنْ لَيْسَ لِمُحِبِّكَ حَسْرَةٌ عِنْدَ مَوْتِهِ وَلَا وَحْشَةٌ

فِي قَبْرِهِ وَلَا فَرْحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

١- كل ما نقلناه من ينابيع المودة راجعنا مأخذها و رايناها فيها ايضا، وهكذا نفعل

في كل ما نوردنا منقولاً، اللهم الا ان يكون المنقول عنه مما ليس به يدنا او ليس حاضرًا

لدينا .

٢- «صحيح الترمذى عن المساور الحميرى عن امه قالت : دخلت على ام سلمة فسمعتها تقول : كان رسول الله يقول : «لا يُحِبُّ عَلِيّاً مُنَافِقٌ وَلَا يُبْغِضُهُ مُؤْمِنٌ»
٣- «الأصابة ، يحيى بن عبدالرحمن الأنصارى قال سمعت رسول الله (ص) يقول :

«مَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فِي مَحَبَّاهُ وَمَمَانِهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ»

٤- «اخرج ابن المغازلى عن الزهري قال : سمعت انس بن مالك يقول : والله الذى لا اله الا هو سمعت رسول الله (ص) يقول :
«عُنْوَانُ صَحِيْفَةِ الْمُؤْمِنِ حُبُّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»

٥- «اخرج الحموي عن سعيد بن جببر عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) «يا عليُّ انا مدينته الحكمة و انت بابها و لن تؤتى المدبنة الا من قبل الباب .

«و كذِبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي وَيُبْغِضُكَ، لَا تَكُ مِنْنِي وَأَنَا مِنْكَ، لِحَمَمِكَ مِنْ لِحَمِي، وَدَمَكُ مِنْ دَمِي، وَرُوحُكَ مِنْ رُوحِي، وَسَرِيرَتُكَ مِنْ سَرِيرَتِي، وَعَلَانِيَتُكَ مِنْ عَلَانِيَتِي، وَأَنْتَ إِمامُ أُمَّتِي وَوَصِيَّتِي .

«سَعِدَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَشَقِيَ مَنْ عَصَاكَ، وَرَبِحَ مَنْ تَوَلَّاكَ، وَخَسِرَ مَنْ عَادَاكَ .

«فَازَ مَنْ لَزِمَكَ، وَهَلَكَ مَنْ فَارَقَكَ .

«وَمَثَلُكَ وَمَثَلُ الْأُمَّةِ مِنْ وَلَدِكَ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ، وَمَثَلُكُمْ مَثَلُ النُّجُومِ كُلِّ مَا غَابَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

٦- و في «المناقب» عن جابر بن عبد الله ، رضى الله عنهما ، قال : لقد سمعت رسول الله (ص) يقول :

دوانت امام امتي
ووصي ربي
من اولادك
وخير من عبادك

« في عليٍّ خصالاً (كذا) لو كانت واحدة منها في رجل ، اكتفى به فضلاً وشرفاً . . . عليٌّ مِنِّي كَنَفْسِي ، طَاعَتُهُ طَاعَتِي ، وَمَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي . »
 ٧- « وفي المناقب » عن عطية بن سعد العوفي عن محمد بن يزيد الذُّهلي قال : نزلت آية « اصحاب الجنة هم الفائزون » فقلنا : يا رسول الله من اصحاب الجنة؟ قال :

« مَنْ اطاعنِي ووالى عَلِيّاً مِنْ بَعْدِي »

٨- في خبر طويل « اخرج ابوالمؤيد اخطب الخطباء موفق بن احمد الخوارزمي - المكي عن سيد الحفاظ ابي منصور شهردار بن شيرويه الديلمي بسنده ... انه (ص) قال لعليّ « يوم فتحت خيبر بقدرة الله » في مقال :

الموالون عليا
بعد النبي
هم اصحاب الجنة

« وَاَنْتَ دَاخِلٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ اُمَّتِي وَاَنْ مُحِبِّبِكَ وَاَتْبَاعَكَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ . . . وَاِنَّ اللَّهَ اَمَرَنِي اَنْ اُبَشِّرَكَ : اَنْتَكَ وَعِتْرَتُكَ وَمُحِبِّبِكَ فِي الْجَنَّةِ وَعَدْوُكَ فِي النَّارِ ، لَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضُ مُبْغِضُكَ وَلَا يَغِيْبُ عَنْهُ مُحِبُّكَ . . . »

« و اخرج ايضا هذا الحديث صاحب كتاب « المناقب » عن جابر بن عبد الله الأنصاري »

٩- « اخرج موفق بن احمد الخوارزمي (باسناده عن عليّ في حديث طويل-) قال النبي (ص) لعليّ :

« . . . وَاِنَّ اُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ فِيكَ ثَلَاثَ فِرَاقٍ .
 « فِرْقَةٌ اَتَّبَعُوكَ وَاَحْبَبُوكَ وَهُمْ «المؤمنون» . »

١- عدد في هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة عشر خصالاً لعليّ : رابعها ما ذكر في المتن ومنها قوله (ص) : « عليّ مع الحق والحق مع علي لا يفترقان » ومنها قوله (ص) : « مَنْ فَارَقَ عَلِيّاً فَقَدْ فَارَقَنِي وَمَنْ فَارَقَنِي فَقَدْ فَارَقَ اللَّهَ » و آخرها قوله (ص) : « شيمة عليّ هم الفائزون » (يتابع المودة -

« و فرقة عادوك وهم الناكثون » و « المارقون » و « القاسطون » .

« و فرقة غلوا فيك وهم الضالون » .

« يا علي أنت و أتباعك في الجنة . . . » انتهى ما اردنا نقله عن كتاب

ينابيع المودة .

قال ابن ابي الحديد في شرحه لنهج البلاغة : « و روى الناس كافة ان رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم . قال له (يعني لعلي) :

« هذا وليي و أنا وليه »

٢٣٧- نبذة اخرى من الأخبار في ذلك المضممار

نقل « السيد الأمام فخر الملة احمد بن موسى بن جعفر بن الطاوس » في كتابه

القيّم « بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية » عدة روايات في هذا الموضوع من الكتب المعتمدة المعتمدة لأكابر علماء السنّة نذكر ايضاً شذمة منها هنا :

١- « روى احمد بن حنبل عن مسافر الحميري عن ابيه عن ام سلمة تقول :

سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي :

« لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق »

٢- « و من الجمع بين الصحاح الستة لروزين العبدري من سنن ابي داود من

صحيح البخاري بحذف الأسناد ، قالت ام سلمة قال النبي (ص) :

« لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن »

٣- « و من مسند احمد بن حنبل في جملة حديث عن النبي (ص) في علي بن-

ابي طالب :

« لا يحبّه آلا مؤمن ولا يبغضه آلا منافق »

وكان ابوسعيد الخدري ، على ما نقله صاحب « بناء المقالة » « من الجمع بين-

الصّاح السّنة لروين العبدوى من سنن ابي داود « ايضا يقول : « انا كنا لنعرف-
المنافقين ببغضهم على بن ابي طالب .

وروى الحافظ ابو نعيم الاصبهاني في كتابه حلية الاولياء بأسناده عن
ابي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« ان الله عهد الىّ عهداً في عليّ .

« فقلت : يا ربّ بينه لي .

« فقال : اسمع .

« فقلت : سمعت .

« فقال : انّ عليّاً راية الهدى ، و امام اوليائي ، و نور من اطاعني ، و هو الكلمة-
التي لزمها المتقين . من احبته احبني و من ابغضه ابغضني فبشره
بذلك . . . » (المجلد الأول الصفحة ال ٦٧-)

حب على
حب الله

٢٣٨- عنوان شيعة عليّ في كلمات النبيّ (ص)

كما وردت في كلمات من الرسول (ص) ما يدلّ على لزوم الحبّ و الاتّباع
و الولاء و الاطاعة لعليّ و ترشد الى وجود التناق او عدم الايمان في من كان مبغضاً
و معادياً له ، كذلك وردت عنه صلى الله عليه و آله و سلم في حق شيعة عليّ بلفظ
« الشيعة » خاصّة عدّة روايات في الكتب المعتمدة لاهل السنة تنقل نبذة منها هنا عن-
الينابيع ايضا^١ :

١- « وفي المناقب عن ابن الزبير المكيّ عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهما ،

قال : كنا عند النبيّ فاقبل عليّ فقال : « قد آتاكم آخسي »

ثمّ التفت الى الكعبة فمستها بيده . ثمّ قال :

١- ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي .

دعوى و هيعة
هم الفالزون

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، هَذَا وَشِيعَتُهُ هُمُ الْفَالِزُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

ايضا ابن عباس رفعه : «عَلِيٌّ وَشِيعَتُهُ هُمُ الْفَالِزُونَ»

٢- «مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : انْتَى لَنَا نَامٌ يَوْمًا اذْخَلَّ

رَسُولُ اللَّهِ فَنظَرَ اِلَى وَحَرَّكَ نِي بَرَجَلَهُ وَقَالَ « قُمْ يَفْدِي بِكَ اَبِي وَ اُمِّي فَاَنْ

جِبْرَائِيلَ اَتَانِي فَقَالَ لِي :

« بَشَّرَ هَذَا بِاَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْاَلَمَةَ مِنْ صُلْبِهِ وَ اَنَّ اللَّهَ لَغَفَرَ لَهُ

وَلِدْرِيَّتِهِ وَ لِشِيعَتِهِ وَ لِمُحِبِّيهِ وَ اَنَّ مَنْ طَعَنَ عَلَيْهِ وَ بَخَسَ حَقَّهُ

فَهُوَ فِي النَّارِ »

٣- «عبدالله بن سلام» قال : قلت : يا رسول الله اخبرني عن «لواء الحمد»

ماصفته . . . ؟ الى : فمن يستظلّ تحت لوائك ؟ قال :

« الْمُؤْمِنُونَ اَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَ شِيعَةُ الْحَقِّ وَ شِيعَتِي وَ مُحِبِّي وَ شِيعَةُ

عَلِيٍّ وَ مُحِبُّوهُ وَ اَنْصَارُهُ فَطُوبَى لَهُمْ وَ حَسُنُ مَا بَ »

٤- «جابر رفعه :

«وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا اِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ وَ تُشْفِقُ عَلَيْهِ،

وَ عَلِيٌّ شِيعَتُهُ اَشْفَقُ مِنْ الْوَالِدِ عَلِيٍّ وَ لَدِهِ»

٥- «عليّ عليه السلام رفعه :

«لَا تَسْتَخِفُّوا بِشِيعَةِ عَلِيٍّ فَاِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَسْتَفْعَ فِي مِثْلِ رَبِيعَةَ

وَ مُضَرَ»

٦- «عبدالله بن احمد بن حنبل في كتابه «السنة» بأسناده عن عليّ بن ابي -

طالب قال : قال النبيّ عليه السلام .

« يَا عَلِيُّ اَنْتَ وَ شِيعَتُكَ فِي الْجَنَّةِ »

٧- «في مرفوعة ابي ذر الغفاري في كلام طويل :

١- نقل هذا الحديث عن «الاسام بن الاسام عبدالله بن احمد بن حنبل» ←

نفي الرسول
عن الاستخفاف
هيعة علي

«... فَأَخْتَارَنِيَّ وَأَخْتَارَ عَلِيًّا لِي صِهْرًا... وَجَعَلَ شِيعَتَهُ فِي الْجَنَّةِ» وفي كتاب «بناء المقالة» :

«وروى عن ابن عباس مرفوعاً، في قوله، جلّ وعزّ :

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»
انّ النبيّ عليه السلام قال لعليّ :

«شيعة علي
هم خير البرية»

«بأبي أنت، وَشِيعَتُكَ تَأْنِسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَاضِينَ مَرْضِيَيْنَ وَبِأْتِي عَدُوَّكَ غِضَابًا مُقْمَحِينَ»

وفي التفسير الكبير لمحمد بن جوير الطبري، في ذيل الآية المزبورة آنفاً (انّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية)، باسناده فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم :
« أَنْتَ يَا عَلِيُّ وَشِيعَتُكَ »

هذه نبذة ممّا اطلقت كلمة «الشيعة» على محبّي عليّ و تابعيه بلسان النبيّ -الكريم، وقبل ان يتولّى الخلافة في الظاهر. واما موارد اطلاق هذه الكلمة على تابعيه ومواليه في زمان خلافته بلسانه و بلسان اصحابه و اتباعه، او بلسان مخالفيه و اعدائه، وهكذا بعد شهادته ورحلته، فاكثر واكثر من ان يسهل عادة استقصاؤها، واشهر من ان يحتاج الى نقلها و ايرادها في هذا المقام (وسيجيء ذكر شذمة منها في آخر الفصل -الذي انعقد لبيان انعقاد بيعته)

مواضع آخر
مما اطلق
عنوان الشيعة
على تابعي
علي بلسانه
وفي زمانه

→ في كتابه «السنة»، بعض من جانب الانصاف في حق «الشيعة» فالف كتابا سماه «الصراع بين الاسلام و الوثنية» وكنى عن الشيعة ب«الوثنية» لاسامحة الله في هذه الكناية و الافتراء، وجزاه بما يستحقه لهذا البهتان والاعتداء، فليسأل عنه من هذه «الشيعة» في هذا الحديث -الذي نقلته (في الصفحة ال ٢٠) مستدلا به ؟!

٢٣٩- عنوان « الشيعة » في كلمات عليّ واصحابه

في موارد عديدة

منها ما نقله ابن ابي الحديد (المجلد الاول الصفحة ال ٢٥٦ -) عن نصر من طريق ابي الكنود وغيره من كيفية قدوم عليّ عليه السلام الكوفة ، بعد وقعة الجمل ، لانتى عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ست وثلاثين ، ودخوله المسجد الاعظم وصعوده المنبر ، بعد ان صلتى ركعتين ، والقائما الخطبة ، وفيها الاشارة الى قعود رجال منهم عن نصرته ، والى انه عاتب عليهم « فليهجروا وليُسمَعوا المكروه ، ليُعرف بذلك حزب الله » وقيام مالك بن حبيب صاحب شرطته وقوله : والله انى لأرى الهجر و سماع المكروه لهم قليلا . والله لو امرتنا لنقتلنهم . وقول عليّ عليه السلام : سبحان الله يا مال ، جزت المدي و عدوت الحد . . . ليس هكذا قضى الله يا مال ، قال سبحانه : اَلنَّفْسُ بِالنَّفْسِ . . . وقال : « وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِيُؤَيِّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ » و الأسراف فى القتل ان تقتل غير قاتلك فقد نهى الله عنه . . . و قيام ابي بردة ابن عوف الأزدي وكان ممن تخلف عنه و قوله : يا امير المؤمنين ارايت القتلى حول عائشة وطلحة والزبير علىّ م قتلوا؟ (اوبم قتلوا)؟ ... حتى وصل الى قوله :

«فقال عليّ عليه السلام :

« قتلوا بما قتلوا شيعتى وعمالى وقتلوا اخا ربيعة العبدى ، رضى الله عنه ، فى عصابة من المسلمين قالوا : اننا لاننكث كما نكنتم ولا نغدر كما غدرتم . فوثبوا عليهم فقتلواهم . فسألنهم ان يدفعوا الى قتلة اخوانى اقتلهم بهم ثم كتاب الله حكم بينى وبينهم فابوا علىّ وقاتلوني و فى اعناقهم بيعتى ودماء قريب من الف رجل من شيعتى فقتلهم آء ننت فى شكك من ذلك؟ فقال : قد كنت فى شكك فاما الآن فقد عرفت واستبان لى خطاء القوم . . . »

ومن تلك الموارد ، بعد ان خرج خويّب الناجى عليه (ع) وارسل (ع) زياد

زياد بن خصيفة اليه وكتب (ع) نسخة واحدة الى جميع عماله باخبارهم عن امر الخارجي و امرهم فيها بالمراقبة عنه :

« فخرج زياد بن خصيفة حتى اتى داره و جمع اصحابه فحمد الله و اثني عليه ثم قال :

« يا معشر بكر بن وائل ان امير المؤمنين ندبني لامر من امره مهم له ، و امرني بالانكماش فيه بالعشيرة حتى آتى امره و انتم شيعته و انصاره . . . »

« و روى قيس بن الربيع عن يحيى بن هاني المرادي من رجل من قومه يقال له : زياد بن فلان ، قال :

« كنا في بيت مع علي نحن و شيعته و خواصه . . . »^١

و روى الخطيب البغدادي في كتابه ، تاريخ بغداد ، (في ترجمة عبدالله بن نوح البغدادي (المجلد العاشر) بأسناده عن سويد بن غفلة « قال : مررت بنفر من الشيعة^٢ فدخلت على علي بن ابي طالب . . . »

و في الكامل لابن الاثير (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٠٢ -) :

« وقال المدائني : نظر علي الى قوم يبابه فقال لقبير مولاة :

« من هؤلاء ؟

« قال : شيعتك يا امير المؤمنين .

قال : و مالي لا اري فيهم سيما الشيعة ؟

« قال : وما سيماهم ؟

« قال : خمس البطون من الطوى ، يبس الشفاه من الظماء عمش-

العيون من البكاء^٣ »

١- شرح ابن ابي الحديد على نهج البلاغة .

٢- لا يخفى مما في هذه الكلمة من الاطلاق و من التعلية باللام .

٣- في « حلية الاولياء » لابي نعيم (المتوفى سنة ٤٣٠) بأسناده عن سجاهد قال شيعة علي ، الحكماء العلماء الذبل الشفاه الاخيار . . . وفيه ايضا (المجلد الاول - الصفحة ال ٨٦-) بأسناده عن علي بن الحسين قال : شيهتنا الذبل الشفاه و الامام منا من دعا الي طاعة الله .

وفي المجلد الثاني من ينابيع المودة (الصفحة ال ٤٥)

« . . . ولمّا صالح الحسن معاوية ، كتب الصّالح ، و صورته :

« بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم . هذا ما صالح عليه حسن بن علي ، معاوية بن ابي-

سفيان مصالحة علي ان يسلم ولاية المسلمين :

علي ان يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله (ص) و سيرة الخلفاء الراشدين .

« و ليس لمعاوية ان يعهد الى احد من بعده عهداً ، بل يكون الأمر من بعده

شورى بين المسلمين .

« و علي انّ الناس آمنون حيث كانوا من ارض الله تعالى في شامهم ، و عيراقهم ،

و حجازهم ، و بيمتهم .

« و علي انّ اصحاب عليّ و شيعة آمنون على انفسهم و اموالهم و نسائهم و اولادهم

حيث كانوا .

« و علي معاوية بذلك عهد الله و ميثاقه . و لا ينبغي للحسن بن علي و لا لأخيه-

الحسين و لا لأحد من اهل بيت رسول الله (ص) غائلة سرّاً و لا جهراً . و لا يخاف احد

منهم في اقل من الآفاق .

« شهد عليه فلان بن فلان و فلان بن فلان . و كفى به شهيداً »

و في الكامل (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٠٥) ذيل « ذكر صلح معاوية و قيس-

بن سعد » .

« . . . فلما بلغه (يعنى قيساً) انّ الحسن بن علي ، صالح معاوية اجتمع معه

جمع كثير و بايعوه على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة عليّ عليّ دمايتهم و اموالهم و ما-

كانوا اصابوا في الفتنة »

و في الجزء الثاني من تاريخ اليعقوبى (احمد بن ابي يعقوب الكاتب المتوفى

بعد سنة ٢٩٢) :

« ولمّا توفّي الحسن و بلغ الشيعة ذلك ، اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن

صرد ، و فيهم بنو جعدة هبيرة ، فكتبوا الى الحسين بن علي عليه السلام يعزّونه علي

مصابه بالحسن :

«بسم الله الرحمن الرحيم . للحسين بن علي من شيعته و شيعة ابيه امير المؤمنين . سلام عليك فاننا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو .

«اما بعد فقد بلغتنا وفاة الحسن بن علي يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ما اعظم ما اُصيب به هذه الأمة عامة ، وانت وهذه الشيعة خاصة بهلاك ابن الوصي و ابن بنت النبي علم الهدى و نور البلاد
«فاصبر رحمك الله على ما اصابك ، ان ذلك من عزم الامور ، فان فيك خلفاً ممن كان قبلك

«ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك ، المحزونة بحزنك المسرورة بسرورك ، السائرة بسيرتك ، المنتظرة لامرك . شرح الله صدرك ، ورفع ذكرك ، واعظم اجرک ، وغفر ذنبك ، ورد عليك حقك»

و في الكامل (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢١٠ -) ذيل « ذكر الخبر عن تحرك الخوارج » (سنة اثنتين و اربعين) :

« واستعمل (يعنى معاوية) على الكوفة ، المغيرة بن شعبه فأحب العافية ، واحسن في الناس السيرة ، وكان يؤتى فيقال :

« ان فلانا يرى رأى الشيعة و فلانا يرى رأى الخوارج فيقول :

« قضى الله ان لايزالوا مختلفين و سيحكم الله بين عباده»

و في الكامل ايضا (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٣٩ -) ، في واقعة خروج المختار الى الكوفة :

« . . . ان المختار قال لابن الزبير ، وهو عنده ، : انتى لأعلم قوماً لو ان لهم رجلاً له فقه ، و علم بما يأتى و يذر ، لاستخرج لك منهم جنداً تقاتل بهم اهل الشام .
« قال : من هم ؟

« قال : شيعة علي بالكوفة»

و في « الأمتاع و المؤانسة ، لأبى حيان التوحيدى ، (المجلد الثانى - الصفحة-

«... وكذلك رام ابوتمام النيسابورى وخدم الطائفة المعروفة^١ بـ «الشيعة» ولجأ الى مطرف بن محمد وزير مروادويج الجبلى ليكون له قوة به...»
وفى «مروج الذهب ومعادن الجوهر» لابي الحسن على بن الحسين المسعودى -
الشافعى (المتوفى سنة ٣٤٦ هـ . ق) :

« و هجا المأمون ، ابراهيم بن المهدي ، المعروف بابن شكلة ، عمه ، وكان
المأمون ، يظهر التشيع و ابن شكلة ، التسنن فقال المأمون :
اذا المُرَجِيّ سَرَكَ اَنَّ تراهُ

يَمُوتُ لِحِينِهِ ، مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ
فَجَدَّدَ عِنْدَهُ ذِكْرِيَّ عَلِيَّ
وَ صَلَّ عَلَى النَّبِيِّ وَ آلِ بَيْتِهِ

فأجابه ابراهيم راداً عليه .

اِذَا الشَّيْعِيُّ جَمَجَمَ فِي مَقَالِ
فَسَرَكَ اَنْ يَبُوحَ بِلذاتِ نَفْسِهِ
فَصَلَّ عَلَى النَّبِيِّ وَ صَاحِبِيْنِهِ

وَزَيْرِيْنِهِ وَ جَارِيْنِهِ بِرُؤْسِهِ »

ولنختم الكلام فى المقام بما رويته الحافظ ابونعيم الأصبهاني عن النبى
صلّى الله عليه وآله وسلم ، فى حلية الأولياء (المجلد الأول - الصفحة ال ٨٦ -) .
تحريضاً على تولّى على (ع) بعده (ص) ، حدّث بأسناده عن حذيفة قال :
« قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم :

« مَنْ سَرَّه اَنْ يَحْيِيَ حَيَاتِي ، وَ يَمُوتَ مَيْتِي ، وَ يَتَمَسَّكَ بِالْقَصْبَةِ الْيَاقُوْتَةِ ،
الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : « كُونِي فِكَانَتِ ، فَلِيَتَوَلَّى عَلِيَّ بن ابي طالب
من بعدى^٢ » .

موالاة على
وتوليه
وعرة النبي
من بعده

١- اعرف كلمة «المعروفة» واعترف .

٢- فى تقييد «الموالاة» و «التولي» بما بعده (ص) ما يرشد المنصف الى المراد -

ثم قال الحافظ ، ابونعيم ، :

«رواه شريكك ايضا عن الأعمش عن حبيب بن ابي ثابت عن ابي الطفيل عن

زيد بن ارقم .

« ورواه السدّي ايضا عن زيد بن ارقم .

« ورواه ابن عباس وهو غريب .

«حدثنا محمد بن المظفر، ثنا محمد بن جعفر بن عبد الرحيم . . . عن عكرمة

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيِيَ حَيَاتِي ، وَيَمُوتَ مَمَاتِي ، وَيَسْكُنَ جَنَّةَ عَدْنِ

غَرْسَهَارَبِيِّ ، فَلْيُؤَالَ عَلِيًّا مِنْ بَعْدِي وَكُلِّوَالِ وَلِيِّهِ ، وَلْيَقْتَدِ بِالْأئِمَّةِ مِنْ

بَعْدِي فَإِنَّهُمْ عِترَتِي خَلِقُوا مِنْ طِينَتِي رُزِقُوا فَهَمًا وَعِلْمًا ، وَوَيْلٌ

لِلْمَكذِبِينَ بِفَضْلِهِمْ مِنْ أُمَّتِي ، لِلْقَاطِعِينَ فِيهِمْ صِلَتِي لَا أَنَا لَهُمْ اللهُ

شَفَاعَتِي »



← من المولاة والتولى و الا فالموالاة والتولى بمعنى المعبة مطلقة غير مقيدة بزمان حياة الرسول او « من بعده » و يصرح بذلك قوله (ص) : « وليقتد بالائمة من بعدى فانهم عترتي . . . » كما يجيء في الرواية التالية .

«وَكَيْفَ صَيَّرْتُمُ الْأَجْمَاعَ حُجَّتَكُمْ
وَالنَّاسُ مَا اتَّفَقُوا يَوْمًا وَلَا اجْتَمَعُوا

أَمْرٌ عَلَيَّ بِعَيْدٍ عَنِ مَشُورَتِهِ
مُسْتَكْرَهٌ فِيهِ، وَالْعَبَّاسُ يَمْتَنِعُ

.....
(مهيار الديلمي)

- ١- الخلافة عند الشيعة .
- ٢- الخلافة عند اهل السنة .
- ٣- مواضع للسؤال .
- ٤- اجتماع اهل الحل والعقد .
- ٥- مافى الاحتجاج بالاجتماع ولزوم الأتباع .
- ٦- خلافة ابي بكر (رض) وانهضاء دوره .
- ٧- استخلاف ابي بكر ، عمر .
- ٨- ختم و دفع وهم .

١٥- حَوْلَ الْأَخْتِلافِ فِي الْخِلافةِ

٢٤٠- الخلافة عن الرسول (ص) منصب الهى عند الشيعة

استقرّ امر الخلافة عن الرسول، صلّى الله عليه وآله وسلم، على ابي بكر (رض) على ما عرفت، ولكنّه كان هناك اعتقاد فى شأن الخلافة يجب ان لا يفغل عنه وهو ان - الخلافة عن الرسول (ص) كنفس الرّسالة ليست حكومة دنيوية محضة، ورئاسة اجتماعية صرفة، وسلطنة ملكية بحتة، كى يصح ان يكون زمامها بيد الناس و برأيهم، فرداً او جماعةً، فتختار الأمة، او فرداً منها، للرّسالة من الله، او للخلافة عن الرسول، من تستصلحه للاختيار، و يرتضيه للانتخاب . بل تكون الخلافة بحسب هذا الاعتقاد والتّظر وباقتضاء هذا الرأى، شأن معنوى شريف ومنصب ملكوتى عظيم، و امر الهى قويم، لا يقلُّ اُعتبره و شأنه عن احكام الطهارة و الحليّة و الحرمة و الحيض و النفاس و اللّعان و الظهار و الطلاق و العتاق و الحدود و الدّيات، و عن اى حكمٍ من الاحكام العبادية او المعاملية او السياسية و الجزائية الفقهية الالهية، فلانما من ان ينصّ الرسول عليه و يبلغه الى الأمة بأمرٍ من الله الرّؤف بالعباد، الحكيم فى ما اراد و افاد .

هذا اعتقاد الشيعة فى موضوع «الخلافة» عن الرسول (ص)، و تعتقد فى «الخلافة» - المختار من جانب الرسول و بوحي من الله افضليته المطلقة، فى العلم والعمل، و عصمته الذاتية، لئلا يلزم ترجيح المرجوح على الراجح و حكومة الطّالغ على الصّالح و رئاسة - الجاهل الخاطى العاصى على مثله، بل على العالم المصيب البرى عن المعاصى . ثم تعتقد ان الرسول (ص) قد نصّ عليه و ابغاه و اتمّ تبليغ ما امر الله به و اكمله . فما ابقى للامة اختياراً لانتخاب الخليفة عن الرسول، و للرّسول، مجال، و لا ارتضى لهم فى تعيين من يقوم مقامه و يخلف، من بعده، مكانه تحمّل انتخاب و تكلف سعي و اجتهاد و ما كلّفهم بنيابتهم عنه تشخيص من ينوب منابه و تبين من يحقّ خلافته .

٢٤١ - الخلافة عند اهل السنّة

وامّا اهل السنّة فيعتقدون انّ الخلافة حكومة دنيويّة محضة، ورئاسة اجتماعيّة صرفة، شأنها نظم الاجتماع، باجراء الحدود وحفظ الثغور وضبط الدولة، وبسط الشوكة، الى غير ذلك، ممّا يكون من شئون الرؤساء والأمراء الدنيويّة. فليس في اعتقادهم على الله وعلى رسوله تعيين شخص خاص لهذا الشأن، بل امر التعيين موكول بارادة بعض الناس (اهل الحلّ والعقد على ما يعتقدوهم ايضاً) وانتخابهم، ومفوض بميلهم واختيارهم، بل الانتخاب والاختيار فرض من الله على الأمة! فيصير هذا المختار - المنتخب من الأمة، خليفة للرسول! شاء او لم يشأ، حاكماً على جميع الأمة، ارادوا ام لا يريدوا، فعلى الأمة ان يتلقاه بالقبول للخلافة ويطيعوه!

قال عبد القاهر البغدادي (المتوفى سنة ٤٢٩) صاحب التآليف الكثيرة في بيان «الرّكن الثاني عشر، المضاف الى الخلافة و الامامة» من كتابه «الفرق بين الفرق»: «ان الامامة فرض واجب على الأمة لأجل اقامة الامام ينصب لهم القضاة والأمناء، ويضبط ثغورهم، ويغزى جيوشهم، ويقسم الفيء بينهم، و ينتصف لمظلومهم من ظالمهم.

«وقالوا (اي اهل السنّة): بانّ طريق عقد الامامة للامام في هذه الامّة، الاختيار بالاجتهاد...»

٢٤٢ - مواضع للسؤال

هنا نقف الشيعة وتسال عن اخوانه، اهل السنّة، متعلماً لامتنعاً اسئلة منها: لو فرض جواز التوكيل في هذا الامر الخطير والمهمّ الجليل، وتوهم انّ زمام الانتخاب فوّض بيد الأمة فجعلت الخيرة لهم في اختيار من شاؤا و ارادوا، بحيث يصير مختارهم خليفة الرسول، باختيارهم، لا بارادته و انتخابه، و يصير حاكماً على

على الأمة نافذاً او امره و اراداته فى شئونها بتعيينهم ، لا بامر الله و تصويبه ، فما معنى-
الأحتجاج بانّ «الائمة من قريش» ؟

اليس معنى هذا الكلام سلب الأختيار عن الأمة فى الاختيار عن غير قريش ؟
ثم ان سومح فى ذلك أو ليس اذا كان و لم يكن امر خاص ، من سنخ الأفضلية-
المطلقة والعصمة والطمهارة معتبراً وملحوظاً فى افراد من قريش و كان هذا الكلام صادراً
فى مقام الأبناء لانا نشأ على وجه الأخبار ، يصير هذا الحكم الانشائى مفيداً لترجيح
ما ليس له مرجح بل وقد يمكن فى بعض المصاديق وفى بعض الأزمنة ان يكون المختار
من قبيل ترجيح المرجوح على الرأجح ؟ وحاشا الحكم الالهى والكلام النبوى ان يرد
هذا المورد .

هب ذلك كان كذلك ، فهل يكون هناك ملاك للاختيار و مناط للانتخاب ؟
فان كان هنا معيار و ملاك فما هو الملاك فى المنتخب (بكسر الخاء) ؟ و ما هو-
الملاك والشرط فى المنتخب (بفتح الخاء) ؟ ولمن يكون هذا النحو من الحق ؟ و باى
دليل نقلى او عقلى استحق ؟ و من اين جاء حق النيابة عن الرسول فى تعيين الخليفة له ،
وان شئت فقل : فى حق الولاية على امّة الرسول فى نصب الرئيس عليهم والتصرف
فى شئونهم ؟

هل الملاك اراء
الامة باجمعها ؟

ثم على اى وجه ينبغى ان يكون عمل الانتخاب حتى يصير ذلك الانتخاب
موجباً لسلب الأختيار ممن لم يكن حاضراً ، بل لم يكن موجوداً ، او كان حاضراً
ولم يختار ، او لم يكن موافقاً لمن اختاره غيره ممن حضر ؟

اىكون الملاك اجتماع جميع الأمة لهذه المهمة : ذكورها و اناثها ، شيوخها
و شبانها ، مهاجريها و انصارها ، علمائها و جهالها ، و اتفاق الكل باجمعهم على واحد
من بينهم او من خصوص قريش ؟

لو كان الملاك اجتماع الامة باجمعها و اتفاق الأفراد بأسرهم فهل يمكن وقوع
هذا النحو من الاجتماع و الاتفاق ، ولاسيما فى القرون الغابرة والعصور التالية حيث

حيث انبسط بساط الدين على الساهرة، وتجاوزت الأمة عن مئات ملايين، فضلا عن موعد يظهر الله الدين على الكافرين والمشركين، فيسلم كل من في البسيطة و على وجه الأرض و يدين ، كما هو الموعود و المأمول ؟

ذرنا ان نذر هذا الامكان في بقعته الفسيحة ونسلم امكان وقوع هذا النحو من- الاجتماع في العالم الوسيط الاسلامي، وان وصلت فسحته وسعته الى ما يقدر ويؤمل لها ان تصل، وان بلغ ذلك الاجتماع من كثرة الأفراد الى ما يمكن ان يبلغ، فهل وقع في السالف من التاريخ الإسلامي مثل هذا الاجتماع العام من افراد المسلمين الموجودين بل الحاضرين، لانتخاب الخليفة؟ فاذا كان الجواب: لا، وكلا، ولا محالة يكون كذلك، فماذا هو الملاك؟

ام هل يتنى
اتفاق
بعض الامة؟

او يكون الملاك اجتماع عدة خاصة؟ فماذا تكون هذه الخصوصية التي تحكم بضرورة وجودها ووجوب تحققها، ضرورة امتناع الترجيح من دون مرجح، فضلا عن ترجيح المرجوح؟ ثم ما الدليل الشرعي او العقلي على اعتبارها؟ و اين يكون في- الدين و منهاجه نص لبيانها؟ او اين يكون من العقل حكم لأدائها؟ ثم هل وجدت لمن اجتمع في السقيفة تلك الخصوصية المجهولة، او المفروضة؟ وهل كان في تلك البيعة فيها، استنادهم اليها؟

فان لم تكن موجودة قطعاً، او كانت مشكوكة، فما الدليل على اعتبار تلك البيعة وكيف يوجه لزوم الالتزام بها؟

وان كانت موجودة ووقعت كاملة صحيحة على ما كان ينبغي ان تقع عليها، فما معنى هذا الكلام الصادر ممن شيدت بيده عقدة البيعة انها «كانت فلتنة، و قى الله شرها، فمن عاد الى مثلها فاقتلوه!»؟

٢٤٣ - اجتماع اهل الحل والعقد

هب ان السائل، سلم ان الخصوصية اللازمة المعتبرة المعتمدة يجوز ان تكون

فى الاجتماع المؤلف من «اهل الحلّ والعقد» ، كما عبّر واعتُبر و أُيد واستُند .
 فهل كان اجتماع من اجتمع فى السقيفة اجتماع جميع اهل الحلّ والعقد
 من الأمة ؟ بل وهل اجتمع فيها اهل الحلّ والعقد من خصوص الحاضرين فى المدينة ؟
 ماذا يمكن ان يُراد من «اجتماع اهل الحلّ والعقد» (او اجماعهم) كى لا ينقضه
 افتراق علىّ ، ابن عمّ الرسول (ص) واخيه و ابى ذرّيته ؟ ومن ذالذى يُقصد بلفظ
 «اهل الحلّ والعقد» حتى لا ينقضه خروج العباس ، عمّ الرسول (ص) و طلحة و الزبير
 حوارى رسول الله وغيرهم من اكابر المهاجرين منهم ؟

ايصحّ ان يقال : انّ سلمان ، وهو منهم اهل البيت ، لم يكن من اهل الحلّ والعقد؟
 وهكذا ابوذر و المقداد ، اللذين قال الرسول (ص) فى حقهم «على ما فى كتاب «الأصابة»
 و غيره) :

« انّ الله ، عزّ وجلّ ، امرتسى بحبّ اربعة و اخبرنى انه يحبهم : علىّ

والمقداد و ابوذر و سلمان ؟»

وايضالم يكن عمّار بن ياسر ، اللذى قال (ص) ايضافى شأنه «على ما فى «الاستيعاب»
 من حديث خالد بن الوليد) : «مَنْ ابغَضَ عمّاراً ابغضه الله تعالى» (ومن حديث
 انس بن مالك) : «اشتاقت الجنة الى علىّ و عمّار و سلمان و بلال» ، من اهل الحلّ
 والعقد» كى لا يضرّ خروجهم بل ولاخلافهم بالاجتماع و الأجماع ؟

على ماينبغى ان يحمل تلك العنوان (اهل الحلّ و العقد) حتى لا ينافيه مخالفة
 سعد بن عبادة صاحب راية الرسول ، و رئيس الخزرج اللذى صاح الصائح ، لبيان عظمة
 شخصيته لهم فى اجتماعهم ؟

فأنّ يُسَلِّمِ السَّعْدَانِ يُضْبِحُ مُحَمَّدًا

بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ؟

ولا يضره خروج قيس بن سعد اللذى كان فى حياة الرسول (ص) بمنزلة صاحب الشرطة
 له (ص) ^١ وهكذا خروج جميع آل سعد و كثير من عشيرته الاقربين و اتباعه الملازمين ،

١- فى تاريخ بغداد (وغيره من الكتب المعتمرة) للخطيب البغدادي (فى ترجمة ←

من الأنصار ، عنهم ؟ وقد قال الرسول (ص) في حق آلِه (كما نقلناه سابقا عن ابن حجر) :

« اللّٰهُمَّ اجْعَلْ صَلَوتَكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى آلِ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ ؟
 أَوْ لَيْسَ افْتِرَاقٌ هَؤُلَاءِ الْاَكَابِرِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَضُرُّ بِتَمَامِيَّةِ ذَلِكَ-
 الْأَجْتِمَاعِ وَيُزِيلُ اعْتِبَارَ هَذَا النَّحْوِ مِنَ الْاِجْمَاعِ ؟

٢٤٤- ما في الاحتجاج بصحة الاجتماع ولزوم الاتباع

ثمّ ما الدليل على وجوب اتباع ذلك الاجتماع على من لم يكن هناك او كان ولم يشأ ان يتحمّل ذلك الاتباع ؟

هل يصحّ ان يستند في الحكم بوجوب الاتباع لذلك الاجتماع ولزوم الالتزام به بوجوب التحرّز عن الضلالة المنفيّة ويُسْتَدَلُّ بقوله صلى الله عليه وآله وسلّم، لذلك :

«لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ ؟»

اَفْتَرَى انّ مثل ذلك الاجتماع اذا صدق عليه « اجتماع بعض الأُمّة » لكان

يصدق عليه « اجتماع الأُمّة » ! ؟

متى واين اجتمعت « الامّة » ، بأطلاق الكلمة ، في تلك المسئلة ، في السقيفة ،

وغيرها ، كى يصحّ ان يُعدّ افتراق البعض ضلالة ؟

بل وهل يمكن ان يصدق عنوان « اجتماع الأُمّة » مع خروج البعض ؟ أو ما

ينفي هذا الافتراق ذلك الاجتماع ؟

ثمّ لوجاز اطلاق عنوان « اجتماع الأُمّة » على « اجتماع بعض الأُمّة » لجاز

ان يطلق هذا العنوان (اجتماع الامّة) على « اجتماع البعض الآخر المخالف » فماتكليف

من اراد التحرّز عن الضلالة ؟

→ ابي الحسين المصري - عبدالرحمن -) مسنداً الى انس انه قال : « كان قيس

بن سعد من النبي، صلى الله عليه وسلم، بمنزلة صاحب الشرطة من الاسير - يعنى ينظر فى

اموره - » .

لا ينبغي ان يعد
 اجتماع معدود
 من الامّة ،
 لاجتماع الامّة

أَوْ يجوز ان يقال: قلّة الأفراد في طرفٍ وكثرتها في الطرف الآخر ، لو تحققت، تكون مناطاً لصدق عنوان «اجتماع الأمة» في احدهما (الكثير) وعدم صدقه في الآخر (القليل) ؟ لا يُظنّ بمن راعى جانب الانصاف ان يقول بهذا وكيف يجوز هذا القول مع كون الطرفين سَوَاسِيَّةً في عدم تحقّق اتفاق «الأمة» (اي جميعها) في كليهما ؟ أَوْ هل يصحّ ان يستند في الحكم بوجود الأتباع بما يدلّ على وجوب اتباع سبيل المؤمنين ، او كما صرّح به في الآية على حرمة اتباع غير سبيل المؤمنين ؟ قوله تعالى :

«وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١»
لا ارى الأنصاف ان يستصحّ هذا الاستناد والاستدلال :

اما أولاً فلأنه لم يكن هنالك للمؤمنين على سبيل العموم ، المدلول عليه بصيغة الجمع ، المقرون بالسّلام ، سبيل واجتماع حتى يجب اتباعهم او يحرم اتباع غير سبيلهم . وثانياً لو سلّم انه ما اريد منه «العموم» بل يكفي فيه جمع منهم أَوْ ما كان ما جمع عليه الأنصار ، من انتخاب سعد للامارة سبيل المؤمنين ؟ دع ذلك فأنه غير قرشيّ و«الأئمة من قريش» اما قالت الأنصار ، كما في-

الطّبري وغيره ، او بعضهم : «لانباع الا عليّاً» اما كان هذا سبيل المؤمنين ؟
وفالثالثاً مَنْ الَّذِي يجترئ ، وهو مؤمن ، ان يتفوّه بأن سبيل هؤلاء الرّاسخين في الإيمان ، ممّن عرفت تخلفه عن السقيفة وعن البيعة ، وفيهم من سبق الكلّ في الايمان ومن قال الرسول (ص) في حقّه «على مع الحقّ والحقّ مع على لا يفترقان» وقال في شأنه يوم الخندق «برز الايمان كلّه الى الشّرك كلّه» ، لم يكن سبيل المؤمنين ؟ وقد عرفت سابقاً من التفسير الكبير للطّبري انه روى في ذيل هذه الآية : «انّ اللّدين آمنوا وعملوا الصّالحات اولئك هم خير البريّة» بأسناده: «فقال النبيّ صلّى الله

سبيل المؤمنين
الذي يجب
البايع

عليه وسلم : « أَنْتَ يَا عَلِيُّ وَشِيَعَتُكَ » .
ورابعاً ان الظاهر عن الآية ان « سبيل المؤمنين » هو الذي عينه وبيّنه الرسول (ص)
لا ما لم يكن منه (ص) نصّ فيه . فليفهم .

ولنختم هذا الكلام بما افاده مهيار الديلمي ولقد اجاد فيه :

وَكَيْفَ صَيَّرْتُمُ الْإِجْمَاعَ حُجَّتَكُمْ

وَالنَّاسُ مَا اتَّفَقُوا يَوْمًا وَلَا اجْتَمَعُوا

أَمْرًا ، عَلِيٌّ بَعِيدٌ عَن مَشُورَتِهِ

مُسْتَكْرَهٌ فِيهِ وَالنُّعْبَاسُ بِمَشْتَبَعٍ^١

٢٤٥ - خلافة ابي بكر وانقضاء دوره

وكيف كان حصلت البيعة باخرة حتى ممن لم يكن ذلك اليوم حاضراً في-
السقيفة او لم يشأ ان يبايع في اوائل الأمر .

فبعد مضي مدة ، لانقلّ على ما ضبطوها عن ستة اشهر ، عمّت البيعة وتمت^٢
وانتفتت الكلمة على ابي بكر (رض) واستقرت الخلافة له ، وانتظم امور المسلمين
الداخليّة ، فصار الإسلام يسير سيره المقدّر المأمول نحو الأمام و تنبسط سلطته على
سائر الاقوام من الفرس و الأروام .

وكان ذلك بمجاهدة المسلمين في سبيل حفظ الاسلام ، وبسط مناهجه الفاضلة ،
ونشر فضائله الكاملة ، وفي ظلّ تحليهم بالايمان ، وتجليهم بمتابعة احكام القرآن ،
وخضوعهم بالطوع والرغبة للمقررات ، ورعايتهم جانب العدل و الانصاف ، وتجنبهم

١- اعيان الشيعة (الجزء الاول - الصفحة ال ٦١)

٢- وان كانت بالنسبة الى بعض بالتهديد والاكراه كما نقلوا في بيعة علي وبنى هاشم
و الزبير و بالنسبة الى بعض آخر بالتطبيع و الاكرام ، كما في بيعة ابي سفيان . ولكنه بقي
سعد بن عباد على حاله ولم يبايع حتى مات او قتل في اوائل خلافة عمر .

عن الغدر والخطَل، و بالجملَة اتصافهم بالعلم والعمل، واعتصامهم بحبل الله الواحد الأحد :
 لم تطل ايام الخليفة ابي بكر (رض) وانقضى زمن خلافته في مدة لم تتجاوز
 عن سنتين الا باشهر قليلة فمرض و لمّا مرض و ايقن بالموت، تطوّر الشأن في امر-
 الخلافة و تغير وجه نصب الخليفة فرأى ان لا يكلها الى اختيار الأمة ولا باختيار اهل-
 الحلّ والعقد منهم، وعزم على ان «يغتنب الناس امرهم» و «يبتزّ حقهم»^١، الذي كان
 لهم يزعمه، و يترعه عنهم فعيّن الخليفة بشخصه و اختار، بالحقيقة، خليفة لنفسه و ذهب
 في هذا الأمر على خلاف ما ذهب اليه الرسول (ص) و مضى عليه، كما يدعى ويقول،
 و على خلاف ما اعلنوا و حكموا به من كون تعيين الخليفة و انتخابه من حقوق الأمة،
 او من شئون خصوص اهل الحلّ والعقد منهم، على ما يزعمون و يدعون، بل مع خلاف
 بعض اكابر اهل الحلّ والعقد من الصحابة كطلحة بن عبدالله، احد العشرة المبشرة،
 فانه اعترض على ابي بكر في ارادة اختياره من اراد اختياره بقوله :
 «ان من اردت اختياره رجل فظّ غليظ» .

الغتناب الناس
 امرهم
 ينصب الخليفة

٢٤٦- استخلاف ابي بكر، عمر (رض)

قال ابن ابي الحديد في شرحه على نهج البلاغة :

«و روى كثير من الناس ان ابا بكر لما نزل^٢ [به الوفاة] دعا عبد الرحمن بن

عوف فقال :

«أخبرني عن عمر .

١- اشارة الى ما سبق نقله من كلام عمر (رض) في خطبته على ما اورده ابن الاثير،

و كلام معاوية في كتابه الى محمد بن ابي بكر .

٢- و في الطبري (الجزء الثاني - الصفحة ال ٦١٨ -) « لما نزل بابي بكر الوفاة دعا

عبد الرحمن ... الخ » مع اختلاف يسير في بعض العبارات.

« فقال : انه افضل من رأيك الا ان فيه غلظا^١ .

« فقال ابوبكر : ذلك لانه يرانى رقيقا . . .

« ثم دعا عثمان بن عفان فقال :

« اخبرنى عن عمر .

« فقال : سريره خير من علانيته و ليس فينا مثله .

« فقال لهما : لاندكرا ممّا قلت لكما شيئاً . ولو تركتُ عمر لَمّا عدوتُك يا

عثمان ! والخيرة لك ان لا تلي من امورهم و لوددتُ انى كنتُ من اموركم خلوا
و كنتُ فى من مضى من سلفكم^٢ .

« ودخل طلحة بن عبيدالله على ابى بكر فقال :

١- انظر الى جواب هذا الصحابى المحنك، كيف ارضى ابابكر (رض) بالجملة الاولى

فى كلامه وكيف اظهر ما يضره فى نفسه من عدم رضائه ، بالجملة الثانية . فخالف بعد ما وافق !

٢- والى هذا ، يشير ما قاله على (ع) فى خطبته : «... حين يستقبل ، يجعله لغيره»
ولعل الناظر الى هذه المشاورة و المذاكرة يقوقف هنا نهية فيرجع الى التفهري ويذهب
الى السقيفة و يشاهد ان المدارفها من المهاجرين كان على ابى بكر و عمر و ابو عبيدة
و عبد الرحمن بن عوف ، على رواية ، وكان كما قال ابن ابى الحديد : « و عمر
هو الذى شيد بيعة ابى بكر ... ولولاه لم يثبت لابى بكر امر ، ولا قامت له قائمة» ثم بكر
راجعا فيشاهد ان المشاورة فى هذا العين محدودة مقصورة من بين المهاجرين و الانصار
على ابن عوف و عثمان و كلاهما يشيران الى عمر (رض) و يطلع عن قريب ان عثمان
حين يكتب وصية ابى بكر (رض) و يغمى عليه يكتب من عند نفسه و براى شخصه :
«عمر» ، و ان عمر حين يربدان يستخلف يقول : لو كان ابو عبيدة حيا ماعدوت عنه
واخيرا ينصب ، بالحقيقة ، فى صورة الشورى و تحت ستارها و غطاءها عثمان . وحينئذ لعل-
الناظر يحدث نفسه و يقول : لعل كان كل ذلك صدفة و اتفاقاً و وقع هذه الامور المرتبطة-
المتناسبة لى وقت وقوعها من غير سابقة تعاهد و تشاور ، بل بلا روية و بلا حساب !

«انه قد بلغنى^١ انك يا خليفة رسول الله استخلفت على الناس عمرو وقد رايت مايلقى الناس منه ، وانت معه فكيف به اذا خلا بهم ؟ وانت غدأ لاق ربك فيسألك عن رعيتك !

« فقال ابو بكر : اجلسونى . ثم قال : ابالله تخوفنى ؟ ! اذا لقيت ربى فسألنى قلت : استخلفت عليهم خيرا هلكت^٢ .

« فقال : طلحة :

« عمرو خير الناس يا خليفة رسول الله ! فاشند غضبه وقال :

« اى والله هو خيرهم وانت شرهم !

« أما والله لو وليتوك لجعلت انفك فى قفاك و لرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذى يضعها ! .

« اتبتنى وقد دلكت عينك ! تريد ان تفتننى عن دينى و تزيلتنى عن رائي اقم ، لاقام الله رجلك ! .

« أما والله لئن عشت فواق ناقة و بلغنى انك غمصته فيها او ذكرته بسوء لالحقنك بحصبات فنة^٣ حيث كنتم تسنفون ولا تروون و ترعون ولا تشبعون وانتم بذلك الحجون راضون^٤ » فقام طلحة فخرج .

١- من اين بلغه وقد منع ابو بكر ، عثمان و ابن عوف من اظهار الامر و ذكره .

٢- رويه الطبرى ايضا ، بأسناده عن اسماء بنت عميس (الجزء الثانى - الصفحة

ال ٦٢ -)

٣- كالفلة لفظا ومعنى وهى اعلى الجبل .

٤- قد عرفت سابقا ما تكلم به ابو بكر (رض) حين ما «بايع الناس ابا بكر ، العامة بعد يوم السقيفة من قوله : «ايها الناس فانى قد وليت ولست بخيركم اطيعونى ما طعت الله و رسوله فاذا عصيت الله و رسوله فلا طاعة عليكم...» فما ابعد بين ذلك الكلام و التواضع و بين هذا الكلام و الخشونة بالنسبة الى الصحابى المبشر له بالجنة . ولا يذهب عليك ان تلك الديموقراطية و التواضع كانت باقتضاء القرب الى حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و تأثير تعليماته الالهية القريب و هذه الخشونة و الاستبداد بحسب اقتضاء الخلافة الدنيوية ثم فى هذا الكلام شىء آخر وهو انه على ما ينبغي ان يحمل قول الخليفة (رض) للصحابى- الكبير ، و الذى بشر له بالجنة و رضى الله عنه انه اتاه مريدا لافتتانه عن دينه مؤكدا بالدعاء عليه و تهديده ، و قوله له: «انت شر الناس» ! !

مكاملة ابي بكر
حال مرضه مع
بعض الصحابة
فى استخلاف عمر

٢٤٧ - كتاب عهد ابى بكر و كيفية كتابته

وفي شرح نهج البلاغة لابن الحديد ايضا :

« لما احتضر ابوبكر قال للكاتب :

« اكتب : هذا ما عهد به عبد الله بن عثمان آخر عهده بالدنيا و اول عهده بالآخرة

في الساعة التي يبر فيها الفاجرو يسلم فيها الكافر.

« ثم اُغمى عليه . فكتب الكاتب : « عمر بن خطاب » .

« ثم افاق ابوبكر فقال : اقرأ ما كتبت فقرأ وذكر اسم عمر .

« فقال : انى لك هذا ؟

« قال : ما كنت لتعدوه !

« فقال : اصبت . ثم قال : اتميم كتابك . . .

« فلما فرغ من الكتاب دخل عليه قوم من الصحابة ، منهم طلحة فقال له :

« ما انت قائل لربك غداً وقد ولّيت علينا فظاً غليظاً تفترق (تفرع) منه

النّفوس وتنفض عنه القلوب ؟ ؟ »

وفيه ايضا :

« احضر ابوبكر ، عثمان ، وهو يوجد بنفسه فأمره ان يكتب عهداً وقال : اكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد عبد الله بن عثمان الى المسلمين .

ثم اُغمى عليه . وكتب عثمان :

« قد استخلف عليكم عمر بن الخطاب » .

« وافاق ابوبكر . فقال : اقرأ . فقرأه . فكبر ابوبكر وسرّ » (١) .

١ - وفي الطبري (الجزء الثاني - الصفحة ال ٦١٩ -) بعد جملة « فكبر ابوبكر »

وقال : اراك خفت ان يختلف الناس ان التلت نفسي في غشيتي . قال : نعم . . . »

وفى تاريخ الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ال ٦١٩ -) بأسناده عن عبدالرحمن-

ابن عوف :

« انه دخل على ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى مرضه، التى توفى فيه، فأصابه مهتماً .

« فقال عبدالرحمن : اصبحت والحمد لله بارئاً .

« فقال ابوبكر رضى الله تعالى عنه : : اتراه ؟

« قال : نعم .

« قال: انتى وليت امر كخيركم فى نفسى، فكلّكم ورم انفقه من ذلك يريد ان-
يكون الامر له دونه! . . . وانتم اول ضالّ بالناس غداً فتصدّوهم عن الطريق يمينا
وشمالاً . . .

« فقلت له : خفض عليك ، رحمك الله ، فانّ هذا يبيضك ، فى امرك . . . »

٢٤٨ - ختم ، ودفن وهم

هكذا وقع الاختيار والانتخاب لهذه المهمة التى لم يهتم بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، على ما يدعوه ، وما خاف من اختلاف الناس فيها بعده ، على ما يقولون ، بل رآه (ص) من حقّ الأمتة ووكلمهم واختيارهم ، كما زعموا ، ولكن خليفة الرسول (ص) اشفق على الاسلام وعلى الامّة ، وخاف من الاختلاف والفرقة ، فرأى اشفاقا على -
الدين وعلى المسلمين رأياً خلاف ما رآه الرسول (ص) ، مع ما صرح فى خطبة كما هوذا يجيىء « وانما انا متبع ولست بمبتدع » فاختر هو ، او كاتبه ، وهو امضاه ، قبيل وفاته وفى حال بين الأغماء والأفاقة ، من جاهد هو ايضا يوم السقيفة فى سبيل اختياره للخلافة ، وسعى لأخذ البيعة له فيها وشيئها بعدها .

ولا يتوهم من هذا البيان ارادة الأعماز فيهما ، رضى الله عنهما ، بل المراد عدم -

الأغماض عن بعض ما وقع في التاريخ^(١).

وكيف كان تمت الوصية، وتعيينت الخليفة، وتخلّصت الأمة من هذه المهمة، و«تُوفّي أبو بكر (رض) ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشر من الهجرة» وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر، ألا خمس ليال، وقيل: سنتين، وثلاثة اشهر وسبع ليال. وقال اسحق: تُوفّي على رأس سنتين وثلاثة اشهر واثنى عشرة ليلة من متوفّي رسول الله. وقال غيره ايضاً: وعشرين يوماً.

لمن وفات
أبي بكر ومدة
خلافته

١ - « وعمر هو الذي شيد بيعة أبي بكر و رغم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرده، ودفع في صدر المقداد، ووطئه في السقيفة سعد بن عبادة وقال: « اقتلوا سعداً اقتل الله سعداً » وحطم انف الحجاب المنذر، الذي قال يوم السقيفة: « انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب»، وتوعد من لجأ الى دار فاطمة عليها السلام من- الهاشميين واخرجهم منها، ولولاه لم يثبت لابي بكر امر ولا قامت له قائمة... » (شرح ابن أبي الحديد)

« يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيَسْجُلُونِ »

عَنِ الْحَوْضِ .

« فَأَقُولُ : »

« يَا رَبُّ أَصْحَابِي ! »

« فَيَقُولُ : »

« إِنَّكَ لَا أَعْلَمُ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . »

« إِنَّهُمْ ارْتَدَّوْا عَلَيَّ أَذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى »

(البخارى فى صحيحه بأسناده عن ابى هريرة)

« ... لَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ مُبْغِضُكَ »

« وَلَا يَغِيْبُ عَنْهُ مُحِبُّكَ . . . »

(اخطب الخوارزمى عن النبى ، ص ،)

١ - أول ما اقدم عليه ابوبكر .

٢ - المُتَسَبِّتُونَ :

٣ - الاسود العنسى .

٤ - طليحة .

٥ - سجاح .

٦ - مُسَيْلَمَةُ .

٧ - اهل الردة .

٨ - مالك بن نويرة .

٩ - تذييل فى نقل اخبار من الصحيح البخارى :

١٠ - فى معنى الردة والأرتداد .

١٦ - حول الوقائع المهمة

فى خلافة ابى بكر ، رض ،

٢٤٩ - ما وقعت من الأمور الهامة في خلافة ابي بكر

اول ما اقدم عليه ابوبكر، بعد ان بويع ، انه بعث اسامة الى ما امره الرسول ،
صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الطبري في تاريخه (الجزء الثاني - الصفحة ال ٤٦٠ -) بأسناده :

« نادى نادى ابي بكر ، من بعد الغد من متوفى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
ليُتَمَّ بعثُ اسامة : الا لا يبقين بالمدينة احد من جنود اسامة الا اخرج الى عسكره
بالجرف . »

« وقام في الناس فحمد الله واثنى عليه وقال :

« يا ايها الناس انما انا مثلكم ، وانتي لا ادري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله
، صلى الله عليه وآله وسلم ، يطيق . »

بعث ابي بكر ،
اسامة وجيشه

« ان الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات . »

« وَاِنَّمَا اَنَا مُتَّبِعٌ وَكَأَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ . فان استقمتم فتابيعوني وان
زغت فقوموني وان لي شيطاناً يعتريني فاذا اتانيس فاجتنبوني . . . »

١ - وحينئذ قالى من يلجأون الناس ؟ ومن يكون لهم المرجع والمفزع ، كما قال عمر
للزبير ، وسيجيء في موضعه : « فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ؟ ومن يكون
يوم تغضب ؟ » ، ولهذا اشترط الشيعة في خليفة الرسول ، العصمة كما اثبتته ابو بكر للرسول (ص) .
وفي كتاب « صفة الصفوة » (الجزء الاول - الصفحة ال ٩٩ -) تاليف جمال الدين ابي الفرج
عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ق .) :

« وعن الحسن قال : لما بويع ابو بكر قام خطيباً . . . ثم قال : . . . الا وانما انا
بشر مثلكم ولست بخير من احدكم فراعوني ، فاذا رايتموني استقمتم فاتبعوني ، واذا رايتموني
زغت فقوموني واعلموا ان لي شيطاناً يعتريني فاذا رايتموني غضبت فاجتنبوني ، لا اوثرني
اشعاركم وابشاركم . »

ثم « اقام ابوبكر بالمدينة بعد وفاة رسول الله (ص) ، وتوجيهه اسامة في جيشه ، لم يحدث شيئاً وقد جأته وفود العرب مرتدين ، يقرّون بالصلاة ، ويمنعون الزكاة ، فلم يقبل منهم ذلك ورددّهم ، واقام حتى قدم اسامة بن زيد بن حارثة ، بعد اربعين يوماً من شخوصه ، ويقال بعد سبعين يوماً . » (الجزء الثاني - الصفحة ال ٤٧٤ - من الطبرى) .

٢٥٠ - من واجه ابوبكر خلفه

وامر ابوبكر في اول خلافته فريقين على الخلاف فشمّر عن ساعد الجدّ في -
القيام بأطفاء نيران الخلاف ، واخماد سؤرة الفتنة والفساد ، وشدّد واكّد لذلك ، بحيث
امر في ما كتبه الى امراء الجند :

« ... ومن ابى ، امرت ان يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على احد منهم قدر
عليه ، وان يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة . . . » (الجزء الثاني من الطبرى -
الصفحة ال ٤٨٢ -) .

وامر طريفة بن حاجز بأحراق اياس بن عبدالله ، المشهور بالفجأة ، الذي ارتدّ
وقاتل المسلمين ، ففى الطبرى (الجزء الثاني - الصفحة ال ٤٩٣) .
« ... امر ابوبكر ، طريفة فقال : اخرج به الى هذا البقيع فحرقه فيه بالنار . فخرج
به طريفة الى المصلّى فاوقد له ناراً فقذفه فيها » .

١ - ندم ابوبكر من هذا العمل كما صرح به في مرضه الذي توفي فيه . ففى الطبرى
(الجزء الثاني - الصفحة ال ٦١٩ -) بعد ما ذكر دخول ابن عوف عليه في مرضه وما جرى
بينهما من الكلام (كما مر سابقاً) قال :

« ... قال ابوبكر : اجل انى لا آسى على شيء من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن
وددت انى تركتهن ، وثلاث تركتهن وددت انى فعلتهن ، وثلاث وددت انى سألت عنهن
رسول الله (ص) . فاما الثلاث التى وددت انى تركتهن ، فوددت انى لم اكشف بيت فاطمة عن
شيء وان كانوا قد غلقوه على الحرب . ووددت انى لم اكن حرقت الفجأة السلمى وانى
كنت قتلتها سريعاً او خليته نجيحاً . . . »

وسريعاً تسلّط ابوبكر على الأمور وفاز في الجهتين فغلب على الفريقين :
 الأول - المتنبيون وهم طليحة وسجاح ومسيلمة .
 الثاني - المتسمون بعنوان « اهل الردة » .

الفرقان اللذان
 ابلى بهما ابوبكر

٢٥١ - الأول - المتنبيون

قال الطبري (الجزء الثاني - الصفحة ال ٤٧٥ - من تاريخه) .

« لمّا مات رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وفصل اسامة ارتدت العرب :
 عوامٌ او خواصٌ ، وتوحى مسيلمة وطليحة فاستغلظ امرهما واجتمع على طليحة عوامٌ
 طيّ واسدو... وخواصٌ من الأفناء فبايعوه » .

ولندكر هنا ملخص ماجرى مع الفريقين مقدماً عليها واقعة الأسود العنسي

فنقول :

٢٥٢ - واقعة الأسود العنسي المتنبي

ظهرت في اواخر ايام الرسول (ص) واوائل خلافة ابي بكر عدة متنبية قتل
 واحد منهم قبيل وفاة الرسول (ص) والباقون ادركوا زمان الخليفة وتنبياً وأ في -
 زمانه، فقتل بعضهم واسلم بعض آخر .

فاما الذي قتل في حياة الرسول فهو عيثة بن كعب بن عوف العنسي ،
 المعروف بالأسود العنسي ، الكذاب والملقب بـ « ذى الخمار » لكونه معتماً متحمزاً
 ابداً ، وخلاصة امره (ملخصاً من تاريخ الطبري وكتاب الكامل) :

كان الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم ، حين اسلم باذان ، واسلم اهل يمن

١ - وكانه به اقتدى هاشم بن حكيم ، المشهور بـ « المقنع » ، في تقنعه وتنبئوه (بل

تأله) (اهلك في زمان مهدي بن منصور العباسي سنة ١٦٧) .

قد جمع لباذان ، عمال اليمن جميعه وامره على جميع مخالفيه فلم يزل عليه حتى مات . فلما مات باذان فرّق رسول الله (ص) امرائه في اليمن وجعل على صنعاء ، شهره ابن باذان .

« لما عاد رسول الله (ص) من حجة الوداع ، تمرّض من السفر ، غير مرض موته ، بلغ ذلك ، الاسود العنسي ، فادعى النبوة ، وكان مشعبداً بربهم الأعاجيب ، فاتبعته مذحج . فكانت ردة الاسود اول ردة في الاسلام على عهد رسول الله (ص) . وكان اول من اعترض الاسود الكاذب ، شهر و فيروز و داؤويه .

وغزا الاسود نجران ، وغلب عليها ثم سار منها الى صنعاء ، وكان معه سبعة فارس سوى الركب ، وخرج اليه شهر بن باذان فلقبه فقتل شهر ، لخمس وعشرين من خروج الاسود ، واستتب ملك اليمن للاسود ، وغلب على ما بين مفازة حضرموت الى الطائف ، الى البحرين والأحساء الى عدن ، واستطار امره كالحرّيق واستغلظ امره .

وكان خليفته على جنده قيس بن عديغوث وكان امره « الأبناء »^١ الى فيروز ، وداؤويه . وتزوج الاسود ، بعد قتله شهر بن باذان ، امرأة شهر وهي ابنة عم فيروز . قال جشنس الديلمي^٢ فجائتنا كتّيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يأمرنا بقتاله ، يعنى اليه والى فيروز و داؤويه ، وان نكتّيب من عنده دين . فعملنا ذلك وعلمنا تغيره لقيس بن عديغوث ، وان قيساً يخاف على دمه . فدعونا قيساً وبلغناه عن النبي . فاجابنا ، فاخبره الشيطان شيئاً من ذلك . فدعا قيساً فأخبره ان شيطانه يأمره بقتله لميله الى عدوه ، فحلف قيس على برائه . ثم اتانا فقال : يا جشنس ، ويا فيروز ويا داؤويه ! فآخبرنا بقول الاسود .

١ - هم الايرانيون ، ابتاء الجند الذى ارسله كسرى باليمن .

٢ - هكذا فى «الكامل» (جشنس) وفى الطبرى جشيش بن الديلمي . وفى «مجل التواريخ والقصص» (فى الحوادث الواقعة فى السنة الاولى من الهجرة) ورد فى تعديد آباء سلمان هكذا : «ماهذ» (اسم الاصلى لسلمان) بن بدخشان بن آذر جشنس (٩) وعلق المصحح على الكلمة الاخيرة : «آذر جشنس معرب آذر كشب» .

اسلام باذان
الايراني زمن
الرسول وجعله
الرسول عاملاً
من قبله على
جميع اليمن

لما مات باذان
جعل الرسول
ابن باذان ، شهر ،
على صنعاء

قتل ههرو صهروه
امر الابناء الى
ابنه فيروز

فبينما نحن معه يُحدّثنا اذ ارسل الينا الأسود فَتَهَدَدَنَا . فاعتذَرْنَا اليه ونجونا منه ، ولم نكدْ وهو مرتاب بنا ونحن نحذره ، فبينما نحن على ذلك ، اذ جئتنا كتب عامر بن شهر و... و... و... وعدة أخر يبذلون لنا التصر ، فكاتبناهم وامرناهم ان لا يفعلوا شيئاً حتى نُبرِّم امرنا وانما احتاجوا لذلك ، حين كاتبهم النسي (ص) . وبلغ ذلك ، الأسود واحسّ بالهلاك .

قال جنسنس : فدخلتُ على آزاد ، وهي امرأته ، تزوّجها بعد قتل زوجها ، شهر بن باذان ، فدعوتها الى ما نحن عليه فاجابت وقالت : والله ما خلق الله شخصا ابغض اليّ منه ، ما يقوم الله على حقّ ، ولا ينتهي عن محرّم ، فاعلموني امركم ، اخبركم بوجه الأمر .

قال : فخرجتُ واخبرتُ فيروز و داؤويه و قيساً .

قال : واذا قد جاء رجل فدعا قيساً الى الأسود . فدخل في عشرة من مذحج وهمدان فلم يقدر على قتله معهم ، وقال له : ألمْ اُخبرك الحقّ وتخبرني الكذب؟ أنه ، يعني شيطانه ، يقول لي : انْ لا تقطع من قيس يده يقطع رقبتك . فاعتذر له قيس بالبرائة . فرقّ له وتركه . وخرج قيس فمرّ بنا ، وقال : اعملوا عملكم ولم يقعد عندنا . فخرج علينا الأسود في جمع ، فقمنا له ، وبالباب مائة ، ما بين بقرة وبعير ، فنحراها ثمّ خلاها ثمّ قال : احقّ ما بلغني منك يا فيروز ، وبؤاله الحرية ، لقد هممت ان انحرك . فقال : لقد اخترتنا لصيهرك وفضلتنا ، فلولم تكن نبياً لما بعنا نصيبنا منك بشيء فكيف وقد اجتمع لنا بك امر الدنيا والآخرة؟ فقال : اقسام هذه فقسمها ولحقّ به وهو يسمع سعاية رجل بفيروز وهو يقول له : انا قاتله غداً واصحابه . ثمّ التفت فاذا فيروز فاخبره بقسمتها ودخل الأسود ورجع فيروز فأخبرنا الخبر .

فأرسلنا الى قيس فجائنا فاجتمعنا الى ان اعود الى المرأة فأخبرها بعزيمتنا وتأخذ رأيها فأتيها فأخبرتها فقالت : هو متحرّز وليس من القصر شيء إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت فإنّ ظهره الى مكان كذا وكذا . فاذا امسيتم فانقبوا عليه فانكم من - دون الحرس وليس دون قتله شيء وستجدون فيه سراجا وسلاحاً .

فتلقاني الأسود، خارجاً من بعض منازلهم، فقال: ما ادخلك عليّ؟ ووجأ راسي حتى سقطت، وكان شديداً فصاحت المرأة فادهشته عنى ولولذلك لقتلنى. وقالت: جائنى ابن عمى زائراً ففعلت به هذا، فتركنى فأتيت اصحابى فقلت: النجاء، الهرب، واخبرتهم الخبر. فأنا على ذلك حيارى، اذ جائنا رسولها يقول: لاتدعنّ ما - فارقتك، فلم ازل به حتى اطمئنّ.

فقلنا لفيروز: اثبتنا فتببت منها. ففعل. فلما اخبرته. قال: ننقب على بيوت مبطنة. فدخل فاقطلع البطانة وجلس عندها كالزائر. فدخل عليها الأسود فأخذته غيرة، فأخبرته برضاع وقرابة منها محرّم، فأخرجه.

فلما امسينا عملنا فى امرنا واعلمنا اشياءنا فنقبنا البيت من خارج ودخلنا، وفيه سراج تحت جفنة، واتقينا بفيروز، وكان اشدنا، فقلنا: انظر ماذا ترى، فخرج ونحن بينه وبين الجرس.

فلما دنا من باب البيت سمع غطيماً شديداً والمرأة قاعدة، فلما قام على باب البيت اجلسه الشيطان وتكلم على لسانه وقال:

مالى ولك يا فيروز؟

«فخشى ان يرجع ان يهلك و تهلك المرأة فعاجله وخالطه، وهو مثل الجمل، فأخذ برأسه فقتله، ودقّ عنقه، ووضع ركبته فى ظهره فدقه.

ثم قام ليخرج فأخذت المرأة بثوبه، وهى ترى انه لم يقتله.

فقال: قد قتلته وارحتك منه. وخرج فاخبرنا فدخلكنا معه فخار كما يخور- الثور فقطع رأسه بالشفرة.

وابتدر الحرس، المقصورة يقولون: ما هذا؟

فقال المرأة: النسبى يوحى اليه! فخدموا.

فلما طلع الفجر نادينا بشعارنا ونادينا بالأذان: وكتبنا الى رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بخبره وذلك فى حياته واتاه الخبر من ليلته. وقدّم رسلنا وقد توفى رسول الله (ص) فاجابنا ابو بكر.

كيفية قتل الاسود
بيد فيروز

اخبار النبى
بقتل الاسود-
العنى وان تالله
فيروز، رجل
مبارك من بيت
مباركين

قال ابن عمر : اتى الخبر من السماء الى النبى (ص) فى ليلة التى قُتل فيها .
فقال (ص) :

قُتل العنسى قتله رجل مبارك من اهل بيت مباركين .
قيل : من قتله؟ قال (ص) : قتله فيروز .

كان اول امر العنسى الى آخره ثلاثة اشهر، او قريب من اربعة اشهر، وكان
قدوم البشير بقتله فى آخر ربيع الأول بعد وفاة النبى (ص) فكان اول بشاره اتت
ابابكر وهو بالمدينة .

هكذا تم امر ذاك المتنبى وانقضى . ومما يستلفت النظر فى امره ، وينبغى ان
يشار اليه ههنا ، لتمييز الحق من الباطل وتشخيص الكاذب من الصادق ، اضطراب الأسود
فى امره ، وخوفه حتى من اهله ، واخذة مقصورة لنفسه ، وتعيين الحرس لحفظه ،
وتجريبه على سفك الدماء واهلاك النفوس ، وعدم انتهائه عن ارتكاب المحرمات
والمنكرات .

مما يتميز به الحق
من الباطل

٢٥٣ - شأن المتنبيين فى عهد ابى بكر

قد دريت ان الخليفة ، ابابكر واجه فى خلافته فريقين على الخلاف :
الأول - المتنبيون الثلاثة :

الذين تنبأوا وادركوا زمان الخليفة ، ابى بكر ، طليحة وسجاح و مسيلمة
و خلاصة امرهم (ملخصاً من «الكامل» لابن الأثير، وتاريخ الطبرى) على ما ترى .

٢٥٤ - طليحة وتنبؤه

طليحة بن خويلد الأسدى قد تنبأ فى حياة رسول الله (ص) وكان يقول : « ان
جبريل يأتينى » وسجع للناس ، الأكاذيب . وكان يأمرهم بترك السجود فى الصلوة .
ويقول : « اذكروا الله واعبدوه قياماً » . وتبعه كثير من العرب عصبية .

ويعثوا بعد خلافة ابي بكر الى المدينة فبدأ يذبلون الصلوة ويمنعون الزكوة. فقال ابو بكر: والله لو منعتني عقلاً لجاهدتهم عليه ، وكان عَقْلُ الصّدقة على اهل الصّدقة [مع الصّدقه] ، وردّهم .

طروق طليحة
والبيعة، المدينة
ومنع على ومن
معه من المدنيين
اياهم بالرد

فرجع وفدهم واخبروهم بقلّة مَنْ في المدينة، واطمعوهم فيها. وجعل ابا بكر بعد مسير الوفد على انقاب المدينة علياً وطلحة والزبير وابن مسعود. والزم اهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو ، لقربهم ، فما لبثوا الا ثلاثا حتى طرقت المدينة وعليها المقاتلة ، فمنعوهم . وخرج اهل المسجد على التّواضح فردّوا العدو .

وامر ابو بكر ، خالد بن الوليد لأمر طليحة بن خويلد ، فاذا فرغ منه سار الى مالك بن نويرة .

وارسل طليحة الى اتباعه يأمرهم باللحاق به ببزاحة فقدموا عليه . وارسل خالد بن الوليد، عكاشة محصن وثابت بن اقرم الأنصاري طليحة، فلقبهما حبال ، اخو طليحة ، فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو واخوه ، سلمة ، فقتل طليحة، عكاشة . وقتل اخوه ، سلمة ، ثابتاً ورجعاً .

قتال خالد
وطليحة

واقبل خالد بالناس فرأوا عكاشة وثابتاً قنيلين ، فجزع لذلك المسلمون ، ثم سار حتى التقيا على بزاحة فاقتتل الناس وكان عيينة بن حصن مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة فقاتلوا قتالاً شديداً و طليحة متلفف في كسائه يتنبأ لهم .

فلما اشتدّ الحرب كرّ عيينة على طليحة وقال :

هل جائكك جبريل بعد؟

قال : لا .

فرجع فقاتل ثم كرّ على طليحة فقال :

اجائكك جبرئيل؟

قال : لا .

فقال عَيْبِئِنَّهُ حَتَّى مَتَى؟ قد بلغ والله منّا.

ثمّ رجع فقاتل قتالاً شديداً ثمّ كرّ على طليحة فقال :

هل جائكك جبريل؟

قال : نَعَمْ .

قال : فماذا قال لك؟

قال : قال لى : انّ لكّ رحى كرحاه وحديثاً لانتساه .

فقال عَيْبِئِنَّهُ : قد علم الله انه سيكون حديث لانتساه . انصرفوا يا بنى فزاره

فأته كذّاب . فانصرفوا وانهمز الناس .

وكان طليحة قد اعدّ فرسه وراجلته لامرأته، النّوار، فركب فرسه وحمل امرأته

وقال : يا معشر فزاره من استطاع ان يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل .

ثمّ انهزم فلحق بالشّام ثمّ نزل على كلب فأسلم حين بلغه انّ اسداً وغطفان ،

قد اسلموا، ولم يزل في كلب حتى مات ابو بكر. وكان خرج معتمراً في زمان ابي بكر و مرّ

بجنبات المدينة ولم يتعرّض ابو بكر له لأسلامه .

ثمّ حين استخلف عمر ، اتاه طليحة وبايعه وقال له عمر :

أنت قاتل عكاشة و ثابت؟

فقال : يا امير المؤمنين ما يهمتك من رجلين اكرهما الله بيدي ولم يهنئ

بايديهما ؟ .

ثمّ رجع الى قومه فاقام عندهم حتى خرج الى العراق وكان مع المسلمين

في تلك الحروب .

١ - وهو الذي كان يعد بألف رجل . قال ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢) -

في كتاب « الاصابة » : « واخرج الطبراني عن محمد بن سلام الجمحي قال : كتب

عمر الى سعد (يعنى ابن الوقاص) : انى امددتك بألفى رجل : عمرو بن معد يكرب

وطليحة بن خويلد ، وكتب ايضا الى نعمان بن مقرن لما ولاه و توجه الى نهاوند :

ان في جندك عمرو بن معد يكرب و طليحة بن خويلد فاحضرهما وشاورهما في الاسر .

ولمّا انهزم الناس عن طليحة أُسر عُبَيْبَةُ بن حصن فقدم به على ابي بكر فكان صبيان المدينة يقولون له ، وهو مكتوف: يا عدوّ الله اكفرت بعد ايمانك؟ فيقول: والله ما آمنْتُ بالله طرفه عين!! فتجاوز عنه ابو بكر وحقن دمه!

ومما سجع به طليحة :

« والحمام واليمان ، والصرد الصوام ، قد ضمن لكم بأعوام ، ليلغنّ ملكنا - العراق والشّام » .

٢٥٥ - سجاح وتنبؤها وعاقبة امرها

لمّا وقع الخبر بوفاة رسول الله (ص) اختلفت كلمة بني تميم في ارسال - الصّدقات الى ابي بكر فتشاعت تميم بعضها ببعض . وبينما الناس ببلاد تميم ، مسلمهم بأزاء منّ اراد الرّدة وارتاب ، اذجائتهم سجاح بنت الحارث بن سويد بن علفا من بني تميم وادعت النبوة فأناهم امرا عظم ممّا هم فيه ، لاختلافهم والتشاكل بما بينهم . وكانت سجاح تريد غزو ابي بكر . فأرسلت الى مالك بن نويرة تطلب الموادعة فاجابها وردّها عن غزوها وحملها على احياء من بني تميم

ثمّ خرجت سجاح في الجنود وقصدت اليمامة وسجعت بقولها :

« عليكم باليمامة ، ودقوا ديف الحمامة ، فأنّها غزوة صرامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة » .

فبلغ ذلك مسيلمة فخاف واهدى لها ، ثمّ استأمنها على نفسه ، حتّى ياتيها ، فأمنته . فجائها في اربعين من بني حنيفة (وكانت راسخة في علم النصرانية) فقال مسيلمة : « لنا نصف الأرض وكان لقريش نصفها ، لو عدّكّت ! ، وقد ردّ الله عليك نصف - البذى ردّت قريش ، فحباك به وكان لها لو قبلت » .

١ - « التديف بالبدال المهملة ، وبالذال المعجمة لغة هوتحريك الطائر جناحيه ليطيّر .

يقال اذا اسرع مشياً ورجلاه على الارض ثم يستقل طيرانا . »

(وفي الطبري) :

« فقالت : لا يردّ النصف الا من جنف فاحمِلِ النصف الى خيل تراها كالسَهْفِ » .

فقال مسيلمة :

« سمع الله لمن سمع ، واطعمه بالخير اذ طمّيع ، ولا زال امره في كل ماسرّ نفسه يجتمع . رآكم ربكم فحيّاكم ، ومن وحشة ختلاكم ، ويوم دينه انجاكم ، فاحياكم » .
كان مما شرع مسيلمة لهم .

ان من اصاب ولدًا ذكرًا لا يأتي النساء حتى يموت ذلك الولد ! فيطلب الولد حتى يصيب ابناً ثم يمسك !

وفي كيفية ملاقاتهما حكاية فكاهية مشهورة ، تكون آثار الوضوع على صياغتها - المنقولة لاثحة ، نقلها هنا وهي كما حكيت في تاريخ الطبري والكمال بهذه الصورة :
لما نزل مسيلمة عندها وقال لها : ابعدي اصحابك . ففعلت ، وقد ضرب لها قبة وجمرها فتدكر بطيب الريح ، الجماع .

واجتمع بها .

فقالت له : ما اوحى اليك ربك ؟

فقال : « ألم تر ربك كيف فعل بالحبلى ؟ اخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشى » .

قالت : وماذا ايضاً ؟

قال : « ان الله خلق للنساء افرجا وجعل لهن ازواجا فنولج فيهن ايلجا .

ثم نخرجها اذا نشاء اخرجها فينتججن لنا سخالا انتاجا ! » .

قالت : أشهد أنك نبي !

قال : « هل لك ان اتزوجك واكل بقومي وقومك العرب ! » .

قالت : نعم .

قال :

من اجماع مسيلمة
ومشروها له

اجتماع سجاح
ومسيلمة
ومكالمتهما التي
الجرت الى ما
انجرت

« اَلَا قَوْمِي اِلَى النَّيْكِ
فَقَدَّ هَيْبِي لَكِيْثِ الْمَضْجَعِ
فَاَنْ شِئْتِ فِى الْبَيْتِ
وَ اِنْ شِئْتِ سَلَقْنَاكَ
وَ اِنْ شِئْتِ بُلُغَيْهِ
وَ اِنْ شِئْتِ بِهْ اَجْمَعِ »

قالت : « بل به اجمع ، فأنه للشمل اجمع ! »

قال : بذلك اوحى الى !!

٢٥٦- موادعة سجاح و مسيلمة و مسالمتها

وضع مسيلمة
صلواتين ما
جاء
في الاسلام

و كيف كانت هذه الواقعة ، قالوا :

فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت الى قومها .

فقالوا لها : ما عندك ؟

« قالت : كان على الحقّ ! فتبعته و تزوجته . »

ثم راجعت مسيلمة تطلب الصداق منها ، لما سئل قومها عن صداقها .

فقال : لمؤذنها نادى فى اصحابك : « ان مسيلمة رسول الله قد وضع صلاتين

مما جئكم به محمد : صلوة الفجر و صلوة العشاء الآخرة » فانصرفت معها اصحابها

منهم عطارود بن صاحب التدى قال فى حقها :

« اَمْسَتْ نَيْبَتُنَا اُنْثَى نَطُوفُ بِهَا

وَ اَصْبَحَتْ اَنْبِيَاءُ النَّاسِ ذُكْرَانَا »

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة ، تاخذ النصف و تترك عنده من يأخذ-

النصف الآخر فأخذت النصف و انصرفت الى الجزيرة .

اسلام سجاح

فلم تزل سجاح فى تغلب حتى نقلهم معاوية عام المجاعة (فى زمانه) و جاءت

معهم و حسن اسلامهم و اسلامها ، و انتقلت الى البصرة ، و ماتت بها و صلى عليها سمرة بن -

جندب ، و هو على البصرة لمعاوية .

و في كتاب « البدء والتاريخ » المنسوب الى ابي زيد احمد بن سهل البلخي^١ (المجلد الثاني - الصفحة ال ١٦٥-) بعد نقل قول سجاح في جواب مسيلمة : « بل به اجمع فهو للشمل اجمع و بعد نقل قولها : « واجدران ينفع ا » و بعد ان قال : « فتر وجهها واقامت عنده ثلاثا و اصدقها ترك صلواتي الفجر والعشاء الآخرة » ورد هذا المشروع لسجاح :

« ورخصت سجاح للمرأة في زوجين ا على النصف مما للرجل ا »

ترخيص سجاح
للرأة في زوجين

٢٥٧- تنبؤ مسيلمة و عاقبة امره

في السنة العاشرة من الهجرة، التي قدمت وفود العرب على رسول الله (ص) فيها، « قدم وفد بنى حنيفة عليه، و فيهم مسيلمة، الذي اشتهر بالكذب، و اجتمع مسيلمة برسول الله (ص) ثم عاد الى البمامة و تنبأ و تكذب لهم و ادعى انه شريك رسول الله في النبوة فاتبعه بنو حنيفة^٢ . »

١- في « معجم الادباء » للحموي :

احمد بن سهل البلخي ابو زيد : كان فاضلا ، قائما بجميع العلوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاة طريقة الفلاسفة ، الا انه باهل الادب اشبه ... وقد وصفه ابو حيان في كتابه، في تفرظ الجاحظ، بوصف ذكرته في اخبار ابي حنيفة احمد بن داود ... مات في سنة اثنتين وعشرين و ثلاثمائة ... عن سبع او ثمان و ثمانين سنة »

و ذكر الحموي في ترجمة ابي حنيفة احمد بن داود الدينوري نقلا عن كتاب « تفرظ الجاحظ » لابي حيان انه قال :

« اني لم اجد في جميع من تقدم و تاخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تفرظهم ومدحهم و نشر فضائلهم في اخلاقهم و علمهم و مصنفااتهم و رسائلهم مدى الدنيا الى ان ياذن الله بزوالها، لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم . ادهم ... عمرو بن بحر (يعنى الجاحظ) و الثاني ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري ... و الثالث ابو زيد احمد بن سهل- البلخي فانه لم يتقدم له شبيه في العصر الاول ولا يظن انه يوجد له نظير في مستانف الدهر. و من تصفح كلامه في كتاب اقسام العلوم و في ... علم انه بحر الجور و انه عالم العلماء و ما ربي في الناس من جمع بين الحكمة و الشريعة سواه ... » .

٢- المجلد الثاني من الكامل - الصفحة ال ٢٠٣ .

توجهه ابي بكر
خالد بن الوليد
الى مسيلمة

فلما مات النبي ارسل ابوبكر ، عِكْرِمَةَ بن ابي جهل في عسكر الى مسيلمة و اتبعه شرحبيل بن حسنة فعجل عِكْرِمَةَ ، ليذهب بصوتها ، فواقهم فنكبوه ، و اقام شرحبيل بالبطر حين ادركه الخبر ، و وجه ابوبكر ، خالداً ، بعد قبوله اعتذاره عن قضية مالك بن نويرة و رضائه عنه ، الى مسيلمة . و بنو حنيفة يومئذ كثيرون و كانت عدتهم اربعين الف مقاتل . و عجل شرحبيل بن حسنة ، كما فعل عِكْرِمَةَ ، و بادر خالداً بقتال مسيلمة فنكب . فلما قدم عليه خالد لامه على تعجيله .

وكان مع مسيلمة نهار الرجال^١ (بفتح الراء و تشديد الجيم) بن عشفوة و كان قد هاجر الى النبي (ص) و قرأ القرآن و فقه في الدين و بعثه النبي (ص) معلماً لأهل اليمامة ، و ليشغب على مسيلمة ، فكان اعظم فتنة على بنى حنيفة من مسيلمة ، شهد له انه سمع محمداً (ص) يقول : ان مسيلمة قد اشرك معه . فصدقه ، و استجابوا له ، و كان مسيلمة ينتهي الى امره .

و كان يؤذن له عبدالله بن النواجه و يقيم له حُجَيْر بن عمير فكان حُجَيْر يقول : اشهد ان مسيلمة يزعم انه رسول الله فقال له مسيلمة : « اَقْصِحْ حُجَيْر فليس في المَجْمَعَةِ خير » و هو اول من قالها .

ومما جاء به و ادعى انه وحى قوله :

« يا ضفدع بنت ضفدع نقي ما نتقين . اعلاك في الماء و اسفلك في الطين

لا الشارب تمنعين و لا الماء تكدرين » و ايضا قوله :

« و المَبْدِيَّات ذرعاً . و الحاصدات حَصْداً . و الذاريات قمحاً . و الطاحنات

طحناً . و الخابزات خُبْراً . و الثاردات ثرداً . و التلاقيات لقماً . اهالة و سمناً

لقد فضلتكم على اهل الوبر و ما سبقكم اهل المدر ، ريفكم فامنعوه و المعتر فأووه و الباغي

فناووه . . .

١- قال الشاعر في :

طال ليلى بفتنة الرجال

« يا سعاد الفؤاد بنت اثال

سر عليك كفتنة الدجال »

انها ياسعاد من خلت الذهب

وَاتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : اِنْ نَخَلْنَا لَسَحِيحٍ . وَاِنْ اَبَارِنَا لَجُرُزٌ فَادْعِ اللّٰهَ لِمَا نَا
وَنَخَلْنَا كَمَا دَعَا مُحَمَّدٌ لِاهْلِ هَرَمَانَ .

فَسَأَلَ مَسِيلِمَةَ ، نَهَارًا عَنْ ذَلِكَ فَذَكَرَ اَنْ النَّبِيَّ دَعَاهُمْ وَاخَذَ مِنْ مَاءِ اَبَارِهِمْ
فَتَمَضَّمُضٌ مِنْهُ وَمَجَّهَ فِي الْاَبَارِ فَنَاضَتْ مَاءً وَاَنْجَبَتْ كُلُّ نَخْلَةٍ وَاَطْلَعَتْ فَمَسِيلَا
تَقْصِيرًا مَكْمَمًا .

فَفَعَلَ مَسِيلِمَةُ ذَلِكَ فَغَارَ مَاءُ الْاَبَارِ ! وَاَبْسَ النَّخْلُ ! وَاِنَّمَا ظَهَرَ ذَلِكَ بَعْدَ
مَهْلِكَةٍ .

وَلَمَّا بَلَغَ مَسِيلِمَةُ دَنُوَ خَالِدٍ مِنْهُ ضَرْبَ عَسْكَرِهِ بِعَقْرِبَاءَ وَخَرَجَ اِلَيْهِ النَّاسُ . فَقَالَ
شُرْحِبِيلُ بْنُ مَسِيلِمَةَ : يَا بَنِي حَنْظَلَةَ قَاتِلُوا فَاِنَّ الْيَوْمَ يَوْمَ الْغَيْبَةِ ، فَقَاتَلُوا عَنْ اِحْسَابِكُمْ
وَاِنْتَفَعُوا نَسَائِكُمْ .

فَاقْتَلُوا بِعَقْرِبَاءَ وَكَانَ اَوَّلَ مَنْ لَقِيَ الْمُسْلِمِينَ نَهَارَ الرَّجَالِ بْنِ عُنْفُوَةَ فَقَتَلَهُ
زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَلَمْ يَلْتَقِ الْمُسْلِمُونَ حَرْبًا مِثْلَهَا قَطً .

وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَزَالَ خَالِدٌ عَنِ الْفُسْطَاطِ وَدَخَلَ بَنُو حَنْظَلَةَ فُسْطَاطَهُ وَقَطَعُوهُ
الْفُسْطَاطَ . ثُمَّ اَنَّ الْمُسْلِمِينَ تَدَاعَوْا فَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ :

«وَاللّٰهَ لَا اَتَكَلَّمُ الْيَوْمَ حَتَّى نَهْزِمَهُمْ اَوْ اُقْتَلَ فَاُكَلِّمُهُ بِحُجَّتِي ، غَضُّوْا اَبْصَارَكُمْ
وَغَضُّوْا عَلٰى اَضْرَاسِكُمْ اَيْهَا النَّاسُ ! وَاضْرِبُوْا فِيْ عَدُوِّكُمْ وَاَمْضُوْا قُدُمًا .

وَقَالَ اَبُو حُدَيْفَةَ : يَا اَهْلَ الْقُرْآنِ زَيِّنُوْا الْقُرْآنَ بِالْفِعَالِ . وَحَمَلَ خَالِدٌ فِي النَّاسِ
حَتَّى رَدَّوْهُمُ اِلَى اَبْعَدِ مَمَا كَانُوْا . فَمَارَوْى يَوْمَ كَانَ اعْظَمَ نَكَايَةً مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَثَبَتَ
مَسِيلِمَةَ .

١- توجه الناظر الى حال هؤلاء الكذبة واحكامهم وكلماتهم و افعالهم، يرشده الى
كون الفرقان بين الحق والباطل والرشد والغي والهداية والضلالة والتقليد والاصالة
بيناً جلياً لمن اراد الحق وطلب الرشيد والتمس الهداية ويميز بين المحاكاة والتقليد وبين-
الابداع والتأسيس ، فيعلم ان لكل حقيقة نور ولكل باطل جولة .

بعض النسخة
التي في
الكتاب

بعض النسخة
التي في
الكتاب
قال المسلمين
ومسيلة وهدية

ودعا خالد، مسيلمة فأجابه فعرض عليه أشياء مما يشتهي مسيلمة، فكان إذا همَّ بجوابه عرض بوجهه ليستشير شيطانه فينهاه أن يقبل، فأعرض بوجهه مرةً وركبه خالد وارهقه فأدبر، وزال أصحابه فركبهم المسلمون، فأنهزموا ودخلوا المحديقة وغلغوا عليهم بابها.

٢٥٨ - قصة براء بن مالك

كان البراء بن مالك، وهو أخو أسد بن مالك، (كما في الكامل، وفي الطبري: انس بن مالك) إذا حضر الحرب أخذته رعدة حتى يقعد عليه الرجال ثم يبول فأذبال، ثم إذا كان يثور الأسد. فأصابه ذلك فلماً بال، وثب وقال:

إلى أيها الناس أنا البراء بن مالك، إلى، إلى. وقاتل قتالا شديداً فلماً دخلت بنو حنيفة، الحديقة قال البراء:

يا معشر المسلمين القووني عليهم في الحديقة.

فقالوا: لانفعل.

فقال: والله لتطرحنني عليهم بها.

فاحتُمِل حتى أشرف على للجدار فاقتحمها عليهم، وقاتل على الباب، وفتح للمسلمين، ودخلوها عليهم، فاقتتلوا أشد قتال، وكثر القتلى في الفريقين، لاسيما في بني حنيفة، فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة^١. واشترك في قتله وحشي مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار فصرخ رجل: قتله العبد الأسود. فولت بنو حنيفة عند قتله منهزمة، وأخذهم السيف من كل جانب.

قتل من بني حنيفة في هذه الواقعة سبعة آلاف بعقرباء ومثلها بالحديقة ونحو

١- في كتاب البدء والتاريخ: «... وقتلوا مسيلمة وكان رويحلا، اصيفر، اخنيس.

شرك في قتله وحشي وعبدالله بن زيد فمر بـرجل وقال: أشهدانك لبي ولكلكتشقي».

منها في الطلب، وقد قُتل من المهاجرين و الأنصار من اهل قصبه المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون، و من المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل .
 هكذا انتهت قضايا المتنبئة في عهد ابي بكر ولم تقم لأحد قائمة التنبؤ بعد هؤلاء بل لم تحدث هذه الأحداث الا كذوبة بعد ذلك حتى اوائل عهد الخلفاء العباسية ولا سيما من زمن المأمون .

٢٥٩ - الثاني - المتسمون بعنوان اهل الردة

قد علمت ان ابا بكر واجه في اول خلافته فريقين على الخلاف احدهما المتنبئون وقد مر الكلام فيهم و ثانيهما اهل الردة فليعطف الكلام اليهم :
 ذكر المؤرخون تحت عنوان « اخبار الردة » ردة طوائف ارتدت، على ما ذكروا، بعد رسول الله (ص) من بنى عامر ، و هو ازن ، و سليم ، و بنى تميم ، و بنى حنيفة ، و اهل البحرين ، و اهل عمان ، و مهرة ، و اليمن ، و حضرموت ، و كندة و غيرها لانطيل بذكرها، ولكنه هناك واقعة حدثت قبلها و بعدها، اختلافات و اعتراضات و اعتذارات ينبغي ان تذكر .

وردت هذه الواقعة في كتب التاريخ المعتمدة، مفصلة او مجملة، ونحن نقلها هنا من تاريخ الطبري ومن «الكامل» لابن الأثير وهي واقعة بنى يربوع وقتل سيدها و رئيسها، مالك بن نويرة وهو الذي سار في حقه هذا المثل المشهور «فتى ولا مالك و مرعى ولا كالسعدان» .
 و خلاصة تلك الواقعة على ما في الكتابين :

انه لما فرغ خالد من امر فزارة ، و غطفان ، و اسد ، و طي ، سار يريد البطح (كفراب - منزل لبني يربوع -) و بها مالك بن نويرة فتخلفت الأنصار عن خالد و قالوا :

ما هذا بعهد الخليفة الينا، ان الخليفة عهد الينا ان نجن فرغنا من بزاحة ان نقيم حتى يكتب الينا .

تخلف الأنصار
عن خالد

فقال خالد : قد عهد اليّ ان أمضى وانا الامير ولو ابتلينا بأمر ليس فيه عهد لم نَدَعُ ان نرى افضل ما يحضرنا ، وهذا مالك بن نويرة بحيالنا فأتى قاصداً اليه ومن معي من المهاجرين .

مضى خالد وندمت الأنصار فلحقوه . ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد بها أحداً . وكان مالك بن نويرة قد فرقه ونهيه عن الاجتماع وقال : «يا بني يربوع انا دُعينا الى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح ففترقوا وادخلوا في هذا الأمر ففترقوا على ذلك .

ولما قدم الخالد ، البطاح بث السرايا وامرهم بقتل من امتنع الى داعية الاسلام وكان قد اوصاهم ابوبكر : ان يؤذّنوا اذا نزلوا منزلاً فان اذنّ القوم فكفّوا عنهم وان لم يؤذّنوا فاقتلوا وانهبوا ، وان اجابوكم الى داعية الاسلام فسائلوهم عن الزكوة فان اقرّوا فاقبلوا منهم وان ابّوا فقاتلوهم .

فجاءت الخيل بمالك بن نويرة في نفرٍ معه من بني ثعلبة بن يربوع الى خالد فاختلفت السرية فكان ابو قتادة الأنصاري ، الصحابي البصري ، فيهم وكان ممن شهد انهم قد اذّنوا و اقاموا وصلّوا .

فامر خالد بحبس مالك ومن معه ، وكانت الليلة باردة لانقوم لها شيء . فنادى منادٍ بأمر خالد : انّ دافنوا أسراكم ، وهي في لغة كنانة ، القتل . فظنّ القوم انه اراد القتل ، ولم يردّ الالدك فقتلوهم . قتل ضرار بن الأزور - الأسدي مالكا .

١- قال الطبري : وكان الذي قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الاسدي وقال ابن الكلبي : الذي قتل مالكا هو ضرار بن الأزور الاسدي . ذكر ابن الاثير في من «قتل باليمامة شهيدا من الصحابة» ضرار الاسدي فقال : «... و ضرار بن الأزور وهو الذي قتل مالك بن نويرة باس خالد» والظاهر من هذه العبارة ، كما هو المصريح به في مواضع اخرى : ان خالد اسر بقتل مالك . والعجب من هذا العلامة ، كبعض آخر ، كيف علم سر خالد في قوله المختلق له «دافنوا أسراكم»

شهادة ابي قتادة
بان مالك يرقومه
اذنّها و اقاموا
وصلوا

وسمع خالد الواعية فقال : اذا اراد الله امرأ اصابه .

فقال ابو قتادة ' هذا عملك ا فزبره خالد . فغضب و مضى حتى اتى ابا بكر فغضب ابو بكر حتى كلمه عمر فيه فلم يرض الا ان يرجع اليه ، فرجع اليه حتى قدم معه المدينة .

وتزوج خالد ، ام تميم امرأة مالك (نقل فریدو جدي في كتابه «دائرة المعارف» - ذيل كلمة مالك - : «ان خالداً كان يهوى امرأة مالك في الجاهلية»)

فقال عمر : لابي بكر : ان سيف خالد فيه رهنق . واكثر عليه في ذلك . فقال : هيبه يا عمر ! تساول فاختطاً ، فارفع لسانك عن خالد فانتي لا اشيم سيفاً سله الله على الكافرين ، وودي مالكا . وكتب الي خالد ان يقدم عليه ففعل و دخل المسجد وعليه قباء له ، عليه صلته الحديد وقد غرز في عمامته اسهما . فقام اليه عمر فترعها و حطمها وقال له :

« آراء ؟ قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امرئته . والله لا رجمتك باحبارك ، وخالد لا يكلمه ، يظن : ان راى ابي بكر مثله ، ودخل على ابي بكر فاخبره . الخبر ، واعتذر اليه . فعذره وتجاوز عنه و عتفه في التزويج ، الذي كانت عليه العرب من كراهته أيام الحرب .

خطب عمر
بزوجم خالد

→ حتى حكم باتاً بأنه «لم يرد الالدك»، ولم يعرف مراده اتباعه بل ولم يشكوا فيه فلم يرجعوا اليه واقدسوا بقتل من قتلوه من المسلمين المصلين ؟ اللهم الا ان يقال : كان هناك قرينة و هي ارادة نزوه على امرأة مالك لدفتها في تلك الليلة الباردة ! واحتياجهم الي اخذ رؤس المقتولين اثنية ! ا ففى الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ال ٥٠٣) مستنداً عن سويد : « كان مالك بن نويرة من اكثر الناس شعراً و ان اهل العسكر اتفوا برؤسهم - القدر ! فما منهم الا وصلت النار الى بشرته ما خلا مالكا فان القدر فضجت و هطنضج رأسه من كثرة شعره ! ... » وكانهم اخذوا بالاحوط فعملوا بمقاد معنى الدفه كليهما - فقتلوا ثم ادفتوا بالاثنية !

٢- يقال لابي قتادة : فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «خير فرساننا ابو قتادة» (الاستيعاب).

فخرج خالد، وعمر جالس قال: هلم يا ابن ام سلمة! فعرف عمر ان ابي بكر قد رضى عنه فلم يكلمه.

٢٦٠- كلام ابي قتادة في واقعة قتل مالك

قال الطبري في «التاريخ» (الجزء الثاني - الصفحة ال ٥٠٣ -) بأسناده :
 «وكان ممن شهد لهالك بالاسلام ابو قتادة، الحارث بن ربيع، اخو بني سلمة
 وقد كان عاهد الله ان لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً ابداً بعدها، وكان يحدث: انهم
 لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم، السلاح.

قال : فقلنا :

«انا المسلمون :

وقالوا :

«ونحن المسلمون .

«قلنا : فما بال السلاح معكم ؟

«قالوا لنا :

«فما بال السلاح معكم ؟

«قلنا : «فان كنتم كما تقولون فضعوا السلاح» .

قل : «فوضعوها .

«ثم صلينا و صليوا .

«وكان خالد يعتذر في قتله انه قال : ما اخال صاحبكم الا قال : كذا وكذا :

١- هكذا في «الكامل»، وفي الطبري (يا ابن ام شملة)

٢- كان خالد يسي ان مالك حين تجاوله معه بالكلام صحيح بقوله : «انا علي-
 الاسلام» وكيف كان فليس مراد مالك من لفظ «الصاحب» في تلك المجاورة الا ابا بكر
 وذلك ظاهر لا ريب فيه . او ليس في تلك المجاورة ، قول مالك لخالد : «او بذلك» -

فقال له : اَوَ ماتمده لك صاحبا ؟ ثم قدّمه فضرب عنقه و اعناق اصحابه .

« و قدّم متمم بن نويرة على ابي بكر يطلب بدم اخيه و يسأله ان يرد عليهم سييهم فامر ابو بكر برد السبى^١ و ودى مالكا من بيت المال . »

وفى «الوفيات» لابن خلّكان نقلاً عن وثيمة فى كتابه (وفى غيره عن غيره ايضاً) . . . فقال له خالد : اَما علمت ان الصلوة و الزكوة معالاً تقبل واحدة

دون اخرى ؟

فقال مالك : قد كان صاحبك يقول ذلك . قال خالد : اَوَ ماتراه لك صاحبا ؟ ثم تجاؤلاً بالكلام طويلاً .

« فقال له خالد : انتى قاتلك .

« قال : اَوَ بذلك امرك صاحبك ؟

« قال : وهذه بعد تللك والله لاقتلنك . . . »

وفيه ايضاً (فى ترجمة ابي يزيد وثيمة بن موسى الوشاء) :

→ امرك صاحبك ؟ « صريحا فى ان مراده «من صاحبك» ابو بكر .

و ان كنت فى ذكر سما جرى بين ابي بكر و عمر فى اول خلافته و عزمه على قتال مانعى الزكوة ، بعنوان الردة ، حين ناظره عمر بقوله :

« كيف تقاتل الناس و قد قال رسول الله (ص) « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا :

لا اله الا الله فمن قال : لا اله الا الله عصم سنى ماله و دمه ؟ »

فقال ابو بكر : « والله لا قاتلن من فرق بين الصلوة و الزكوة . . . » تتمعجب من ابن -

ابى الحديد و بعضهم حيث زعموا و توهموا ، بل واهموا ، ان المراد من لفظة « صاحبك » هو النبي و جعلوا ذلك عذراً لخالد فى قتله مالكاً و تغافلوا عن قول خالد له اولاً « اما علمت ان الصلوة و الزكوة معا . . . » و عن قول مالك اخيراً « او بذلك امرك صاحبك »

١- قال ابن ابي الحديد فى شرحه (المجلد الاول - الصفحة ال ٢٧٢) « . . . واما

استرقاق ابي بكر بن ابي قحافة لاهل الردة و سبى ذراريهم فان صح ، كان مخالفاً لما

يقول الفقهاء من تحريم استرقاق المرتدين الا ان يقولوا : انه لم يسب المرتدين و انما

سبى من ساعدتهم و اعالمهم فى الحرب من المشركين الاصليين . وفى هذا الموضع نظر »

«... و صنف كتاباً في اخبار الردة ... وهو كتاب جيد ... و قد تقدم في ترجمة ابي عبدالله محمد الواقدي انه صنف في الردة كتاباً ايضاً ، اجاد فيه ... و مات (يعنى وثيمة) يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين و مأتين (٢٣٧ هـ . ق) .

ثم سرد ابن خلكان واقعة قتل مالك بامر خالد من كتاب وثيمة و كتاب الواقدي و نقل في ماسرد من تجاؤل خالد و مالك بالكلام و قول خالده له : « والله لاقتلنك » انه « و كان عبيد الله بن عمر و ابو قتادة الأنصاري حاضرين فكلمنا خالداً في امره فكره كلامهما » .

و قال مالك يا خالد ابعتنا الى ابي بكر فيكون هو الذى يحكم فينا فقد بعثت اليه غيرنا ممن جرمه اكبر من جرمننا .
 « فقال خالد : لا اقالنى الله ان لم اقتلك . و تقدم الى ضرار بن الأزور الاسدى بضرب عنقه .

« فالتفت مالك الى زوجته ، ام متمم و قال لخالد : هذه التى قتلتنى ، و كانت فى غاية الجمال .

« فقال له خالد : بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام .

« فقال مالك : انا على الاسلام .

« فقال خالد يا ضرار اضرب عنقه . فضرب عنقه و جعل رأسه اُتْفِيَةً لِقَدْرِ

و كان من اكثر الناس شعرا ... »

قال العلامة المعاصر السيد شرف الدين العالمى (ره) فى كتابه القيم « الفصول

المهمة » (الصفحة ال ٥٠) .

« ... و هذا ابوسليمان ، خالد بن الوليد المخزومى ، قتل مالك بن نويرة ...

التميمي و نكح زوجته ام تميم بنت المنهال و كانت من اجمل النساء : ثم رجع الى المدينة و قد غرز فى عمامته أسهماً فقام اليه عمر فنزعها و حطمها و قال له (كما فى تاريخ ابن الأثير وغيره) : قتلت امرء مسلماً و نزوت على امرئته و الله لأرجمنك باحجارك .

«ثم قال لابي بكر ان خالداً قد زني فأرجمته .

«قال : ما كنت لأرجمه فانه تأول فأخطأ .

«قال : قتل مسلماً فاقتله به .

«قال : ما كنت .

«ولمّا أكثر عليه^١ قال : ما كنت لأشيم سيفاً سله الله ، تعالى ، ووعى مالكا

من بيت المال و فكك الأسرى والسبأيا من آله .

« وهذه الواقعة من المسلّمات . . . وقد ذكرها محمد بن جرير الطبري في

تاريخه و ابن الأثير في كامله و وثيمة بن موسى بن الفرات و الواقدي في كتابيهما

و سيف بن عمر في كتاب الرّدة و الفتح و الزبير بن بكار في الموفقيّات و ثابت بن في-

الدلائل و ابن حجر العسقلاني في ترجمة مالك من اصابته ، و ابن المشحة في روضة -

المناظر و ابوالفداء في المختصر و خلق كثير من المتقدمين و المتأخرين . »

٢٦١- اشارة الى بعض المطاعن في قضية خالد

وفي هذه الواقعة موارد فتحت بها باب الردّ و الطعن :

منها قتل خالد بن الوليد ، مالك بن نويرة الذي قرق قومه و نصحهم بالدخول

في « هذا الامر »^٢ و وضع هو ، و قومه ، السلاح و قالوا : « نحن مسلمون » و اذتوا

و صلّوا مع القوم بصلواتهم .

و منها « نزو » خالد على امّ تميم امرأة المسلم المقتول ، ليلته !

و منها قول ابي بكر لعمر (رض) : « هيبه يا عمر ، تأول فأخطأ » .

فيقال : فيم تأول خالد ؟ افي قتل المسلم المصلّي ، مالك ؟ ام في « نزوه »

على زوجته عقيب قتله ؟ و ما وجه التّساويل فيهما ؟

١- يعني قال له كثيراً (كما في المنقول عن وثيمة و الواقدي) و الح عليه : « فاعزله »

فقال ابو بكر : « ما كنت لاشيم . . . »

٢- وعدم مطاعته لسجاح في طلبها المودعة عنه كما دريت من ذي قبل .

و منها قول الخليفة لعمر ايضاً « فأنتى لاشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين » فيقال : لو كان مالك من الكافرين ، بزعمه ، فلم وديه ؟ و ان كان من المسلمين فماذا اراد - الخليفة (رض) بقوله « سلّه الله على الكافرين » ؟ ثم ان كان مراده « من الكافرين » غير مالك المسلم و اصحابه المسلمين فماذا الذى اباح لخالد ان يقتل هؤلاء المصلين غروراً ، ويجعل دّمهم مهذوراً ، ورؤسهم ائافى للقدور ، و نساؤهم سبايا مهتوكة الستور ؟ و منها قول عمر (رض) لخالد : « قتلت مسلماً ثم تزوت على امرأته ! والله لأرجمنك باحجارك » فيقال : لماذا لم يرجمه عمر بأحجاره حين قدر عليه فى خلافته او لم لم يقتله بقتله المسلم !؟

نعم عزل عمر ، خالداً عن الأمانة سنة سبع عشر من الهجرة اى بعد سنوات مضت من خلافته ، صاغراً ذليلاً فقد امر ابا عبيدة « بان يقبم خالداً و يعقله بعمامته و ينزع قلنسوته ... » و ذلك فى ملائم الناس و صادراً امواله و لكنّه كأنه نسي خلفه - المؤكّد على رجمه ! »

٢٦٢- سبب عزل عمر ، خالداً عن الامارة

قال ابن الأثير فى « الكامل » (الجزء الثانى - الصفحة ال ٣٧٥ -) ما ملخصه

بعين عبارته :

« و سبب ذلك (يعنى عزل خالداً) انه كان اذرب^١ و عياض بن تميم فأصابا اموالاً عظيمة و بلغ الناس ما اصاب خالداً فانتجع رجال من اهل الآفاق فكان الأشعث بن قيس ممن انتجع خالداً بقتنسين فأجازة بعشرة الآف .

« و دخل خالداً ، الحمام فتدلكتك بغسل فيه خمر فكتب اليه عمر :

١- و قوله لاهى بكر (رض) : « ان خالداً قد زنى فارجمه » كما نقل أنفاً عن وثيمة

بن موسى .

٢- « ادرب القوم : اذا دخلوا ارض العدو من بلاد الروم »

(صالح اللفظة)

لذلك خالد
فى الحمام بغسل
فيه خمر
ونهى عمر عنه
وتعيره اياه

«بلغنى انتك تدلكت بخمر و ان الله قد حرّم ظاهر الخمر و باطنه و قد حرّم مسّها فلا تمسّوها اجسادكم و ان فعلتم فلا تعودوا .

«فكتب اليه خالد : انا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر !!

«فكتب اليه عمر : ان آل المغيرة ابتلوا بالجفاء ، فلا آمانكم الله عليه .

«فلما فرّق خالد في منتجميه ، الأموال سمع بذلك عمر بن الخطاب ، فدعا

البريد و كتب معه الى ابي عبيدة ان يقيم خالداً و يعقله بعمامته ، و ينزع عنه قلنسوته ،

حتى يُعلمكم من اين اجاز الأشعث : امين ماله ام من مال اصابة اصابها ؟ فان زعم

انه فرقه من اصابة اصابها فقد اقرّ بخيانته ، وان زعم انه من ماله فقد اسرف . واعزله

على كل حال و اضمم اليك عمله .

« فكتب ابو عبيدة الى خالد فقدم عليه ، ثم جمع الناس و جلس لهم على المنبر ،

فسأل البريد خالداً من اين اجاز الأشعث ؟ فلم يجبه ، و ابو عبيدة ساكت .

« فقام بلال و نزع عمامة خالد و وضع قلنسوته ، ثم اقامه فعقله بعمامته ، وقال :

من اين اجزت الأشعث ؟ فقال : من مالى . فأطلقه .

« وكتب عمر الى خالد ، بأقباله اليه . فلما قدم على عمر قال له عمر : من اين

هذا الثراء ؟ قال : من الأنفال و السهيمان ، ما زاد على ستين ألفاً فلكك .

« فقوم عمر ماله فزاد عشرين ألفاً فجعلها فى بيت المال :

« ثم قال : يا خالد والله انتك على لكريم و انتك الى لحبيب !

« وكتب الى الأمصار :

« انى لم اعزل خالداً عن سخطه و لا خيانته و لكن الناس فخموه و فتنوا به ،

فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع . و عوضه عما اخذ عنه ،

وقال الطبرى فى تاريخه : « لما قدم خالد على عمر قال عمر متمثلاً :

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع

وما يصنع الأقسام ، فالله يصنع ! »

نزع بلال العيش
عمامة خالد
ووضع قلنسوته
وعقله بعمامته
قيل الناس
بامر عمر

٢٦٣- كلام يورث العجب ، من الطّبري وابن الأثير

هكذا كان عاقبة امر خالد و سبب عزله ، و كفيته مصادرة امواله ، ثمّ التعويض عمّا اخذ عنه ! و لعلّه لا يكاد يجمع بين عبارة « قتلتم مسلماً ثمّ نزوت على امرأته ! والله لأرجمنكم بأحجارك » و عبارة « انّ خالداً قد زنى فارجمه » و بين عبارة « والله انتك على لكريم ، و انتك الى لحبيب » اللهمّ الاّ بالأجتهاد و التأويل ! و ان كان خطأ .

و كيف كان ان تعجب فعجب قول العلامتين : الطّبري و ابن الأثير ، و غيرهما ، في قضية خالد و مالك : « و عتفه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب » لأنهم نقلوا هذه الواقعة و عرفوا انّ طعن ابي بكر على خالد ، و تعنيفه اياه ، و حلف عمر على رجمه باحجاره ، كان لنزوم على امرأة المسلم المقتول بغير حقّ و كان كما صرح به عمر لابي بكر ، و رايته منقولاً عن ابن الأثير ، و غيره ، : « انّ خالداً قد زنى فارجمه » لهذا العمل لاعلى ما كانت تعيب عليه العرب و تكرهه و تعابره في الحرب ! .

٢٦٤- مالك و ميله

ولعلّه لأمثال هذه الأمور اعتقد بعضهم بأنّ مالكاً (و بعضاً آخر ممن عدّ من اهل الرّدة) كانت هويتهم و ميلانهم الى عليّ و لم يكن لهم رضی بخلافة غيره و لذا آل امرهم الى ما آل .

قال الطّبري (في قضية طليحة - الجزء الثاني - الصّفحة ال ٤٨٣-) :

« و قدّم عليهم (يعني على طي) عدي ، فدعاهم . فقالوا :

« لانبايع ابا الفضيل ابدأ . . . »

وقال أيضا (في تلك الواقعة - الصفحة الـ ٤٨٥-) :

«فتقول اسد و فزارة :

«لا والله لانباع اباالفضيل ابداً . . . »

و في قضية مالك بن نويرة نفسها ايضا ما يرشد الى ذلك فانظر الى قوله :
 « يا بنى يربوع انا دُعينا الى هذا الأمر فباطنا منه فلم نفلح . فتفرقوا وادخلوا في هذا الأمر »
 ثم انظر الى اعتذار خالد في قتل مالك لقوله : « ما اخال صاحبكم ألا قال . . . »
 واعتراض خالد عليه بقوله : « أو ماتعدّه لك صاحباً » فأمّره بقتله !

وقال عبدالله الليثي (على ما اسند الطبري عنه - الصفحة الـ ٤٧٧) :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا

فِيَا لِعِبَادِ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ ؟

٢٦٥- تذييل - من هم اهل الردّة من الأصحاب ؟

وردت في صحيح البخاري (الجزء الثامن - باب في الحوض -) غدة احاديث (مفادها الردّة و الارتداد و الرجعة) يُناسب ان يُذكر هنا، وقد اختتم الكلام عن اهل الردّة . و في هذه الاحاديث ما يستوجب التدبّر و الأهتمام .

منها « وقال احمد بن محمد بن شبيب بن سعيد الحبّطي حدثنا ابي عن . . . عن سعيد بن المسيّب عن ابي هريرة انه كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 « يَرُدُّ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَمَطٌ مِّنْ أَصْحَابِي فَيُحَلِّقُونَ عَنِّي -
 الحوض » .

فاقول :

« يَا رَبِّ أَصْحَابِي » فيقول :

« إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ . إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَيَّ »

على اذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى» وقال شعيب عن الزُّهْرِي كَانَ ابُو هُرَيْرَةَ يَحْدُثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَيُجْلَتُونَ » وقال عقيل : « فَيُحَاثُونَ » (الصفحة ال ١٢٠) .
ومنها « حدثنى ابراهيم بن المنذر حدثنا . . . عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« بَيْنَمَا اَنَا قَائِمٌ اِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى اِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِنِي وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ : هَلُمَّ . فَقُلْتُ : اَيِّنَ ؟ قَالَ : اِلَى النَّارِ وَاللَّهِ . قُلْتُ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ »
« قَالَ : اِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَيَّ اذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى . فَلَا اَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ اِلَّا مِثْلَ هَمَلِ النَّعَمِ »^١ (الصفحة ال ١٢١) .

ومنها « وحدثنى عمرو بن عليّ حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن المغيرة قال : سمعت ابا وائل عن عبد الله ، رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« انا فَرَطُكُمْ^٢ على الحوض وليُرفَعَنَّ رجال منكم ثم ليُخْتَلَجَنَّ^٣ دُونِي .
فاقول : يَا رَبَّ اَصْحَابِي .

فيقال : اِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا اَحْدَثُوا بَعْدَكَ »^٤ . (الصفحة ال ١١٩)
ومنها « حدثننا مسلم بن ابراهيم حدثنا عن انس عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال :
« لِيَسْرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ اَصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ ، اُخْتَلَجُوا دُونِي . فاقول :

روايات نبوية
عن صحيح
البخارى
في اهل الردة

١ - « . . . والهمل بالتحريك : الابل بلا راع مثل النفس الا ان النفس لا يكون الا ليلا ، والهمل يكون ليلا ونهارا . . . » (صحيح اللغة)

٢ - الفرط : المتقدم قومه على الماء .

٣ - « اختلج الشيء انتزعه » .

٤ - « . . . تابعه عاصم عن ابي وائل . وقال حصين عن ابي وائل عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(صحيح بخارى)

« اصحابي :

فيقول (فيقال خ. ل) :

« لاتدري ما احدثوا بعدك » - الصفحة ال ١٢٠ - .

ومنها « حدثنا سعيد بن ابى مریم حدثنا . . . ابو حازم عن سهل بن سعد

قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« انتى فترطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم

يظنماً ابداً . ليرد على اقوام اعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم » .

« قال ابو حازم فسمعت النعمان ابن ابى عيشة فقال : هكذا سمعت من سهل ؟

فقلت : نعم . فقال : اشهد على ابى سعيد الخدرى لسمعتة وهو يزيد فيها :

« فاقول : انهم منى . فيقال : انك لاتدري ما احدثوا بعدك .

« فاقول : سحفاً سحفاً لمن غير بعدى » . (الصفحة ال ١٢٠)

ومنها « حدثنا سعيد بن ابى مریم عن نافع بن عمر قال : حدثنى ابى مليكة

عن اسماء بنت ابى بكر (رضن) قالت : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« انتى على الحوض حتى انظر من يرد على منكم وسيؤخذ ناس

دوئى فاقول : يا رب منى ومن امئى ؟ فيقال : هل شعرت ما عملوا

بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على اعقابهم » .

« فكان ابو مليكة يقول : اللهم انا نعوذ بك ان نرجع على اعقابنا او نقتن عن

ديننا »

هذه عدة روايات فى الصحيح البخارى لم يصرح بمن اريد فيها من « اصحابي »^١

١ - روى « الفقيه المحدث الحافظ » ابن عبد البر المالكي بأسناده عن طرق عن

ام المؤمنين ، ام سلمة (ذيل ترجمة عبد الرحمن بن عوف) انها قالت : قال النبى ، ص ،

« ان من اصحابى من لا اراه ولا يرانى بعد ان اموت ابدا » فبلغ ذلك عمر فاقاها بشتد

وسرع فقال انشدك بالله ، انا منهم ؟ قالت : لا ولن ابرىء بعدك احداً ابداً » .

ولا من « ما احدثوا بعدك . . . » وبعيد غاية البعد ان يكون المراد منهم « اهل الردّة » ،
بالمعنى المصطلح ، من البلاد البعيدة والطوائف الغريبة ، والاشخاص المتولدة في الأزمنة-
المتتالية المتوالية ، لانهم لو فرض صدق عنوان « اصحابى » و « بعدك » وجملة « حتى
عرفتهم » وامثالها (... اقوام اعرفهم ويعرفونى) عليهم ، لم يكونوا « احدثوا امرأ » بل
كلّ ما وقع ، ان وقع ، منهم ، اى من اهل الردّة ، بالمعنى المعروف ، كان امتناعهم عن
اداء الزكاة وهو امر عدمى لا يصدق عليه عنوان « احدثوا امرأ » و « سحقاً سحقاً لمن
غير بعدى » ، الظاهر فى الأمر الوجودى .

ولعله يشير الى ذلك ما رواه البخارى فى آخر هذا الباب من صحيحه بأسناده « عن
عُقَيْبَةَ ، رضى الله عنه » ان النبىّ صلى الله عليه وسلم قال على المنبر فى ما قال :
« . . . وَاَنْتِ وَاللّٰهُ مَا اَخَافُ عَلَيْكُمْ اَنْ تُشْرِكُوْا بَعْدِيْ وَلَكِنِّيْ
اَخَافُ عَلَيْكُمْ اَنْ تُتَافِسُوْا فِيْهَا » .

وكيف كان اذا كان « رهط من اصحاب » رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، « الذين
يعرفهم ويعرفونه » و زمرة منهم « يُحَالِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ » و « يُحَلِّتُونَ عَنِ الْحَوْضِ » لانهم « احدثوا
بعده » و « غيروا بعده » و « سَحْقاً سَحْقاً لِمَنْ غَيْرَ بَعْدِهِ » فامثال هذه العبارة « اصحاب
رسول الله (ص) عدول ولا ينتقص احداً منهم الا زنديقاً » و « عدالة الصحابة ثابتة
معلومة . . . » ، ان اريد منها العموم والاستيعاب ، ما صدرت عن اصحابها الا ناشئة من التعصب
والتجاهل والا فمن لا يدري ان فى الصحابة من اطلق لسانه و يده بل وسيفه على غيره
من الاصحاب ، ولا اقل من ان انتقص منهم ؟ فكيف يحكم عليه بالزندقة . عصمنا الله
من الجهل والعصبيّة .

٢٦٦ - ذيل التذييل

ومن طرق الشيعة ايضا وردت عدّة احاديث تحت عنوان « الأرتداد » و « الردّة »
بعد وفاة النبىّ (ص) .
وكيف كان فليس « الأرتداد » فى تلك الموارد بمعنى واحد فأنه فى بنى حنيفة

واضربهم، من اتباع المنتبثة، يراد به «انكار الدين» والأعراض عنه وفي هذه الروايات يحتمل ان يكون المراد منه «العصيان» والعود الى عادات الجاهلية، من ارادة العلو وحبّ الرئاسة والتنافس فيها .

قال الشيخ الطريحي في كتابه «مجمع البحرين» :

«..... والرّدّه بالكسر والتشديد، اسم من الارتداد . واصحاب الرّدّة على ما نقل، كانوا صنفين : صنف ارتدوا عن الدين وكانوا طائفتين :

« احدهما اصحاب مسيلمة . والأخرى ارتدوا عن الاسلام وعادوا الى ما كانوا عليه في الجاهلية وانفتت الصحابة على قتالهم وسيبهم ، واستولد على منهم الحنفية .
«والصنف الثاني لم يرتدوا عن الإيمان ولكن انكروا «فرض الزكاة» وزعموا ان «خذلّ من آمنوا اليهم صدقة»^١ خطاب خاصّ بزمانه^٢ صلّى الله عليه - وآله وسلم .»

اصناف
اصحاب الردّة

٢٦٧ - ختام في شأن عليّ والحوض

ويناسب ان نذكر في ختام هذا الذّيل ما ورد في «الأستيعاب» وفي «الأصابة» في شأن عليّ والحوض وهذه عين العبارة .
« وروى عن سلمان انه قال :

« أول هذه الأمة وروداً على نبيّها، عليه الصلوة والسلام، الحوض أوّلها اسلاماً عليّ بن ابي طالب ، رضى الله عنه، وقد روى هذا الحديث مرفوعاً عن سلمان عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم انه قال :

١ - (الاية ال ١٠٣ من السورة التاسعة - التوبة -) .

٢ - ولقائل ان يقول: اذا كان «التأويل» ولو كان «خطأ» معتبراً كما اعتبره الخليفة ابو بكر في قضية قتل خالد، مالك بن نويرة ونزوه على امراته، وقال: «تأول فخطأ» ورفع بذلك الاعتبار، الحد والرجم، اللازم على خالد، بزعم عمر (رض)، عنه، فليكن من امتنع عن الزكاة بهذا التأويل المستدل، ايضاً مدفوع القتل محقون الدم.

« أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَرُوداً عَلَى الْحَوْضِ، أَوْلَاهَا إِسْلَامًا، عَلِيٌّ بِنُ -

أَبِي طَالِبٍ .

ايضا :

« حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ عَنْ عَنْ عَلِيمِ الْكِنْدِيِّ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« أَوْلَاكُمْ وَرُوداً عَلَى الْحَوْضِ أَوْلَاكُمْ إِسْلَامًا عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ .

ولعله كان بمكان من المناسبة ان نعود هنا الى ما اوردناه في ذيل « نشأة الشيعة

وتسميتها » مما اخرج به « ابوالمؤيد اخطب الخطباء موفّق بن احمد الخوارزمي المكي »

ونعيدها في هذا الختام لتكون مما بَشَّرَتْ بها شيعة عليّ ، ومحبيه :

« قَالَ النَّبِيُّ (ص) لَعَلِّي (يَوْمَ فَتْحِ خَيْبَرَ) فِي مَا قَالَ :

« ... وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُبَشِّرَكَ : إِنَّكَ وَعِثْرَتُكَ وَمُحِبِّبُكَ

فِي الْجَنَّةِ وَعَدُّوكَ فِي النَّارِ .

« لَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ مُبْغِضُكَ وَلَا يَغِيْبُ عَنْهُ مُحِبُّكَ ... »

هنيئاً لمن اطاع الرسول فأحبّ الوليّ فورد الحوض عليهما ومعهما .

اللّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى مَا أَوْلَيْتَنَا مِنْ حَبِّكَ وَحَبِّ نَبِيِّكَ وَحَبِّ الْعِتْرَةِ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ

بِمَا وَجِبْتَ عَلَيْنَا فِي الْمَنْهَاجِ وَالشَّرْعَةِ .

وَأَمَّا وَاللَّهِ إِنَّكَ كَانَتْ صَاحِبِيكَ هَذَا
أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَمْرِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص)
(منسوب إلى عمر (رض) في حقّ عليّ، ع،)

«... أَمَّا، وَاللَّهِ، لَتَيْنِ وَلِيْتَهُمْ لَتَحْمِلَنَّهُمْ
عَلَى الْحَقِّ الْوَاضِحِ وَالْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ»
(من كلام عمر لعليّ)

- ١ - خلافة عمر.
 - ٢ - مقام عليّ في خلافة عمر.
 - ٣ - استخلاف عمر عليّاً في المدينة.
 - ٤ - كلمات عمر (رض) في حقّ عليّ، ع، :
 - ٥ - كون عليّ أولى بالأمر.
 - ٦ - وفاة عمر.
 - ٧ - طرح عمر طريقاً ثالثاً لتعيين الخليفة :
 - ٨ - الوقائع المهمة في خلافة عمر.
- ١٧ - حول مدّة خلافة عمر (رض) :

٢٦٨ - خلافة عمر

استخلف ابوبكر للأمة ، عمر ، وعينه خليفة للرسول ! على مادريت .
كان عمر رجلاً مهيباً^١ فظاً غليظاً قبل قبوله الإسلام وكذلك بعد اسلامه في
زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم^٢ وفي زمان الخليفة ابي بكر . وكان قوياً في الأرادة

١ - قال ابن ابي الحديد :

« وكان عمر بن الخطاب صعباً، عظيم الهيئة، شديد السياسة، لا يحابي احداً، ولا يراقب شريفاً ولا مشروفاً وكان اكابر الصحابة يتحاضون ويتفادون من لقائه .
وقال الطبري (الجزء الثالث من التاريخ - الصفحة ال ٢٨٠ -) باسناده عن راشد بن سعد: « ان عمر بن الخطاب (رض) اتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه . فاقبل سعد بن ابي وقاص يزاحم الناس حتى خلص اليه . فعلاه عمر بالدره و قال انك اقبلت لاتهاب سلطان الله في الارض . فاحببت ان اعلمك ان سلطان الله لن يهايك .
نقل ابي الحديد قضية تكلم زياد بن سمية ، وكان حينئذ غلاماً ، عند عمر في حضور كثير من الصحابة وكلام علي لابي سفيان :

« لله هذا الغلام ، لو كان قرشياً لساق الغلام بمصاه » وقول ابي سفيان بعد ما قال : هو الذي وضع زياداً في رحم سمية وانما لم يستلحه لخوفه من عمر : « اخاف هذا العير! الجالس ان يخرق علي ، اهاهبي ! » .

وقال بعد ذلك : وقيل لابن عباس ، لما اظهر قوله في « العول » بعد موت عمر ، ولم يكن قبل يظهره : « هلا قلت هذا وعمر حي ؟ » قال : « هبته وكان اسراً مهيباً » .

٢ - في تفسير الطبري (الجزء الثاني - سورة التكاثر - ذهل : لتسئلن عن النعيم -) باسناده « عن ابي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . :

« مر النبي (ص) حتى دخل حائطاً لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط : اطعمنا بسراً فجانته بعدق فوضعه ، فاكل رسول الله واصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب فقال : لتسئلن عن

وفي الإدارة فكان مريداً مديراً مدبراً مدرّباً وكان غير مُبالٍ بمال الدنيا وزخرفها، منصرفاً عن المشتبهات وزبرجها، ولكنه مع تصرّحه، كرتةً بعدمرةً، بكون خلافة ابي بكر «فلتة» وفقى الله المسلمين شرّها، ويكون انتخاب الخليفة من حقوق الأمة وليس لأحد ان يعتصب امر الناس^١، تلقى الخلافة من ابي بكر باسرع قبول ولم يعتدّ بان ابي بكر كان في حال «غلب عليه الوجد» بل كان في حال الأغماء ولم يقل: ان الرجل قد غلب عليه ما غلب بل ولم يقل ان ما كتبه الكاتب، او كتبه عثمان، كان من عند نفسه لا بألاء الخليفة، وان كان امضاه، كما قالوا، بعد الافاقه.

وكيف كان تلقى الخلافة وتسلمها ثم شمر عن ساعد الهمة، ورفع عن ساق - الجهد، واجتهد بسمو نظره وعلو همته في سبيل اعلاء كلمة الاسلام وبسط حكومة المسلمين والأعراب .

فما مضت على خلافته إلا مدّة قليلة حتى غلب الاسلام على بلاد بعيدة وعلى أمم كثيرة: فدخل الاسلام بايران، واستولى على بلادها الوسيعة، ونفذ في بلاد الروم، واستولت الحكومة الاسلامية الفاضلة العادلة على اقوى الحكومات العالمية، وخضعت - الأمم السامية، والممالق الراقية، تجاه قوانين الاسلام المحكمة الالهية، وانظمتها الفائقة - العلية، فصارت الحكومة الاسلامية، و رئاسة الدينية، سلطه وحيدة و حكومة مطلقة

→ هذا يوم القيامة . فأخذ عمر ، العذق فضرب به الارض حتى تناثر البسر . ثم قال : يا رسول الله : انا لمستولون عن هذا؟ قال : نعم ... »

فيه ايضا (الجزء الثلاثون ايضا سورة عبس - ذيل : وفاكهة و ابا -) باسناده « عن انس » قال : قرء عمر : وفاكهة و ابا ، و معه عصاً في يده ، فقال : ما الاب ؟ ثم قال : بحسبنا ما قد علمنا ، والقي العصا من يده . »

ايضا باسناده « ان انس بن مالك سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : قال الله « وقضياً و زيتوناً و نخلاً و حدائق غلباً وفاكهة و ابا » كل هذا ما قد علمناه فما الاب ؟ ثم ضرب بيده ثم قال : لعمرك ان هذا هو التكلف ... »

نافذة في العالم المترقى في ذلك العصر، وظلت العدالة الفائقة سائدة في كل قطر ومصر:

٢٦٩ - مقام عليّ في خلافة عمر وشأنه عنده

كان عمر مع فظاظته و خشونته، ومهابته و هيئته بحيث اشتهر في حقّه « دِرَّةٌ » عمر آهيب من سيف خالد، وبحيث نقل الطّبري في تاريخه مسنداً عن زيد بن اسلم عن ابيه « انّ نفرأ من المسلمين كلّموا عبدالرحمن بن عوف فقالوا : « كلّم عمر بن الخطاب، فانه قد اخشانا حتى والله ما نستطيع ان نؤدب اليه ابصارنا » ، يراعى جانب عليّ، في خلافته، ويستفيد من رأيه وفضله وعلمه، ولا سيما في ما يتعلق بالأحكام، ويعترف بسموّ مقامه وعلو شأنه وعظمة قدره ومكانه.

فكان كثيراً ما يشاوره في المعضلات الدنيّة، ويستفتيه في المهمّات العرفيّة ويعمل بما يشير اليه، وبما يقول له، حتى اتفق في موارد كثيرة انه رجع عن فتوى او حكم او رأي يراه في واقعة، حين اشار عليّ الى الوجه الصّواب فيها، الى قوله (ع) فانصف وخضع له، واعترف بذلك بحيث كان يصرّح بالجملة المشهورة المنقولة عنه في الصّحاح والمسانيد : **لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكْتَ عُمَرُ.**

لولا علي
لهلك عمر

وقد تكلم بهذه الجملة المأثورة وما يقرب عنها في موارد عديدة :

قال « الفقيه الجافظ » ، ابن عبدالبرّ المالكي (٣٦٣-٤٦٣ هـ. ق) في كتاب « الأستيعاب » بأسناده عن سعيد بن المسيّب انه قال :

« وقال عليه السّلام في المجنونة التي امر (يعني عمر) برجمها وفي التي وضعت لستة اشهر فاراد عمر رجمها فقال له عليّ :

« ان الله تعالى يقول وَحَمَلُهُ وَفَضَالُهُ وَثَلَاثُونَ شَهْرًا . . . الآية : »

وقال له : « ان الله رَفَعَ الْقَلَمَ عَنِ الْمَجْنُونِ . . . الحديث » فكان عمر

يقول : **« لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكْتَ عُمَرُ » :**

وقال ايضا فيه ، بأسناده عن سعيد بن المسيّب انه قال : « كان عمر يتعوّذُ

بِاللَّهِ مِنْ مُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو حَسَنٍ .

وكان كثيراً ما يقدم رأيه على آراء غيره .

قال الطبري في تاريخه، بأسناده عن ابن عمر (الجزء الثالث - الصفحة الـ ١١١) -

أنه قال :

« جمع (يعني اياه ، عمر -) الناس حين انتهى اليه فتح القادسية ودمشق

فقال : انى كنت امرأ تاجراً يُغنى الله عيالى بتجارتي وقد شغلتموني بأمركم : فماذا

ترون انه يحلّ لى من هذا المال؟

« فاکثر القوم وعلى ساكت . فقال : ما تقول يا على ؟ فقال : ما اصْلَحَكَ

وَاصْلَحَ عِيَالَكَ بِالْمَعْرُوفِ . لَيْسَ لَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ غَيْرُهُ ... »

وقال ابن ابي الحديد:

« واستدعى عمر امرأة ليسألها عن امر وكانت حاملاً ، فلشدة هيته انقست ما في

بطنها ، فاجهضت به جنيناً ميتاً . فاستفتى عمر اكابر الصحابة في ذلك ، فقالوا : لاشيء

عليك « انما انت مؤدّب » فقال له على عليه السلام : « ان كانوا راقبوك فقد

غشوك وان كان هذا جيد رأيهم فقد اخطأوا . عليك غرة » . يعنى رقة .

فرجع عمر ، والتعجابه الى قوله ، ، .

٢٧٠ - رجوع عمر الى ما اشار اليه على

من الموارد التي رجع عمر الى ما اشار اليه على (على بعض الروايات) قضية

هرمزان وملخصها :

كان هرمزان من ابناء ملوك الفرس ومن اعظم الاسبيهان واکابر الحكام

والامراء بايران فلما استولى المسلمون على ملكه واسروه جاؤه الى المدينة فأمر عمر بقتله :

فاحتال هرمزان، فظهر العطش والتمس ماءً ليشربه قبل ان يُقتل، واستدعى ان يكون الماء في آنية زجاجية، فلما اتوه بالماء اخذه وظل ينظر اليه، ويتظاهر بالاضطراب والأرتجاج، ويرتعد ولا يشرب الماء. فقال له عمر: لِمَ لا تشرب؟ قال: اخاف ان تامر بقتلي قبل ان اشرب هذا الماء. فحلف عمر بانه لا يُقتل حتى يشرب الماء. وحينئذ فالقى الآنية من يده وقال: الآن لا يجوز لك ان تقتلني! فغضب عمر من ذلك و اراد ان يقتله، فاشار اليه على (ع) ١ بان الحق في هذا الكلام مع هرمزان فلا يجوز قتله، و اشار الى هرمزان بأن يختار الاسلام.

فاسلم هرمزان طوعاً، وخضع عمر لما قال على، وقبيل اسلامه، فنجح هرمزان بالاسلام من القتل، وصار ممن احب علياً ووالاه. ولما قتل عمر بيد ابي لؤلؤة النصراني غلام مغيرة ابن شعبة، قتل عبيدالله بن عمر، هرمزان، لزعمه ان له يداً في قتل ابيه، عمر، والصحابة لم تكن تعترف بذلك وترى ان قتل هرمزان كان عدواناً، ويجب على الوالي ان يقتص من عبيدالله، قاتل هرمزان،. وكان على يقول «اذا حصلت لي القدرة على عبيدالله لأقتلنه بهرمزان لأنه قتل مسلماً بغير حق» ولذلك لما بويح على بالخلافة، بعد عثمان، فر عبيدالله وذهب الى الشام ولحق بمعاوية ولجأ اليه وكان معه في التصفين فقتل.

٢٧١ - قضية بنات يزدجرد

و من تلك الموارد قضية بنات يزدجرد واليك ما نقلها ابن خلّكان في كتابه «وقيات الاعيان» قال في ترجمة «ابى الحسن على بن الحسين بن على بن ابي طالب (ع) ، يعنى زين العابدين ، :

«... وكان يقال لزين العابدين «ابن الخيرتين» لقوله، صلى الله عليه وآله وسلم، :

١ - وفي الكامل لابن الاثير نسبت هذه الاشارة الى افس بن مالك.

«لله تعالى من عباده خَيْرَتَانِ فَخَيْرَتُهُ مِنَ الْعَرَبِ قَرِيْشٌ وَمِنَ الْعَجَمِ (١) فَارَسَ».

وذكر ابو القاسم الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار» :

« انَّ الصَّحَابَةَ لَمَّا اتَوَا الْمَدِيْنَةَ بِسَبِيْ فَارَسَ فِيْ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَانَ

فِيْهِمْ ثَلَاثَ بَنَاتٍ لِيَزْدَجُرْدٍ اَيْضًا فَبَاْعُوْا السَّبَايَا، وَامْرَعُمُ بِيْعِ بَنَاتِ يَزْدَجُرْدٍ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ -

بْنُ اَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

« اِنَّ بَنَاتِ الْمُدُوْكِ لَا يُعَامَلْنَ مَعَهُنَّ مُعَامَلَةَ كَنَفِيْرِهِنَّ مِنْ بَنَاتِ السُّوْقَةِ ».

« فقال : كيف الطريق الى العمل معهن ؟

قال : يُقْوَمُنَّ وَمَهْمَا بَلَغُنَّ مِنْ ثَمْنِهِنَّ قَامَ بِهِ مِنْ يَخْتَارِهِنَّ .

« فَقَوَّمُنَّ فَاخَذَهُنَّ عَلِيُّ بْنُ اَبِي طَالِبٍ (ع) فِدْفَعًا وَاحِدَةً لِعَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ

وَالْاُخْرَى لَوْلَدِهِ الْحُسَيْنِ وَالْاُخْرَى لِمُحَمَّدِ بْنِ اَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ رِبِيْعَهُ ... »

وتلك التي صارت الى الحسين بن عليّ آنجبت عليّ بن الحسين، زين-

العابدين وسيّد الساجدين، ذوا الثّقنات، الأمام الرابع، ابوالائمة الثمانية .

٢٧٢ - اشارة عليّ بذهاب ابى عبيدة الى بيت المقدس

ومن تلك الموارد ايضا :

فى « فتوح الشام » للواقدي ، ابى عبدالله محمد بن عمر بن واقد (١٣٠-٢٠٧

هـ . ق) ، فى واقعة استيذان ابى عبيدة بن الجراح بعد فتح اليرموك ، عمرو عن عزمه الى

قيسارية او بيت المقدس ، :

« وسلّم الكتاب (اى كتاب ابى عبيدة) الى عمرو ، امير المؤمنين ، فقرأ عليّ -

المسلمين و استشارهم فى ذلك فقال عليّ : يا امير المؤمنين مرّ ، صاحبك ، ابا عبيدة ،

ان يتزل بجيوش المسلمين على بيت المقدس . . .

« قال عمر : صدقت يا ابا الحسن . ثمّ دعا بدواةٍ وقرطاس ، وكتب بعد الحمد

والصلوة... وقد وصلني كتابك تستشيرني الى ناحية توجه وقد اشار ابن عم رسول الله (ص) بالمسير الى بيت المقدس فان الله يفتحها على يدك ... »

٢٧٣ - اشارة على لفتح بيت المقدس

وفي فتوح الشام ايضا في واقعة فتح بيت المقدس واستدعاء ابي عبيدة ذهاب عمر الى بيت المقدس بالتماس البطريق منه ذلك ، ومشاورة عمر ، المسلمين و اشارة عثمان عليه بان لا يذهب :

« ... وقال عمر هل عند احد منكم راي غير هذا (اى راي عثمان) ؟
« فقال على بن ابي طالب رضى الله عنه : نعم . عندى غير هذا الرأى وانا اُبديه اليك ، رحمتك الله .

اشارة على
بان يذهب
عمر بنفسه
الى بيت المقدس

« فقال عمر : وما هو يا ابا الحسن ؟

« قال :

« ان القوم قد سألوك وفي سئوالهم ذلٌ لهم ، ولعلته للمسلمين فتح . وقد اصاب -
المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام . وانسى ارى انك ان سرت اليهم
فتح الله المدينة على يدك . وكان في مسيرك الاجر العظيم فى كل ظمأ ومخمصة ، وفى
قطع كل واد وصعود كل جبل ، حتى تقدم عليهم فاذا انت قد مت عليهم كان لك
وللمسلمين ، الأمن والعافية والصلاح والفتح .

« ولست آمن انهم ان يشؤامنك ومن قبولك الصلح ان يتمسكوا بحصونهم
وياتيهم المدد من بطارتهم ، وطاغيتهم فيدخل على المسلمين من ذلك هم وبلاء ،
لأن بيت المقدس عندهم معظمة ، و اليها يحججون ولا يخلفون عنها . والصواب ان
تسير اليهم .

« ففرح عمر بمشورة على وقال :

« لقد احسن عثمان، النظّر في المكيدة للعدوّ . واحسن عليّ، النظّر في المسلمين، جزاهم الله خيراً، ولستُ آخذُ إلاّ بمشاوره عليّ فما رايته إلاّ محمود المشاورة ميمون الطّلعة .

« ثمّ امر الناس ان يأخذوا الأهبة للمسير معه والأستعداد واستخلف علي المدينة عليّ بن ابي طالب، رضى الله عنه، وخرج عمر يومئذ من المدينة واهلها بشيّعونه

قال الطّبري (الجزء الثالث من تاريخه - الصّفحة ال ١٠٤ -) :

« وعن عديّ بن سهل قال : لمّا استمدّ اهلُ الشام عمر على اهل فلسطين استخلف عليّاً وخرج مُمدّاً لهم »

٢٧٤ - انقضاء دور عمر

كانت مدّة خلافة عمر (رض) نحواً من عشرة سنة و ستّة اشهر وقد اتّسع في تلك المدّة نطاق دولة الإسلام بجهدته وحسن تدبيره واتّسق نظام امر المسلمين، بكثرة عنايته، وشدّة سياسته، ودوام مجاهدته، وكمال مراقبته، مضافاً الى اتفاق المسلمين، ووحدة كلمتهم، وخلص ايمانهم ورسوخ عقيدتهم، وتضحيتهم في سبيل بسط شريعتهم، ونشر عدالتهم .

طعنه (رض) ابولؤلؤة النصراني (اثناء الصلوة) بسكين صنعها لهذا المقصد طعنا علم ان موته فيه، فلمّا ايقن بحلول اجله، واقترب اّمّده، لم يرض ان يدعّ امر الخلافة مُهملاً غير منصوص، ويكل عبء تعيين الخليفة عليّ كاهل المسلمين، ويتناسى في ذلك بالرسول، كمان كان يقول، بل رأى ان لا يترك المسلمين في هذا الأمر ورائهم افيصرون حيارى في الانتخاب و اباي ان يتحمّل احتمال المخالفة والمشاجرة في الأمر الخطير الهام (تعيين الخليفة) بين رجال الدّين والأسلام، واشفق عليهم من افتراق الكلمة الباعث لضعف الأمة وانفصام عروة نظام الحكومة، واعتقد انه لا يصلح له، رعاية لمصلحة -

الأمّة، وحفظاً لاساس الدين والشريعة ان يجعل حبل الخلافة على غاربها، وان بكلّ زمام حرية المؤمنين بيد صاحبها، كما فعل، بزعمه، الرسول (ص) كذلك! .
 وذلك لاحتمال ان يتولّد من اضطرار الأمّة، او خصوص اهل الحلّ والعقد منهم، لأختيار الخليفة للرسول! تتيقّظ الفتنة واختلاف الكلمة، او تحقق الفلستة ولعلّ الله في هذه الكثرة لا يقى شرّها، ولا يدفع عن الأمّة ضرّها! .
 هذا من جانبٍ ومن جانبٍ آخر لم يرض (رض) ان يتأسّى بما سار اليه سلفه - البصير الخبير، ابوبكر! ولم يستحسن اتباع سيرة ابى بكر حين موته، فلم يختار شخصاً معيناً كى لا يتحمّله، على ما يقول، حياً وميتاً! بل زعم وصرّح بان «حَسْبُ عَمْرٍ ما حمل، حَسْبُ عَمْرٍ ما احتقَب!» (احتقَب الأئمّ : جمعه).
 فرسم (رض) طرحاً آخر، وسلك طريقاً ثالثاً، لتعيين خليفة الرسول! ولم يذهب لا الى هذا، ولا الى ذاك .

٢٧٥ - رأى عمر فى خلافة علىّ

قال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ذيل عنوان «قضية الشورى» - الجزء - الثالث - الصفحة ال ١٩٢ -) بأسناده عن عمر بن ميمون الاودى :
 « انّ عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: يا امير المؤمنين لو استخلفت . قال :
 مَنْ اسْتَخْلَفُ ؟ ...
 ... حتّى قال :
 « فان استخلفتُ فقد استخلف مَنْ هو خيرٌ منى . وان اتّركتُ فقد تَرَكتُ مَنْ هو خيرٌ منى
 و فقالوا : يا امير المؤمنين لوعهدت عهداً فقال :
 « قَدْ كُنْتُ أَجْمَعْتُ بَعْدَ مَقَالَتِي لَكُمْ اَنْ اَنْظُرَ فَاَوْلَى رَجُلًا امْرَكُمُ ، هُوَ احْرِيكُم اَنْ يَحْمِلِكُم عَلَى النِّحْقِ . و اشار الى علىّ »

على احريهم
 ان يحملهم
 على الحق

وقال الفقيه المالكي الاندلسي ، ابن عبد ربّه ، فى كتابه «العقد الفريد» بعد ما نقل ذهابهم الى عمر ، واقتراحهم عليه بعهدة الى ابنه عبد الله ، وجوابه لهم (والطبرى أيضاً فى تاريخه الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٣ -) :

« . . . ثم راحوا فقالوا : يا امير المؤمنين لو عهدت عهداً . فقال :

« قد كنت اجمعت بعد مقاتلى لكم ان اولى رجلاً امركم ارجو ان يحملكم

على الحق » .

« و اشار الى على . ثم رايت ان لا اتحملها حياً و ميتاً فليكم بهولاء الرهط

الذين . . . »

وقال الطبرى (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٣ -) فى ما نقل عن عمر :

« . . . وما اظنّ احدآ ان يلىّ الا احد هذين الرجلين : على و عثمان .

« فأن ولى عثمان فرجل فيه لين .

« و ان ولى على ففيه دُعاة . و احريه ان يحملهم على طريق الحق . . . »

٢٥٧- « كان علىّ اولى الناس بالامر »

نقل ابن ابى الحديد عن ابى بكر احمد بن عبدالعزيز الجوهري بأسناده أنه :

« مرّ عمر بعلىّ وعنده ابن عباس بفناء داره فسلم . فسأله : اين تريد ؟ فقال :

الى ينبع .

« قال : علىّ : افلا نصيلُ جتناحك ونقوم معك ؟ فقال بلى ! فقال (اي علىّ)

لابن عباس : قم معه .

« قال ابن عباس : فشبتك اصابعه فى اصابعى و مضى حتى خافنا البقيع قال :

١- وفى الاستيعاب لابن عبد البر المالكي (ذيل ترجمة عمر) : « . . . وقوله فى

على عليه السلام : « ان ولوها الاجلح سلك بهم الطريق الاجلح المستقيم » يعنى علياً . . .

فقال له ابن عمر : ما يمنعك ان تقدم علياً ؟ قال : اكره ان احملها حياً و ميتاً » :

« يا ابن عباس . أما والله أن كان صاحبك هذا أولى الناس بالامر بعد وفاة رسول الله (ص) إلا أنا خفناه على اثنين :
 وقال ابن عباس :

صريح عمر بن
 علياً كان
 أولى الناس
 بالامر بعد وفاة
 رسول الله (ص)

« فجاء بمنطق لم اجد بدأ معه من مسئلته عنه .

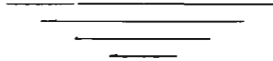
« فقلت : يا امير المؤمنين ما هما ؟

« قال : خشيناه على حدائث السنن و حُبّه بنى عبدالمطلب ! »

وكيف كان ، كان عمر يعرف مقام عليّ في الأيمان ، ويؤمن بصلوحه واستحقاقه .

الخلافة و الإدارة فقد أستخلفه ، من نفسه ، على المدينة حين ذهابه الى بيت المقدس
 كما رايته آنفاً في كلام من الواقدي و الطبري . وقد اشار (رض) ، بل صرح ، لامرّة
 بل مرّات ، بعلو شأنه (ع) و صلوح شخصه ، و رفعة مقامه ، و عظمة قدره ، و بأستحقاقه
 للخلافة بقوله :

« لِّلّهِ أَنْتَ الْوَلَاةُ دُعَابَةٌ فِيكَ ! . أَمَا وَاللّهِ لَتَيْنٌ . وَلَيْسَتْهُمْ لَتَحْمِلِنَهُمْ
 عَلَيَّ الْحَقَّ الْوَاضِحَ وَالْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ . »



«إِنَّ أَحْرِيَهُمْ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى كِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ لِصَاحِبِكُكَ.
 وَاللَّهِ لَشَيْنٌ وَلِيَهَا لِيَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ»
 (قال عمر لابن عباس في حق عليّ)

«... وَلَوْ أَنَّ عُمَرَ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ كَمَا اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ ،

مَا كَانَ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ » (من كلمات معاوية ابن ابي سفيان)

- ١- ابداع طريق ثالث للاستخلاف .
- ٢- نظرة في سبب العدول .
- ٣- اختيار اشخاص من الصحابة للشورى .
- ٤- عود الى واقعة الاستخلاف .
- ٥- مكالمة عمر مع ابن عباس في الاستخلاف .
- ٦- اعتذار ابن ابي الحديد عما قاله عمر .
- ٧- نهاء ذلك الطريق ونتاج تلك المقدمات .
- ٨- توصية عمر بابي طلحة على اصحاب الشورى .
- ٩- كلام عمر في جمع النبوة والخلافة .
- ١٠- اهل الشورى وما قال عمر في حقهم .
- ١١- الشورى وما جرت فيها .
- ١٢- اقتراح ابن عوف [و] ما اجاب به عليّ و عثمان .
- ١٣- ارتاج الكلام على عثمان .
- ١٤- تنبيهات ستة حول الشورى .

منها :

- الف- حصول الاكثريّة لعليّ وعدم اعتداد ابن عوف بها.
- ب - استبداد ابن عوف في الزامه و الى الامر ...
- ج - العمل بسيرة من سلف متعذر ، لاختلافها وارشاد عليّ الى ان الاصل ، الكتاب والسنة لاعمل السلف .
- ١٥- ما قيل ، او يقال ، على الطريق الابداعي الأحداثي .
- ١٦- سئوال بلا جواب .
- ١٧- ختام الكلام في الشورى .

١٨- حول الطريق الثالث :

٢٥٨ - ابداع طريق ثالث للاستخلاف

مما يستلقت النظر ، و يستدعى صرف الوجه اليه ، مسألة الخلافة في الإسلام .
لاريب في اتفاق الامة على ان اول الخلفاء لم يعينه الرسول لخلافته ، وفي ادعاء اهل-
السنة واعتقادهم بعدم نصّ وعدم سابقة لذلك ، ولهذا صارت الخلافة في الخلفاء الثلاث
على انحاء ثلاثة : الاجماع (على ما يقولون) ، والكتابة ، والشورى . وعلى ذلك المبني لسائل
ان يسأل : اذالم يكن للخلافة نصّ ولا سابقة ، وكان امر احادنا ، فكيف الجمع بين هذا الاعتقاد
و بين الاحاديث الواردة في الصحاح والاصول مثل قوله (ص) : « اَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتُ-
الأمور ، فانَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وكلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » ومثل قوله : « من أَحَدَّثَ
في أمرنا هذا ما لَيْسَ منه فَهُوَ رَدٌّ »^١ ومثل : « من عمل عملاً لَيْسَ عليه أمرنا
فهو ردٌّ ؟ »

ولا يتوجه هذا التسؤال على الشيعة لانها تعتقد النصّ على الخليفة فليست-
الخلافة عندها امر مُحَدَّث في امر الدين .

وكيف كان تصدّي ابي بكر للخلافة وتسلمها الناس بالقبول ، استناداً باتفاق
اهل الحلّ والعقد ، وان شئت فقل ، بـ «الأجماع» . ثم تصدّي بعده عمر ، استناداً بالوصاية
والعهد من ابي بكر ، واستخلافه اياه ، وان شئت فقل : اعتماداً على «النصّ» ، اى «العهد» .
واما الخليفة عمر فما اتبع لاذالك الطريق الذى ادعى ان رسول الله (ص) اختاره
وسلكه ، وهو ايكال الأمر على حرية ارادة الأمة في اختيارهم من شاؤوا وارادوا للخلافة من-
الرسول (ص) ! ولاقتدى ايضا بمن « هو خير منه » ، ابو بكر (رض) في سلوكه هذا الطريق ،

وما نقل عن شراح الحديث بهذه العبارة : « من احدث » : من ابتدع و اخترع شيئا ،
لم يكن في زمن النبي (ص) ، ما لم يكن فيه مصلحة ... « في امرنا » : في ديننا . « فهو
رد » اى مردود ، كلام مردود اذ بناؤه على الاعتقاد بوجود «مصلح برسلة» في الدين وقد
حققنا فساده في رسالتنا الوجيزة « منهاج الشرعة في حكم الاحداث و البدعة » .

وهو النصّ بالاستخلاف .

فلا تأسى بالرسول ولا سار سيرة الخليفة . ولكنه كأنه استنقص الطريقتين ! فاستنقضهما وابدع طريقا ثالثا فاهلهما .

لماذا عدل عمر عن سيرة الرسول (ص) ، على ما يدعيها ،؟ ولمَ لَمْ يتأس به والله تعالى يقول : « وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ؟ » فلننظر :

٢٧٨ - نظرة في سبب العدول

ان كان ذلك العدول لأنه شاء واراد متابعة سيرة الخليفة ، في عدم تأسيه بالرسول ، وعدم المتابعة له (ص) في ترك الاستخلاف ، فلمَ لَمْ يتبع الخليفة ولم يجعله قدوة في العهد والنصّ بالاستخلاف ، مع انه يقول « هو خير مني » ؟

اترى انه كان يرى ان ترك الاستخلاف منه يمكن ان يورث اتفاق الامة ، واجتماع خصوص اهل الحل والعقد منهم ، على اختيار عليّ ، وهو لا يرى المصلحة في ذلك ، لا لما كان « يخشاه عليه من حداثة السن » ، كما كان ، على ما قال ، يخشاه حين وفاة الرسول ؟ لأن سن عليّ حينئذ كان نحواً من خمسين سنة ولا لما كان يدعى ان « فيه دُعاة » ولا لما كان يعتقد أنه « يحملتهم على الحق الواضح ... » ؟

لأنه ، كيف كان ، جعله واحداً من اصحاب الشورى في الطريق الثالث ، اللهم الا ان يقال نظر في ذلك الى قوله (ص) « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » ، فلا يرى المصلحة فيه لا لهذه الامور والجهات بل جهة اخرى كان ينظر اليها ويريها .

او كان يرى ان الاستخلاف والنصّ يستلزم احد الامرين ؟ :

امّا تعيين عليّ والنصّ عليه .

وامّا تعيين غير عليّ .

فالاول لعله كان على خلاف ما يراه . والثاني لعله كان ، على خلاف ما يراه . الامة ، او اكثرها ، او خصوص اهل الحل والعقد منها ، وحينئذ يمكن ان يصير ذلك سببا لأطلاق لسانهم بعد موته عليه ، ولسقوط عظمة مجاهداته و مساعيه في بسط

كان من على
حين وفاة عمر
نحواً من خمسين
سنة

دولة الإسلام، ونظم امور المسلمين عن اعينهم، ولا سيما اذا كان من اختاره واستخلفه بحسب رايه الحازم و تفرسه الصائب « رجل فيه لين » (١) بحيث لا يتمكن عن ادارة امور المسلمين بنحو يقتضيه الدين و يرتضيه المؤمنون ، ولا يقدر، او لا يلتزم، باجراء العدل ورعاية الصّحبة والفضل، على ما كان المأمول والمعمول المألوف، فكيف بما اذا صار المعهود اليه ، المنصوص عليه سببا لتشتت الكلمة وتفرق الأمة، لاجل استبداده بالأمور وعدم اصغائه الى ما يشير اليه اكابر المسلمين، وحمله بنى قومه على رقاب الأنصار والمهاجرين، وبالجملة لعُدوله عما هو معهود من عمل السابقين ولتسياره في خلافته خلاف سيرة الخليفين ؟

٢٧٩ - اختيار اشخاص من الصحابة للشورى

كيف كان الوجه في ذلك، كان هو على ما تظنه الشيعة، او كان وجهاً آخر ، والله هو العالم بالسرائر والضمائر، فما ابدعه وابتكره من الطّريق الثالث هو انه :
« اختار من الصحابة ستة ، يقول : انّ النّبى مات و هو عنهم راضٍ ، وهم سن العشرة المبشرة بالجنة على لسان النّبى (ص)، وهم : على و عثمان و عبد الرحمن ابن عوف و الزبير و سعد بن ابى وقاص و طلحة ، وامرهم بان يجتمعوا للمؤامرة والمشاورة مدة لاتزيد على ثلاثة ايام فيختاروا واحداً منهم للخلافة .
ثم دعا باطلحة الأنصارى وامره ان يتخذ معه خمسين رجلا بسلاحهم ان ينظروا ويراقبوا اهل الشورى .

١ - وارك في ذكر ما نقلناه عن الطبري آنفاً من قول عمر (رض) : « وما اظن ان يلى الا احد هذين الرجلين : على و عثمان . فان ولى عثمان فرجل فيه لين » وسيأتى قوله لثمان : « كأتى بك قد قلدتك قريش هذا الامر . . . فعملت بنى امية و بنى ابى معيط على رقاب الناس . . . فسارت عليك ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً . والله لئن فعلت . ليفعلن . »

فان انقضت الأيام الثلاثة ولم يتفقوا على احد منهم فليقتلوا جميعاً !! وحينئذ تصير الأمة واختيارهم في الانتخاب لأنهم ، بحسن سياسة الخليفة المشفق الرؤف ، خلصوا نجياً عن خير هؤلاء الستة المرضية المبشرة بالجنة ، اصحاب بدر واقرب صحابة- الرسول اليه ، الذين مع جواز قتلهم برأى الخليفة وبحكمه ، في سبيل الله وسبيل المصلحة ، لا يجوز وليس لأحد من بعدهم ان يتفوه في حقهم بسوء^١ (لأن اصحاب الرسول (ص) عدول ولا يتقص احد منهم الا) ، كما قالوا ،) .

وان اتفقت كلمتهم على واحد منهم فهو خليفة الرسول ! ومن الفرض على غيره من- الستة وعلى الأمة ، التبعية والأطاعة والبيعة ، شأوا اولم يشأوا ، (رغماً لأنوفهم) وان كانت الأمة من حيث الكثرة والعدة لانقاس بهذه العدة القليلة ، اى هؤلاء الستة ، اللهم الا ان يقال كونهم اهل الحل والعقد ، بل صيرورتهم فعلاً (لاسابقاً - كى لاينا فى عدم حضورهم فى السقيفة حين انعقادها) اهل الحل والعقد ، صار مناظر الرجحانهم على الأمة رايًا .

وان اختلفت كلمتهم ، بالكثرة والقلة ، فالمدار على الأكثر فان لم يوافق الأقل^٢ رأى الأكثر ولم يتابعه فعلى ابي طلحة ان يقتل الأقل !!
وان اختلفت متساوية بان كانت آراء نصف منهم لواحد وآراء النصف الآخر لآخر ، فالاعتبار بالنصف الذى فيهم ابن عوف ، وان كان فى النصف الآخر على ! وهو الذى قال النبى فى شأنه : « على يد ور مع الحق والحق يد ور معه » بل وهو الذى قال الخليفة نفسه فى حقه : « احرى بكم ان يحملكم على الحق » وقال بالتقسيم -

١ - فكان حق الصحبة يبيع هتك الصحبة و يورث للصابح بالنسبة الى الصاحب من حق القتل والشتم والايذاء ماليس لغيره، ولعلك لم تكن نسيت بعد، ماسمعت من عمر، حين ذهب مع عصابة من اتباعه الى بيت فاطمة لاخذ البيعة اواراق البيت وخروج الزبير مصلنا سيفه، من قوله : « عليكم بالكلب » يعنى الزبير . وما سمعت ايضا من ابي بكر حين موته ، من قوله لطلحة « ... اى والله واثت شرهم، اتيتنى وقد دلكت عينيك، تريد ان تقتنى عن دينى ، قم لا اقام الله رجليك » .

المؤكد ايضا: « وَاللّٰهِ لَيَجْمِلَنَّهٗمْ عَلٰى الْحَقِّ الْوَاضِحِ وَالْمَحَجَّةِ الْبَيِّنَاتِ »
وقال ايضا لابن عباس: « اَمَّا وَاللّٰهِ اَنْ كَانَ صَاحِبُكَ هَذَا اَوْلى النَّاسِ بِالْاَمْرِ
بَعْدَ وِفَاةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ... »

وكيف كان فالنصف المخالف لابدت و ان يتبع ما رآه النصف الذى فيه ابن -
عوف فان قبل ، ووافق واطاع واتبع ، فنعمت و بها ، وان خالف و ابنى عن المتابعة والبيعة
فعلى ابي طلحة ورجاله ان يقتل المخالف فيرضى الله ورسوله والخليفة بتسريعه لأرسال
صحابه الرسول المبشرين والذين كان هو (ص) راضٍ منهم الى جواره فى الجنة!
فيا الله من تدبير بديع ، وتأسيس منيع ، وابتكار رفيع ، وابداع وسيع ، وضعا ورفعا ،
جمعا و منعاً ، عقلاً و شرعاً . رضى الله عن مبدعه و مبتكره .

٢٨٠ - عود الى واقعة الاستخلاف

قال ابن ابي الحديد فى بيان واقعة الاستخلاف (فى شرحه لنهج البلاغة)
ما هذا عين الفاظه :

« وصورة هذه الواقعة ان عمر لما طعنه ابولؤلؤة و علم انه ميت استشار فى
من يولىه الامر بعده فأشير اليه بابنه ، عبد الله فقال :

« لاها الله ! اذا لايلينها رجلان من ولد الخطاب . حسبُ عمر ما حمل .
حسبُ عمر ما احتقب . (احتقب الاثم . جمعه) لاها الله احياً وميتاً .
ثم قال :

« ان رسول الله مات و هو راضٍ عن هذه الستة من قريش : على و عثمان
وطلحة و الزبير و سعد و عبدالرحمن بن عوف .

« وقد رايتُ ان اجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم^(١) . ان استخلفتُ فقد

١ - لانفسهم يختاروا او للمسلمين ؟

من هو خير مني ، يعني ابابكر ، وان اترك فقد ترك من هو خير مني ، يعني رسول الله .
« اذعوهم لي » .

« فدعوهم . قدخلوا عليه وهو ملقى على فراشه وجود بنفسه فنظر اليهم فقال :
« اكلتكم يطمع بالخلافة بعدى ؟ »

« فوجموا فقال لهم ثانية فاجابه الزبير وقال :

« وما الذي يبعدنا منها . وليتها انت فقت بها . ولسنادونك في قریش ، ولا
في السابقة ، ولا في القرابة . »

« قال الشيخ ابو عثمان ، الجاحظ ، : « والله لولا علمه ان عمر يموت في مجلسه
ذلك ، لم يقدم على ان يقوه من هذا الكلام بكلمة ولا ان ينفس منه بلفظ . »
« فقال عمر :

« افلا اخبركم عن انفسكم ؟ قالوا : قل فاننا لو استعفينا لم تعفنا . فقال :

« اما انت يا زبير ، فوعيق ، لقيس ، مؤمن الرضا ، كافر الغضب . يوماً انسان
ويوماً شيطان . ولعلها لو افضت اليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من
شعير . افرابت ان امضت اليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطانا ؟ ومن
يكون يوم تغضب ؟ »

« اما ، وما كان الله ليجمع لك امر هذه الأمة وانت على هذه الصفة . »

« ثم اقبل على طلحة وكان له مبعثاً ، منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في

عمر ، فقال له :

« اقول ام اسكت ؟ قال : فقل فانك لا تقول من الخير شيئاً ! قال :

١ - هكذا . والظاهر : ينس بالباء الموحدة اى يتكلم .

٢ - قد مر سابقاً نقلاً عن تاريخ الطبرى وكتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزى كلام

ابى بكر فى الخطبة التى القاها بعد ما بويع وهو « ... واعلموا ان لى شيطانا يعترينى ، فاذا
رايتمنى غضبت فاجتنبولى ... » فكان للزبير ان يجيب : « من كان للمقر المعترف بان له
شيطانا ، يكون لمن لاعتراف له بذلك ، لوسلم وجود شيطان له ، ايضا . »

« اما انتى اعرفك منذ اُصيب اصبعك يوم اُحد، والنبأ الذى حَدَثَ لَكَ .
ولقد مات رسول الله ساخطاً عليك بالكلمة التى قلتها يوم انزلت آية الحجاب » .

« قال شيخنا ابو عثمان ، الجاحظ ، رحمه الله تعالى :

« الكلمة المذكورة ان طلحة لما انزلت آية الحجاب قال بمحضر ممن نقل

عنه الى رسول الله (ص) :

« ما الذى يغنيه حجا بهن اليوم ، وسيموتُ غداً فننكحهن »^١ .

« قال ابو عثمان ايضا : لوقال لعمر قائل : انت قلت : « ان رسول الله مات

وهوراض عن الستة » فكيف تقول الآن لطلحة : « انه مات ، عليه السلام ، ساخطاً
عليك ، للكلمة التى قلتها » ؟ لكان قد رماه بمشاقبه . ولكن من الذى
يجسر على عمر ان يقول له مادون هذا ؟ فكيف هذا ؟

« قال : ثم اقبل على سعد بن ابى وقاص فقال :

« انما انت صاحب مقنب من هذه المقانب ، تقاتل به ، وصاحب قنص وقوس

واسهم .

« وما زهرة والخلافة وامور الناس ! ؟

« ثم اقبل على عبدالرحمن بن عوف فقال :

« واما انت يا عبدالرحمن فلو وزن نصف ايمان المسلمين بايمانك ، لرجح

ايمانك به . ولكن ليس يصلح هذا الامر لمن فيه ضعف كضعفك . وما زهرة

١ - « كان القاسم بن محمد بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمى يلقب بابرة

ولى شرطة الكوفة لعيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس كرم اسماعيل
ابن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بكلام خرجا فيه الى المناقرة فقال القاسم بن
محمد ، لم يزل فضلنا واحساننا سابقا عليكم يا بنى هاشم وعلى بنى عبد مناف كافة ، فقال
اسماعيل : اى فضل واحسان اسديتموه الى بنى عبد مناف ؟ اغضب ابوك جدى بقوله :

« لتموتن محمد ولنجلون بين خلاخيل نساؤه كما جال بين خلاخيل نساننا » ؟ فانزل الله
تعالى سراهما لايبك : « وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا . . . » (شرح ابن ابى الحديد - المجلد الثانى - الصفحة ال ٥٠١ - ذيل : منها فى ذكر
اصحاب الجمل) .

وهذا الامر؟.

« ثم اقبل على عليّ عليه السلام فقال :

« لله انت ! لولا دُعابةُ فينك : اَمَا وَاللَّهِ لَشِنُّ وَلَيْتَهُمْ لَتَحْمَلَنَّهُمْ
عَلَى الْحَقِّ الْوَاضِحِ وَالْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ » .

« ثم اقبل على عثمان فقال :

« هَيْهَذَا يِيكُ ! كَبَأْتِي بِكَ قَدْ قَلَّدَ تَنَكُّكَ قَرِيْشَ هَذَا الْاَمْرِ ، فَحَمَلَتْ بَنِي اُمِيَّةَ
وَبَنِي اَبِي مَعْصِيْطٍ اَعْلَى رِقَابِ النَّاسِ وَاَثَرَتْهُمْ بِالْفَتْيَةِ فَسَارَتْ اَلْيِيكَ ذُبَابٌ -
العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً . وَاللَّهِ لَشِنُّ فَعَلْتُمْ لِيَفْعَلُنَّ . »
« ثم اخذبنا فقال : فاذا كان ذلك فاذكر قولي فانه كائن .

وذكر هذا الخبر كلها شيخنا ابو عثمان في كتاب السقيانية . وذكره جماعة غيره

في باب فراسة عمر .

« و ذكر ابو عثمان في هذا الكتاب عقيب رواية هذا الخبر قال :

« وَرَوَى مَعْمَرُ بْنُ سَلِيْمَانَ التَّمِيْمِيُّ عَنْ اَبِيهِ عَنْ سَعِيْدِ بْنِ الْمَسِيْبِ عَنْ اَبْنِ -

١ - ابو معيط هو ابان ابن ابي عمرو بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ...
وهو والد عقبة والد الوليد الفاسق .

« وَكَانَ لَامِيَّةً مِنَ الْوَلَدِ اَحَدِ عَشَرَ ذَكَرًا ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَكْنَى بِاسْمِ صَاحِبِهِ ، وَهُمْ
الْعَاصِي وَابُو الْعَاصِي ، وَالْعَيْصُ وَابُو الْعَيْصِ ، وَعَمْرُو وَابُو عَمْرُو ، وَحَرْبُ وَابُو حَرْبِ ،
وَسَفِيَّانُ وَابُو سَفِيَّانِ » « الْعَوِيصُ » لَا يَكْنَى بِهِمْ فَمِنْهُمْ « الْاَعْيَاصُ » .

« وَامُّ ابُو مَعْصِيْطٍ ، اَمْنَةُ بِنْتُ اِبَانَ بْنِ كَلِيْبِ بْنِ ... وَكَانَتْ اَمْنَةُ هَذِهِ تَحْتَ اُمِيَّةَ
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَوُلِدَتْ لَهُ الْعَاصِي وَابَا الْعَاصِي وَابَا الْعَيْصِ وَالْعَوِيصُ فَلَمَّا مَاتَ
امية تزوجها بعمه ابنه ابو عمرو ، وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك ، يتزوج الرجل امرأة
ابيه بعمه ، فولدت له ابامعيط . فكانوا بنى امية من امية اخوة ابى معيط وعمومته .

« وَاسْرُ عَقْبَةُ ابْنِ اَبِي مَعْصِيْطٍ فِي يَوْمِ بَدْرٍ فَقَتَلَهُ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبْرًا ...
وعلى رواية : ان النبي صلى الله عليه وسلم اسر علياً يوم بدر فضرب عنق عقبة بن ابي معيط
والتضر بن العارث » (الجزء الاول، من « الاغانى » - ذيل خبر ابي ابي قطيفة -) .

عباس قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأهل الشورى :
« انكم ان تعاوانتم ، وتوازرتم ، وتناصحتم ، اكلتموها واولادكم !
وان تحاسدتم ، وتعاعدتم ، وتدابرتهم ، وتباغضتم ، غلبكم على هذا الامر ، معاوية .
ابن ابي سفيان » .
« وكان معاوية حينئذ امير الشام » .

٢٨١ - مكالمه عمر مع ابن عباس في الأستخلاف

حكى ابن ابي الحديد عن « كتاب الأمالى » لأبي العباس احمد بن يحيى ، ثعلب :
« كان عبدالله بن عباس عند عمر فتنفس عمر نفساً عالياً ، وقال ابن عباس حتى
طننت ان اضلاعه قد انفرجت . فقلت له : ما اخرج هذا النفس منك يا امير المؤمنين
الاهم شديد . قال : « اى والله يا ابن عباس . انى فكرت فلم ادر فى من اجعل هذا .
الامر بعدى ؟ »

« ثم قال : « لعلك ترى صاحبك اهلاً »
« قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه ؟ .
« قال : صدقت ولكنه امرؤ فيه دُعاية :
« قلت : فأين انت من طلحة ؟
« قال : هو ذوالبأ ، و ، بأ صبيعه المنقطوعة .
« قلت : فعبدا الرحمن . قال : رجل ضعيف . لو صار اليه لوضع خاتمته فى
يد امرأته !

« قلت : التزبير . قال : شكس ، لقيس يلاطم فى البقيع فى صاعٍ من بر .
« قلت : فسعد بن ابي وقاص . قال صاحب مقنّب وسلاح .
« قلت : فعثمان . قال : اوه اوه مراراً .
« ثم قال : « والله لئن وليها ليحملن بنى ابي معيظ على رقاب الناس
ثم لتنهضن اليه العرب فتقتله » .

« ثم قال : يا ابن عباس : والله لا يصلح لهذا الأمر إلا خفيف العقدة ، قليل الغرة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يكون شديداً في غير عنف ، ليناً من غير ضعف ، جواداً من غير سرف ، ممسكاً من غير وكف . »

« قال ابن عباس : وكانت هذه صفات عمر . ثم أقبل على فقال :

« اِنَّ اَحْرِيَهُمْ اَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى كِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ لَصَاحِبِكَ . وَاللَّهِ لَئِنْ وَلِيَهَا لَيَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . »

٢٨٢ - اعتذار ابن ابي الحديد عما قاله عمر

بعد ما نقل ابن ابي الحديد ، عن كتاب الأمالى لثعلب ، ما اوردها قال :

« ان الرجل اذا الخلق المخصوص ، لا يرى الفضيلة الا في ذلك الخلق . »

ثم مثل لذلك بالجواد يعيب البخيل وبالعكس ، والجبان يعيب الشجاع وبالعكس ، وهكذا في سائر الصفات والأخلاق ، ثم قال :

« ولما كان عمر شديداً الغلظة ، وعير الجانِب ، خَشِنَ الملمس ، دائم

العبوس ، كان يعتقد ان ذلك هو الفضيلة وان خلافه نقص »

« فهو غير ملوم عندي في مقاله ، ولا منسوب الى انه اراد الغض من علي والقدرح

فيه (يعني في مقاله : ولكن امرؤ فيه دُعاة) ، ولكنه اخبر عن خلقه ظاناً ان الخليفة

لا يصلح الا للشديد الشكيمة ، العظيم الوعورة »

« وبمقتضى هذا الخلق المتمكن عنده ، كان يشير على رسول الله ، صلى الله عليه

وآله وسلم ، في مقامات كثيرة ، وخطوب متعددة ، بقتل قوم . . . فلم يقبل عليه السلام

مشورته على هذا الخلق . . . »

« وجملة الامر ، انه رضى الله عنه لم يقصد عيب علي عليه السلام ولا كان عنده

معيباً ولا منقوصاً . الا ترى انه قال في آخر الخبر : « اِنَّ اَحْرِيَهُمْ ، اِنَّ وَلِيَهُمْ ، اِنَّ »

يَجْمِلْنَهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ . . . الخ

« ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِأَنَّ قَالَ : « إِنَّ وَلِيَّهُمْ لَيَحْمِلُنَّهُمْ . . . الخ

« وَاَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ حَالِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَجَدْتَهُ بَعِيداً أَنْ يَنْسَبَ إِلَى الدُّعَابَةِ وَالْمُزَاحِ لِأَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَصْلاً ، لَا فِي الشَّيْعَةِ وَلَا فِي كُتُبِ الْمُجَدِّثِينَ .

« وَكَذَلِكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ حَالَهُ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ ، ابْنِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، لَمْ تَجِدْ فِي كُتُبِ السِّيَرَةِ حَدِيثاً وَاحِداً ، يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ مَتَعَلِّقٌ ، فِي دُعَابَتِهِ وَمُزَاحِهِ . فَكَيْفَ يُظَنُّ بِعَمْرِ أَنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَنْقَلْ عَنْهُ نَاقِلٌ ، وَلَا نَدَّدَ بِهِ صَدِيقٌ وَلَا عَدُوٌّ وَأَنْتَ إِذَا ارَادَ سَهْوَةَ خَلْقِهِ لِأَخْبَرِ . . . »

ثم بعد كلام طويل ، ذكر فيه عدة مزاحات عن بعض الخلفاء وعدة من الصحابة ،

قال :

« فَأَمَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى كُتُبِ الْجَدِيثِ وَالسِّيَرِ لَمْ تَجِدْ أَحَداً مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، عَدُوًّا وَلَا صَدِيقاً ، رَوَى شَيْئاً عَنْهُ مِنْ هَذَا الْفَنِّ ، لَا قَوْلًا وَلَا فِعْلاً ، وَلَمْ يَكُنْ جَيِّداً عَظِيمًا مِنْ جَيْدِهِ وَلَا وَقَّارًا ، وَمَا هَزَلَ قَطُّ وَلَا لَعِبَ ، وَلَا فَارَقَ الْحَقَّ وَالنَّامُوسَ الَّذِي نَسَبَهُ سَرًّا وَلَا جَهْرًا . وَكَيْفَ يَكُونُ هَازِلًا وَمِنْ كَلَامِهِ الْمَشْهُورِ : « مَا مَزَّحَ - أَمْرُؤٌ مَزَّحَةً إِلَّا وَمَجَّ مَعَهَا مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةٌ ؟ »

ولكنه خلق على سجيته لطيفة ، واخلق سهلة ، ووجه طليق ، وقول حسن ، وبشر ظاهر .

« وَذَلِكَ مِنْ فَضَائِلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخِصَالِهِ الَّتِي صَفَحَهُ اللَّهُ بِبَشَرِهَا ، وَاخْتَصَّ بِمَزِيَّتِهَا . وَأَنْتَ إِذَا كَانَتْ فِظَافَتُهُ وَغَلْظَتُهُ ، فِعْلاً لَا قَوْلًا ، وَضَرْبًا بِالسَّيْفِ لِأَجْبِئَهَا بِالْقَوْلِ ، وَطَعْنًا بِالسِّنَانِ لِأَعْضُهَا بِاللِّسَانِ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَتَسْفَهَ آيْدِيُنَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا

وَنَشْتِمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكْلِمْ »

« ما كان جد اعظم من جد علي ولا وقار اك من وقاره

انتهى ما أورده ابن أبي الحديد في بيان ما أراد عمر، أو يناسب أن يكون إرادته، من قوله في حق عليّ: «... ولكنه أمرؤٌ فيه دُعاة».

٢٨٣ - قول النبي (ص) في كون عليّ هادياً مهدياً

يحمل الأمة على الصراط المستقيم

يناسب هنا أن نذكر حديثاً روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى ما عرفته من الكلام المنقول عن عمر (رض) في حق عليّ (ع) : (...) ليحملتهم على - المحجة البيضاء ...)

روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة (على ما حكى عنه ابن أبي الحديد) بأسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اِنْ تَوَلَّوْهَا اَبُو (اَبَا) بَكْرٍ تَجِدُوْهُ ضَعِيْفًا فِى بَدْنِهِ ، قَوِيًّا فِى اَمْرِ اللّٰهِ .

وَ اِنْ تَوَلَّوْهَا عُمَرُ تَجِدُوْهُ قَوِيًّا فِى بَدْنِهِ ، قَوِيًّا فِى اَمْرِ اللّٰهِ .

« وَ اِنْ تَوَلَّوْهَا عَلِيًّا ، وَ مَا اَرَاكُمْ فَاعِلِيْنَ ، تَجِدُوْهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا يَحْمِلُكُمْ عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ وَ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ » .

وفي حلية الأولياء (المجلد الاول - الصفحة ال ٦٤ -) لابي نعيم بأسناده عن حذيفة قال : قالوا : يا رسول الله الاستخلف علياً ؟

قال : « اِنْ تَوَلَّوْا عَلِيًّا تَجِدُوْهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا يَسْلُكُكُمْ بِكُمْ الطَّرِيْقَ -

المستقيم » .

وفيه ايضاً بأسناده عنه ايضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اِنْ تَسْتَخْلِفُوْا عَلِيًّا ، وَ مَا اَرَاكُمْ فَاعِلِيْنَ ، تَجِدُوْهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا يَحْمِلُكُمْ عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ » .

وعلى هذا فما نقل عن عمر في عليّ هو عين ما روى عن الرسول في حقّه^١ ولعلّه (رض) كان بقوله هذا يشير الى ذلك القول عن النبي (ص) وما زاد عليه عمر شيئاً (وان اسقط منه كلمتيّ هادياً مهدياً) الا انّ في ما روى عن النبي لم يجعل لعليّ عدلٌ غير الشيخين ، وان رجّح فيه ايضاً عليهما بالأوصاف المعنوية اللازمة للإمامة على الأمة ، المقومة للخلافة الصالحة عن الرسول ، من كونه «هادياً» ، «مهدياً» فيكون حاملاً للأمة على المحجة البيضاء والصراط المستقيم ، ولكنه في ما نقل وأثر عن عمر ونسب اليه انزله الدهر حتى جعل عدلاً «لذي البأ وباصبه» و«للضعيف الذي يضع خاتمه بيد امراته» و«للشكس الوقس الوقع» و«لصاحب المقنب والقنص والقوس والأسهم» و«لحامل بنى امية وبنى ابي معيط على رقاب الناس» بل وجعل الأمر كما ستعلم بحيث ينتج ان يُقدّم عليه من لا يربح ان يعادله . فتجاوز الله عمّن تجاوز حقّه .

٢٨٤ - نهاء ذاك الطريق ونتاج تلك المقدمات

نعقد الشيعة ان نهاية تلك الطريقة الأنيقة كانت من بدايتها معلومة اذ كانت ترتيب مقدمات الأمر وتنظيمها على ما يجعل ترتب النتيجة عليها ضرورية بتّيّه .
وتعتقد ان الغرض من رسم هذا الطرح ووضع هذا الطريق ان يُختار عثمان

١ - ولعل الى هذه الرواية يشير عليّ نفسه يوم الثالث بعد بيعته وبعد ما اسرى تقسيم المال بين المسلمين بالسوية لكل فرد ثلاثة دنانير ولم يفضل احداً على احد ، وما فرق بين العربي والمجعي ، والاحمر والاسود ، وصار ذلك ثقيلاً على بعضهم « كطلحة و الزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص و مروان بن الحكم ورجال من قريش وغيرها فتكلموا بينهم في ذلك واخبر عبيدالله بن ابي رافع كاتب علي اياه بما تكلموا به فقال علي :
« والله لئن بقيت وسلمت لهم لاقمئتهم على المحجة البيضاء والطريق الواسع» .
وسيجيء هذه القضية بطولها تقلا عن شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (المجلد الثاني - الصفحة ال ١٧٢ -) حين البحث عن خلافة علي ان شاء الله .

للخلافة، وتعيين الخلافة له^١ وكان الراسم على يقين من ذلك، ولكنه اراد ان يطرحها عن غارب من ابتكره ورسمه واسمه، وان يجعل تبعة الأختيار، ان استتبع تبعة سوء، كما كان يتفردس ويعتقد ويقول، على كاهل الشورى والنخبة الكبرى. وتقول الشيعة في بيان ما تعتقده :

ان امر الانتخاب كان بحيث لا يتعدى عن احد الشخصين : علي و عثمان^٢ وكان مردداً بينهما ولا يتجاوز عنهما الى غيرهما، ولأسيما بعد ما استنقص الخليفة من غيرهما، من المرشحين ما استنقص .

فانتخب للشورى، باستناد كونهم مرضياً للرسل، افراداً بحيث يكون انتخاب عثمان مقطوعاً به، فأول ما يلفت النظر اليه ان اربعة منهم، وهم الأكثر، يقوى في النظر في ما يظهرون براعوا جانب عثمان، لوجود النسبة والعصية، او لمناسبة العقيدة والسليقة، اولانحراف من علي .

اما عبدالرحمن فكان صهرراً لعثمان على ام كلثوم بنت عقيقة ابن ابي معيط، اخت عثمان من امه : اروى بنت كرز فكانت ام كلثوم تحت عبدالرحمن فلم يك يدع جانب عثمان .

وسعد كان من بنى زهرة فهو وعبدالرحمن ابنا عم وطبيعي اوعادي، بحسب الظاهر، ان يراعى سعد جانب من يراعى عبدالرحمن جانبه .

و طلحة فكان فيه انحراف عن علي، كما صرح به بعضهم، على انه كان يعرف ان علياً « خشن في ذات الله » لا يتبع هويته، ولا يعدل عن العدل والتسوية، بل يحملهم على الحق بالسوية .

وعلى هذا فيترجح جانب عثمان .

١ - وكأنه ارشد الى ذلك بقوله له : « كاني بك قد قلدتك قرين هذا الامر، لحبها

اياك »

٢ - كما صرح به عمر في قوله، المنقول عن الطبري آفناً: « وما اظن ان يلي الا احد هذين

الرجلين : علي و عثمان فان ولي »

ثمّ ، لو فرض ان طلحة كان يمكن ان يميل الى عليّ (اولاً يرجع ابيّان الشورى الى المدينة ، على ما قيل : انّه لم يكن وقتئذٍ في المدينة ^١ وجاء اليها بعد ختم الشورى^٢ فسلّم انتخاب عثمان و بايعه) كان ايضاً الرجحان لكفّة عثمان وكان لجانبه رجحان لأنّ عبد الرحمن كان رأيه له ، فلا جرم يكون الرجحان معه .

هكذا كان امر الشورى^١ و رسمه . وقد عرف عباس ، عم الرسول (ص) ، بل وعليّ نفسه ، ما أريد بهذا الرسم من النتيجة فاقترح على عليّ بعدم الشراكة في تلك الشورى^٢ وصرّح عليّ بأنّه يعرف منه ما يعرفه عباس وانّما يدخل فيها لمكان مصلحة يريها في شركته ، و ابان عن تلك المصلحة في بعض كلماته كما سيجيء .

٢٨٥ - وصيّة عمر لأبي طلحة في اصحاب الشورى^١

قال الطّبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٤ -) :

« قال عمر لأبي طلحة الأنصاري :

« يا ابا طلحة انّ الله عزّ وجلّ طال ما اعزّ الاسلام بكم ^٢ فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحيث هؤلاء الرهط (اي اصحاب الشورى^١) حتّى يختاروا رجلاً منهم .

« وقال للمقداد بن اسود :

١ - ولعله لما سمع من عمر (رض) قوله : (. . .) ولقد مات رسول الله (ص) ساخطاً عليك . . . » وعلم اعتقاده وسوء رايه فيه يشس فخرج من المدينة تعرضاً ويشعر بذلك مايجيى من قول عمر في ماسيجيى قريبا : « ومن لى بطلحة؟ » وقول سعد له : « انا لك ولا يخالف ان شاء الله » ثم قول عمر : « ارجو ان لا يخالف ان شاء الله » .

٢ - وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي : « واخرج ابن سعد عن انس قال : ارسل عمر الى ابي طلحة الأنصاري ، قبل ان يموت ساعة ، فقال : كن في خمسين من الأنصار مع هؤلاء - النفر ، اصحاب الشورى فانهم في ما احسب سيجمعون في بيت قمم على ذلك الباب باصحابك فلا تترك احداً يدخل عليهم ! ولا تتركهم يمضى اليوم الثالث حتى يؤسروا احدهم . »

« إذا وضعتهم في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم .

« وقال لصهيب :

« صلّ بالناس ثلاثة أيام^١ وأدخل علياً و عثمان والزبير وسعد

وعبدالرحمن بن عوف وطلحة ، ان قدم^٢ ، وأحضر عبدالله بن عمر ، ولاشيء له من الامر ، وقم على رؤسهم .

« فان اجتمع خمسة ورضوا رجلاً و ابني واحد فاشدخ رأسه او اضرب رأسه

بالسيف ! .

« وان اتفق اربعة فرّضوا رجلاً منهم وأبني اثنان فاضرب رؤسهما .

« فان رضى ثلاثة^٣ ، رجلاً منهم فان لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا

مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ، ان رغبوا^٤ عما اجتمع عليه الناس :

١ - فاختير صهيب لامردين الامة ، ولم يفتر لامر دنياهم ، كما قالوا ذلك لابي بكر ،

ولو كان مسئلة « الائمة من قريش » مانعاً من خلافته فهلا جعل هذا الرجل المختار لامر الدين ، المصالح للامامة على المسلمين من اصحاب الشورى ، منتخباً (بكسر الغاء) لانتخباً (بفتح الغاء) كى يصير العدد سبعة ولا يتحمل التساوى حتى يحتاج الى ترجيح احد المتساويين او المرجوح منهما على غيره ؟ فتدبر .

٢ - يظهر منه ان طلحة لم يكن تلك الحين حاضراً وقد صرح بذلك قبل هذه الجملة حيث قال : « ... وطلحة شريككم في الاسر فان قدم في الايام الثلاثة فاحضروه اسركم وان مضت الايام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا اسركم . ومن لى بطلحة ؟ فقال سعد بن ابى وقاص : انا لك به ولا يخالف ان شاء الله فقال عمر : ارجوا ان لا يخالف ان شاء الله ... » .

٣ - ما معنى هذا الشرط ؟ وماذا اريد بالناس واجتماعهم ؟ فاذا كان الناس لم يجتمعوا

على ما اتفق عليه الثلاثة التي فيهم عبدالرحمن بل اجتمعوا على ما اتفقت عليه الثلاثة التي خالفت كيف تكون الحال ؟ وهل كان للناس في هذا الانتخاب والاجتماع اختيار ام كان الانتخاب بيد هؤلاء الستة التي كان انتخابهم بيد الخليفة وباختياره لا بيد الناس واختيارهم ؟

« فخرجوا . فقال عليّ لقومٍ كانوا معه من بنى هاشم : « ان اطيع فيكم قومكم لم تؤمروا ابداً » .

تصريح على
بمدول الامر عنه
بحسب طرح عمر ،
الثوري

« وتلقاه العباس فقال (يعني علياً) : عَدَلْتُ عَنَّا . فقال (يعني العباس) : وما علمك؟ قال :

« قرّن بنى عثمان وقال : كونوا مع الأكثر فان رضى رجلان رجلاً ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف .

« فسعد لا يخالف ابن عمه عبدالرحمن و عبدالرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيولّيها عبدالرحمن ، عثمان ، او يولّيها عثمان ، عبدالرحمن فلو كان الآخران معي لا ينفعنى

« الى ان قال عباس :

« واحذر هؤلاء الرهط فأنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يتموم لنا به غيرنا و آئيم الله لا تماله الا بيشراً لا ينفع معه خيبر
« وروى ان عمر لما قال : « كونوا مع الثلاثة التي عبدالرحمن فيها » .

« قال ابن عباس لعليّ : « ذهب الأمر منا ، الرجل يريد ان يكون الأمر فى

عثمان » .

« فقال عليّ :

« وانا اعلم ذلك ولكنى ادخل فى الشورى لأن عمر قد أهلنى الخلافة وكان قبل يقول : ان رسول الله (ص) قال : « ان النبوة والامامة لا يجتمعان فى بيت » .
« فأنا ادخل لا تظهر للناس مناقضة فعله لروايته » .

مناقضة فعل عمر
لروايته على
ما قال على

٢٨٦ - كلام عمر فى جمع النبوة والخلافة

قال ابن ابي الحديد فى شرحه على النهج^١ :

١ - حدث الطبرى ايضا بهذه الحكاية (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٨٨ -) باسناده

« قال عمر لعبدالله ابن عباس يوماً :

« يا عبدالله ما تقول فى منع قومكم منكم ؟

« قال : لا اعلم يا امير المؤمنين .

« قال : اللهم اغفر ان قومكم^١ كرهوا ان يجتمع لكم النبوة

والخلافة فتتذهبون فى السماء بتذخاً وشمخاً !

« لعلكم تقولون : ان ابا بكر اراد الامر عليكم وهضمكم ، كلا . لكنه

حضره امر لم يكن عنده احزم مما فعل . ولولا رأى ابي بكر فى بعد موته لا عاد

امركم اليكم^٢ »

وقال ابو الفرج فى الاغانى (الجزء التاسع - الصفحة ال ١٣٩ -) :

« اخبرنى احمد بن عبدالعزيز الجوهري قال : حدثنا هرون بن عمر قال

عن عمر بن عبدالله الليثى قال : عمر بن الخطاب ، ليلة مسيره الى الجابية ، ابن ابن

عباس؟ فاتاه فشكا تخلف على بن ابي طالب ، رضى الله عنه ، فقال : اولم يعتذر اليك؟

قال : بلى . فقلت : هو ما اعتذر به . ثم قال : « اول من ريشكم عن هذا الامر ابو بكر .

ان قومكم كرهوا ان يجمعوا لكم الخلافة والنبوة^٣ »

←

عن رجل من ولد طلحة عن ابن عباس تارة ، وباسناده عن عكرمة عن ابن عباس مرة اخرى ، والاختلاف بينهما يسير لايحيا به . وفى المنقول الثانى من الطبرى تنمة كلام لابن عباس على كلام عمر : « كرهوا ان يجمعوا » وعلى كلامه « فاخترت قريش لانفسها فاصابت ووفقت » .

١ - فى هذه الرواية قال : « قومكم » وفى ما نقل على عنه قال : « قال رسول الله :

ان النبوة والامامة لاتجتمعان » ولعله قد يقول هذا وقد يقول ذلك كلا لمناسبة .

٢ - فى التعبير بالامادة و « الامر » المضاف ، مالا يخفى .

٣ - اظن ان ما نقلته آنفا عن ابن ابي الحديد كان ايضاً منقولاً من الجوهري .

٢٨٧ - اهل الشورى وما قال عمر في حقهم

ابدع عمر لتعيين الخليفة ، الشورى من بين الأمة بانتخابه ، لا بانتخاب الأمة وبرايمهم ، ستة نفر من خصوص قريش (لأنّ الأئمة من قريش) وقد عرفهم تارة بأنهم :

« هم الذين مات رسول الله (ص) وهو عنهم راضٍ وهم الذين بشرُوا على لسانه بالجنة »^١.

ووصفهم مرة ، على ما نقلوا عنه ، باوصاف لا يصلحون عندهم للخلافة وليسوا اهلاً لها .

اوصاف من
رفحهم عمر
للخلافة على ما
صرح فيه بها

فوصف عبدالرحمن ، الذي رجّحه على غيره ، بالتضعف وقال :

« وليس يصلح هذا الامر لمن فيه ضعف كضعفك » على انه من زهرة « وما زهرة وهذا الامر؟ »^١.

ووصف سعد بن ابي وقاص بانته :

« صاحب مِقْنَبٍ وصاحب قَنْصٍ وقوس واسهم » وهو من بنى زهره ايضا « وما زهرة والخلافة وامور الناس؟ »^٢.

ووصف الزبير بانته :

« وَعَقِي لَقِيسٌ مؤمنُ الرضا كافر الغضب ، يوماً انسانٌ ويوماً شيطان ! فليت

١ - العشرة المبشرة على ما قالوا ، هم الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن

عوف وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (وهو الذي لم يدخله عمر في اهل الشورى وصرح في ما قال - الجزء الثالث من الطبري ، الصفحة ال ٢٩٣ ، « عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله (ص) : انهم من اهل الجنة ، سعيد بن زيد . . . منهم ولست مدخله ولكن الستة : على و عثمان . . . الخ) .

٢ - اما كان الملاك كون الخليفة من قريش؟ ثم اما كان بنو زهرة منها؟ وبعد - اللتيا والتي هل يوجد في تاريخ قريش ما يثبت فضل تيم وعدى على بنى زهرة؟ بل يظهر مما قاله ايهوسفيان عن تيم بانها « اذل بيت واقل حي » خلاف ذلك .

شعري من يكون للناس يوماً تكون شيطاناً!...؟»

ووصف طلحة بأنه :

« ولقد مات رسول الله سخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب »
على أنه سخط الخليفة أبو بكر، حين موته، عليه أيضاً قد دريت ان طلحة لما قال لأبي بكر:
« أعمرو خير الناس؟! » اشتد غضب الخليفة وقال: « إِي وَاللَّهِ هُوَ خَيْرُهُمْ وَأَنْتَ شَرُّهُمْ! »
أما والله! لَوُ وُلِّيْتِكَ لَجَعَلْتَّ أَنْفَكَ فِي قِفَاكَ وَكَرَفَعْتَ نَفْسَكَ فَوْقَ
قَدْرهَا! قُمْ! لَا أَقَامَ اللَّهُ رِجْلَيْكَ! ».

ووصف عثمان بأنه :

« والله لئن وليها ليحملنّ بنى ابي معيظ على رقاب الناس ثمّ لتنهضنّ
اليه العرب فتقتله » .

نعم استثنى من بين الستة علياً فما وصفه بما يخرج به عن الصلاحية بل صرح
بصلوحه الكامل وكمال الملازم للخلافة بقوله: «لله أنت، لولا دُعاة فيك، أما
والله لئن وُلِّيْتَهُمْ لَتَحْمِلَنَّهُمْ عَلَيَّ الْحَقُّ وَالْوَاضِحُ وَالْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ» :
وكيف كان جرى التقدير وفق التدبير فاستقر الأمر على هؤلاء الستة، للشورى
والمؤامرة، وانتخاب الخليفة من بينهم بالمناكرة والمشاورة .

فلنذهب معهم الى تلك الشورى ونشاهد عياناً ما يجرى في ذلك النّادي من
ماجريات الحق والعدل ونرى :

٢٨٨ - الشورى وما جرت فيها

اجتمع اصحاب الشورى في بيت عائشة، أم المؤمنين (رض)، كما عن بعض،
او في محل آخر، او في المسجد، كما هو الأشهر، واجالوا الراي والنظر، واطالوا البحث
والجدل، فطال الشورى، ومل القوم، واوشك ان يقع التشاجر والتزاع بين من يميل
إلى عثمان ويرضيه، وبين من يرجح جانب علي ويهويه .

قال الطبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٧ -) :

« . . . فقال عمّار (يعنى لعبد الرحمن بن عوف بعد ما قال عبد الرحمن للقوم : اشيروا على) : « ان اردت ان لا يختلف المسلمون فبايع علياً » .

فقال المقداد بن الاسود : « صدق عمّار ان بايعت علياً قلنا : سمعنا واطعنا .

« قال ابن ابي سرح : « ان اردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان » .

« فقال عبد الله ابن ابي ربيعة : « صدق ان بايعت عثمان قلنا : سمعنا واطعنا .

« فشم عمّار ، ابن ابي سرح وقال : « متى كنت تنصح للمسلمين ؟ » .

« فتكلم بنو هاشم وبنو امية !

« فقال عمّار :

« ايها الناس ! ان الله عز وجل اكرمنا بنبيه ، واعزنا بدينه ، فآتني تصريفون

هذا الامر عن اهل بيت نبيكم ؟ »

« فقال رجل من بني مخزوم : لقد عدوت طورك يا ابن سُميَّة و ما انت

وتأمير قريش لانفسها ٢ .

١ - عبدالله بن سعد بن ابي سرح : هو احد الاربعة التي امر رسول الله يوم فتح مكة بقتلهم ، ولو وجدوا تحت استار الكعبة ، ففر ابن ابي سرح الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة ارضعت امه عثمان فغيبه عثمان حتى اتى به رسول الله فاستأ منه له فصمت رسول الله طويلا ثم قال نعم (راجع الاصابة والاستيعاب) .

٢ - يظهر من هذا التعبير ان وجه عامة المسلمين كان شطر علي وكانت خلافته محبوبة لهم كما يظهر من كلام ابن ابي سرح ان قريش خاصة كانت متوجهة الى عثمان لما كانت تعرف من حملهم على رقاب الناس وايشاره اياهم بالنفي ، او لما كانت تكن صدورهم من بغض علي ، او لما كانت تعرف من علي من خشونته في جنب الله ، او من حملة اياهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء ، ولا يكادون يتحملون ذلك . وينبغي ان يتامل في كلمات الفريقين ويعتبر منها فابن ابي سرح وموافقوه تمام توجههم الى قريش و « تأسير قريش لانفسها ! » وعمار والمقداد ينظرون الى المسلمين ومصالحتهم ، ويراعون الحق والعدل ، وينصحون لما يعرفون من الحقيقة .

« فقال سعد بن ابى وقاص : يا عبدالرحمن افرغ قبل ان يفتتن الناس .
 » ثم دعا عبدالرحمن علياً فقال : عليك عهد الله وميثاقه لئعملن بكتاب الله
 وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده .

« قال (اى على) : ارجو ان افعل واعمل بمبلغ علمى وطاقتى .

« ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلى .

« قال : نعم فبايعه .

« فقال على :

« حَبَوْتَهُ (اعطيته) حَبَوْدَهْر . لَيْسَ هَذَا اَوَّلُ يَوْمٍ تَظَاهَرْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا
 فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ . وَاللَّهِ مَا وَلَّيْتُ عِثْمَانَ اِلَّا
 لِيَرُدَّ اَلْأَمْرَ اِلَيْكَ ا . وَاللَّهُ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ
 » فخرج على وهو يقول : سَيَبْلُغُ الْكِتَابُ اَجَلَهُ .

« فقال المقداد :

« يا عبدالرحمن اما والله لقد تركته من الدين يقنصون بالحق وبه
 يعبدون . . . ما رايت مثل ما اوتى الى اهل البيت بعد نبيهم . انى لا عجب
 من قریش انهم تركوا رجلاً ما اقول ان احداً اعلم ولا اقضى منه . اما
 والله لو اجد عليه اعوانا »

١ - وفي رواية غير الطبرى : « الا لانك رجوت منه مارجا صاحبكما من صاحبه ، دق الله
 بينكما عطر منشم » قال ابن ابى الحديد : « وقد فسد بعد ذلك بين عثمان وعبدالرحمن
 فلم يكلم احدهما صاحبه حتى مات عبدالرحمن » ونقل عن كتاب « الاوائل » لابي هلال -
 العسكري ما هذا لفظه : « استجيب دعوة على فى عثمان وعبدالرحمن ، فما اتانا الا
 متهاجرين متعاديين .

ارسل عبدالرحمن الى عثمان يعاتبه وقال لرسوله : قل له : « لقد وليتك ما وليتك
 من امر الناس وان لى لاموراً ما هى لك : شهدت بدرا وما شهدتها وشهدت بيعة الرضوان
 وما شهدتها . وفرت يوم احد وصيرت » فاجابه عثمان بما اجاب وفيه : « واما صبرك يوم
 احد وفرارى فلقد كان ذلك فانزل الله العفو عنى » .

٢٨٩ - اقتراح ابن عوف وما اجاب عنه علي وعثمان

وبالجملة، اقترح عبدالرحمن « العمل بسيرة الخليفين » مزيداً علي « العمل بالكتاب والسنة » فقال عليّ: « اَرْجُو اَنْ اَفْعَلَ فاعمل بمبلغ علمي ذلك وطاقتي » وقال عثمان: « اللهم نَعَمْ » فبايع عبدالرحمن، عثمان. وتكلمت عدة من اعظم الصحابة كمقداد وعمّار واضرابهما لعلّي، والمسلمين، وتكلمت بعض كاهن ابى سرح و ابن- ابى ربيعة ورجل من بنى مخزوم لعثمان، ولقريش، فحدث اللغظ من الغوغاء وحصل- الجدل في خارج المسجد وداخلها بكيفية هوجاء^١.

وعلي ما قال الطّبري:

« وتلكأ عليّ » فقال عبدالرحمن « وَمَنْ نَكَثَ فَاَنْتُمْ بِتَنْكُثِ عَلِيٍّ

نَفْسِهِ....

وشدد ابوظلحة و اعوانه عليّ و اعوانه بالبيعة، وهددم عبدالرحمن فقضى الأمر وتمّ الشان ونختم الشور فبايع عليّ و، علي ماروي الطّبري، وغيره: « هو يقول: خدعة وايّما خدعة!! »

٢٩٠ - ارتاج الكلام علي عثمان

قال صاحب « البدء والتاريخ » في « ذكر بيعة عثمان بن عفان، رضه. »

« قالوا: واقبل عبدالرحمن بن عوف إلى عليّ بن ابى طالب فقال:

« عليك عهد الله وميثاقه و اشدّ ما اخذ الله عليّ النّبيّين من عهد و عقدٍ ان انا

وليّتك هذا الامر لتعملنّ بكتاب الله وسنة نبيّه ؟ »

« فقال: نَعَمْ طاقتي وجهدي ومبلغ رأبي.

١ - الغوغاء: « الكثير المخطئ عن الناس، السفلة من الناس والمتسرعين الى الشر»

والهوجاء: « من الرياح، التي لاتستوي في هبوبها وتقلع البيوت ».

« ثم أقبل على عثمان فقال له : عليك (إلى آخر ما قال لعلي) .
 « قال : نعم ، لا ازول عنها ولا أدع منها شيئاً وبسطة يده .
 » وكرر عبد الرحمن هذه الكلمة على علي^١ وعلى عثمان مراراً كل ذلك
 يجيبانه مثل الأول ويبسطة عثمان يده . وبنو هاشم وبنو أمية قيام ينظرون ما يكون .
 « فضرب عبد الرحمن على يد عثمان وبايعه على الأمر ثم تتابع^٢ الناس على
 ذلك . وخرج عثمان ووجهه يتهلل وعلى^٣ كاسف اللون أربد^٤ لم يبايعه ودخل
 منزله ورفع عمارة عقيرته يقول :

يا ناعى الإسلامِ قم فأنعه
 قد مات عرف وآتى منكراً

ثم قال صاحب الكتاب :

« هكذا رايته فى بعض التواريخ وما اظنه حقاً^١ والله اعلم ورؤى ان سلمان
 جعل يقول ذلك اليوم: « كردند، نكر دند. كردند، نكر دند . » (اى فعلوا ولم يفعلوا .
 فعلوا ولم يفعلوا .)

استفلاق الكلام
 على عثمان فى
 خطبته بعدا لبيعة

« ثم قام عثمان على المنبر خطيباً فحمد الله واثنى عليه وأرتجح عليه الكلام

فقال :

« ان هذا مقام ما كنا نرى ان نقومه^١ وان اول مركب صعب^٢ ، وان
 مع اليوم ايتاماً ، وما كنا خطباء ، وسيعلمنا الله ، ولا آلو امة محمد خيراً » ونزل .
 « ومشى اهل الشورى الى على وقالوا :

١ - لعله : تتابع .

٢ - هذه القضية هكذا وردت فى التواريخ ولا اختلاف لها فى اصلها وبهذا يشعر كلمة
 « قالوا » التى صدرت القسمة المنقولة ، بها وعلى هذا فجملة « هكذا رايته فى بعض التواريخ
 وما اظنه حقاً » ليس بواضح الا ان يكون باعتبار جملة « وبسطة عثمان يده » وجملة « وخرج
 عثمان ووجهه يتهلل » وجملة « وعلى كاسف اللون » التى ليست فى جميع التواريخ بل
 فى بعضها .

« قم فبايع . قال :

« فأن لم افعل .

« قالوا : نجاهدك . فجاء فبايع » .

خلاصة القول : انّ الخلافة على اساس ذلك الطريق الأنيق و بعد هذا الشّور-
الدقيق العميق اصارت لعثمان (رض) ورجع على (ع) الى حيث كان من عقّرداره ،
وعاد الى اصطبماره حتّى يحكم الله برجوع الامر الى ما قدّر من قراره .

٢٩١ - تنبيهات حول الشّورى

الأول منها :

ممّا يجدرهنا بالتذكّر ويستحقّ فيها التدبّر امور نشير الى جملة منها وننبّه عليها .

اولها كلمة على عليه السلام في الشّورى وهي على ما اورده الطّبري في تاريخه .

« ثمّ تكلم على بن ابي طالب ، رضي الله تعالى عنه ، فقال .

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا مِّنَّا نَبِيًّا وَبَعَثَهُ الْبِنَا رَسُولًا .

« فَتَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ .

« وَمَعْدِنُ الْحِكْمَةِ .

« وَأَمَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ .

« وَنَجَاةٌ لِّمَنْ طَلَبَ .

« لَنَا حَقٌّ أَنْ نَعْطِيَهُ نَأْخُذَهُ وَإِنْ نُمَتِّعُهُ نَرَكِّبُ أَعْنَجَازَ الْأَيْبِلِ ،

وَلَوْ طَالَ السَّرَى » .

هذه كلمة القيها على في ذلك النّادى و في مجتمع الأعاظم من الصحابة على

مارواها الطّبري فليتبّر في تلك الجملة : « فنحن امان اهل الارض » و « نجاة لمن

طلب» و« لنا حقٌّ أن نعطه...»^١.

٢٩٢ - الثاني من التنبيهات

حصول الأثرية لعليّ وعدم اعتداد عبدالرحمن بها .

وذلك لأنّ طلحة ، كما دريت ، لم يكن حاضراً في الشورى^١، وورد المدينة بعد ختام المؤتمر وتمام الأمر ، وكانت العدة الحاضرة من الستة المعينة ، على هذا ، خمسة وكان رأى الزبير وسعد ، لعليّ فكان جانبه ارجح و موافقوه أكثر فكان من- الحقّ ان يُختار ويؤثر . فانظر إلى ما اورده الطبرى في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٦ -) قال : « . . . حتى اذا كانت الليلة التى يستكمل فى صبيحتها -

الأجل اتى منزل المسور بن مخرمة بعد ابهرار من الليل فايقظه فقال الاريك نائماً ولم اذق فى هذه الليلة كثير غمض ، انطلق فادع الزبير وسعدا . فدعاهما فبدء عبدالرحمن ، بالزبير فى مؤخر المسجد فى الصفة التى تلى دار مروان و فقال له :

« خلّ ابنتى عبدمناف وهذا الأمر . قال :

« نصيبى لعليّ .

« وقال لسعد : انا وانت كلاله^٢ فاجعل نصيبك لى فأختار .

« قال : ان اخترت نفسك فتعم . وان اخترت عثمان فعلى أحبّ الى ... »

وعلى هذا كان على عبدالرحمن ان يتبع الحقّ ولا يغفل عمّن يدور اينما

دارالحقّ وينادى جهاراً بانّ « لنا حقٌّ » .

١ - قد نقل عنه(ع) ما يفيد هذا المقاد من اول يوم بعد وفاة الرسول (ص) فى عدة

موارد وقد ذكرنا بعضها ، منها ما نقلناه عن « العقد الفريد » للقيه المالكي (فى آخر الكلام عن « العترة » و « اهل البيت ») فراجع .

٢ - ماذا اراد بهذا الكلام وكيف كان الامر والحق عند هؤلاء الاكابر؟ .

٢٩٣- الثالث

استبداد عبدالرحمن في الزامه والى الأمر بالعمل على سيرة الخليفين بعد اخذ العهد والميثاق منه بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله حيث قال : « عليك عهدُ الله وميثاقه لتعملنَّ بكتاب الله وسنة رسوله ، وسيرة الخليفين من بعده » .

اترى انّه (رض) كان يرى في سيرتهما ما لا يوافق الكتاب والسنة او يخالفهما؟! فان لم يكن في زعمه ذلك، ولعله لم يكن ، فالتعهد للعمل بالكتاب والسنة والألتزام به كان كافيا على الوالى وقد التزم وتعهّد على به^١ .

وان كان في زعمه ذلك، وما هكذا الظن به ، فلما ذا يجب على^١ والى الامران يلتزم به ويتعهّد له فيخالف بهذا العمل ، ما التزم به من العمل بالكتاب والسنة ويناقض ذيل تعهده صدره؟!

وكيف كان فعلى هذا كيف يمكن الجمع بين العهدين ؟ واما كان هذا تكليفاً بالمحال ؟ .

ثمّ هلا قنع واكتفى عبدالرحمن بما قاله على^٢ في جوابه من قوله ، على رواية الطبري : « ارجو ان افعل واعمل بمبلغ علمى وطاقتى » ؟

اما كان للمنصف المخلص لله في هذا الجواب القاطع ، مَنع ؟ اليس لا يكلف الله نفساً من العلم الا ما آتيتها ومن وسع الطاقة في العلم الا ما اعطيتها ؟ .

ما معنى الزام والى الامر بعد الترافه العمل بالكتاب والسنة بان يعمل على سيرة غيره

١ - الى هذا يشير ما قاله للحسن بن علي لقيس بن سعد الانصارى ، حين بايعه : ففى « الكامل » لابن الأثير (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٠٢ -) : « وفى هذه السنة ، اعنى سنة اربعين ، بويع الحسن بن على ، بعد قتل ابيه ، واول من بايعه قيس بن سعد الانصارى وقال له : ابسط يدك ابايعك على كتاب الله وسنة نبيه ، وقاتل المحلين . فقال له الحسن : « على كتاب الله وسنة رسوله . فالهما يأتيان على كل شرط « فبايعه الناس ... » .

٢٩٤ - العمل بالسيرة المقترحة مع تنافيه لما جوزوا من الاجتهاد، متعذر لوجود الاختلاف

دع ذلك وذو هذا ، وانظر الى ما يدعى من « الاجتهاد » بالمعنى الواسع وسل :
اما كان لكل من الخليفين جائز ان يجتهد ويعمل بما ادى اليه اجتهاده وارشده
جهده وطاقته فليم لايجوز ذلك لثالثهما ، كائناً من كان : على كان او عثمان ، فكيف
اذا كان الثالث علياً وهو ، هو في العلم والعمل ؟ وكان اعلمهم بعد رسول الله ، صلى الله
عليه وآله وسلم .^١

فماذا هو الذي اوجب ان يُمنع خليفة المسلمين واعلمهم ، من حق ثبت لكل
صحابي سوقي او جنديّ ويلزَم العمل بما سار عليه غيره ، في زمان غير زمانه ، ولأمور
لعله لا يناسب بمقامه وشانه ؟

ليس في الزام التعهد بهذا الميثاق والعهد سدّ باب الاجتهاد والجهد ؟ (على ما
يراه القوم حقاً) .

ثمّ اسأل : هل يتصور امكان الجمع بين السنّة وسيرتهما ، رضى الله عنهما ؟
اما كانت ، على ما صرح به عمر ، السنّة العمليّة ممّن هو خير منه اى الرسول (ص)
ترك الاستخلاف ، والسيرة المعمولة ممّن هو خير منه ، يعنى ابا بكر ، النصّ والاستخلاف ؟
فكيف جاز لعمر ان لا يعمل لابل السنّة ولا بالسيرة وان يسلك طريقاً ثالثاً ويسير
الى رسم الشورى وطرحه ؟ وكيف كان فكيف يمكن للثالث ان يتعهد العمل بسنّة
الرسول (ص) وسيرة ابي بكر (رض) وسيرة عمر في خصوص هذا الموضوع اذا حان
حينه وقرب اجله واراد ان يعالج امر الخلافة بعده ؟

١ - قد مر ما رواه جلال الدين السيوطى فى جمع الجوامع عن سلمان الفارسى فى الحديث
عن النبى (ص) حيث قال : « ان وصيى وموضع سرى وخير من اترك بعدى... » الحديث .
راجع الحديث ان شئت .

٢٩٥ - ارشاد عليّ، الى أنّ الاصل المتّبع للمسلم، هو الكتاب والسنة

هيهنا يجب ان تخضع نفوس العقلاء والاحرار واهل الايمان، تجاه مقام عليّ
الايمايى والعلمى فانظر كيف يرشد المسلمين الى الحرّية فى الفكر والعمل ولزوم الجهد
فى تطبيق الأعمال على الكتاب والسنة، وعدم الاعتداد الا بما انزل الله تبارك و تعالى
وجاء به نبيّه الصادق الأمين .

على هو للنيل
الكامل للحرية
فى الفكر والاسوة
الحسنة للاقتداء
بالكتاب والسنة

٢٩٦ - جواب ابن عوف عمّا اعترض عليه والاشارة الى ما فيه

ويناسب المقام ان يذكّر هنا ما اجاب به عبدالرحمن عن الاعتراض الذى كان
عليه فى اختياره عثمان وتركه عليّاً فقد روى العلامة المفضل، جلال الدين السيوطى،
فى كتابه تاريخ الخلفاء عن مسند احمد بن حنبل بأسناده عن ابى وائل قال :
« قلت لعبدالرحمن بن عوف : كيف بايعتم عثمان وتركتم عليّاً ؟
» قال : ما ذنبى؟ قد بدأت بعلىّ فقلت : أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله
وسيرة ابى بكر وعمر . فقال : فى ما استطعت .

« ثمّ عرضت ذلك على عثمان . فقال : نعم » .

واظنّ ان الناظر فى هذه الأوراق والمتأمل فى هذه الكلمات لا يشكّ فى انّ
الذنب ، ان كان هناك ذنب ، لم يرتفع ببداية التسؤال عن عليّ بل لعلّته تشدّه
و تؤكدّه وذلك لعلم السائل وكلّ من كان يعرف عليّاً بانّه (ع) لا يتجملّ التجاوز
عن الكتاب والسنة الى غيرهما .

ثمّ لا يففل عن جواب عليّ : « فى ما استطعت » وجواب عثمان : « نعم »

فيتوقف فى وجه قناعة عبدالرحمن بالثانى دون الأوّل ويسأل عن نفسه :

اكان الجواب الاول نصاً في رد العمل بسيرتهما حتى في ما يُستطاع ، اى في ما يكون موافقاً للكتاب والسنة ، فاعرض عنه عبدالرحمن وعرض ذلك على عثمان ؟! ام كان الثاني صريحاً في تعهد العمل بسيرتهما حتى في ما لا يُستطاع ، او في ما لا يستطيع ، فصحّ لعبدالرحمن ان يقتنع به ويبايع القائل المجيب ؟!

٢٩٧ - الرابع من التنبيهات

مراد على من قوله في الشورى : « لَيْسَ هَذَا أَوَّلَ يَوْمٍ تَظَاهَرْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا ، فَصَبِّرْ جَمِيلٌ . . . »

قد مرّ سابقاً ما يفيد هذا المراد ويفسره في قول العباس ، لعلى وهو :

« واحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر . . . »

وفي قول المقداد بن الاسود : « . . . مارايت مثل ما اوتى الى اهل هذا البيت بعد نبئهم . انتى لأعجب من قريش انهم تركو ارجلا . . . »

وسيجيء نقل قوله (ع) : « ما رأيت منذ بعث الله محمداً ، رخاء ، لقد

اخافتنى قريش . . . »

٢٩٨ - الخامس منها

مُنَاشِدَتُهُ اصحابَ الشورى وفيها استناده باحاديث تعدّها الشيعة نصوصاً

على خلافته من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . منها حديث غدبرخم .

قال ابن ابي الحديد في شرحه ذيل « ومن كلام له عليه السلام لما عزموا على

بيعة عثمان :

« لَقَدْ عَلِمْتُمْ اِنِّي اَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللّٰهِ لَا سَلْمَنَ مَا سَلِمْتَ

اُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَكَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ اِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ، اِلْتِمَاساً لِاجْرِ ذَلِكِ

وَفَضْلِهِ ، وَزُهْدًا فِي مَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِيْبَرَجِهِ » (المجلد الثاني -

الصفحة ال ٦١ -) :

«...ونحن نذكر في هذا الموضوع ما استفاض في الروايات من مناشدته اصحاب الشورى وتعيده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم .

«قد روى الناس ذلك فاكثروا والذي صح عندنا انه لم يكن الامر كما روى من تلك التعديلات الطويلة، ولكنه قال لهم بعد ان بايع عبدالرحمن والحاضرون، عثمان وتلكا هو عليه السلام عن البيعة: «ان لنا حقاً ان نعطه نأخذهُ وان نمنعه نركب اعجاز الابل وان طال السرى» في كلام قد ذكره اهل السيرة وقد اوردنا بعضه في ما تقدم، ثم قال لهم:

«انشدكم الله! افيكم احدٌ آخى رسول الله (ص) بينه وبين نفسه، حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض، غيري؟
«فقالوا: لا». فقال:

«افيكم احدٌ قال له رسول الله (ص): «من كنت مولاه فهذا موليه» غيري؟

«فقالوا: لا». فقال:

«افيكم احدٌ قال له رسول الله (ص) «انت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لاني بعدى» غيري؟
«قالوا: لا». فقال:

«افيكم من اؤتمن على سورة براءة وقال له رسول الله (ص): «انه لا يؤدى عني الا انا او رجل منى» غيري؟
«قالوا: لا». قال:

«الا تعلمون ان اصحاب رسول الله (ص) فرّوا عنه في ما قيط - الحرب في غير موطنٍ وما فررت قط؟
«قالوا: بلى». قال:

«الا تعلمون اني اول الناس اسلاماً؟

قالوا : بلى . قال :

« فَأَيُّنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) نَسَبًا ؟ »

« قالوا : انت .

« فقطع عبدالرحمن بن عوف كلامه وقال : يا عليّ قد ابى الناس إلا على عثمان فلا تجعلنّ على نفسك سبيلاً .

تهديد ابن عوف
علياً باقتل

« ثمّ قال : يا اباطلحة ما الذى امرّك به عمر ؟ قال : انّ اقتل من شقّ

عصا الجماعة .

« فقال عبدالرحمن لعليّ بايِعْ اذن ، والا كنت متبعباً غير سبيل المؤمنين !

وانفسدنا فيك ما امرنا به !!

« فقال: لقد علمتكم انى احقّ بها من غيرى، والله لا أسلمنّ ...

الفصل الى اخره . ثمّ مديده فبايع .»

٢٩٩ - ما قيل ، اويقال ، على الطريق الثالث

اشارات الى ما
يرد على الطريق-
الابداعى

قد تؤخذ على عمر (رض) فى رسمه هذا الخطّ وسلوكه هذا الطريق لاختيار-

الخليفة ، امور لا اُضيران تُورد ببعض منها الاشارة ههنا :

منها - اذا كان يعتقد انّ رسول الله (ص) ، لم يعين الخليفة فلماً ذا لم يقفْ

اثره ولم يتبع سنته وسيرته؟ اما كان سمع ، ايضاً ، قوله تعالى : « وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ » .

ومنها - اذا كان يعتقد انّ ابا بكر : « خير منه » كما صرح به فليمّ لمّ يهتدِ

بهديه ولم يسرْ بسيرته فى تعيين الخليفة؟

ومنها - ماذا اباح له ان « ينتصب الناس امرهم » وان يحرم الامّة حقها -

الذى اعطاها الله ورسوله فى اختيار الخليفة؟

ومنها - باى اذن سالف وحقّ سابق ، ساغ له التصرف فى الشئون التى للامة

بعد ممانته ؟ وكيف اجترأ على ما لم يرد له اذن من الله ورسوله ولم يفعله ، بزعمه ، من كان احقّ بفعله منه وهو النسبى (ص)؟. هذا مع شدة احتياطه وورعه بحيث لا يأذن ابنه ان يعبر عنه في هذه الحالة بكلمة امير المؤمنين ويصرّح بانّه ليس اليوم للمؤمنين امير .
ففى كتاب « صفة الصفوة » (الجزء الاول - الصفحة ال ١١١ -) تأليف جمال الدين ابى الفرج ابن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ق) .

« . . . انطلق » (يأمر عمر ابنه عبدالله) الى عائشة ، امّ المؤمنين ، فقل لها :
يقرء عليك عمر ، السلام ، ولانقل : أمير المؤمنين فأنتى لست اليوم للمؤمنين اميرا .
قل : يستأذنك عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه »
ومنها - لِمَ انصرف عما كان يختلج بباله من لزوم عدم تحملها حياً وميتاً ؟
وكيف حمّل نفسه على ذلك او حمل ذلك على نفسه؟ وهو الذى قال فى جواب من اشار اليه باختيار ابنه عبدالله :

« حَسَبُ آلِ عُمَرَ ، اَنْ يُحْتَسَبَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ وَيُسْأَلُ عَنْ اِمْرَاةٍ مُحَمَّدٍ . »
او قال مستوحشاً :

« لاَ هَا اللهُ اِذَا يَلِيهَا رَجُلَانِ مِنْ وُلْدِ الْخَطَّابِ . حَسَبُ عُمَرَ مَا حَمَلَ ، حَسَبُ عُمَرَ مَا حَمَلَتْ . لاَ هَا اللهُ لَا اَتَحْمَلُهَا حَيًّا وَمَيِّتًا . »
وهو الذى بعد ما قال فى حقّ عليّ « قد كنت اجمعت ان اولتى رجلاً امركم ارجو ان يحملكم على الحق » قال :

« ثمّ رايت ان لا اتحملها حياً وميتاً ، فعليكم بهؤلاء الرهط الذين »

ومنها - اوّليس فى اختياره الستة والأنجصار فى هؤلاء الرهط من الأمة ، التحمل المهروب عنه والوقوع فى ما كان يحذر منه ؟
ومنها - لو كان مناط الاختيار والحصر وملاك التحمل المحذور عنه ، كون هؤلاء -

١ - اطلاق « صاحب » ليس من باب كونه فى الغار بل لعله من باب التوسع للمشاركة والاول .

الرّهط هم الذين يُشّر لهم بالجنة ومات الرسول (ص) وهو راضٍ عنهم، وكون الوصف من بين الصحابة، او من بين خصوص قريش، منحصرأ فيهم و باقياً لهم، ولهذا لزم على عمر (رض) ، او صحّ وجاز له ، ان لا يشرك معهم غيرهم فيهم ولا يتجاوز عنهم الى غيرهم فهلاًّ عيّن واحدا منهم بعينه لانّ الملاك المزبور موجود فيه، بلا ارتياب يعتربه ولاسيّما اذا كان ذلك الواحد ، باعتقاده المؤكّد المقرون بيمينه ، فى قوله : « والله ليحملنهم على الحقّ... » ، هو من كان يحملهم على الحقّ الواضح والمججّة البيضاء؟ ومنها - بما ذا استباح قتل اعظم الصحابة مثل علىّ و عثمان، وغيرهما من الستة، فأر اباطلحة الانصارى بما امّر؟.

ومنها ان كان هؤلاء الرّهط ممّن مات رسول الله (ص) وهو عنهم راضٍ، فكيف جاز قتلهم مع عدم صدور امرٍ منهم، سوى اطاعة امره بالدخول فى الشورى، وقبول قوله بالصلوح للخلافة؟

ومنها - ان كانوا هم من العدة المبشّرة بالجنة على لسان الرسول (ص) وكانت البشارة الصادرة لأجل عملٍ او حالٍ وفى زمانٍ يستلزم كون المبشّر له ثابتاً على ما كان فى ذلك الزمان مديّ حياته، وان طال الأمد، او كان على الله حتماً مقضياً ان يدخله الجنة ، وان تغير لأنه بُشّر ! فكيف يكون حال من قتلهم ، او امر بقتلهم، او سوغ قتلهم؟

اللهمّ ألا ان يجتهد و يعتقد انه مُثابٌ مأجور ، لتسريعه فى ايصالهم الى ما بُشّروا به، وهى الجنة ! .

ومنها - ليمّ لم يجعل العدد فى الشورى فرداً كى يحصل الأكرية القاطعة لأحد الرجلين اللذين كان لا يظنّ ان يلىّ الا احدهما: علىّ و عثمان؟ واذا كان فى اعتقاده

١ - اشارة الى كلامه الملقول سابقا عن الطبرى « وما ظن ان يلى الا احدهذين الرجلين:

انّ عبد الرحمن كان افضل واصبح^١ ولهذا جعل رأيه اقوى^٢ وارجح^٣ فلم لم يجعل -
الخلافه له عيناً وجعلها مرددة بين هذا الافضل الاصلح الأرجح، وبين غيره المرجوح؟
ثم لم يجعل الاختيار والانتخاب، بعد فرض التساوي لآراء اصحاب الشورى،
لعامة المسلمين من الأنصار والمهاجرين، او لخصوص اهل الحل والعقد منهم، وفيهم
سلمان وعمار والمقداد و ابي ذر و اضرابهم، من كبار الصحابة، وحتى العباس
عم الرسول؟ .

ومنها - هب ان ذلك كله كان باجتهاد منه، واستصلاح لحال الأمة، واعتقاد
المصلحة والخير للاسلام والمسلمين، فماذا هو الذي اختصه (رض) بجواز الاجتهاد،
وجواز العمل باجتهاده، ومنع غيره منه؟ وما الدليل الذي حرّمه على سائر الصحابة وجميع الأمة؟
اليس اذا فتح هذا الباب بهذه السعة واجيز ذلك بهذا الحدّ صح ان يقال :
هنا يجوز لكل من يفعل اى فعل يكون بظاهره مخالفاً لما علم من الدين ،
او حتكم به العقل، ان يقول بذلك ويوجهه بتأويله واجتهاده؟

الاجتهاد
وحلوه

كسلا . ليس ولا يليق بأحد من المسلمين ان يتفوه بان قاتل الخليفة عمر (رض)
وقاتل على (ع) اجتهد فرأى خيرا للأمة او صلاح الاسلام فى قتل الخليفة ، فلا جناح
عليه، ولا بأس بعمله، لأنه مجتهد مستصلح، فاجتهد وتأول فاحطاً . حاشا ثم حاشا ليس فى
قبال النصّ وصراح العقل، مدخل للاجتهاد والرى .

ثم لو سلّم ذلك فما على على ان لم يقبل اتباع سلفه فى هذا النحو من السيرة
واكتفى بالتزام العمل وفق كتاب الله وسنة رسوله وقال : « آرْجُوْ اَنْ اَفْعَلَ
وَأَعْمَلَ بِمِبلغِ عِلْمِي وَطَاقَتِي »^٣ .

١ - ونسى عما قال ، من ضعفه وانه يضع خاتمه لامراته .

٢ - ولذلك لما ضربه ابولؤلؤة و «... سقط، قال :افى الناس عبد الرحمن بن عوف؟
قالوا : نعم يا امير المؤمنين هوذا . قال : تقدم فصل بالناس . فصلى عبد الرحمن و عمر
طريح ... » (تاريخ الطبرى الجزء الثانى - الصفحة ال ٢٦٤ -)

فعلى ما بنوا عليه اسر الخلافة من كون من صلح للصلوة ، وهو امر دينى ، فهو صالح
للخلافة التى هو امر دنيوى لا بد ان يختار عبد الرحمن للخلافة .

٣ - لعل علياً كان لم يرتض بعض اجتهادات السلف وسيرتهما .

ومنها - لَمَّا كَانَ الْمَلَائِكَةُ فِي انْتِخَابِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ لِلشُّورَىٰ وَالْمُخَالَفَةِ مَا كَانَ ، وَكَانَ عَلِيٌّ مِنْ بَيْنِهِمْ وَاحِرًا بِهِمْ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى الْحَقِّ ... » كما كَانَ عُمَرُ يَرْجُوهُ وَيَتَقَدَّمُهُ ، بَلْ وَكَانَ اعْتِقَادُهُ فِي غَيْرِ عَلِيٍّ مَا صَرَّحَ بِهِ حِينَ مَوْتِهِ ١ ، عَلَى مَا مَرَّ ، فَلَمَّا ذَا لَمْ يَخْتَرَهُ مَعِينًا حَتَّىٰ يَكُونَ مُعِينًا عَلَى الْحَقِّ وَمُصِيبًا كَبِدَ الْحَقِيقَةِ ؟

ومنها - لَمَّا عَيَّنَّ صَهْبِيبٌ لِلصَّلَاةِ بِالنَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَهُوَ أَمْرٌ دِينِيٌّ ، فَلِمَ غَفَلَ عَنْهُ وَلَمْ يَعِينَهُ لِلْمُخَالَفَةِ ، وَالْمُخَالَفَةُ أَمْرٌ دُنْيَوِيٌّ ، كَمَا يَزْعُمُونَ ، وَإِنْ كَانَ عَدَمُ كَوْنِهِ مِنْ قَرِيشٍ مَانِعًا مِنَ الْمُخَالَفَةِ لَمْ يَكُنْ هُنَا مَانِعٌ مِنْ جَعْلِهِ عَضْوًا لِلشُّورَىٰ عَلِيٌّ إِنْ يَكُونُ لَهُ التَّرَايُ فِي-الانتخاب ، لِأَنَّ الانتخاب ، حَتَّىٰ يُصِيرَ الْعِدَدُ فَرْدًا ؟ ٢ .

ومنها - مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَخَافُ اخْتِلَافَ السِّتَةِ فِي مَا بَيْنَهُمْ وَاخْتِلَافَ النَّاسِ لِأَجْلِ اخْتِلَافِهِمْ وَيَعْلَمُ عَدَمَ وَقُوعِ الْاِخْتِلَافِ إِذَا نَصَّ عَلَىٰ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، بَلْ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ ، بَعِينُهُ ، فَلِمَ لَمْ يَدْفَعِ الضَّرَرَ الْمَحْتَمَلًا ! . قَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ (الْجُزْءُ الثَّلَاثُ - الصَّفْحَةُ ٢٩٣ -) فِي مَا نَقَلَ عَنْ أَقْوَالِ عُمَرَ (رَضِيَ) : « : . . . وَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَهُوَ عَنْكُمْ رَاضٍ . أَنِّي لَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيْكُمْ إِنْ اسْتَقَمْتُمْ وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ اخْتِلَافَكُمْ فِي مَا بَيْنَكُمْ فَيَخْتَلِفُ النَّاسُ ؟ » .

ومنها - مَا عَابَهُ مَعَاوِيَةُ ، خَالَ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَى عُمَرَ (رَضِيَ) فِي إِبْدَاعِ هَذَا الطَّرِيقِ وَهُوَ عَلَى مَا فِي « الْعَقْدِ الْفَرِيدِ » (الْجُزْءُ - الصَّفْحَةُ -) لِلْفَقِيهِ الْمَالِكِيِّ ابْنِ عَبْدِ رَبِيْعَةَ - الْأَنْدَلُسِيِّ بَعْدَ أَنْ حَكِيَ إِيفَادُ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، ابْنِ حَصِينِ إِلَى مَعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي سَفْيَانَ وَأَقَامَتُهُ عِنْدَهُ مَا أَقَامَ :

١ - وَفِي غَيْرِ هَذَا الْحِمْنِ ، فَقَدْ أُطْلِقَ حِينَ هَجَمَ بَيْتَ فَاطِمَةَ عَلَى الزَّيْبِرِ الْمُبَشِّرِ بِالْجَنَّةِ ، الْمَرَضِيُّ عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، اسْمَ اِخْسِ الْعَيُونَاتِ وَأَخْسَاءَهَا - فَقِي الْمَحْكِيِّ عَنْ كِتَابِ السَّقِيْفَةِ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : « وَذَهَبَ عُمَرُ وَمَعَهُ عَصَابَةٌ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ ... فَقَالَ لَهُمْ : انْطَلِقُوا فَبَايَعُوا . فَبَايَعُوهُ عَلَيْهِ وَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الزَّيْبِرُ بِسَيْفِهِ . فَقَالَ عُمَرُ : عَلَيْكُمْ الْكَلْبُ ! يَعْنِي الزَّيْبِرُ ، فَوُثِبَ عَلَيْهِ سَلْمَةٌ ... »

٢ - أَوْلَمَ لَمْ يَدْخُلْ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَهُوَ وَاحِدٌ أَهْلُ الْجَنَّةِ كَمَا صَرَّحَ عُمَرُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ وَصَرَّحَ بِأَنَّهُ « لَيْسَ بِمُدْخَلِهِ » كَمَا مَرَّ نَقْلُهُ سَابِقًا عَنِ الطَّبْرِيِّ ؟

« ثم ان معاوية بعث اليه ليلاً فخلابه فقال ، له :
 « يا ابن حصين : فد بلغني ان عندك ذهاناً وعقلاً فأخبرني عن شيء اسألكك .
 « قال : سلني عما بدالكك .

« قال : اخبرني ما الذي شئت امر المسلمين وفرق مآلهم وخالف بينهم ؟ .
 « قال : نعم ، قتل عثمان .

« قال : ما صنعت شيئاً .

« قال : فمسيّر عليّ اليك .

« قال : ما صنعت شيئاً .

« قال : فمسير طلحة و الزبير وعائشة ، وقاتل عليّ اياهم .

« قال : ما صنعت شيئاً .

« قال : ما عندي غير هذا يا امير المؤمنين .

« قال : فانا اخبرك : انه لم يشئت بين المسلمين ولا فرق احوالهم الا -

الشورى التي جعلها عمر الى ستة نفر .

« وذلك ان الله بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

ولو كره المشركون .

« فعمل بما امره الله .

« ثم قبضه الله وقدم ابا بكر للصلاة فرضوهم [ه] لأمر دنياهم اذ رضيه الله لامر

دينهم .

« فعمل بستة رسول الله وسار بسيره حتى قبضه الله واستخلف عمر^١ فعمل بمثل

سيرته ، ثم جعلها شورى بين ستة نفر^٢ فلم يكن رجل منهم إلا رجاها لنفسه ، ورجاها

له قومه ، وتطلعت الى ذلك نفسه .

١ - كانه نسي ان رسول الله (ص) لم يستخلف ، بزعمه ، وعلى هذا فلم يعمل ابو بكر

(رض) بستته ولم يسر بسيره .

٢ - فكيف عمل بمثل سيرته ؟ !

الشورى
 هي التي هتت
 امر المسلمين
 و فرق مآلهم على
 ما اعتلده معاوية ،

« ولو أن عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك اختلاف. »
 هذا ما عابه معاوية ابن أبي سفيان على عمر في امر الشورى^١ (على ما في «العقد-
 الفريد» (وعلى ما حكاه ابن أبي الحديد عن كتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري) .

٣٠٠ - سبب آخر لحدوث الاختلاف

وليُضف إلى ما بيّنه معاوية من سبب الاختلاف ما نطق به عمر (رض) حال
 احتضاره واحضاره القوم للامر بالشورى، بعدما واجههم^٢، وجابه كل واحد منهم
 بتقصير يريه فيه، من قوله أخيراً:

« انكم ان تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم اكلتموها !! واولادكم ، وان
 نحاسدتم وتعاقدتم وتدابرتتم وتباغضتم ، غلبكم على هذا الامر معاوية بن
 ابي سفيان » .

وروى ابن حجر العسقلاني في كتابه «الأصابة» انه «... كان عمر اذا نظر الى
 معاوية قال : هذا كسرى العرب !»

وروى^٣ ايضاً هو فيه انه قال عمر :

« واياكم والفرقة بعدى . فان فعلتم فاعلموا ان معاوية بالشام . فاذا وكلتم لي
 راىكم كيف يستبزها منكم » .

فكانه (رض) جعل معاوية في الشام ذخيرة ليوم كان يقدره ويتفرسه، فأيقظه
 بهذه العبارات الجلية لما لعله لم يكن هو راقداً عنه، غافلاً منه، وحرصه واغراه
 لاستبزاز الخلافة وكونه منها بالمرصاد .

١ - وفي الاستيعاب (ذيل ترجمة معاوية) : « وقال عمر رضي الله عنه اذ دخل الشام
 وراى معاوية : « هذا كسرى العرب ! » ، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما
 دنا منه قاله له : أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين . قال : مع
 ما بلغنى عنك من وقوف ذوى الحاجات ببابك ؟ قال : مع ما يبلغك من ذلك ! قال : ... »

حكى ابن ابي الحديد (المجلد الاول - الصفحة ال ٢٥٣ -) عن ابن ديزيل

انه قال بأسناده :

« ان عمر بن الخطاب لما طعن قال : « يا اصحاب محمد تناصحوا ، فانكم ان

لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص و معاوية بن ابي سفيان . »

ثم قال ابن ابي الحديد :

« قلت : محمد بن النعمان المعروف بالمفيد احد الأمامية قال في بعض كتبه :

« اتما اراد بهذا القول اغراء معاوية وعمرو بن العاص بطلب الخلافة واطماعهما

فيها لأن معاوية كان عامله بالشام وامره بالشام وعمرو بن العاص عامله بمصر وامره

على مصر وخاف ان يضعف عثمان عنها وان تصير الى على عليه السلام فالقى هذه -

الكلمة لتنتقل اليهما وهما بمصر والشام فيتغلبا على هذين الأقليمين ان افضت الى على... »

لمعه ، يظهر من لحن الكلام وسياقه ، انه لم يكن معاوية في نظر عمر (رض)

و في اعتقاده صالحاً لهذا الامر ، بل وفي نظر المسلمين وابعقادهم ايضا ، حيث هدّد-

القوم من الفرقة الموجبة لسوء العاقبة باستبزازه الخلافة وهو كسرى العرب .

٣٠١ - سؤال بلا جواب

وهيئنا لسائل ان يسأل ويقول : فلما ذا ابقاه في شغله وهو يعلم انه « كسرى-

العرب » مع انه لزمه ، اورعاية صلاح ملكه لم يكك يتحمل لخالد بن الوليد ، سيف الله

المسلول على الكافرين ، على ما قالوا ، فارس العرب و فاتح بلاد الروم وفارس ، فعزله

كي لا يفتتر خالد ولا يفتتر المسلمون به ، كما نقلنا سابقاً من الطبري وابن الاثير ، ولم يكك

يتحمل لسعد بن ابي وقاص ، اول من رمى في الاسلام ومن غلب على اعظم جند

لأيران ، وفتح اعظم البلاد ، ان يختار لنفسه بناءً في الكوفة يمتاز عن سائر الأبنية بابه

وبناؤه فأمر بحرق الباب والبيداء^١ وعزله^٢ وشاطره^٣ في أمواله مع ما علم من ابتلائه في الإسلام، وكونه من « العشرة المبشرة »، وممن رضى عنه الرسول (ص) حين موته، وممن جاهد مع رسول الله في الغزوات؟ فكيف؟ وعلى ما إذا اختار سبيل المماشاة مع طليق ابن هند، آكلة الأكباد، ولم يعزله بل مناه بالسلطنة الكسروية وقواه، وهدد الأصحاب بما يعرف من مساويه وينتظر منه، من الاستيزاز؟

ابقظ عمر (رض) بذلك الكلام ما كانت نائمة في معاوية ولعله لم يكن استاذن على خيال معاوية الى هذا الحين توهم ان يوجد في المسلمين احد يتخيل صلوحه

١ - قال: «الامام العلامة شمس الدين ابو عبيد الله محمد بن ابي بكر، المعروف بابن القيم الجوزية» في كتاب « زاد المعاد في هدى خير العباد » (الجزء الثاني - الصفحة ال ١٦٦) .
« وحرقت (عمر) قصر سعد لما احتجب فيه من الرهية » .

وقال ابن الاثير في الكامل (الجزء الثاني - الصفحة ال ٣٩٩ -) :

« وبلغ عمرو ان سعداً قال ، وقد سمع اصوات الناس من الاسواق ، سكنوا عنى الصويت . وان الناس يسمونه قصر سعد فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وامره ان يعرق باب القصر ثم يرجع ففعل ... »

٢ - في الكامل (الجزء الثاني - الصفحة ال ٣٩٨ -) : « وفيها (يعنى سنة عشرين) عزل عمر ، سعد بن ابي وقاص عن الكوفة لشكايتهم اياه ، وقالوا : لا يحسن صلى ! » .

٣ - في تاريخ الخلفاء (الصفحة ال ١٤١) : « واخرج ابن سعد عن ابن عمر ان عمر امر عماله فكتبوا اموالهم ، منهم سعد ابن ابي وقاص فشاطرهم عمر في اموالهم فأخذ نصفاً واعطاهم نصفاً . واخرج عن الشعبي ان عمر كان اذا استعمل عاملاً كتب ماله . »

وفي هذا النحو من المشاطرة ، لو لم يستند فيه بالتاويل والاجتهاد الذى اجيب به عن بعض ما يخالف ظواهر الدين ، بل نصوبه ، من الافعال والاحكام وجوه من التأمل والنظر : منها هتك حرمة « الصحابي » ولا سيما اذا كان من العشرة ، كسعد .

ومنها اجراء الحكم على المتهم ، بل الهوى ، بصرف الوهم ، بلا محاكمة ولا بينة . ومنها ان المال الزائد على ما كتبوا للعامل ، ان كان حصل له من وجه شرعى ، كالهبة والهدية و نمو اصل المال مثلاً فلا يجوز اخذ شيء منه وان كان حصل له لا بوجه شرعى فليؤخذ كله منه لاشطره ولبعاقب على ذلك .

وكيف كان لا وجه للمشاطرة في اموالهم اى في جميعها بل ينبغي ان يكون في

ما زاد على الاصل .

لهذا الأمر ويرتضيه فضلاً عن راس المسلمين ورئيسهم، الخليفة اليقظ الفطن -
الفظ الغليظ ؟

فأضمر معاوية من ذلك الحين في نفسه اعتناق الخلافة ، وصار منها بالمرصاد ،
ودبر الامور على وفق ما يقتضيه هذا المبتغى والمراد ، وانتهاز الفرصة لذلك الميعاد ،
ولهذا لم يسبج دعوة الخليفة عثمان ولم يطع امره بالدفاع عنه حتى قُتل في الدار
و بُويع على الأكره والأجبار .

فقعد وقام . وحرّض اهل الشام . على طلب ثار الامام ، وخالف علياً بالأيهام ،
وقاتله بالأتهاام ، حتى نال بما ارادورام ، فجلس على عرش الحكومة المطلقة المستبدّة
بدعوى الخلافة في الاسلام ، وعدل الى كسرويته الجبارة الغشام .

وقد عرف عثمان (رض) ذلك منه وعيّرهِ عليه . ففي تاريخ الطبري وغيره ،
كما سيجيء ، أن معاوية بعد ما كتب اليه عثمان بتعجيل القدوم اليه و توجهه في اثني -
عشر الف الى المدينة ، و ايقافهم في اوائل الشام ، ليذهب بنفسه الى عثمان و يعرف كيفية
امره : « فأتى عثمان فسأل عن العدة .

تعمير عثمان
معاوية

» فقال : قد قدِمْتُ اليك لأعرف رايبك واعدود اليهم فأجيبثك بهم !!

» فقال : لا والله ، ولكنك تريد أن أقتل فتقول : انا وليّ الشار . ارجع

فجثني بالناس . فرجع . فلم يعد اليه حتى قُتل .

٣٠٢ - ختام الكلام في الشورى

ولنجعل ختام الكلام في الشورى ما صدر عن علي في خطبته المعروفة

بـ « الشَّقْشِقِيَّة » ، ولعلّه يساعداً التوفيق لنقل تمامها في محل يناسبها ، واثبات كون -

الخطبة ، حسب ما اعترف به اكابر اهل السنّة ، صادرة عن علي (ع) .

قال في تلك الخطبة في ما قال :

« حتى اذا مضى لسبيله (يعنى عمر) جعلتها في جماعة زعم انى

احدهم .

« فيالله وللشورى! »

« متى اعترضَ الرِّيبُ فِىَّ مَعَ الأوَّلِ منهم، حتَّى صرْتُ أُقرنَ الى هذه النظائر؟! »

« لكننى اسففتُ اذا اسقَمُوا وطيرتُ اذا طاروا فصغا رجلٌ لضِغْنِهِ ومال - الآخر لصِهْرِهِ، مع منٍ ومنٍ »

هكذا انقضى دور خلافة عمر وكانت مدتها نحواً من عشرة سنة وستة اشهر فمات لأربع ليالٍ او ثلاثة بقين من ذى الحِجَّة، فى السنة ال ٢٣ من الهجرة . واحتوت دور خلافته وادارته على وقائع مهمة من الفتوحات وادارة البلاد المفتوحة، واجراء العدل فيها، وحسن السياسة وغير ذلك ممَّا يصلح لها تاليف كتاب خاص وليس هذه الأوراق لهذا الغرض، فلنختم الكلام هنا ونذهب الى : دور خلافة عثمان ونرى ما اتفقت فيه .

أيام خلافة عثمان (رض) وما صار اليه امره

« ولى عثمان الخلافة اثني عشر سنة .
« يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئاً .
« وانه لأحب إلى قريش من عمر بن الخطاب .
« لأن عمر كان شديداً عليهم .
« فلما ولى عثمان لان لهم ووصلتهم .
« ثم توانى فى امرهم واستعمل اقربائه واهل بيته فى الست الأواخر .
« وكتب لمروان بخمس افريقيّة واعطى اقربائه واهل بيته المال . . . فأنكر-
الناس عليه . »

(تاريخ الخلفاء للسيوطى الشافعى ، بأخراج ابن سعد عن الزهري) .

« فَلَمَّا أَحْدَثَ عَثْمَانُ مَا أَحْدَثَ ، مِنْ تَوَلِيَّةٍ - وَاللَّهِ مَا كَانَ فِيْنَا إِلاَّ خَاذِلٌ أَوْ قَاتِلٌ »
 (عبدالله بن عمر)
 (على ما روى عن الواقدي)
 قِيلَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ :
 « هَذَا كُلُّهُ فَعَلُّكَ ! قَالَ :

« لَمْ أَظُنْ هَذَا بِهِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ أَنْ لَا أُكَلِّمَهُ أَبَدًا
 » فَمَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ مُهَاجِرٌ لِعَثْمَانَ .
 « وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَثْمَانُ فَتَحَوَّلَ عَنْهُ إِلَى الْحَائِطِ
 وَلَمْ يُكَلِّمَهُ ! »

(العقد الفريد للفقير المالكي ، ابن عبد ربه)

- ١ - عثمان في خلافته .
 - ٢ - معاملته مع بيت المال .
 - ٣ - ايثاره اقربائه .
 - ٤ - كتابه الى ابن ابي سرح .
 - ٥ - اول ما تكلم الناس في عثمان .
 - ٦ - عبدالرحمن ابن عوف وعُتْبَانُهُ عَلَى عَثْمَانَ .
 - ٧ - بعض ما اورثت اعراض الصحابة .
 - ٨ - عدة من احداث عثمان .
 - ٩ - اهم ما طعن به عليه .
 - ١٠ - توبة عثمان .
 - ١١ - نقض ما كان يبرمه .
 - ١٢ - قتل عثمان .
- ١٨ - حول ماجرى في خلافة عثمان :

٣٠٣ - عثمان في خلافته

لمّا استقرّت الخلافة على عثمان (رض) لم تمض مدّة كثيرة إلا وكأنّه نسي ما عهد به لعبد الرحمن بن عوف: فسار بغير سيرة الخليفَتَيْن ، وسلكت غير سبيل - السّابِقَيْن ، وصدق تفرّس الخليفة عمر في حقّه حيث حمل بنى امية و بنى ابى مُعَيَّنَط على رقاب النَّاس ، وقدم من كان من الأقرباء منهما ، على غيرهم من الصّالحاء المحنّكين والصّحابة المجاهدين المكرّمين ، وان لم يكن فيه صلاح ، بل وان كان الفساد فيه ظاهراً ، وكان بالفسق متجاهراً ، فكان يختار من هؤلاء الأقرباء للامارة والحكومة ، ويسلّطهم على المسلمين .

تحول حال عثمان
وقير سيرته
والفعله

على انه كان يتصرّف في بيت المال بما يريد ويشاء ، ويعطى منه ومن الغنائم من كان من الأقارب بلا كتاب ولا حساب ، اللهمّ إلا حساب «الأقرب فالأقرب» في ذلك الباب .

نقل ابن ابى الحديد ، وغيره من افاضل اهل السنّة :

« روى انه دفع الى اربعة انفس من قریش ، ووجهم بناتِه ، اربعمائة الف ديناراً واعطى مروان مائة الف عند فتح افريقيّة ، و يروى خُمس افريقيّة ، وغير ذلك .

اعطاء عثمان ،
مروان مائة الف
عند فتح افريقية

« وهذا بخلاف سيرة من تقدّمه ، في القسمة على الناس بقدر الاستحقاق ، وايتار-

الأبعاد الصّالحاء على الأقارب . »

وكان اذا يعاتب على ذلك ويُعترض عليه يقول (على ما رواه الواقدي عن

المِسْوَر بن عتبة - بنقل ابن ابى الحديد -) :

« انّ ابابكر وعمر كانا يتأولان في هذا المال طلاق انفسهما وذوى ارحامهما

وانتى تأولت فيه صلة رَحِمِي . »

وحكى الواقدي (على ما نقل عنه ابن ابى الحديد ايضا) :

« كان بحضرة عثمان ، زياد بن عبيد^١ ، مولى العمار بن كلدة الثقفي ، وقد بعث اليه ابو موسى^١ بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين ولده واهله بالصّحاف ! فبكى زياد . فقال :

« لا تَبْكِيكَ فانّ عمر كان يمنع اهله و ذوى قرابته ابتغاء وجه الله ، وانا اُعطي اهلي وولدي وقرابتي ابتغاء رحمة الله !^٢ .

وحكى ابن ابي الحديد عن الواقدي ايضا مسنداً :

« انه ولي الحكم بن ابي العاص^٣ ، طريد رسول الله (ص) ، صدقات قضاة فبلغت ثلاثمائه الف الف^٤ فوهبها له حين اتاه بها . »

ونقل الطبري في قضية مصالحة عبدالله بن سعد (اى ابن ابي سرح) مع جرجير بطريق افرقيّة، على الف الف دينار و خمسمائة الف دينار وعشرين الف دينار بالأسناد عن ابن كعب، هذه العبارة (الجزء الثالث - الصّفحة ال ٣١٤ -) :

« . . . وكان الذى صالحهم عليه عبدالله بن سعد ثلاثمئة قنطار ذهباً فأمر به عثمان لآل الحكم قلت : (اى اسامة بن زيد اللثي ، الراوى عن ابن كعب) او لمروان؟ قال : لا ادري . »

وروى ابن ابي الحديد عن الواقدي وعن ابي مخنف :

« انّ الناس انكروا على عثمان اعطاء سعيد بن العاص مائة الف وكلمه على^٥ والتزبير و طلحة و سعد و عبدالرحمن فى ذلك فقال :

١ - يعنى زياد ابن ابيه .

٢ - هذا يعنى اتباع السيرة حسب العهد والميثاق ، وان شئت فقل : هذا معنى الاجتهاد . فلا حرج على من اكل مال المسلمين و صرفه فى ما يهويه من سستلذاته ابتغاء وجه الله ورحمته ، او ابتغاء فضل الله و مغفرته اذا تأول ، و ان اخطأ .

٣ - كان الحكم هذا ابومروان وعم عثمان لان عثمان هو ابن عفان ابن ابي العاص بن امية بن عبدشمس بن عبدمناف .

٤ - هكذا ضبط ولعله كان تكرار « الف » او كلمة « مائة » من سهو الناسخ .

« ان له قرابةً ورَحِمًا !

« قالوا : فما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذوو رحم؟ فقال :

« ان ابا بكر وعمر كانا يحسبان في منع قرابتهما وانا احتسب في اعطاء قرابتي !»

« قالوا : فهديهما، والله ، احب اليامن هديك. »

اختلاف الميرة
باختلاف الاجتهاد

٣٠٤ - رد ابن ارقم صك عثمان

عن ابي مخنف (على ما رواه ابن ابي الحديد) .

« ان عبد الله بن خالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية قدم على عثمان من مكة ومعه ناس فأمر لعبد الله بثلاثمائة الف ا ولكل واحد من القوم بمائة الف :

« فصكك بذلك على عبد الله بن ارقم ، وكان خازن بيت المال ، فاستكثره ورد الصمكك به . ويقال : انه سأل عثمان ان يكتب عليه بذلك كتابا فأبى . وامتنع ان يدفع المال الى القوم فقال له عثمان :

« انما انت خازن لنا فما حملك على ما فعلت ؟ »

رد ابن ارقم
صك عثمان عليه
واستغافه

١ - فكان الدين في صرف مال المسلمين تابع لما احتسبه الخليفة الراشد الامين ، رضى الله تعالى عنه ، لالما فرض الله وسن رسوله ! .

٢ - « عبد الله بن ارقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب - القرشي ... كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم لابي بكر (رض) واستكتبه ايضا عمر (رض) واستعمله على بيت المال ، وعثمان بعده ... لم يزل على بيت المال خلافة عمر كلها، وستين من خلافة عثمان (رض) حتى استغفاه من ذلك فاعفاه . . . ان عثمان اجاز عبد الله بن ارقم وكان له على بيت المال بثلاثين الفا فابى ان يقبلها ... وقال عمر لعبد الله بن ارقم : « لو كان لك مثل سابقه القوم ما قدمت عليك احدا » (الاستيماب) .

وفي « الاصابة » : « حدثت حفصة انه (تعنى ابا عمر) قال لها: لولا ان ينكر على قومك لاستخلفت عبد الله بن ارقم استعمل عثمان عبد الله بن ارقم على بيت المال فاعطاه عمالة ثلاثمائة الف فابى ان يقبلها » .

فقال ابن الأرقم : كنت أرائى خازنَ المسلمين وانّما خازنك غلامك . والله لا آلى لك بيت المال ابدأ وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر . ويقال : بل القاها الى عثمان فرفعها الى نائل مولاة .

روى ابن ابي الحديد ايضا عن الواقدى :

« ان عثمان امر زيد بن ثابت ان يحمل من بيت مال المسلمين الى عبد الله بن - الأرقم فى عقيب هذا الفعل ثلاثمائة الف درهم فلما دخل بها عليه ، قال له : يا ابا محمد ان امير المؤمنين ارسل اليك يقول : اتنا قد شغلناك عن التجارة ولك ذورح من اهل حاجة ففرق هذا المال فيهم ، واستعين به على عيالك .

« فقال عبد الله بن الأرقم : مالى اليه حاجة ، مالى اليه حاجة . وما عملت لأن يشينى عثمان . والله ان كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدر عملى ان أعطى ثلاثمائة الف ! وان كان من مال عثمان ما أحب أن ارزاه من ماله شيئاً » .

ارسال عثمان
ثلاثمائة الف
درهم لارضاء
ابن الأرقم
ورده عليه

٢٨٥ - عثمان وعطيّاته مروان

قال عبد الله بن الزبير (برواية الواقدى عن اسامة بن زيد عن نافع مولى - الزبير) :

« اغزانا عثمان سنة سبع وعشرين افرقيّة فاصاب عبد الله بن سعد بن ابي سرح غنائم جليلة فأعطى عثمان ، مروان بن الحنكّم تلك الغنائم ! » .

وروى الكلبي عن ابيه عن ابي مخنف (على ما حكى ابن ابي الحديد) :
« ان مروان ابتاع خمّس افرقيّة بمائتى الف درهم ومائتى الف دينار وكلم عثمان فوهبها له . فانكر الناس ذلك على عثمان (رض) .

٢٨٦ - قضيه عليّ وعامله مصقله

في تاريخ الطبري (الجزء الرابع - الصفحه ال ١٠٠ -) (في واقعه شراء مصقله بن هبيرة أسراء النصارى من معقل وعدم ادائه ما تعهدت من المبلغ ثم فراره الى معاوية) :

« قال ابومخنف : وحدثنى ابوالصلت الأعور عن ذهل بن الحارث قال : دعاني مصقله الى رحله فقدم عشاؤه فطعمنا منه . ثم قال : والله ان امير المؤمنين (يعني علياً) يسألني هذا المال ولا اقدر عليه . فقلت : والله لو شئت ما مضت عليك جمعة حتى تجمع جميع المال .

« فقال : والله ما كنت لأحملها قومي ولا اطلب فيها الى احد . ثم قال :

« أمّا والله لو ان ابن هند هو طابني بها ، او ابن عفان ، لتزكها لى . ألم تر

الى ابن عفان حيث اطعم الاشعث من خراج اذربيجان مائة الف فى كل سنة ؟

« فقلت له : ان هذا لا يرى هذا الرأى ، لا والله هو ما يبذل شيئاً كنت اخذته

ساعةً وسكت عنه . فلا والله ما مكث الا ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية وبلغ ذلك علياً فقال :

« ماله ؟! برحه الله ! فعَلَّ فِعْلَ السَّيِّدِ ، وفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ ، وَخَانَ خِيَانَةَ -

الفاجر . أمّا والله لو انّه اقام فعجز ما زدنا على حبسه فان وجدنا له شيئاً اخذناه ، وان لم نقدر على مالٍ تَرَ كُنْهًا » .

كان معاوية يشير الى ما كان عليه ابن عمه ، عثمان ، من بذل الأموال ، حيث

قال ، بعد ما وصف ابوبكر وعمر بما وصف : « وأمّا نحن ... » فقد اورد السيوطي

(جلال الدين) فى كتابه تاريخ الخلفاء (الصفحه ال ١٢٠) ماهذه عبارته :

« وقال معاوية (رض) : أمّا ابوبكر فلم يرد الدنيا ولم ترده وأمّا عمر فارادته -

الدنيا ولم يردّها وأمّا نحن فتَمَرَّغْنَا فيها ظهراً لبطن »^١ .

كان عثمان
اطعم الاشعث
مائة الف فى كل سنة

تمرغ، عثمان
فى الدنيا على
ما عبر به معاوية

٢٨٧ - تغيير عثمان سيرته

نقل جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء، بأخراج ابن سعد عن الزُّهري ،
انه قال :

« ولى عثمان الخلافة اثنتي عشرة سنة يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئاً
وانه لا يحب الى قريش من عمر بن الخطاب لأن عمر كان شديداً عليهم ، فلماً
وليهم عثمان لان لهم ووصلهم . ثم تواني في امرهم واستعمل اقربائه واهل بيته في-
الست الأواخر وكتب لمروان بخمس افريقية واعطى اقربائه واهل بيته ، المال
فأنكر الناس عليه . »

وقال هو ايضا فيه :

« واخرجه (يعنى ما نقلنا منه آنفا بأخراج ابن سعد عن الزُّهري) ابن عساكر
من وجه آخر عن الزُّهري قال .

« قلت لسعيد بن المسيب : هل انت مخبري كيف كان قتل عثمان و ما كان

شأن الناس وشأنه ؟ ولم خذله اصحاب محمد ؟ فقال ابن المسيب :
« . . . ان عثمان لمّا ولي كره ولايته نفر من الصحابة لأن عثمان كان
يحب قومه .

« فولى الناس اثنتي عشرة سنة ، وكان كثيراً ما يولّى بنى امية ممّن لم يكن له

مع رسول الله (ص) صحبة .

« فكان يجيء من امرائه ما ينكره اصحاب محمد (ص) وكان عثمان يُستعسبُ

فيهم فلا يعزّلهم . وذلك في سنة خمس وثلاثين . فلماً كان في الست الأواخر استأثر

بنى عمته فولاهم وما اشرك معهم . وامر بتقوى الله : فولّى عبد الله بن ابي سرح مصر

فمكث عليها سنين فجاء اهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وكان قبل ذلك هنا الى

عبد الله بن مسعود و ابي ذر و عمار بن ياسر .

« وجاء اهل مصر يشككون من ابن ابي سرح فكتب اليه كتاباً يتهدده فيه . فابى ابن ابي سرح ان يتقبل ما نهيته عنه عثمان و ضرب بعض من اتاه من قبيل عثمان من اهل مصر ممن كان اتى عثمان ، فقتله ! .

اعتراض طلحة
وعائفة وعلى
على عثمان

« فخرج من اهل مصر سبعمأة رجل فترلوا المسجد ، وشكوا الى الصحابة فى مواقيت الصلوة ما صنع ابن ابي سرح بهم . فقام طلحة بن عبيدالله فكلم عثمان بكلام شديد . وارسلت عائشة اليه فقالت :

« تقدم اليك اصحاب محمد وسألوك عزل هذا الرجل فاييت . فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك .

« ودخل عليه على بن ابي طالب فقال : انما يسألونك رجلاً مكان رجل وقد ادعوا قبيله دماً ، فأعز له عنهم واقض بينهم ، فان وجب عليهم حق فأنصفهم منه .
« فقال لهم : اختاروا رجلاً اوليهم عليكم مكانه . فأشار الناس عليه الى محمد بن-
ابى بكر .

عزل عثمان ،
ابن ابي سرح
من مصر وعده
لمحمد بن
ابى بكر

« فقالوا : استعمل علينا محمد بن ابي بكر .

« فكتب عليه عهداً ووليته وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فى ما بين اهل مصر و ابن ابي سرح .

« فخرج محمد و من معه . فلما كان من مسيره ثلاثة ايام من المدينة اذاهم بـغلام اسود على بعير يخبط البعير خبباً ، كأنه رجل يطلب او يُطلب .

« فقال له اصحاب محمد : ما قصتك وما شأنك؟ كأنك هارب او طالب .
« فقال : انا غلام امير المؤمنين وجهنى الى عامل مصر .

« فقال له رجل : هذا عامل مصر .

« قال : ليس هذا اريد .

« أخبر بامر محمد بن ابي بكر ، فبعث فى طلبه رجلاً فأخذه فجاء به اليه .
« فقال : غلام من انت؟ .

« فأقبل مرّة يقول : انا غلام امير المؤمنين ومرّة يقول : انا غلام مروان . حتى عرفه رجل انه لعثمان .

« فقال له محمد : الى من أرسلت ؟ .

« قال : الى عامل مصر .

« قال : بماذا ؟ .

« قال : برسالة .

« قال : معك كتاب ؟ .

« قال : لا .

« ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا . وكانت معه اداوة ، وقد يبست ، فيها شيء يتقلقل ، فحرّكوه ليخرج فلم يخرج فشقّوا الاِداوة . فاذا فيه كتاب من عثمان الى ابن ابي سرح .

« فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فكّ الكتاب بمحضر منهم . فاذا فيه :

« اذا اتاك محمد وفلان وفلان ، فاحتل فى قتلهم ! وابطل كتابهم ! وقر على عملك ! حتى يأتيك رأي فى ذلك ان شاء الله تعالى .

« فلما قرأوا الكتاب فزعوا ، وازمعا ، فرجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب الى رجل منهم ، وقدموا المدينة .

« فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم فضّوا الكتاب بمحضر منهم واخبروهم بقصة الغلام . واقرأوهم الكتاب . فلم يبق احد من اهل المدينة الا حنق عثمان .

« وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود و ابي ذرّ و عمار بن ياسر حنقاً وغيظاً .

« وقام اصحاب محمد (ص) فلحقوا بمنزلهم ، مامنهم الا وهو مغتم لما قرأوا .

كتاب من قبل
عثمان الى
ابن ابي سرح
أمره بقتل محمد

كان ذلك الكتاب
من اسباب حنق
اهل المدينة
وغيظهم على عثمان

الكتاب . وحاصرَ الناسَ عثمانَ سنةَ خمسٍ وثلاثينَ . واجلبَ عليه محمدُ بنُ ابي بكرٍ
بيني نيم وغيرهم .

« فلما راي ذلكَ عليّ بعثَ الى طلحة و الزبير وسعد و عمار و نفر من -
الصحابه كلهم بدرى ثم دخل على عثمان ، ومعه الكتاب والغلام والبعير .
» فقال له عليّ : هذا الغلام غلامك ؟ .

« قال : نعم .

« قال : والبعير بعيرك ؟ .

« قال : نعم .

« فقال : انت كتبت هذا الكتاب ؟ .

« قال : لا

« قال له عليّ : فالخاتم خاتمك ؟

« قال : نعم .

« قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لانعلم به ؟

« فحلف بالله : ما كتبتُ هذا الكتاب »

« واما الخطّ فعرفوا انه خطّ مروان وشكّوا في امر عثمان وسألوه ان

يدفع اليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده في الدار فخرج اصحاب محمد

صلّى الله عليه وسلّم من عنده غضاباً . »

٢٨٨ - أوّل ما تكلم الناس في عثمان

كان أوّل ما ظهر من الناس ، من الكلام ، في عثمان ، على ما نقله محمد بن جرير -

الطبري ' (الجزء الثالث - الصفحة ٣٢٢ -) في تاريخه ، عن الواقدي بأسناده عن

ابن عباس :

تمام عثمان ،
الصلوة بمنى
واعترض
الاصحاب عليه
في ذلك

« انه (عثمان) صلى بالناس بمنى في ولايته ركعتين ، حتى اذا كانت الستة -
السادسة اتمتها . فعاب ذلك غير واحد من اصحاب النبي (ص) وتكلم في ذلك من
يريد ان يكثر عليه حتى جائه علي ، في من جائه ، فقال :

« والله ما حدث امر ولا قدم عهد ولقد عهدت نبيك يُصلي ركعتين ثم ابا بكر
ثم عمر وانت صدرآ من ولايتك . فما ادري ما يُرجع اليه ؟ .

« فقال : راي رأيتُه ! ... »

جواب عثمان
لعلي

نقل ايضا عن الواقدي مسنداً (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٢٢ -) :

« صلى عثمان بالناس بمنى اربعاً فأتى آتٍ (برواية الواقدي ايضا عن غير
ابن عباس) الى عبدالرحمن بن عوف فقال :

« هل لك في اخيكت قدصلي بالناس اربعاً ؟ .

« فصلي عبدالرحمن باصحابه ركعتين . ثم خرج حتى دخل على عثمان
فقال له :

« ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله (ص) ركعتين؟ .

« قال : بلى .

« قال : افلم تصل مع ابي بكر ركعتين ؟ .

« قال : بلى .

« قال : افلم تصل مع عمر ركعتين ؟ .

« قال : بلى .

« قال : ألم تصل صدرا من خلافتك ركعتين ؟ .

« قال : بلى .

« قال (عثمان) :

١ - وقد نقله ابن الاثير في الكامل (الجزء الثالث - الصفحة ال ٥١) ايضا مع

اختلاف يسير في بعض الالفاظ .

جوابه لابن عوف
و رد ابن عوف
عليه

« فاسمع يا ابا محمد انى اُخبرت ان بعض من حجّ من اهل اليمن وجُفأة -
النّاس قد قالوا فى عامنا الماضى : ان الصلوة للمقيم ركعتان ، هذا امامكم عثمان
يصلّى ركعتين .

« وقد اتّخذت بمكّة اهلاً فرايت ان اصلّى اربعاً لخوف ما اخاف على النّاس ،
واخرى قد اتّخذتُ بها زوجة ، ولى بالطائف مالاّ فربما اطلّعتّه ، فاقمت فيه
بعد الصّدر .

« فقال عبدالرحمن بن عوف : ما من هذا شيء لك فيه عذر .

« واما قولك : اتّخذت اهلاً . فزوجتك بالمدينة تخرج بها اذا شئت و تقدم
بها اذا شئت ، انما تسكن بسكنائك .

« واما قولك : ولى مال بالطائف فان بينك وبين الطائف مسيرة ثلاثة ليال
وانت لست من اهل الطائف .

« واما قولك : يرجع من حجّ من اهل اليمن وغيرهم فيقولون : هذا امامكم
عثمان يصلى ركعتين وهو مقيم ، فقد كان رسول الله (ص) ينزل عليه الوحي والنّاس ،
يومئذ ، الاسلام فيهم قليل ، ثم ابوبكر مثل ذلك ، ثم عمر . فضرب الاسلام بجراحه ،
فصلى بهم عمر حتى مات ركعتين .

« فقال : عثمان : هذا رأى رأيتة ! .

« قال : فخرج عبدالرحمن فلقى ابن مسعود فقال : ابا محمد غير ما يتعلم ؟
قال : لا . قال : فما اصنع ؟ .

قال : اعمل بما انت تعلم . فقال ابن مسعود : الخلاف شرّ . قد بلغنى انه صلّى
اربعا فصلّيت باصحابى اربعا : فقال عبدالرحمن بن عوف : قد بلغنى انه صلّى اربعا
فصلّيت باصحابى ركعتين . واما الآن فسوف يكون الذى تقول ، يعنى نصلى
معه اربعا ! « ١ .

١ - هكذا اورد الطبرى وابن الاثير وغيرهما ، هذه القضية والنظر فيها لا يدري ماذا ينبغي

٢٨٩ - عتبان ابن عوف على عثمان وهجرانه عنه

يظهر من ابن عوف الذى « هو عاقد الأمر لعثمان و جالبه اليه و مُصَيِّرُه فى يده » كما عبّر، قدندم على ما فعل فى الشورى، لويُنفعه الندم، ويمهله الأجل، و اراد ان يتدارك، فكان يقول، على ما نقله ابن ابى الحديد (عن رواية الواقدي فى مرضه الذى مات فيه ' ، وقد ذُكر له عثمان) : « عاجِلُوهُ قبل ان يتمادى فى ملكه ! ٢ »

« فبلغ ذلك عثمان فبعث الى بشر كان عبد الرحمن يسقى منها نعمة فمنع منها .
 « ووصى عبد الرحمن ان لا يصلى عليه عثمان فصلّى عليه الزبير ، او سعد بن ابى وقاص ، وقد كان حلف لماً تناجعت عليه احداث عثمان ان لا يكلمه ابداً » .
 روى الواقدي ايضا (على ما نقله ابن ابى الحديد ايضا) انه :

« لَمَّا تَوَفَّى ابوذر بالربذة تذاكر امير المؤمنين ، عليه السلام ، و عبد الرحمن

→

ان يقول ؟ ابحق ان يقول : يا لله وللراى من الخليفة، مع التزامه و عهده باتباع سيرة من سبقه ؟ او يقول : يا لله وللاجتهاد من ابن مسعود ، الصعابى العظيم احيث راي و اجتهاد ان « الخلاف شر » و لم يقنع بترك الامر بالمعروف ، و المعلوم عنده ، بل تابع غيره فى ما يعلم انه خلاف الكتاب و السنة و السيرة ! ؟ او يقول : يا لله و للضعف من ابن عوف المشر له بالجنة ، و المرشح للخلافة ، الطالب من الخليفة ، العمل بالكتاب و السنة و السيرة ، كيف اقتنع ، بعد استدلاله على عثمان ، بان يتبعه فى خلافه للسنة و السيرة و يصلى اربعاً مع انه لوصح ما احتج به عثمان ، لراى رايه ، اخص به ولا يشمل ابن عوف ؟ او يقول : يا لله و للضعف - الحرية الاسلامية ، التى كان المسلم بحيث يقول للخليفة المقتدر ، مثل ابى بكر ، او المهوب مثل عمر « والله لئن زغت ، او اوعوججت ، لاقيمك بهذا السيف ؟ »

١ - مات عبد الرحمن سنة ثلاثين على ما فى تاريخ الطبرى ، و سنة احدى و ثلاثين

وقبل سنة اثنتين و ثلاثين على ما فى الاستيعاب و الاصابة .

٢ - استعمل كلمة « ملكه » دون « خلافته » .

فعل عثمان فقال امير المؤمنين، عليه السلام، له: « هذا عملك » فقال عبدالرحمن :
« فأذا شئت فخذ سيفك و آخذ سيفي ! انه خالف ما اعطاني ! » .

قال الفقيه المالكي ، ابن عبيد ربه ، فى كتابه «العقد الفريد» :

« فلما احدث عثمان ما احدث ، من تولية الأحداث من اهل بيته وتقديم قرابته ،
قيل لعبدالرحمن : هذا كله فعلك . قال : لم اظن هذا به^١ ولكن الله على ان لا اكلمه ابداً !
« فمات عبدالرحمن وهو مهاجر لعثمان . ودخل عليه عثمان فتحول عنه الى -
الحائط ولم يكلمه » .

روى ابن ابى الحديد انه :

« لمّا بنى عثمان قصره طمّار الزوراء^٢ وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس اليه
كان فيهم عبدالرحمن فلما نظر الى البناء والطعام قال :
« يا ابن عثمان لقد صدّقنا عليك ما كنّا نكدّب فيك . وانى استعبد بالله من
بيعتك » فغضب عثمان وقال للغلامه : اخرججه عنى يا غلام . فاخرجوه . ومرض
عبدالرحمن فعاده عثمان وكلمه ، فلم يكلمه حتى مات^٣ .

٢٩٠ - بعض ما نقم الناس والصحابه على عثمان

انقسمت مدة خلافة عثمان ، كما قالوا وعلمت ، الى دورتين يشمل كل واحدة

١ - انظر كيف غفل ابن عوف عن تفرس عمر، المؤكده، فى عثمان؟ وكيف حلف على
عدم التكلم معه ، الذى يشبه عمل الصبيان والنسوان ويدل على ضعفه ولينه، الذى تفرس
عمر (رض) فيه .

٢ - « طمار كقطام: المكان المرتفع . والزوراء ، بالفتح والمد: بغداد . وموضع بالمدينة
يقف المؤذن على سطحه للنداء الثالث قبل خروج الامام ، ليسعوا الى ذكر الله ولا تقوتهم -
الخطبة ، والنداء الاول بعده عند صعوده للخطبة ، والثانى للاقامة بعد نزوله من المنبر
وهذا الاذان اسر به عثمان بن عفان » (مجمع البحرين) .

٣ - شرح النهج - الصفحة ال ٦٦ -) .

حلف ابن عوف
على ان لا يكلم
عثمان ابدا

منها ستة سنة . فكانت سيرته فى الدورة الأولى سيرة مرضية ، ولكنها فى الدورة - الثانية ، الدورة التى كانت كأنها تبرز فيها ما كمن بذرها ، وتنمو فيها زرعها ، وتنضج ثمرتها ، تغيرت السيرة تغيراً سريعاً لا يكاد ان يتحملها الناس ، فتكلموا فى اعمال - الخليفة ، وارتفعت الأصوات بالأنتقاد عن عمال الخليفة ، وانجر الأمر الى ان اجترء - الناس على بعض عماله الفاسق الجائر ، وصار الأمر الى اجتماع جمع من اكابر عدو من بلاد الإسلام فى المدينة ، للشكوى عن العمال ، فتبدلت ، لأجل التسامح فى رفع - الظلم عنهم ، بالأعتراض والاعراض عن الخليفة . فاستنصروا الصحابة ، واستمدوا من اكابر اهل المدينة ، فاشتد الحال وآل الأمر الى ما آل ، وثلمت فى الإسلام ثلثة بقيت آثارها مدى الليالى والأيام .

قال ابن ابي الحديد (ذيل من خطبة له ، عليه السلام ، فى معنى قتل عثمان :
لَوْ آمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا ...) :

« ويجب ان نذكر فى هذا الموضوع ابتداء اضطراب الامر على عثمان الى ان قتل . واصح ما ذكر فى ذلك ما اورده ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ .
و خلاصة ذلك ان :

« عثمان احدث احداثاً مشهورة نعتّمها الناس عليه من تأمير بنى امية ، ولا سيما الفساق منهم و ارباب السّفه و قلة الدين ، واخراج مال الفىء اليهم ، وما جرى فى امر عمار ، و ابي ذر ، و عبدالله بن مسعود و غير ذلك ، من الأمور التى جرت فى اواخر خلافته .

« ثم اتفق ان الوليد بن عقبة لما كان عامه على الكوفة ، وشهد عليه بشرب - الخمر ، صرفه و لى سعيد بن العاص مكانه ، فقدم سعيد الكوفة ، واستخلف من اهلها قوماً يتسمرّون عنده ، فقال سعيد يوماً : « ان السواد بستان لقريش و بنى امية ! »
« فقال الأشتر النخعي : « و تزعم ان السواد الذى افاته الله على المسلمين

باسيافنا بُستانُ لك ولقومك» ؟ .

« فقال صاحب شرطته : « اترد على الأمير مقاتله؟ . واغلظ له .

« فقال الأشتر لمن حوله من النخع وغيرهم من اشراف الكوفة:

« الا تسمعون ؟ .

« فوثبوا عليه ، بحضرة سعيد فوطؤه وطأً عنيفا وجروا برجله . فغلاظ ذلك

على سعيد ، وابدع سماره فلم يأذن بعد لهم . فجعلوا يشتمون سعيداً فى مجالسهم . ثم

تعدوا ذلك الى شتم عثمان . واجتمع اليهم ناس كثير حتى غلاظ امرهم .

٢٩١ - كتاب عثمان لتسيير اشراف الكوفة الى الشام

« فكتب سعيد الى عثمان فى امرهم . فكتب اليه ان يسيرهم الى الشام لئلا

يُفسدوا اهل الكوفة . وكتب الى معاوية ، وهو الى الشام ، ان نفرأ من اهل الكوفة هموا

بأثارة الفتنة ، وقد سيرتهم اليك . . .

« فسيروهم ، وهم : الاشتر ومالك بن كعب الأرحبى والاسود بن يزيد النخعى

وعلقمة بن قيس النخعى و صعصعة بن صوحان العبدى وعدة أخرى الى الشام عند

معاوية »

قال ابن ابى الحديد ايضا :

« روى المدائنى انه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات

والمخاطبات بينهم

واخيراً رأى معاوية ان يرفع هذا المهم عن كاهله فكتب الى عثمان فى شأنهم .

« فكتب ان رُدَّهم الى سعيد بن العاص بالكوفة . فرَدَّهم فأطلقوا الستهم فى

ذمه وذم عثمان وعيهما فكتب اليه عثمان ان يسيرهم الى حمص الى عبدالرحمن بن

خالد بن الوليد . فسيرهم اليها . »

٢٩٢ - تغريب اشراف الكوفة الى حمص

روى الواقدي (على ما نقل ابن ابي الحديد) انه ^١ :

« لما سير بالنفر الذين طردهم عثمان عن الكوفة الى حِمص، وهم: الأشتر وثابت بن قيس الهمداني وكميل بن زياد النخعي وزيد بن صوحان واخوه صعصعة وحيب بن زهير الغامدي وحيب بن كعب الأزدي وعروة بن الجعد وعمرو بن حمق الخزاعي وابن الكواء، جمعهم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، بعد ان انزلهم اياما وفوض لهم طعاماً ثم قال لهم:

« يا بني الشيطان !! الامر حياً بكم ولا اهلاً : قدرجع الشيطان محسوراً وانتم بعد في بساط ضلالكم وغيثكم . جزى الله عبدالرحمن ان لم يؤذكم يا معشر من لا ادري اعرب ام عجم؟! اتريكم تقولون لي ماقلتم لمعاوية؟
 « انا ابن خالد بن الوليد، انا ابن من عجمته العاجمات، انا ابن فاقىء عين- الردة . والله يا ابن صوحان لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى ان بلغنى ان احداً ممن معي دق انفك فأقنت راسك! .

« قال : فاقاموا عنده شهراً كلما ركب امشاهم معه ^٢ . »

٣١٣ - الأحداث التي نسبت لإحداثها الى عثمان

في شرح النهج لابن ابي الحديد (في ذيل كلامه عليه السلام) : « الى ان

١ - روى الطبري ايضا هذه الواقعة في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٦٤ -)

مع اختلاف يسير في بعض الكلمات جداً .

٢ - يا للإسلام فكيف تحول في تلك المدة القليلة! بحيث صار الامير على المسلمين، القائم بأسورهم، والحافظ لاحكام دينهم وشئونهم، غافلاً عن الحرية والعدالة والمعروف والمنكر، ناطقاً بتلك الكلمات الجائرة المنكرة الجافة المستبشعة الفاضحة عاملاً بهذه الحركة الشنيعة الاستبدادية الكسروية القيصيرية؟!

قام ثالثُ القومِ نافعاً حِضْنِيهِ . . . :

« وثالثُ القومِ هو عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن . . . بايعه الناس بعد انقضاء الشورى . . . وصحّت فيه فِرَاسَةٌ عمر فأنّه اوطأ بنى امية رقابَ الناس، وولاهم الولايات، واقطعهم القطائع .

« وافتتحت ارمينية في ايامه، فأخذ الخمس كله، فوجه لمروان . فقال عبيد الرحمن بن حنبل الجَمَمَحِي .

أَحْلِفُ بِاللّهِ رَبِّ الْأَنْامِ
مَا تَرَكَ اللهُ شَيْئاً سُدَى
وَلَكِنْ خُلِقْتَ لَنَا فِتْنَةً
لِكِي نَبْتَلِي بِكَ أَوْ تَبْتَلِي
فَإِنَّ الْأَمِينِينَ قَدْ بَيَّأْنَا
مَنَارَ الطَّرِيقِ عَلَيْهِ الْهُدَى
فَمَا آخِذًا دِرْهَمًا غِيْلَةً
وَلَا جَعَلَا دِرْهَمًا فِي هَوَى
وَاعْطَيْتَ مَرَوَانَ خُمْسَ الْبِلَادِ
فَهَيْهَاتَ سَعْيُكَ مِمَّنْ سَعَى ١١

١ - « عبد الرحمن بن حنبل . . . هو القائل في عثمان بن عفان رضي الله، لما اعطى

مروان خمسة الف من خمس افرقية :

ما ترك الله امر سدى
لكي نبتلي بك او تبتلي
خلاقاً لما سنه المصطفى
خلاقاً لسنة من مضى
مة آثرته وحميت الحمى
من الفء اعطيته سن دنا
منار الطريق عليه الهدى
ولا قسما درهما في هوى

« واحلف بالله جهد اليمين
« ولكن جعلت لنا فتنة
« دعوت الطريد فادنيته
« ووليت قرباك امر العباد
« واعطيت مروان خمس الغنم
« وما لا اتاك به الاشعري
« فان الاميين قدينا
« فما اخذا درهما غيلة

(الامتيعاب والاصابة) .

« وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلةً فأعطاه اربعمئة الف درهم ! واعاد النحرّم بن ابى العاص ، بعد ان كان رسول الله (ص) قد طرده ، ثمّ لم يرده ابو بكر ولا عمر ، واعطاه مائة الف درهم .

« وتصدّق رسول الله (ص) بموضع سوقٍ بالمدينة يعرف بـ « نهرود » على - المسلمين ، فاقطعه عثمان ، الحارث بن الحكم اخا مروان بن الحكم .
« واقطع مروان فذك ، وقد كان فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة ابيها صلوة الله عليه ، تارة بالميراث وتارة بالنحلة ، فدفعته عنها .

« وحمى المراعى حول المدينة كلّها من مواشى المسلمين كلّهم الا عن بنى امية ! .
« واعطى عبد الله ابن ابى سرح جميع ما افاء الله عليه من فتح افريقية بالمغرب ، وهى من طرابلس الغرب الى طنجة ، من غير ان يُشرك فيه احداً من المسلمين .

« واعطى اباسفيان بن حرب مائة الف من بيت المال ، فى اليوم الذى امر فيه لمروان بن الحكم بمائة الف من بيت المال ، وقد كان زوجته ابنته ، ام ابان ، فجاء زيد بن ارقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى ! .

« فقال عثمان : اتبكى ان وصلت رحمتى ؟ .

« قال : لا ، ولكنى ابكى لاننى اظنك اخذت هذا المال عوضاً عما كنت انفقته فى سبيل الله فى حياة رسول الله . والله لو اعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً !
« فقال : اتلق المفاتيح يا ابن ارقم فأتنا سنجد غيرك .

« واتاه ابو موسى بأموال من العراق جليلة فقسمتها كلّها فى بنى امية .

« وانكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة ، فأعطاه مائة الف من بيت المال ايضا بعد صرفه زيد بن ارقم عن خزنه .

« وانضم الى هذه الامور اموراُ اخرى نقمها عليه المسلمون : كتسيير ابى ذر

١ - قد مر سابقاً (حاشية صفحة ال ٢٨٤) ان صاحب بيت المال هو عبد الله بن ارقم

لازيد بن ارقم فراجع .

اعادة عثمان عمه
الحكم ، طريد
رسول الله
واعطاه مائة
الف درهم

، رحمه الله، الى ربنه، وضرب عبدالله بن مسعود حتى كسرا ضلاعه ، وما اظهر من -
الحجاب ، والعدول عن طريقه عمر ، في اقامة الحدود، ورد المظالم، وكف الأيدي
العادية ، والأنتصاب لسياسة الرعيه .

« وختم ذلك ما وجدوه من كتابه الى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين . واجتمع
عليه كثير من اهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديد اجدائه عليه ،
فقتلوه » (انتهى ما قاله ابن ابي الحديد)^١ .

٢٩٤ - بعض ما طعن به على عثمان (رض)

- ١ - ويلخص ما طعن به على عثمان (رض) واعترض عليه في ما يُعدّد .
- ١ - تغييره بعض الاحكام الخاصة كالصلوة اربعاً بمضى^١ .
- ٢ - ردّ طريقه رسول الله ، حكم ابن ابي العاص ، عمه و ابى مروان .
- ٣ - تعطيل الحدود (على عبيدالله بن عمر ، وعلى غيره) .
- ٤ - تقديم اقربائه من بنى امية على غيرهم ، وفيهم اكابر الصحابه .
- ٥ - تولية الأحداث الفسّاق من بنى ابى مُعَيْط، وتسليطهم على البلاد والعباد
(كالوليد بن عُقبه ، الفاسق بلسان القرآن^٢ ، المتجاهر بشرب الخمر^٣ ، اخى عثمان ، من

اهم مطاعن
عثمان (رض)

- ١ - شرح نهج البلاغه المجلد الاول ال ٦٧ .
- ٢ - قوله تعالى : « .. ان جائكم فاسق بنياً . . . » وقوله تعالى « امنن كان مؤمناً كمن
كان فاسقاً لا يستون » على ما اوله به .
- ٣ - وقد حله على ذلك عثمان باصرار من على وبعضرته وهو الذى قال له سعد بن
ابى وقاص (برواية الواقدى) حين وروده الكوفة ليكون اميراً عليها مقام سعد بن ابى وقاص :
يا ابى وهب امير ام زائر؟ قال : بل امير .
فقال سعد : « ما ادري احمقت بعدك ام كيست بعدى ؟ » .
قال : « ما حمقت بعدى ولا كيست بعدك ولكن القوم ولوا منكراً فاستأثروا » .
فقال سعد : « ما اراك الا صادقاً » .

امه (اروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس) .
٦ - صرفه اموال بيت المال كيف شاء واراد .

←
ويرواية ابي مخنف : « ان الوليد لما دخل الكوفة مر على مجلس عمرو بن زرارة-
النخعي فوقف فقال عمرو :
« يا معشر بنى اسد بشما استقبلنا به اخوكم عثمان بن عفان . امن عدله ان يعزل
عنا ابن ابي وقاص الهين ، اللين ، السهل ، القريب ، وبيعت بدله اخاه الوليد ، الاحمق الماجن -
الفاجر ، قديماً وحديثاً ؟ » .
وهذا الوليد هو الذى صلى فى حال السكر فزاد فى الصلوة فالتفت الى الجماعة خلفه
وقال لهم : « ازيدكم ؟ !! والى هذا اثار الحطيئة الشاعر حيث قال :

شَهِدَ الْحَطِيئَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ
اِنَّ الْوَلِيدَ اَحَقُّ بِالْغَدْرِ
نَادَى وَقَدْ نَقِدَتْ صَلَوَاتُهُمْ
اَزِيدُكُمْ؟ ثَمِيلاً وَلَا يَدْرِي
لِيَزِيدَهُمْ خَيْرًا وَلَوْ قَبِلُوا
مِنْهُ لَقَادَهُمْ عَلَى عَشْرِ
فَابَوْا اَبَا وَهَبٍ وَلَوْ فَعَلُوا
لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
حَبَسُوا عِنَانَكَ، اذ جَرِيَتْ وَلَوْ
خَلُّوا عِنَانَكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي

وفيه قال الحطيئة ايضا :

تَكَلَّمْ فِي الصَّلَاةِ وَزَادَ فِيهَا
عَلَانِيَةً وَجَاهَرَ بِالْفِرَاقِ
وَمَجَّ الْخَمْرَ عَنِ سِنِّ الْمَصَلِّي
ونادى والجميع الى افتراق
اَزِيدُكُمْ عَلَى اَنْ تَحْمَدُونِي
فَمَا لَكُمْ وَمَالِي مِنْ خَلَاقِ

- ٧ - بذله و اعطاؤه ما اراد، مما يتعلق بها حال العموم و تشترك فيها قاطبة -
المسلمين ، كسوق المدينة (تهرود)^١ و مراعى حول المدينة ، وما افاء الله من فتح
افريقية ، والأموال التي جاء بها ابو موسى^١ من العراق ، لمن اراد من اقربائه كابن عمه
وضهره ، الحارث بن الحكم ، طريد رسول الله و عبدالله ابن ابي سرح و سائر اقربائه .
٨ - اسرافه في صرف المال ، كبناء قصره (طمار الزوراء) و اطعام الناس فيها
بحيث اعترض عليه عبدالرحمن ابن عوف ، وغيره .
٩ - ضعفه في مقابل مروان ، وطاعته عنه ، في ما كان يشير اليه من الآراء الفاسدة .
١٠ - شدته على بعض الأعظم من الصحابة ، بل ضربه ايّاهم و تغريبهم كأبي ذر
و عمار و ابن مسعود .
١١ - اتخاذه الحجاب .
١٢ - جمعه الناس على قرائة زيد بن ثابت خاصة و احراقه المصاحف ... »

٢٩٥ - مآل الأجوبة عن المطاعن

ذكر ابن ابي الحديد (وغيره) المطاعن التي طعن بها عثمان مفصلةً و انهياها
الى احد عشر و ارد ما ذكره قاضي القضاة في كتاب « المغنبي » في تأويلها ، و الجواب
عنها ، ثم اردفها بما اعترض به السيد المرتضى ، علم الهدى ، على القاضي بالشرح
و التفصيل .

←
قال جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء : « وفي سنة خمس و عشرين عزل عثمان ،
سعداً عن الكوفة و ولى الوليد بن عقبة بن ابي معيط ... و ذلك اول ما نجم عليه لانه اثر
اقاربه بالولايات . و حكى ان الوليد صلى بهم الصبح اربعاً و هو سكران ثم التفت اليهم
فقال : أزيدكم ؟ »

١ - تهرود كلمة فارسية معناها « الوادي السفلى » و الكامة مستعملة الان في بعض
قرى خراسان بهذا المعنى لموضع .

فمن اراد ان يطلع على تأويلات القاضى وعلى اعتراضات السيد عليه، فعليه ان يراجع شرح ابن ابي الحديد ويحكم بينهما بما يرشده اليه عدله وانصافه، ويرتضيه عقله ووجدانه . والله العاصم الهادى .

ولعلّه كل تلك التأويلات ترجع الى جواز الرأى، بمعنّيه الواسع، وجواز الاجتهاد الشخصى كيف كان، ولاسيّما اذا كان الرأى والاجتهاد من الخليفة . وكان القاضى واضرا به ايضا يقولون ذلك برأيهم واجتهادهم والا فكيف يجوز لمسلم، كائناً من كان، ان يعمل على خلاف الكتاب والسنة والسيره باسم الرأى والاجتهاد، ولاسيّما اذا كان خليفة من المسلمين، وبانتخابهم عليهم . واذا جاز ذلك فما معنى قول الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، حين مرضه: « اقيدونى... » وما معنى قول عمر، المشهور: «... فقومونى،...»؟

٢٩٦ - ندم عثمان وتوبته

وجملة ما قالوا : ان عثمان فى ولايته ، سلط بنى ابي مُعَيْط و بنى امية على رقاب الناس ولم يعمل بما اوصاه عمر (رض) وكانه نسي ما حذّره منه ونصح به بقوله : « اذا وُلّيت فلا تسلط بنى ابي مُعَيْط على رقاب الناس » فاستعمل وليد بن عُقْبَة الفاسق المتجاهر بشرب الخمر .

واستعمل سعيد بن العاص « حتى ظهرت منه الامور التى عندها اخرجها اهل الكوفة منها .

ولّى عبدالله بن ابي سرح وعبدالله بن عامر بن كريز مع تجاهرهما بالظلم والجور وقتل النفس .

١ - « والسبب فى ذلك (يعنى نزول آية « ان جائكم فاسق نبأ ... » فى حقه) انه كذب على بنى المصطلق عند رسول الله (ص) وادعى انهم منعوه الصدقة . ولو قصصنا ما سخا به المتقدمة وساويه، لطلال بها الشرح » (شرح ابن ابي الحديد) .

وخضع لمروان بن الحكم فكان يقبل مايقول ، ويعمل بما يشير ، حتى صرفه كراراً عما ارشده اليه اكابر الصحابة من واضح الطريق ، وجلّى الصواب ، بل ورجع بأشارته عما عهد به ، واعلن على رؤس الأشهاد و حضور الاصحاب ، من ندمه على ما سلف منه ، ومن تصريحه بأنه تاب وانااب .

قال الطبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٩٣ -) بعد ان ذكر « ذهاب عثمان الى علي في بيته والتمس منه رد القوم عنه » :

« فقال (يعني علياً) :

« علي ما اردُّهم ؟

« قال (يعني عثمان) : « علي ان اصير الى ما اشرت به عليّ ورايتَه لي .

« فقال عليّ : « انتي قد كنت كلمتُك مرة بعد مرة ، فكل ذلك نخرج فتكلم ونقول و تقول ، وذلك كله فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص و ابن عامر ومعاوية . اطعتهم وعصيتني !... »

وقال ايضاً فيه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٩٦ -) :

« واعطى الناس من نفسه التوبة ، فقام وحمد الله ، واثني عليه بما هو اهله ، ثم قال :

« اما بعد ايها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً اجهله ، وما جئت شيئاً الا وانا اعرفه ، ولكنتي منتنني نفسي وكذبتنني ، واصل عني رشدي . « ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول :

« من زلّ فليتب ، ولا يتمادى في الهلكة . ان من تمادى في- النجور كان ابعده من الطريق .

« فانا اول من اتعظ . استغفر الله مما فعلت و اتوب اليه .

« فاذا نزلت فليأثني اشرافكم فليروني رايهم ، فوالله لئن ردني الحق عبداً لاستنن بسنة العبد ، ولا كونن كالمرقوق ، ان مليك صبر ، وان عتيق شكر .

استغفار عثمان
ما فعل

وما عن الله مذهب الآليه . فلا يعجزنّ عنكم خياركم ان يدنوا الى . لئن آبت يمينى
لننتابيعنسى شيمالى .
« فترقّ الناس له يومئذ وبكى وبكى منهم ا » .

٢٩٧ - نقض مروان ما ابرمه عثمان

اثرّت تلك الخطبة فى القلوب ، وتأثرت منها النفوس ، وبكت لها العيون ، فكاد
ان يصير الأمر الى الصّلاح : صلاح الخليفة وصلاح الناس ، ولكنه افسده مروان ،
وبدّله بعد ما سمعه ، وجرّ الأمر على ماشاء و اراد ، ودبّر حتى انجرّ الى قتل الخليفة
عثمان .

فانظر الى مانقله الطّبرى فى تاريخه ايضا قال (الجزء الثالث - الصفحة ال -

٣٩٦ -) :

« فلما نزل عثمان وجد فى منزله مروان وسعيداً ونفراً من بنى امية ، ولم يكونوا

شهدوا الخطبة . فلما جلس قال مروان :

« يا امير المؤمنين اتكلّم ام اصمّت ؟ .

« فقالت نائلة ، بنت الفرافصة ، امرأة عثمان ، الكليبة :

« لابل اصمّت فأنتم والله قاتلوه ومؤتموه ، انه قد قال مقالة لا ينبغي له ان

يتزع عنها .

١ - قال الطّبرى ، ايضا ، باسناده الى ابى حبيبة قال :

« خطب عثمان الناس فى بعض ايامه فقال عمرو بن العاص : يا امير المؤمنين انك

قد ركبت نهابير (الممالك) وركبنا معك فتب نتب . فاستقبل عثمان القبلة وشهريديه .

« قال ابو حبيبة فلم ار يوماً اكثر باكية ولا باكية من يومئذ .»

وقال ابن الاثير فى الكامل (الجزء الثالث - الصفحة ال -) : « فلما خطب (عثمان)

الناس قال له عمرو بن العاص . « اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت امورا وركبناها

معك فتب الى الله نتب . فناداه عثمان : وانك هناك يا ابن النابغة ، تمت والله جبتك

منذ عزلتك عن العمل . فنودى من ناحية اخرى : تب الى الله . . .»

« فاقبل عليها مروان فقال : « ما انتِ وذاك؟ فوالله لقد مات ابوك وما يُحسن ان يتوضأ .

« فقالت له : مهلاً ، يا مروان ، عن ذكر الآباء . تخبر عن ابي وهو غائب ، تكذب عليه ، وان اباك لا تستطيع ان تدفع عنه . اما والله لولا انه عمه وانته يناله غمته اخبرتك عنه ما لن اكذب عليه .

« فأعرض عنها مروان ثم قال :

« يا امير المؤمنين اتكلم ام اصمت ؟

« قال : « بل تكلم . »

« فقال مروان :

« بأبي انت وامى ! والله لو ددت ان مقالتك هذه كانت وانت ممتنع منيع^١ فكنت اول من رضى بها واعان عليها . ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحيزام ، الطَّبَّيِّين^٢ ، وخلف السَّيْلُ الزُّبِّي^٣ ، وحين اعطى الخطة الدليلة ، الذليل .

كلمات واهنة
مرذولة اليها
مروان الى الناس

« والله لأقامة^٤ على خطيئة^٥ تستغفر الله منها ، اجمل من توبة تخوف عليها ! . وانتك ان شئت تقربت بالتوبة ولم تقرب بالخطيئة ، وقد اجتمع عليك على الباب مثل الجبال من الناس !

« فقال عثمان :

« فاخرج اليهم فكلّمهم ! فأتى استحي ان اكلمهم ! !

« فخرج مروان الى الباب ، والناس يركب بعضهم بعضا .

١ - هل يكون في الدين مناعة امنع واقوى من رعاية الدين ، والعمل بعهد الله ، ومن اقامة

العدل ورفع الجور ، كما عهد عليه عثمان ؟

٢ - الطبي واحد الاطباء (كالشعر والاشعار) وهي حملات الضرع يضرب مثلاً للامر يبلغ غايته في الشدة والصعوبة . والزبي جمع زبية (كالكنية والكنى) وهي الرابية لا يعلوها الماء . يضرب لما جاوز الحد ، وعند اشتداد الامر .

٣ - هكذا يكون الدين في نظر مروان ! وليس له نظر في الحق والعدل .

وقال :

« ماشأنكم قدا جتمعتم؟ . كانتكم جتتم لنهب . شاهت الوجوه ! كل انسان آخذ بأذن صاحبه ، ألا من أريد ا جتتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا ا اخرجوا عنا . اما والله لئن رمتمون ليمرن عليكم منا امر لا يسركم ، ولا تحمدوا غب رأيكم . ارجعوا الى منازلكم ، فأتنا والله ما نحن مغلوبين على ما فى ايدينا !
« فرجع الناس ، وخرج بعضهم حتى اتى علينا فاخبره ، ف جاء على عليه السلام مغضباً حتى دخل على عثمان فقال :

« أما رضيت من مروان ولا رضيت منك إلا بتحرُّفك عن دينك او عن عقلك !
مثل جمل الظئينة يُقَاد حيث يُسارُبه ٢ .

« والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولا فى نفسه . وَايَمُ اللهُ انى لأراه سيوردك ثم لا يُصدرك . وما انا بعائِد بعد مقامى هذا لمُعَاتِبَتِكَ . اَذْهَلَّتْ شرفك وغلبت على امرك .

« فلما خرج على دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة ، امرأته ، فقالت :

« اتكلّم ام اسكت ؟

« فقال : تكلّمى .

« فقالت : قد سمعت قول على لك ، وانه ليس يعاودك ، وقد اطعت مروان

يقودك حيث شاء ٢ !

« قال : فما اصنع ؟!

« قالت : تتقى الله وحده لا شريك له ، وتتبع صاحب بيتك من قبلك ، فانك متى

اطعت مروان قتلك ٢ ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هبة ولا محبة ، وانما تركك الناس لمكان مروان ٢ فأرسل الى على فاستصلحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى .

١ - ان مروان واضرا به من بنى آباهه كانوا يرون ان الخلافة هى السلطنة والملك ، وهم احق بهذا الملك ، وليت شعرى كيف تغيرت الاوضاع وتبدلت الاحوال فى تلك المدة .
القليلة حتى اجترأ مروان يخاطب الصحابة الكبار والمسلمين الاحرار بامثال هذه الكلمات ! !
٢ - من هذه التعبيرات يعرف جلياً مروان ومقامه من عثمان ، بل وعثمان ومقامه من مروان .

٢٩٨ - فساد مروان وفساده

قال الطبري في تاريخه ايضا (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٩٧ -) بأسناده عن عبدالرحمن بن الاسود :

« . . . انه يذكر مروان بن الحكم قال : قبّح الله مروان ! خرج عثمان الى - الناس ، فاعطاهم الرضا ، وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت الى لحيه عثمان مُخضلةً من الدموع وهو يقول :

« اللهم انى اتوب اليك . اللهم انى اتوب اليك . والله لئن ردنى الحق على ان اكون عبداً قيناً لأرضين به .

« اذا دخلتُ منزلي فادخلوا عكسي ، فوالله لا احتجب منكم ، ولا عطيتكم الرضا ، ولأنحسين مروان وذويه .

رد مروان، الناس
اقبح ربه عن الباب

« قال . فلما دخل امر بالباب ففتح و دخل بيته ، ودخل عليه مروان فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى افضله عن رأيه ، وازاله عما كان يريد .

« فلقد مكث عثمان ثلاثة ايام ماخرج استحياءً من الناس . وخرج مروان الى - الناس فقال :

« شاهت الوجوه ، الا من اريد ! ارجعوا الى منازلكم فان يكن لأمير المؤمنين حاجة باحدكم يرسل اليه والّا قرّ في بيته . . . »^١

١ ما اعجل الحنث الى هذا الحلف على عدم الاحتجاب منهم، واعطاؤهم الرضاء عن

نفسه، وتنحية مروان وذويه !

٢٩٩ - اجتماع المعترضين ، في المدينة

كانت امثال هذه الأعمال من عثمان ومن عمّاله وخواصّه وحواشيه ، غير مناسبة لما سنّ النبي (ص) وجرى عليه ، وغير موافقة لما شاء (ص) وعمل به ، وكانت منحرفة عمّا كان عليه الخليفان وسارا اليه ، وغير مانوسة لما اعتاده المسلمون وعرفوه من السيرّ والرّسوم .

فلما دال الزمن ، ومال الامر الى الجور والشحن ، وعمل العمّال بالاستبداد ، ولعبوا بأموال المسلمين وشئون الاسلام ، وضربوا صفحاً عن الصّلاح والأصلاح ، ولم يُفد للمسلمين بثمّ الشكوى امرأ ، ولم ينتج التصبّر والمداراة والنصح والأرشاد شيئاً ، ضاق صدر الصّبر واتسع نطاق الضّجر ، فأقبلت عدّة من اكابر اهل مصر والكوفة والبصرة وغيرها الى مدينة الرّسول ، مركز الخلافة ومنشأ الحكم ، ومصدر الامر ، ومرجع الحقّ ، ومرصد العدل ، وموطن الأمن ، راجين من الخليفة ، الصّلاح والأصلاح ، ومن اهل المدينة ، ولا سيّما من عظماء الصّحابة ، الأغاثة والأمداد ، وصارت كلمتهم وكلمة اهل المدينة واحدة على طلب الصّلاح والأصلاح وتغيير الحال ، ولعلّه كان فيهم من يعتقد انّ انتخاب عثمان كان بالحقيقة انتصاباً ، بل وفيهم من كان لا يرى لأحد مع وجود عليّ ، حقّاً في الخلافة وصلاًحاً لها .

٣٠٠ - كتابُ جمعٍ ، فيهم عمرو بن بديل الصّحابي ،

الى عثمان

فاجتمع في المدينة ، منها ومن خارجها ، جمع كثير اعترضوا على عثمان ، في اعماله واعمال امرائه وعمّاله ، ووافقهم على ذلك الصّوت والاعتراض ، صحابة - الرّسول الاعاظم ، صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وطعنوا على عثمان في افعاله ، وانجرّ الأمر

اخيراً الى ان طلبوا منه ان يخلع نفسه من الخلافة ، وكتب اليه غير اهل المدينة ، وفيهم عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي ' من الصحابة في ما كتبوا (على ما في الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٠٣ - من الطبرى) :

« بسم الله الرحمن الرحيم . فاعلم : ان الله لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتّى يُغَيِّرُوا ما بآئِنْفُسِهِمْ . قاله : الله . ثمّ الله . الله . فانك على دنبي ، فاستمّ اليها معها آخرة ولا تنس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا .

« انا والله لله
نغضب وفي الله
نرضى »

« واعلم : انا والله ، لله نغضب وفي الله نرضى ، وانا لن نضع سيوفنا من عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة ، او ضلالة مُجْلَعَة مبلّجة . فهذه مقالتنا لك ، وقضيتنا اليك ، والله عذيرنا منك . والسلام . »

٣٠١ - كتاب اهل المدينة الى عثمان

وكتب اهل المدينة اليه (على ما فى الطبرى ايضا) :
« يدعون الى التوبة ويحتجون ويقسمون بالله لا يمسون عنه ابدأ حتى يقتلوه ، او يعطيهم ما يلزمه من حق الله . »

كتاب اهل المدينة
اليه

فى الطبرى مسنداً (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٨٣ -) ، بعد ما قال : اجتمع ناس من المسلمين ، فتذاكروا اعمال عثمان . . . فاجتمع رأيهم على ان يبعثوا اليه رجلاً يكلمه ، ويخبره بأحداثه ، فارسلوا اليه عامر بن عبد الله . . . وبعد ما نقل دخول عثمان ومكالمته معه ، قال (ملخصاً) :

٣٠٢ - احضر عثمان جمعاً من عماله واقربائه للمشاورة

« فارسل عثمان الى معاوية ابن ابى سفيان والى عبدالله بن سعد بن ابى سرح

والى سعيد بن العاص والى عمرو بن العاص والى عبدالله بن عامر فجمعهم ليشاورهم فى امره فلما اجتمعوا قال لهم :

« لكل امرء وزراء ونُصحاء ، وانتمكم و زرائى و نُصحائى و اهل ثقتى ، وقد صنع الناس ما قدر ايتهم ، وطلبوا الى ان اعزل عُمالى وان ارجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون ، فاجتهدوا رأيكم واشيروا على^١ .
 » فقال عبدالله بن عامر :

« رأى لك يا امير المؤمنين ، ان تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك ، وان تجميرهم فى المغازى حتى يذلتوا لك ، فلاتكون همّة احدهم الا نفسه ، وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه ! .

» ثم اقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال ما رأيك؟ قال سعيد :

« يا امير المؤمنين ان كنت تريد رأينا فاحسب عنك الداء ، واقطع منك الذى تخاف ، واعمل برأى تُصب .
 » قال : وما هو ؟ .

» قال : ان لكل قوم قادة ، متى تهلكك يتفرقوا ولا يجتمع لهم امر .

» فقال عثمان : ان هذا ، الرأى لولا ما فيه !^٢ .

» ثم اقبل على معاوية فقال : ما رأيك؟ فقال معاوية :

» ارى لك يا امير المؤمنين ان تردّ عمّا لك على الكفاية لما قبيلهم وانا ضامن

لك قبلى^٣ !

١ - المشاورة مع العمال ، لعزل العمال ! نتیجتها معها .

٢ - انظر الى هذا الراى المرضى لعثمان (وسائر الاراء) ثم انظر الى كلام على ،

لعثمان : « الناس الى عدلك احوج من قتلک » ، كما سيجى .

٣ - تأمل فى هذا الكلام والنظر فيه سياسة معاوية ودهائه ، كيف اراد أن ينجو بنفسه

من المدينة ، وان يكون فى محل امارته كى لا يبتلى فى المدينة بمخالفة اهلها ، واکابر القادسين

اليها من سائر البلاد ، وان لا يقع فى محل امارته خلل اذا كان خارجاً منه .

« ثمّ اقبل على عبد الله بن سعيد بن ابي سرح فقال مارايك؟ فقال :
« ارى يا امير المؤمنين انّ الناس اهل طمع ، فأعطهم من هذا المال تعطف
عليك قلوبهم ! »

« ثمّ اقبل على عمرو بن العاص فقال له : مارايك؟ . قال :
« ارى ! انك قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم انّ تعتدل ، فان ابيت
فاعتزم عزّماً وامض قُدماً . »

« فقال عثمان : مالک قميلَ فرؤك؟ ... »

وفيه مسنداً يضا ، بعد نقل المشاورة :

« فردّ عثمان عمّاً له وامرهم بالتضييق على من قبيلهم ، وامرهم بتجمير الناس
في البعث ، وعزم على تحريم اعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا اليه ... »

امر عثمان
بالتضييق
وتجمير الناس
في البعث!

٣٠٣ - توسّل عثمان بعليّ لردّ الناس عنه

في الطّبري ايضاً (الجزء الثالث - الصّفحة ال ٤٠٣ -) :

« . . . فلماً خاف القتل شاور نصحائه واهل بيته . . . فاشاروا عليه ان يرسل
الى عليّ بن ابي طالب فيطلب اليه ان يردّهم ، ويعطيهم ما يرضيهم ، ليطاولهم حتّى
يأتيه امداد ! »

« فقال :

« ان القوم لن يقبلوا التعليل . . . وقد كان منّي في قدمتهم الأولى ما كان .
فمتى أعطهم عهداً سألوني الوفاء به . »

« فقال مروان بن الحكم : يا امير المؤمنين مقاربتهم حتّى نُقوى ، امثّل من

١ - واخيراً فليتأمل في ما صارت كالنتيجة للمشاورة من رد العمال ! والتضييق على من
قبلهم ! والامر بتجمير الناس (تجمير الجيش هو حبسهم في ارض العدو ، وعدم اقبالهم من-
الشعر) والعزم على تحريمهم اعطياتهم ! !

مكاثرتهم على القرب ، فأعطهم ما سألوك ، وطاول لهم ما طاولوك !
 « فأرسل الى عليّ فدعاه قال : يا اباحسن انّته قد كان من الناس ما قدر ايت ،
 وكان منى ما قد علمت ، ولست آمنهم على قتلى فارددهم عنى ، فان لهم الله ، عز وجل ،
 ان اُعْتَبِيَهُمْ من كل ما يكرهون ، وان اُعْطِيَهُم الحق من نفسى ومن غيرى ، وان كان
 فى ذلك سفك دمى .

و فقال له عليّ :

« النَّاسُ إِلَىٰ عَدْلِكَ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَىٰ قَتْلِكَ ١ . و انى لأرى
 قوما لا يرضون الا بالرضى وقد كنت اعطيتهم فى قدامتهم الأولى عهداً من الله لترجعن
 عن جميع ما نقموا . فرددتهم عنك . ثم لم تَفِ لهم بشىء من ذلك !! . فلاتغرتنى
 هذه المرة من شىء ، فانتى معطيهم عليك الحق .

« قال : نعم . فأعطهم فوالله لأفيسن لهم ٢ . »

قال الطبري ايضا فى تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٠٣ -) :

« فخرج عليّ الى الناس فقال :

« ايها الناس انكم انما طلبتم الحق فقد اعطيتموه . ان عثمان قد زعم انّه
 مُنْصَفِكُمْ من نفسه ومن غيره ، وراجع عن جميع ما تكثرهون ، فاقبلوا منه
 ووكدوا عليه .

١ - انظر الى هذه الجملة كيف يتجلى منه الحق والحقيقة ، والنصح والصفاء فى الارشاد
 والهداية ووازنه مع ما نصح عمال عثمان ونصحاؤه ، اياه فى المشاورة ، ولا سيما مع ما
 نصحه سعيد بن العاص وارتضاه الخليفة .

٢ - كان الخليفة نسي ان نباء الامر مع مروان ، ونصحاؤه ، كان هناك على المطولة
 والغرور ، فكيف يحلف بالوفاء ويؤكد؟ اللهم الا ان يكون كل ذلك لغلبة الحياء عليه ،
 فع مروان باقتضاء غلبة الحياء عليه يعزم على ما اراد مروان ونصحه به ، ومع على يعزم
 على الحق والعدل ! وان كان طلبه المهلة والاجل ، كما سيمر عليك آنفاً ، يبعد هذا العزم
 ويؤكد ذلك العزم المقدم .

« قال النَّاسُ : قد قَبِلْنَا ، فاستوثِقْ مِنْهُ لَنَا ، فإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَرْضَىٰ بِقَوْلِ
دون فعل .

« فقال لهم عليٌّ : ذلك لَكُمْ . ثمَّ دخل عليه فأخبره الخبر .

« فقال عثمان :

« اضرب بيني وبينهم اجلاً يكون فيه مهلة . فإني لا اقدر على ردِّ ما كرهوا
في يوم واحد .

« قال له عليٌّ : ما حضر بالمدينة فلا اجل فيه ، وما غاب فاجله وصول امرك .

« قال : نَعَمْ . ولكنَّ أَجَلْتَنِي فِي ما بالمدينة ثلاثة ايام .

« قال عليٌّ : نَعَمْ .

« فخرج الى النَّاسِ فأخبرهم بذلك . وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً اجَّله فيه
ثلاثاً على ان يردَّ كُلَّ مَظْلُومَةٍ وَيُعزَلُ كُلَّ عَامِلٍ كَرِهوه - ثمَّ اخذ في الكتاب
اعظم ما اخذ الله على احدٍ من خلقه ، من عهد وميثاق ، واشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين
والأنصار .

« فكفَّ المسلمون عنه ، ورجعوا الى ان يفي لهم بما أعطاهم من نفسه .

« فجعل يتأهب للقتال ! ويستعدُّ بالسَّلاح ! وقد كان اتَّخذ جنُوداً عظيماً من

رقيق الخمس .

« فلمَّا مضت الأيام الثلاثة وهو على حاله لم يغيِّر شيئاً ممَّا يكرهوه ، ولم يعزل

عاملاً ، ثار به الناس

« قالوا : فأنا لانعجل عليك وان كنا قد اتهمناك . اعزل عنا عمالك

الفسَّاق ، واستعمل علينا من لا يُتَّهم على دماننا واموالنا ، وارُدُّ علينا مظالمنا .

« قال عثمان : ما اراني اذاً في شيءٍ ان كنتُ استعمل من هو بئس ، واعزل

من كرهتم . الأمر اذاً امركم !

استعمال عثمان
وكتاب عهد -
التاجيل للاث
١٤١

تلك العهد
وتفض الميثاق

١ - اين تكون هذه الكلمات من كلمات الخليفة عمر (رض) ، وشاورته مع المسلمين

في أسورهم . فحبذا ذلك الوفاء بالعهد لاتباع سيرة من سلف ! ونعمت المتابعة ! وما اوفى

هذا الميثاق (. . . فوالله ، لافين لهم) واوثقه ! .

« قالوا : والله لتفعلنّ او لتفقتلنّ . فانظر لنتفكك اودعّ .. »
 « فأبى عليهم وقال : لم اكن لأخلع سربالاً سربلتنيّه الله.... »

٣٠٤ - حول قول عثمان « ... سربالاً سربلتنيّه الله

مما يستوقف النظر ويستلفت قول الخليفة ، عثمان ، للمسلمين ، هنا ، « لم اكن لأخلع سربالاً سربلتنيّه الله ! » وفى موضع (اونقل) آخر « فلا انزع قميصاً قمصنيّه الله ، عز وجلّ ، واكرمنى به ، وخصنى به على غيرى ! » وفى محلّ ثالث « اما ان اتبرء من الأمانة ، فان تصليونى احبّ الىّ من ان اتبرأ من امر الله عز وجلّ وخلافته . »

وذلك لأنّ تلك الأمانة او الخلافة لم تكن ، باعترافه وادعاء من سبقه ، منصبا للهيأ سربله الله او قمصه الله به وخصّه بخلافته بل هو ، بزعمه امر دنيوى ، زمامه بيد المسلمين فمن كان بيده الوضع كان بيده الرفع ، ومن كان له حقّ التقييص والتخصيص كان له حقّ التخليص والترخيص .

وعلى هذا (مع غمض العين عن انّ عبد الوّحمن بن عوف كان هو الذى سربله او قمصه وجعله اميراً وخليفة ، وهو ندم من عمله ، لا انّ الله اكرمه بخلافته ! ولا انّ عمم المسلمين ، او عامة اهل الحلّ والعقد ، انتخبوه لخلافة المسلمين) فالمسلمون والصحابه ، واهل الحلّ والعقد ، بالخيار فى ما اختاروا ، اذا شاهدوا منه ما يخالف مقاصد الدين ومصالح المسلمين ، فما معنى هذه الكلمات من الخليفة (رض)؟

قال الطبري فى تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٠٠-) ، مسنداً ، (ملخصاً) :

« قدّم المصريون القدمة الأولى فكلم عثمان ، محمد بن مسله فخرج فى خمسين ركباً من الأنصار ، فاتوهم فردّهم ، ورجع القوم حتى اذا كانوا بالبؤيب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب الى عبد الله بن سعد بن ابى سرح ، فكفروا فأتوا بالكتاب فانكر عثمان وقال : هذا مفتعل .

« قالوا : فالكتاب كتاب كاتبك ؟

من كان الوضع بيده كان الرفع ايضاً بيده

« قال : اجل ! ولكنه كتبه بغير امرى !

« قالوا : فالذى معه الكتاب غلامك ؟

« قال : اجل ! ولكنه خرج بغير اذنى !

« قالو : فالجمل جملك ؟

« قال : اجل ؛ ولكنه اخذ بغير علمى !

« قالوا : ما انت الا صادق او كاذب ، فان كنت كاذبا فقد استحقت الخلع ، لما امرت به من سفك دمائنا بغير حقها ، وان كنت صادقا فقد استحقت ان تخلع ، لضعفك ، وغفلتك ، وخبث بطانتك ، لانه لا ينبغي لنا ان نترك على رقابنا من يقطع مثل هذا الامر دونه ، لضعفه وغفلته .

« وقالوا : انتك ضربت رجالاتنا من اصحاب النبى (ص) وغيرهم ، حين

يعظونك وياأمرونك بمراجعة الحق عند من يستنكرون من اعمالك ، فأقيد من نفسك من ضربته وانت له ظالم .

احداث عظام
راوا بها استحقاق
خلع عثمان

« فقال : الامام يخطىء ويصيب ! فلا اقيد من نفسى ، لانتى لو اقتدت من

نفسى كل من اصبته بخطاء انبى على نفسى !! .

« قالوا : انتك قد احدثت احداثا عظاما فاستحقت به الخلع فاذا كلمت

فيها اعطيت التوبة ، ثم عدت اليها والى مثلها ، ثم قدمنا عليك فاعطينا التوبة والرجوع الى الحق ، ولا منافيك محمد بن مسلمة وضمن لنا ما حدث من امر ، فأحضرته ، ففبرأ منك ، وقال : « لا ادخل فى امره » فرجعنا اول مرة لتقطع حجبتك ، ونبلع اقصى الاعدار اليك نستظهر بالله ، عز وجل ، عليك ، فلحقنا كتاباً منك الى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب ، وزعمت انه كتب بغير علمك ، وهو مع غلامك ، وعلى جملك ، بخط كاتبك ، وعليه خاتمك ، فقد وقعت عليك بذلك ، التهمة القبيحة ، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور فى الحكم ، والاثرة فى القسم ، والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس ، والأظهار للتوبة ، ثم الرجوع الى الخطيئة .

« ولقد رجعنا عنك وما كان لنا ان نرجع حتى نخلعك ، ونستبدل بك من

من اصحاب رسول الله (ص) من لم يحدث مثل ماجرّبنا منك ، فاردد خلافتنا ، واعتزل امرنا ، فأنّ ذلك اسلم لنا منك ، واسلم لك منا .

« فقال عثمان (بعد الحمد والتّصليّة) :

« أمّا قولكم : تخلع نفسك . فلا انزع قميصاً قمصنيه الله ، عزّ وجلّ ، واكرمنى به ، وخصنى به على غيرى ، ولكنى اتوب ، وانزع ، ولاعود لشيء عابيه المسلمون .
« قالوا : انّ هذا ، لو كان اول حدثٍ احدثته ثمّ تبتّ منه ، وكيف نقبل توبتك وقد بلونا منك انك لا تعطى من نفسك التّوبة من ذنبٍ الا عدتّ اليه ؟ فلسنا منصرفين حتى نعلك . . . »

« فقال عثمان : أمّا أنّ أتبرأ من الأمانة فان تصلبوني احبّ اليّ من ان أتبرأ

من امرالله عزّ وجلّ وخلافته !

« فانصرفوا عنه وآذوه بالحرب . و ارسل الى محمّد بن مسّلمة فكلّمه ان يردّه . فقال ، والله لا اكذب الله فى سنةٍ مرتين . »

٣٠٥ - قتل عثمان ، وانقضاء دوره

هكذا كان شأن عثمان فى النصف الأخير من ايام خلافته ، فكان قد يحدّثهم ويبيّدهم ، وقد يبشّرههم ويمنّبهم بالاصلاح ، ويعدّهم بالاصلاح فيقرّبهم ويرغبهم ، ولكنه لم يشأ ، او لم يقدر ، ان يفى بما كان يعد ، ويعهد ، ولم يرد ، او لم يتمكّن ، ان يفعل ما يسكن الثّورة ، ويسكت العامّة ، ويرضى الأمة ، ويقنع الناس ، فيشسّ القوم منه ، وقنطوا من اقدمه واصلحه .

فاتفقت آراؤهم على حصره فى داره ، وهو بمراى ومسمّع من اكابر الصحابة من الأنصار والمهاجرين و من البديريين ، فحصره فى الدار اربعين يوماً (او تسعة و اربعين) ثمّ هجموا عليه فى داره وفيهم محمّد بن ابي بكر ، الخليفة ، وان كان هو لم يتولّ قتله بنفسه .

فى تاريخ الخلفاء للسيوطى (الصفحة الـ ١٦٠ - ١٦١) نقلاً عن ابن عساکر
بأسناده عن الزهري :

«... وجاء عليّ الى امرأة عثمان فقال لها : من قتل عثمان ؟

» فقالت : لا ادري . دخل عليه رجلان لا اعرفهما ، ومعهما محمد بن ابي بكر .

واخبرت علياً والناس بما صنع محمد .

» فدعا عليّ محمدآ فسأله عما ذكرت امرأة عثمان . فقال محمد : لم تكذب .

قد والله دخلتُ عليه ، وانا اريد قتله ، فذكرني ابي ، فقمْتُُ عنه ، وانا تائب الى الله .

والله ما قتلته ولا امسكته . فقالت امرأته صدق ولكنّه ادخلهما .»

وكيف كان قتل عثمان فى اليوم الثامن عشر (على الاشهر) من شهر ذى الحجة -

الحرام من شهور سنة خمس و ثلاثين من الهجرة النبوية وكانت مدة خلافته (رض)

اثنتى عشر سنة .

برالة محمد بن
ابى بكر عن قتل
عثمان

... يا معشرَ المُسْلِمِينَ هَذَا جِلْبَابُ رُسُولِ اللَّهِ (ص)
 لَمْ يُبَلِّ وَقَدْ أَبْلَى عُثْمَانُ سُنَّتَهُ !
 (من كلمات أم المؤمنين عائشة ، (رض) ،

وَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلزُّبَيْرِ عِجَاجَةٌ
 وَطَلْحَةَ فِيهَا جَاهِدٌ غَيْرُ لَاعِبٍ
 وَقَدْ أَظْهَرَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَوْبَةً
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا هُمَا فِي الْعَوَاقِبِ
 (مما نسب الى عبيدالله بن عمر الخطّاب ، رض) ،

- ١- موقف أم المؤمنين من واقعة عثمان .
- ٢- موقف طلحة والزبير ، حوارى رسول الله منها .
- ٣- موقف عمرو بن العاص ، الصحابي الداهى منها .
- ٤- موقف معاوية ، خال المؤمنين ! ، منها .
- ٥- تلخيص ماورث قتل عثمان .
- ٦- اصحاب محمد ، و عثمان .
- ٧- مقام على في خلافة عثمان .

٢٠- حول مواقف أم المؤمنين عائشة
 والصحابة من عثمان :

٣٠٦ - موقف الصحابة قبالة عثمان وواقعة

وقعت، تلك الواقعة العظمى والحادثة الكبرى، التي لم يكن مثيل لها في العالم-
الاسلامى الى ذلك اليوم، بل و ماكان لها في عالم الوهم والخيال مورد ومدخل :
حُصِرَ امام المسلمين وخليفتهم صِهْر النَّبِى (ص) على ابنتيه، ذوالنورين، شيخ-
الصحابة، فى مركز الخلافة، مدينة الرسول، ومُجْتَمَعِ الْأَنْصَارِ والمهاجرين،
وطالت مدة حصاره، فى داره، اربعين يوما، او ازيد، فمُنِعَ من الماء ثم هُجِمَ عليه
فى بيته لعزله، او لقتله، ثم قَتَلَ و تَرَكَ حَتَّى قَبِيل : «نُبَذَ (رض) ثلاثة ايام لا يُدْفَنُ...»
وقيل : «لبث عثمان بعد ما قُتِلَ ليلتين لا يستطيعون دفنه... ثم حمله اربعة... فلما
وُضِعَ ليصلى عليه، جاء نفر من الأنصار بمنعوتهم الصَّلوة عليه!، ومنعوه ان يدفن
بالبقيع! فقال ابوجهم (احد الاربعة) ادفنوه فقد صاتى الله عليه وملائكته. فقالوا:
لا والله لا يُدْفَنُ فى مقابر المسلمين ابدا! فدفنوه فى حش كوكب»^٢

وكان ذلك بمراى و مسمع من كبار الصحابة، واكابر رجال الدين، الامر بن
بالمعروف، الناهين عن المنكر، المجاهدين بأنفسهم فى سبيل الله، الذين لا يخافون
فى الله لومة لائم، الموصوفين بانهم: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِيمَاءُ بَيْنَهُمْ...»
ولم يدافع احد منهم عنه، او لم يقدر ان يدافع و يدفع! بيئد ما كان من على (ع) من-
الدفاع، بالتصح له و للمسلمين، و حراسة داره باقامة ابنه الحسن، او هو والحسين،
على باب الدار، لمنعهم عن الدخول، و بايفاد الماء اليه، الى غير ذلك، مما اثبتته
الاثبات من اهل السنة فى كتبهم^٣.

١- الجزء الثالث من الطبرى - الصفحة ال ٣٨٤ .

٢- الجزء الثالث من الطبرى ايضا «الصفحة ال ٤٣٩» .

٣- فى تاريخ الخلفاء (الصفحة ال ١٥٩) : ←

فكانته ماجرى من تلك الاحوال، لم يكن عند هؤلاء منكراً، او كانت على رايهم واجتهادهم و باعتقادهم مصلحة الأمة ، و رعاية حفظ الدين ، و صيانة اساس الاسلام تحكّم بذلك ، حكماً باتّاماً لا محيص عنه .

قال الطبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٧٥ -) عن الواقدي

(مسنداً) :

« لما كانت سنة اربع وثلاثين ، كتب اصحاب رسول الله (ص) بعضهم الى بعض : ان اقدّموا فان كنتم تريدون الجهاد ، فعندنا الجهاد . وكثر الناس على عثمان ، و نالوا منه اقبح مانيل من احد . و اصحاب رسول الله يرون و يسمعون ، ليس فيهم احد ينهى و لا يذّب ... »

قال الطبري ايضا (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٠٠ -) بأسناده عن ابن يسار

انه قال :

« لما رأى الناس ما صنع عثمان ، كتب منّ بالمدينة ، من اصحاب النبى (ص) الى منّ بالآفاق منهم ، و كانوا قد تفرّقوا فى الثغور : انكم انما خرجتم ان تجاهدوا فى سبيل الله ، عزّ وجلّ ، تطلبون دين محمد (ص) فانّ دين محمد قد اُفسد من خلفكم و تُرك .

« فهلّموا فاقموا دين محمد صلى الله عليه و سلم . فاقبلوا من كلّ اقل

حتى قتلوه »

«... و حاصر الناس عثمان و منعه الماء فاشرف على الناس فقال : افيكم على ؟

فقالوا : لا . قال : افيكم سعد ؟ قالوا : لا . فسكت . ثم قال : الا احد يبلغ علياً فمستقنما ؟

«فبلغ ذلك علياً فبعث اليه بثلاث قرب مملوئة ماء فمأكادت تصل اليه ، و جرح

بسببها عدة من بنى هاشم و بنى امية ، حتى وصل الماء اليه . فبلغ علياً ان عثمان يراد قتله»

و قال للحسن و الحسين : اذهباً بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان ، فلا تدعا احداً

يصل اليه ...

« فلما رأى ذلك الناس رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن علي

بالماء على بابه ... و شج قنبر مولى علي ... » .

٣٠٧- «انما قتله اصحاب محمد و قراء الناس...»

قال نصر بن مزاحم، في كتاب صفين، مسنداً عن ابي سلمة:

«ان هاشم بن عتبة دعا في الناس عند المساء:

«الا من كان يريد الله، والدار الآخرة فليقبل.»

«فاقبل اليه ناس فشد في عصابة من اصحابه على اهل الشام مراراً... فقال

ابوسلمة: فمضى في عصابة من القراء فقاتل قتالا شديداً هو واصحابه، اذخرج عليهم فتى شاب يقول:

«انّا ابن ارباب الملوك غسان»

و الدائن اليوم بيد بن عثمان

«انبا نا اقوامنا بما كان»^١

ان علياً قتل ابن عقان

ثم شد فلا ينشى يضرب بسيفه، ثم يلعن ويشتم، ويكثر الكلام. فقال له

هاشم بن عتبة.

«ان هذا الكلام بعده الخصام، وان هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فانك

راجع الى ربك، فسائلك عن هذا الموقف وما اردت به. قال:

«فانتي اقاتلكم لان صاحبكم لا يوصلني كما ذكركم لي! وانكم لاتصلون!

واقاتلكم ان صاحبكم قتل خليفتنا! وانتم وازرتموه على قتله: فقال هاشم:

«وما انت و ابن عقان؟ انما قتله اصحاب محمد و قراء الناس حين احدث

احداثاً و خالف حكم الكتاب.

انما قتله
اصحاب محمد
وقراء الناس

«واصحاب محمد، هم اصحاب الدين، و اولي بالنظر في امور المسلمين،

١- في الطبري (الجزء الرابع - الصفحة المكمل الثلاثين) وفي الكامل (الجزء الثالث -

الصفحة ال ١٥٩) ايضاً ذكرت هذه القضية وفي الطبري ذكر موضع المصراع الثالث،

هذا المصراع «اتي اتاني خبر فاشجان»

٤٩٥ - ٢٠ - حول موقف أم المؤمنين عائشة والصحابة من عثمان

وما اظنّ انّ امر هذه الأمة ولا امر هذا الدّين عنك طرفة عين قطّ .
« قال الفتى : آجَلٌ آجَلٌ ، اتى لا اكذب فانّ الكذب يضرّ ولا ينفع ويشين ولا يزين .

« فقال له هاشم : ان هذا الامر لاعلم لك به فخله و اهل العلم به . قال : اظنّك والله قد نصحتنى وقال له هاشم :
« و امّا قولك : ان صاحبنا لا يصلّى ، فهو اوّل من صلّى الله مع رسول الله ، وافقهه في دين الله و اولاه برسول الله .
« و امّا كلّ من ترى معى فكلّهم قارئ الكتاب لا ينامون اللّيل تهجّداً ... »

٣٠٨ - كلام عمّار بن ياسر في عثمان و قاتليه

كلمات
عمار ياسر

قال نصر بن مزاحم ، ايضاً في كتاب صفتين ، (مسنداً) : انّ الصّحابىّ العظيم عمّار بن ياسر احد الأيّام بصفتين قام للخُطبة فقال فيها :
« انهضوا معى عباد الله الى قوم يزعمون انهم يطلبون بدم الظالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغير ما فى كتاب الله . انما قتله الصّالحون ، المنكرون للعدوان ، الأمرون بالأحسان .

« فقال هؤلاء ، الدّين لا يُبالون اذا سلمت دنياهم ، لو درس هذا الدّين :
لِمَ قتلتموه ؟
« فقلنا : لأحداثه .

« فقالوا : ما احدث شيئاً . و ذلك لانه مكّتهم من الدّنيا ، فهم يأكلونها ، ويرعونها ولا يُبالون لو انهدتّ عليهم الجبال .^١

١ - « وروى الواقدي : ان زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابة من الانصار ، وهو يدعوهم الى نصرة عثمان ، فوقف عليه جبلة بن عمرو بن حية المازنى فقال : وما يمنعك يا زيد ان تذب عنه ؟ اعطاك عشرة آلاف دينار ، و حدائق من لخل لم تثر عن ايّيك بمثل حديقة منها ! » (شرح النهج لابن ابي الحديد - المجلد الاول - الصفحة ال ٢٢٥ -)

« والله ما اظنهم يطلبون دمه ، انهم ليعلمون انه الظالم ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها و استمروا بها . و علموا لو ان الحق لزمهم لحال بينهم و بين ما يراعون فيه منها ، و لم يكن للقوم سابقة في الاسلام يستحقون بها الطاعة و الولاية . فخذعوا اتباعهم بأن قالوا :

« قتل امامنا مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرة و ملوكا ، و تلك مكيدة قد بلغوا بها ماترون و لولا هي ، ما بايعتهم من الناس رجالان . . . »

٣٠٩ - موقف أم المؤمنين عائشة

كانت ممن يكثر على عثمان، الطعن واللوم، ويؤلب عليه القوم، أم المؤمنين عائشة (رض) وحواري رسول الله (ص) الزبير، والصحابي المبشر له بالجنة، طلحة .
أما عائشة فعلى ما فى الطبرى وغيره .

سبب منافرة
عائشة وعثمان

« وكان بين عثمان و عائشة منافرة، وذلك لأنه نَقَصَهَا مِمَّا كَانَ يَعْطِيهَا عَمْرُ-
بن الخطَّابِ ، و صيَّرَهَا اسوَةَ غَيْرِهَا مِنْ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
« قام عثمان يوماً ليخطب اذ دلت قميص رسول الله (ص) و نادت :
« يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا جِلْبَابُ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يُبَلِّ وَقَدْ أَبْلَى
عُثْمَانُ سُنَّتَهُ ١ .

« فقال عثمان : رَبِّ اصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ، اِنْ كَيْدَهُنَّ عَظِيمٌ » .
حين اشتد الأمر على عثمان ، اراد مروان استعطاف عائشة .
« . . . وصار مروان الى عائشة فقال :

« يا أم المؤمنين لوقمتِ فاصلحتِ بين هذا الرجل وبين الناس .
« قالت : قد فرغتُ من جهّازى وانا اريد الحجّ .

« قال : فنُدِّعُ اليك بكلّ درهم انفقته درهمين !!

رأى عائشة فى
عثمان و بغيته

« قالت : لَعَلَّكَ تُرَى اِنِّى فِى شَكِّكَ مِنْ صَاحِبِكَ ! اَمَّا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ
أَنَّهُ مُقَطَّعٌ فِى غِرَارَةٍ مِنْ غِرَائِرِىْ وَاِنِّى أُطِيقُ حَمْلَهُ فَاَطْرَحَهُ فِى
الْبَحْرِ ! »

و فى المحكّتى عن كتاب الدّار ، للواقدى .

« ان مروان بن الحكم لما حُصِرَ عثمان ، الحصر الآخِر ، اتى زيد بن ثابت

١- ان كانت هى صادقة فرضى الله عن عثمان ورحمه ، وان كانت كذبت وانفرت عليه ،
والعياذ بالله ، فرضى الله عنها ورحمها .

فاستصحبه الى عائشة ليكلّمها في هذا الأمر، فمضيا اليها وهي عازمة على الحجّ فكلّمها
في ان تُقيم و تذبّ عنه .

« فاقبلت على زيد بن ثابت فقالت :

« وما منعك يا ابن ثابت ولك « الأساريف^١ » قد اقتطعتكها عثمان ، ولك
كذا وكذا ، واعطاك عثمان من بيت المال عشرة آلاف دينار^٢ ؟
« قال زيد : فلم ارجع اليها حرفاً واحداً .

« و اشارت الى مروان بالقيام . فقام مروان وهو يقول :

حرف تيس على البلاد حتى اذا اضطربت اخذما^٣
« فنادته عائشة ، وقد خرج من العتبة :

« يا ابن الحكم ! علىّ تمثل الأشعار ؟^٤

« والله سمعتُ ما قلت . اتراني في شكك من صاحبك ؟ و الذي نفسي بيده
لوددت انه الآن في غرارة من غرائري مَخِيْط عليه فألقبه في البحر الأخضر .

« قال زيد : فخرجنا من عندها على اليأس منها « انتهى^٤ .

و في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه المالكي :

« دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت :

« يا ابا عبد الله لورايتني يومَ الجمل قد انفذت التّصال هودجى حتّى وصل بعضها

الى جلدي ! .

« قال لها المغيرة :

« لَوَدِدْتُ والله انّ بعضها قتلك !

« قالت : يرحمك الله و ليمّ تقول هذا ؟

١- سرف ، مثل كتف ، موضع قريب من التنعيم وهو من مكة على عشرة اميال . وقيل :

اقل . و اكثر... » (مجمع البحرين)

٢- قدر أنّفاً ان جبلة بن عمرو المازني ايضاً قال لزيد في اجتماع عصابة من الصحابة
عليه : « وما يمنعك يا زيد ان تذبّ عنه ؟ اعطاك عشرة آلاف دينار... »

٣- خدمه خذماً اي قطعه . والخدماء ، العنز تشق اذنها عرضاً من غير بينونة .

٤- شرح ابن ابي الحديد (المجلد الاول - الصفحة ال ٢٢٤-٢٢٥)

« قال : لعلها تكون كفارة في سعيك على عثمان ... »

وفى الطبري (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٦٠ -) مسنداً عن عبيد بن عمرو-

القرشي قال :

« خرجت عائشة ، رضى الله عنها ، و عثمان محصور فقدم عليها مكة رجل »

يقال له : اخضر فقالت : ما صنع الناس ؟ فقال : قتل عثمان ، المصريين .

وقالت : انا لله وانا اليه راجعون . ايقتل قوماً جاؤا يطلبون الحق وينكرون

الظالم ؟ والله لانرضى بهذا .

« ثم قدم آخر . فقالت : ما صنع الناس ؟ قال : قتل المصريون عثمان . قالت :

العجب لأخضر زعم ان المقتول ، هو القاتل ! »

قال الطبري (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٧٦ -) مسنداً :

« ان عائشة لما انتهت الى سرف راجعة في طريقها الى مكة لقيها عبيد بن

امّ كلاب وهو عبيد بن ابي سلمة ، ينسب الى امه ، فقالت له : مهيم ؟ قال : قتلوا

عثمان ، رضى الله عنه ، فمكثوا ثمانية . قالت : ثم صنعوا ماذا ؟ قال : اخذها اهل المدينة

بالاجتماع فجازت بهم الامور الى خير مجاز ، اجتمعوا على علي بن ابي طالب فقالت :

والله ليت ان هذه انطبقت على هذه ! ان تم الامر لصاحبك^٢ ! ردوني ردوني .

« فانصرف الى مكة وهي تقول : قتل والله عثمان مظلوماً . والله لأطلبن بدمه^٣ !

« فقال له ابن امّ كلاب : و ليم ؟ فوالله ان اول من امال حرفه لانت ، ولقد

١- فى الصفحة ال ٤٦٨ ايضاً جيء ببعض هذه القضية وفى « الكامل » لابن اثير

(الصفحة ال ١٠٥) نقلت القضية والاشعار التى ستأتى بتماسها مع اختلاف يسير فى بعض الكلمات .

٢- يا لله ولهذه الشفقة الاسومة ! بالله قولى يا اماء ! ماحدث على فى الاسلام الى

هذا العين حتى صار عندك بهذا المقام . كرم الله وجهه و رضى الله عنك .

٣- باى حق ؟ ومن ؟ وماذا سوغ لها المداخلة فى شئون الخلافة او الولاية ، اللهم

الا ان يقال بحق الاسومة ومن امرتهم بالقتل ! ولوجوب قرارها فى بيتها « و قرن فى

بيوتكن ... »

كنتِ تقولين : «اقتلوا نَعَثَلًا فقد كفر!» قالت : انهم استتابوه ثم قتلوه^١ وقد قلت وقالوا ، و قولى الأخير خير من قولى الأول^٢ فقال لها ابن امّ كلاب :

مِنْكَ الْبَدَاءُ وَمِنْكَ الْغَيْرُ
وَمِنْكَ الرِّيحُ وَمِنْكَ الْمَطَرُ
وَ أَنْتِ أَمَرْتِ بِقَتْلِ الْأَمَامِ
وَ قُلْتِ لَنَا إِنَّهُ قَدْ كَفَرَ
فَهَبْنَا أَطْعَمَاكِ فِي قَتْلِهِ
وَ قَاتَلُهُ عِنْدَنَا مِنْ أَمْرٍ

٣١٠- «عائشة كانت من اشد الناس على عثمان»

قال ابن ابي الحديد (المجلد الثاني - ذيل «ومن كلام له، عليه السلام ، بعد فراغه من حرب الجمل- معاشر الناس ان النساء نواقص الايمان...»-الصفحة ٧٧-):
«وهذا الفصل كله رمز الى عائشة ولا يختلف اصحابنا فى انها اخطت فى ما فعلت (يعنى فى حرب الجمل) ثم تابت و ماتت تائبة وانها من اهل الجنة .

«قال كل من صنف فى السير وال اخبار: ان عائشة كانت من اشد الناس على عثمان حتى انها اخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله فنصبته فى منزلها وكانت تقول للداخلين اليها: هذا ثوب رسول الله (ص) لم يُبَلِّ و عثمان قد ابلى سنته .
«قالوا : اول من سمى عثمان ، «نعثلاً» عائشة . والنعثل ، الكثير شعر اللحية والجسد ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلاً! اقتل الله نعثلاً! .

اول من سمى
عثمان نعثلاً
عائشة

١- كانها (رض) نسيت مادار بينها وبين مروان حين عزمها الى الحج وكون عثمان فى الحصر الاخر، اى بعد وقوع التوبة.

٢- ولا اعتراض على هذه الاقوال المورثة للقتل والقتال لانها ثمرة الرأى والاجتهاد،

كما يقال .

«وروى المدائني في كتاب الجمل قال :

«لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ كَانَتْ عَائِشَةُ بِمَكَّةَ وَبَلَغَ قَتْلَهُ إِلَيْهَا ، وَهِيَ بِسِرَافٍ ، فَلَمْ تَشْكُكَ فِي أَنْ طَلْحَةَ هُوَ صَاحِبُ الْأَمْرِ وَقَالَتْ : بَعْدَ النَّعْتِلسِ وَسُحْقًا ، آيَهُ ذَا الْأَصْبَعِ ! ، أَيَهُ أَبَاشِبِلِ ! . أَيَهُ يَا ابْنَ عَمِّ ! ، لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصْبَعِهِ وَهُوَ يَبَايِعُ لَهُ . حُشُّوا الْأَبْلَ وَدَعِدِ عَوْهَا .

« قال : وقد كان طلحة حين قتل عثمان اخذ مفاتيح بيت المال و اخذ نجائب كانت لعثمان في داره . ثم فسَدَ امره فدفعها الى علي بن ابي طالب عليه السلام .

«وقال ابو مخنف ، لوط بن يحيى الأزدي في كتابه :

«انَّ عَائِشَةَ لَمَّا بَلَغَهَا قَتْلَ عُثْمَانَ ، وَهِيَ بِمَكَّةَ ، أَقْبَلَتْ مَسْرَعَةً وَهِيَ تَقُولُ : أَيَهُ ذَا الْأَصْبَعِ ! لَلَّهِ أَبُوكَ . أَمَا أَنْتُمْ وَجَدُوا طَلْحَةَ لَهَا كَفْرًا ! .

« فَلَمَّا أَنْتَهتْ إِلَى سِرَافٍ اسْتَقْبَلَهَا عُبَيْدُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ اللَّيْثِيُّ فَقَالَتْ لَهُ : مَا عِنْدَكَ؟
« قال : قتل عثمان .

« قالت : ثمّ ماذا ؟

« قال : ثمّ حارت بهم الامور خير محارٍ : بايَعُوا عَلِيًّا .

« فقالت : لَوَدِدْتُ أَنَّ السَّمَاءَ انْطَبَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَمَّ هَذَا ! وَيَحْكُكُ أَنْظُرُ مَاذَا تَقُولُ ؟

« قال : هو ما قلتُ لكِ يا امّ المؤمنين . فَوَلَّوْكَتُ .

« فقالت لها : ماشأنك يا امّ المؤمنين ؟ والله ما اعرف بين لابنتها احداً اولى بها منه ولا احقّ ، ولا ارى له نظيراً في جميع حالاته ، فلما ذا تكرهين ولايته ؟ ! قال : فما ردّت عليه جواباً .

« قال : وقد روى من طرق مختلفة : انَّ عَائِشَةَ لَمَّا بَلَغَهَا قَتْلَ عُثْمَانَ ، وَهِيَ بِمَكَّةَ ، قَالَتْ :

«أَبْعَدَهُ اللَّهُ ! ذَالِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاهُ وَمَا اللَّهُ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ .

« قال : وقد روى قيس بن ابي حازم : انه حجّ في العام الذي قتل فيه عثمان

وكان مع عائشة لماً بلغتها قتله، فتحمل الى المدينة قال: فسمعها تقول في بعض الطريق: ايه ذا الاصبع ! واذا ذكرت عثمان قالت: ابعده الله، حتى اتاها خبر بيعة علي، فقالت لَوَدِدْتُ انَّ هذه وقعت على هذه .

« ثم امرت برد ركائبها الى مكة . فرددت معها و وليتها في سيرها الى مكة تخاطب نفسها كأنها تخاطب احداً : قتلوا ابن عفان مظلوماً .

« فقلت لها : يا ام المؤمنين الم اسمعك آنفاً تقولين : ابعده الله وقد رايتك قبل ، اشد الناس عليه واقبحهم فيه قولاً ؟ فقالت : لقد كان ذلك ولكنى
« قال : وروى من طرق اخرى : انها قالت ، لماً بلغها قتله : ابعده الله . قتله ذنبه ، و اقاد الله بعمله يا معشر قريش . . . ان احق الناس بهذا الامر ذوالاصبع . فلما جاءت الأخبار ببيعة علي (ع) قالت : تعيسوا لا يردون الامر في تيم ابدأ .

٣١١- عائشة و مكالمتها مع ام سلمة

« قال ابو مخنف :

« جاءت عائشة الى ام سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان . فقالت : يا بنت ابي امية انت اول مهاجرة من ازواج رسول الله (ص) و انت كبيرة امهات- المؤمنين ، و كان رسول الله (ص) يقسم لنا من بيتك و كان جبريل اكثر ما يكون في منزلك .

« فقالت ام سلمة : لامر ما قلت هذه المقالة ؟

« فقالت عائشة : ان عبد الله اخبرني ان القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتله صائماً في شهر حرام ، وقد عزمت على الخروج الى البصرة ومعى الزبير و طلحة فاخرجى معنا لعل الله ان يصلح هذا الامر على ايدينا و بنا .

« فقالت : انا ام سلمة ، انك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقولين فيه اخبث القول و ما كان اسمه عندك الانعثلا . وانك لتعرفين منزلة علي بن ابي طالب عند رسول الله (ص) افأذكرك ؟

«قالت نَعَمْ .

«قالت : انذكرين يوم اقبل علىّ (ع) ونحن معه حتى اذا هبط من قديد ذات- الشمال خلا بعليّ يناجيه فاطال، فأردت ان تهجمين عليهما فنهيتك فمصيتين فهجمت عليهما فما لبثت ان رجعت باكية .

«فقلتُ : ماشأ نكك ؟

«فقلتُ : انى هجمتُ عليهما و هما يتناجيان .

«فقلتُ لعليّ ليس لى يوم من رسول الله الا يوم من تسعة ايام افما تدعنى يا

ابن ابى طالب و يومى ؟

«فأقبل رسول الله (ص) علىّ ، وهو غضبان مُحَمَّرٌ الوجه .

«فقال : ارجعى ورائك . والله لا يبغضه احد من اهل بيتى ، ولا من غيرهم من

الناس الا وهو خارج من الايمان .

«فرجعت نادمة ساقطة .

«قالت عائشة : نعم اذكر ذلك .

«قالت واذكرك ايضا»

وفى تاريخ الطبرى (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٣٤) ، مسنداً ، بعد ذكر تولية

عثمان فى زمن الحصر ، ابن عباس لأمر الموسم وكتاب كتبه معه الى اهل الموسم ، :

«فخرج ابن عباس ، فمرّ بعائشة فى «الصُّلُصُل» فقالت :

«يا ابن عباس انشدك الله، فانتك قد أعطيت لساناً ازعيلاً» ، (نشطاً) ان تحذل

عن هذا الرجل (تعنى عثمان) وان تشككك فيه الناس فقد بانت لهم بصائرهم ، وانهجت

ورفعت لهم المنار ، و تحلبوا من البلدان لأمرٍ قد جم .

«وقد رايت طلحة بن عبيدالله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح !فان

بَلْ يَسِرْ بِسِيرَةِ ابْنِ عَمِّهِ ابِى بَكْرٍ»

هكذا كانت حالة ام المؤمنين ، عائشة ، ومعاملته مع الخليفة عثمان فلننظر ونرى

موقف الصحابييين العظميين طلحة و الزبير و معاملتهما معه :

٣١٢- موقف طلحة والزبير تجاه الواقعة

وامّا طلحة، و الزبير حوارى رسول الله^١، فيعلم حالهما بالنسبة الى هذه الواقعة مما نقلها هنا مما قيل فى حقهما :

قال الطبرى فى تاريخه :

« وكان اكثر من يؤلب عليه (يعنى على عثمان) طلحة و الزبير و عائشة^٢ . »

و فى كتاب « البدء و التاريخ » (الجلد الثانى - الصفحة ال ٢٠٥-) :

« وكان اشدّ الناس طلحة و الزبير و محمد بن ابى بكر و عائشة . و خذلته

المهاجرون و الانصار .

« و تكلمت عائشة فى امره ، و اطلعت شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، و نعله و ثيابه ، و قالت : ما اسرع ما نركم سنة نبيكم !

« فقال عثمان فى آل ابى قحافة ، ما قال ، و غضب ، ما كاد يدرى ما يقول ! . . »

قال ابن الاثير فى « الكامل » (الجزء الثالث - الصفحة ال ٨٤) :

« و قد قيل : ان علياً كان عند حصر عثمان بخير فقدم المدينة و الناس مجتمعون

١- «... و قال النبى (ص) لكل نبى حوارى و حوارى ، الزبير.»

تقول : فلان خالصة فلان و خالصاته و حواريه اى شديد الاختصاص به و الاستخلاص

له « (شرح النهج - المجلد الاول الصفحة ال ٧٦) .

٢- فى الاستيعاب (ذيل ترجمة طلحة بن عبيد الله) « ان علياً رضى الله عنه قال فى

خطبة حين نهوضه الى الجمل ان الله عز و جل فرض الجهاد و جعل نصرته و ناصره ، و ما صلحت

دنيا ولا دين الا به . و انى منيت باربعة : ادهى الناس و اسخاهم : طلحة ، و اشجع الناس

الزبير ، و اطوع الناس فى الناس ، عائشة و اسرع الناس الى فتنة يعلى بن منية .

« والله ما انكروا على شيئا منكرا ، ولا استاثرت بهما ، ولا ملت بهوى ، و انهم ليطلبون حقا

تركوه ، و دماً سفكوه ، و لقد ولوه دونى ، و ان كنت شريكاً لهم فى الانكار لما انكروه ، و ما تبعه

عثمان الا عندهم . . . والله ان طلحة و الزبير و عائشة ليعلمون انى على الحق و انهم

سيطلبون »

عند طلحة ، وكان ممن له فيه اثر ، فلما قدم عليّ اناه عثمان وقال له :
 «اما بعد فانّ لى حقّ الاسلام ، وحقّ الأخاء و القرابة والصّهر ، ولو لم يكن
 من ذلك وكنا فى الجاهليّة لكان عاراً على بنى عبد مناف ان يتنزح اخو بنى تيمم يعنى
 طلحة ، امرهم .

«فقال له عليّ : سيأتىك الخبر .

«ثمّ خرج الى المسجد فرأى اسامة فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة و هو
 فى خلوةٍ من النّاس .

«فقال له : يا طلحة ما هذا الامر الذى وقعت فيه ؟

«فقال : يا اباالحسن بعد ما مسّ الحيزام ، - الطيبين !

«فانصرف عليّ حتّى اتى بيت المال . فقال : افتحوه . فلم يجدوا المفاتيح .
 فكسر الباب و اعطى النّاس فانصرفوا من عند طلحة حتّى بقى وحده ، وسرّ بذلك
 عثمان .

«وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له :

«يا امير المؤمنين اردتُ امرأ فحال الله بينى وبينه !

«فقال عثمان :

«والله ماجئت تائبا ولكن جئت مغلوبا . الله حسيبك يا طلحة .»

قال الطّبري (الجزء الثالث - الصّفحة ال ٤١١-) مسنداً عن عبد الله بن عباس

ابن ابي ربيعة قال :

«دخلتُ على عثمان ، رضى الله عنه ، فتحدّثتُ عنده ساعة .

«فقال : يا ابن عباس تعال . فأخذ بيدي فأسمعتنى كلامَ مَنْ على باب

عثمان فسمعنا كلاماً : منهم من يقول : ما تنتظرون به ؟ ومنهم من يقول : انظروا عسى

ان يراجع .

« فبينما انا وهو واقفان اذ مرّ طلحة بن عبيدالله فوقف . فقال : اين ابن عديس ؟

فقيل : ها هو ذا . قال : فجاءه ابن عديس فناجاه بشيىء . ثمّ رجع ابن عديس فقال

لاصحابه: لا تتركوا احداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده .

قال : فقال لى عثمان : هذا ما امر به طلحة بن عبيدالله ا ثم قال عثمان :

«اللهم اكفنى طلحة بن عبيدالله ، فانه حمل على هولاء ، و اليبهم^١ .
والله اننى لأرجوان يكون منه صفراً ، وان يسفكك دمه ، لانه انتهك منى
مالا يحل له ...»

وقال الطبرى ايضا (الجزء الثالث - الصفحة ال٤٣٣) مسنداً عن حكيم بن جابر

قال : قال على لطلحة :

«آنشُدك الله الا رددت الناس عن عثمان .

قال : لا والله ، حتى تعطى بنوامية ، الحق من انفسها»

وقال عبيدالله بن عمر بن الخطاب فى خطبتها التى القياها بالشام ، حين امره

معاوية ، كما سياتى نقلها فى محلها ، فى مقال من الأبيات :

وقد كان فيها للزبير عجاجة

و طلحة فيها جاهد غير لاعب

وقد اظهرا من بعد ذلك توبة

فيا ليت شعرى ما هما فى العواقب

وقال على فى كتابه الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة :

«... اما بعد فانى اُخبركم عن امر عثمان حتى يكون سمعه كعيلانه : ان

الناس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين ، اُكثِرُ استعبابه و اُقيل عتابه .

وكان طلحة و الزبير اهُونُ سيرهما فيه ، الوجيف و ارفقُ حدائهما ، العنيف . و كان

من عائشة فيه فلنته غضب ...»

١- قال ابن ابي الحديد فى شرحه (المجلد الاول - الصفحة ال ٢٢٥ -) نقلاً عن

«الشافى» :

«والظاهر المعروف انه لم يكن على عثمان اشد من طلحة ولا اهلظ منه . . . و قد

روى ان عثمان كان يقول يوم الدار : اللهم اكفنى طلحة . و يكرر ذلك علماً بانه اشد

القوم عليه .

وفى تاريخ الطبري (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٧١) مسنداً عن علقمة بن

وقاص :

« لمّا خرج طلحة والزبير وعائشة ، رضى الله عنهم ، عرضوا للنّاس بذي عرق ... »

ثمّ حدّث مسنداً ، عن عُقْبَةَ بن المصْفُورِ بن الأَخْنَسِ أنّه قال :

« لقي سعيد بن العاص ، مروان بن الحكم واصحابه بذات عرق ، فقال : اين

تذهبون و ناركم على اعجاز الأبل ؟ اقتلوهم ثمّ ارجعوا الى منازلكم ، لا تقتلوا انفسكم .

« قالوا : بل نسير ، فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً »^٢

ونقل ابن ابي الحديد (المجلّد الاوّل - الصفحة ال ٢٥٩ -) فى قضية ذهاب

خفاف بن عبدالله الى الشام لزيارة ابن عمّه ، حابس بن سعيد الطائى :

« فغدا حابس بخفاف الى معاوية فقال : انّ هذا ابن عمّ لى قدم الكوفة مع علىّ

وشهد عثمان وهو ثقة .

« فقال له معاوية : هات حديثاً عن عثمان .

١- وفى «الكامل» (الجزء الثالث - الصفحة ال ١٠٧-) وردت بمدكلمة «اعجاز الابل»

هذه الجملة «... ورائكم ؟ . يعنى عائشة و طلحة و الزبير ، اقتلوهم ...»

٢- قد قتل مروان (على الاشهر الاصح) طلحة فى «واقعة الجمل» ، كما فى «الاستيعاب»

و «الاصابة» ، وغيرهما ، عن طرق متعددة .

قال ابن حجر العسقلانى الشافعى فى «الاصابة» : « و روى ابن عسّاكر من طرق

متعددة : ان مروان بن الحكم هو الذى رماه فقتله . واخرجه ابو القاسم البغوى بسند

صحيح عن الجارود بن ابي سيرة قال : لما كان يوم الجمل نظر مروان الى طلحة فقال :

لا اطلب نارى بعد اليوم ، فنزع له بسهم فقتله . واخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح

عن قيس بن ابي حازم : « ان مروان بن الحكم راي طلحة فى النخيل فقال : هذا اعان

على عثمان ، فرماه بسهم فى ركبته ، فما زال الدم يسيح حتى مات . . . » و اورد ابن

عبد البر المالكى فى «الاستيعاب» عدة روايات مسندة فى ذلك . منها «عن يحيى بن سعيد

عن عمه قال : «رى مروان ، طلحة بسهم ، ثم التفت الى ابان بن عثمان فقال : قد كفييناك

بعض قتلة ابيك ...»

«فقال : نعم ، حصره المكشوح^١ ... وجدّ في امره طلحة والزبير ، وابرءُ الناس منه على^٢ .

وقال : ثمّ مه^٣ ؟ .

«قال : ثمّ تهافت الناس على عليّ بالبيعة ، تهافت الفراش حتى ضاعت النعل وسقط الرداء ، ووطىء الشيخ ا (يعنى عليّاً) ...»

وقال عليّ في خطبته التي القىها بندى قار ، وسيجيء نقلها في محلّها في ماقال :
«آدمَ عثمانَ زَعَمًا ؟ والله ماالتبعةُ الا عندهم ، وان اعظمَ حُجَّتهم لعلّ انفسهم ..»

وفي شرح ابن ابي الحديد على النهج (المجلد الاول - الصفحة ال ١٠١ -)

عن ابي مخنف قال : حدثنا مسافر بن عفيف بن الأخنس قال :

«لما رجعت رسل عليّ ، عليه السلام ، من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذونه

بالحرب ، قام فحمدالله واثى عليه و صلى على رسوله ثم قال :

«ايّها الناس انى قدراقت هؤلاء القوم ، كى يرعوا ، او يرجعوا ، ووبختهم

بنكثهم ، وعرفتهم بغيثهم ، فلم يستجيبوا ، وقد بعثوا الى ان ابرز للطحان ، و اصبر

للجلاد ، وانما تمنيك نفسك امانى الباطل وتعدك الغرور .

«الا هبكتهم الهبول لقد كنت و ما اهدد بالحرب ، ولا

ارهب بالضررب ، ولقد انصف القارة من راماها فليبرعدوا ، وليبرقوا

فقد راونى قديماً ، و عرفوا نكايتى فكيف راونى ؟

«انا ابوالحسن الذى فلكت حدّ المشركين و فرقت جماعتهم . وبذا ككـ

القلب النقى عدوى اليوم ، وانى على ما وعدتسى ربى من النصر والتأييد ،

وعلى يقين من امرى ، وفى غير شبهة عن دينسى .

«ايّها الناس ان الموت لا يفوته المقيم ، ولا يعجزه الهارب ، ليس عن الموت

محيّد ولا مَحِيصّ . من لم يقتل مات . ان افضل الموت ، القتل . والذى

٤- لعل المراد منه الاشتهر كما قيل :

« حكيم و عمار الشجار ، محمد كذا الاشتهر المكشوح جرّوا الدواهي»

نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ لَا لَنْفٍ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ .
 اللَّهُمَّ إِنَّا طَلَحَةُ نَكَتَ بَيْنَعَتِي ، وَآلَبَ عَلِيٌّ عُثْمَانَ حَتَّى قَتَلَهُ . . . »
 و حكى ابن ابى الحديد ايضا (المجلد الثاني - الصفحة ال ٥٠١) مذاكرة بين
 قاسم بن محمد بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله الملقب بـ «ابى بكرة» ، حين كان والى
 شرطة الكوفة من قبيل عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وبين
 اسمعيل بن جعفر بن محمد الصادق ، عليه السلام ، انجرت الى المنافرة بهذه العبارة :
 « فقال القاسم : لم يزل فضلنا و احساننا سابقاً عليكم يا بنى هاشم ، و على بنى
 عبد مناف كافة . »

« فقال اسمعيل : اى فضل و احسان اسديتموه الى بنى عبد مناف ؟
 « اغضب ابوك جدى بقوله : لَيْمُوتَنَّ مُحَمَّدٌ وَلِنَجُولَنَّ بَيْنَ خِلَاحِيلِ نِسَائِهِ
 كَمَا جَالِ بَيْنَ خِلَاحِيلِ نِسَائِنَا فَانزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ' مَرَاغِمَةً لِأَبِيكَ : ' « وَ مَا كَانَ لَكُمْ
 أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ، وَ لَا أَنْ تُنْكَحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ؟ »
 « او منع ابن عمك امى حقها من فلك ، و غيرها من ميراث ابائها ؟ و اجلب
 ابوك على عثمان و حصره حتى قُتِلَ ، و نكت بيعة على و شام السيف فى وجهه ،
 و افسد قلوب المسلمين عليه . فان كان لبنى عبد مناف قوم غير هؤلاء اسديتم اليهم
 احساناً فعرّفنى من هم ؟ »

٣١٣- موقف عمرو بن العاص من عثمان

اما عمرو بن العاص ، الصحابى الداهى ، فانظر بعض ما فعل ، و اسمع بعض
 ما قال و اعتبر :
 امّر عثمان يوماً من الايام التى اجتمع عليه الناس ، عمرو بن العاص ، ان يخرج
 اليهم و يعذره عندهم .
 قال الطبرى (الجزء الثالث - الصفحة ال -) :

« فخرج عمرو وصعد المنبر ونادى: الصلوة جامعة . فلما اجتمع الناس ، حمد الله واثني عليه . . . (وذكر محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، بما هواهله و ذكر الخليفتين) ثم قال :

« ثم ولّى عثمان ، فقلتم وقال ، تلومونه و يعذر نفسك . اقليس ذلك ؟
« قالوا : بلى ! .

« قال : فاصبروا له ، فان الصغير يكبر ، والهزيل يسمن و لعل تأخير امر خير من تقديمه !
« ثم نزل .

« فدخل اهل عثمان عليه ، فقالوا: هل عابك احدٌ بمثل ما عابكك به عمرو؟
« فلما دخل عليه عمرو ، قال :

« يا ابن النابغة ! والله ما زدت ان حرّضت الناس علىّ ! .

« قال : والله لقد قلتُ فيك احسن ما علمتُ . ولقد ركبت من الناس وركبها منك . فاعتزل ان لم تعتدل !

« فقال : يا ابن النابغة قميلٍ درعك مد عزلتك عن مصر » انتهى .

وقال عمرو بن العاص ، حين اجتمع امراء البلاد والاجناد ، كما عاوية بن ابي سفيان واضرابه ، بأمر عثمان في داره للمشاورة (بعد قول عثمان لهم : « اشيروا علىّ فانّ الناس قد تسمروا الىّ » و بعد ما اشار اليه معاوية و عبد الله بن عامر بما اشارا اليه) على ما في الطبري (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٧٣-) :

« يا عثمان انتك قد ركبت الناس بمثل بنى امية فقلت وقالوا ، وزغت و زاغوا . فاعتدل ، او اعتزل و ان ابيت فاعتزم عزماً و امض قدماً »

« فقال عثمان : مالك ؟ قد قميل فروك ! اهل هذا الجدة منك ؟! »

وهو الذي كما قال الطبري ايضاً (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٩٢-) :

« لما كان حصر عثمان الأول ، خرج من المدينة حتى انتهى الى ارض له بفلسطين

كلمات
ابن العاص
عثمان للناس

يقال لها : « السبع » فنزل في قصر له يقال له : « العجلان » وهو يقول : « العجب ما ياتينا عن ابن عفان »

« فبينما هو جالس في قصره ذلك ، و معه ابناه محمد و عبد الله و سلامة بن

روح الجذامي ، اذ مر بهم راكب فناداه عمرو :

« من اين قديم الرجل ؟ »

« فقال : من المدينة .

« قال : ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان .

« قال : تركته محصوراً شديداً الحصار .

« قال عمرو : « انا ابو عبدالله ! قد يضربُ العيرُ والمِكْوَاةُ في النار ! .

« فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مر به راكب آخر فناداه عمرو :

« ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان .

« قال : قُتِل .

« قال : انا ابو عبدالله ! اذا حَكَكَتْ قُرْحَةٌ نَكَاتُهَا ، ان كنت لأحرض

عليه حتى لأحرض عليه الراعى في غنمه في راس الجبل . . . »

وقال الطبري ايضا في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٩٢-) مسنداً (بعد

ان ذكر قدوم عمرو بن العاص من مصر الى المدينة و طعنه على عثمان ، لعزله اياه

عن مصر ، و مكالته مع عثمان ، و تشدده عليه في بيته ، خالياً به) :

« فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي علباً مرةً فيؤلِّبه على عثمان

و يأتي التزبير مرةً فيؤلِّبه على عثمان و يأتي طلحة مرةً فيؤلِّبه على عثمان . و يعترض

الحاج فيخبرهم بما احدث عثمان . »

قال الابن الير في الكامل (الجزء الثالث - الصفحة ال ١٤١ :

« وقيل : ان عمرو لما بلغه قتل عثمان قال : اَنَا قَتَلْتُهُ وَاَنَا بَوَادِي السَّبَاعِ

(يعنى بثر السبع الذي كان قصره و ضيَعته به). ان يَلِ هذا الامر طلحة فهو فتى العرب

سبياً و ان يَله ابن ابي طالب فهو اكره من يليه الى . فبلغه بيعة علي فاشتد عليه . . . »

وفي الاستيعاب مُسنداً (ذيل ترجمة عثمان) «ان عمرو بن العاص قام الى عثمان وهو يخطب الناس فقال: يا عثمان، انتك قد ركبت المَهَامِيه وركبوا فتُب الى الله وليتوبوا قال فالتفت اليه عثمان فقال: فاتكك لهُنْكَك يا ابن النابغة؟ ...»

٣١٤- موقف معاوية من ابن عمه ، عثمان

وامّا خال المؤمنين ، الطليق ، معاوية بن هند ، فما حرّض صريحاً عليه ولكنه كان يتسامح في مدده ونصره في طول مدّة حصره ، ومع ما يستمدّه عثمان ويستعينه كان يماطل ويسوّف حتّى او شكك التّقاء حلّقَتِي البيّطان « ارسل جنداً نحو المدينة ولكنه اوصى اميرهم (حبيب بن مسلم الفهري) بالبطؤ في الحركة ، ومراقبة الامر ، وعدم دُخول المدينة »

معاوية
في نصر عثمان

بل كما يظهر عن الطّبري ، وغيره ، لم يبعث معاوية بعثاً لأمداد عثمان وقد عيّره بذلك شبث بن ربعي التّميمي مخاطباً لمعاوية نفسه ، في الصّفّين .
ارسل عليّ (ع) بعد وروده بصفّين بشير بن عمرو الأنصاري و سعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التّميمي الى معاوية وقال لهم :
« اثنوا هذا الرجل فادعوه الى الله ، عزّ وجلّ ، و الي الطّاعة والجماعة والى اتّباع امر الله تعالى »

فذهبوا اليه وتكلّموا عنده فقال شبث في مقال له .
« انّه لا يخفى علينا ما تقرب و ما تطلب . انتك لاتجد شيئاً تستغوى به الناس ، و تستميل به اهوائهم ، و تستخلص به طاعتهم ، الا ان قلت لهم : « قتل امامكم مظلوماً فهلّموا نطلب بدمه . فاستجاب لك سفهاء ، طغام ، رُدال .
« وقد علمنا انتك قد ابطأت عنه بالنّصر ، و احببت له القتل بهذه المنزلة التي تطلب ... »

قال محمد بن جرير الطبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة الـ ٤٠٢) :
 « فلما رأى عثمان ما قد نزل ، كتب الى معاوية بن ابي سفيان وهو بالشام :
 « بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فان اهل المدينة قد كفروا^١ .
 واخلفوا الطاعة و نكثوا البيعة .

« فابعثت اليّ من قبلك من مقاتلة اهل الشام على كل صعب وذلول... »
 « فلما جاء معاوية الكتاب تريتص وكره اظهار مخالفة اصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقد علم اجتماعهم .

« فلما امره عثمان ، كتب الى يزيد بن اسد بن كرز ، والى اهل الشام يستفزهم ..
 « فلما قرأ كتابه عليهم قام يزيد بن اسد بن كرز البجلي ثم القسري فحمد الله
 و اثني عليه ثم ذكر عثمان فعظم حقّه . فتابعه ناس كثير و ساروا معه حتى اذا كانوا
 بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا . »

وقال الطبري ايضا (بعد ما قال : وكان - يعني معاوية - اكثر من يؤتب عليه
 والزبير و عائشة) :

« فكتب الى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه ، فتوجه في اثني عشر الف . ثم
 قال : كونوا بمكانكم في اوائل الشام حتى آتى امير المؤمنين لأعرف صحة امره !
 « فاتي عثمان ، فسأله عن العدة .

١- وليتأمل في هذا الحكم من جهتين : الاول في موضوعه وهو «اهل المدينة» فلو قيل و اعترف بأن الخلافة امر انتخابي زمامه بيد الامة ، او اهل العهل والعقد ، كما يقولون بعد وفاة الرسول، فلماحالة كان الزمام ذلك الحين بيد اهل المدينة، وفي المدينة، فكيف لا يكون الرفق بيد من كان الوضع بيده . ؟ ثم كيف وقع الاعتراف بمخالفة « اهل المدينة » لا الحصر بمن كان من الخارج .

الثاني في الحكم نفسه ، و هو الكفر، مع ما كانت الخلافة عنده ، و عندهم ، ليست من اصول الدين و لم يكن نص عليها ، ومع غمص العين عن ذلك فاهل المدينة لم ينكروا «الخلافة» كي يحكم بكفرهم بل انكر والخليفة فلم يخالفوا حكما من احكام الدين بل تكلموا في موضوعه .

« فقال : قد قدِمْتُ اليك لأعرف رأيك و اعود اليهم فأجيبك بهم !
 « فقال : لا والله ! ولكنك اردت انْ أُقتل فتقول : انا وليُّ النار ا
 « ارجع ، فجنني بالناس .
 « فرجع فلم يَعد اليه حتى قُتل » .

قال عليّ عليه السلام في كتاب له الى معاوية ، و هو كما قال السيد الرضوي
 « من محاسن الكتب » ، ولعل التوفيق يساعد ان نلتقط نبذة اخرى منها في ماسيجي ء :
 « ثم ذكرت ما كان من امرى و امر عثمان ، فلَكَك انْ تُجَابَ عَنْ
 هذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ .

« فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ ، وَ أَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ ؟

« أَمَنْ بَدَلْ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكْفَهُ ؟ أَمْ مَنْ اسْتَنْصَرَهُ
 فَتَرَخَى عَنْهُ ، وَ بَثَّ الْمَنُونِ إِلَيْهِ حَتَّى اتَى قَدْرَهُ عَلَيْهِ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ لَوْ قَد
 يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَاتِلِينَ لِأَخْوَانِهِمْ هَلَمْ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ
 الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ١ .

« وَ مَا كُنْتُ لِأَعْتَدِرَ مِنْ اتَى كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَانًا . فَانْ كَانَ
 الذَّنْبُ إِلَيْهِ ارشادى و هدايتى له ، فَرُبَّ مَلُومٍ لِذَنْبٍ لَهُ . « وَقَدْ يَسْتَفِيدُ
 الظَّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ »

« وَ مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْأَصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ
 تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ ٢ »

٣١٥- ندامة معاوية على خذلانه عثمان

لما قُتل عثمان و بايع المسلمون عليًا ، ندم معاوية على خذلانه عثمان و صرح
 بذلك فى ابيات .

١- الاية ال ١٨ من السورة ال ٣٣ (الاحزاب) .

٢- الاية ال ٨٨ من السورة ال ١١ (هود) .

نقل ابن ابي الحديد (المجلد الأول من الشرح - الصفحة الـ ٢٥٣) عن نصر بن مزاحم (في قضية ضرب الركب ان بقتل عثمان الى الشام بعد قتله ، ومنهم حجاج بن خزيمه ، وخطابه معاوية بعنوان «امير المؤمنين» و لم يُخاطب معاوية بهذا العنوان قبله ، وانشاده ابياتاً لتحريض معاوية وقوله له : واتى اخبرك يا امير المؤمنين ! انتك لتقوى على على ، بدون ما يقوى به عليك ، لأن معك قوماً لا يقولون ، اذا قلت ولا يسألون اذا امرت وان مع على قوماً يقولون اذا قال ، ويسألون اذا امر ، فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه . . .) .

«فضاق معاوية صدرأ بما اتاه وندم على خذلان عثمان وقال :

«آتاني أمرٌ فيه للنفس غمةٌ

وفيه بكاءٌ للعيون طويلٌ

«وفيه فناءٌ شاملٌ و خزايةٌ

وفيه اجتداعٌ للأنوف اصيلٌ

«مُصابٌ امير المؤمنين و هدةٌ

يكادُ لها صمُّ الجبال تزولُ

«تداعتُ عليه بالمدينة عُصبةٌ

فريقانٍ منهم قاتلٌ و خذولٌ

«ندمتُ على ما كان من تبعي الهوى

وقصرى فيه حسرةٌ و عويلٌ

«تركتك للقوم الذين همُّهم

شجارك فما ذا بعد ذلك اقول»

الى آخر ما قال .

و في تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي عن الصحابي، ابو الطفيل، عامر بن

واثلة ، قال :

«انه دخل على معاوية فقال له معاوية :

«أَلَسْتَ مِنْ قَتْلِهِ عَثْمَانَ؟»
 «قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي مِمَّنْ حَضَرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ.»
 «قَالَ: وَمَا مَنَعَكَ مِنْ نَصْرِهِ؟»
 «قَالَ: لَمْ تَنْصُرْهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ!»
 «فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: أَمَا لَقَدْ كَانَ حَقُّهُ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْصُرُوهُ.»
 «قَالَ: فَمَا مَنَعَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصْرِهِ، وَمَعَكَ أَهْلُ الشَّامِ؟»
 «فَقَالَ: أَمَا طَلَبِي بِدَمِهِ لَهُ نَصْرَةٌ لَهُ؟»
 «فَضَحِكَ أَبُو الطَّفَيْلِ. ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ وَعَثْمَانُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:
 لَا الْفَيْئَتَكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِي
 وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادًا»

٣١٦- استغواء معاوية ، عبید الله بن عمر

هكذا كان شأن معاوية ، خال المؤمنين^١ وهؤلاء الأکابر من الصحابة ، مع الخليفة عثمان (رض) ! واما علي^٢ فكان ، على مادريت وكما قال نفسه (ع) بمكان

١- قال ابن الاثير في «الکامل» (الجزء الثالث - الصفحة ال ٥٨٨ -) : «واسر معاوية جماعة من اصحاب علي (بصفين) فقال له عمرو بن العاص : اقتلهم . فقال عمرو بن اوس الاودي : «لانتقلني فانك خالي!»

«قال : من اين انا خالك ولم يكن بيننا وبين اود مصاهرة .

«قال : ان اخبرتک فهو امانی عندک ؟

«قال : نعم .

«قال : اليست اختک ام هيبية ، زوج النبي ؟

قال : بلى .

«قال : فاني ابنها وانت اخوها . فالت خالي .» فقال معاوية : اما كان في هولاء من

يفطن لها غيره ! ؟ و خلى سبيله !

هكذا اصبح معاوية ، خال المؤمنين !

من البرائة من قتله ، او التّأليب عليه ، ولكنّ الدهرَ ذو عيبرٍ ، وصاحب غيرٍ ، فلاتعجبنّ من ابن آكلة الأكباد ، الطّليق ، ان يحتال على امير المؤمنين ، واخي رسول رب العالمين بما احتال ، و ان يقول في حقّه ما قال ، كي ينال من مكيدته بما نال .

ولنختم هذا المقال بما في حديث محمد بن عبيد الله عن الجرجاني ، على مارواه نصر بن مزاحم ، في كتاب «صفتين» فانّ فيه من كلام عبيد الله بن عمر بن الخطّاب (رض) وشعره ما يكفي المنصف لبرائة عليّ وتاليب غيره ، من كبار الصحابة ، في واقعة عثمان . قال :

« لما قدّم عبيد الله بن عمر بن الخطّاب على معاوية بالشّام ارسل معاوية الى عمرو بن العاص فقال :

« يا عمرو انّ الله قد احيى لك عمر بن الخطّاب بالشّام بقدم عبيد الله بن عمر وقد رايتُ ان اقيمه خطيبا فيشهد عليّ عليّ بقتل عثمان ، و ينال منه .
« فقال : الراى مارايت : فبعث اليه . فاتى .

« فقال له معاوية : يا ابن اخ ! انّ لك اسم ابيك فانظر بمأ عينيك ، وتكلّم بكلّ فيك ، فانت المأمون الصدق ، [فاصعد المنبّر و] فاشتم عليّاً ، و اشهد عليه انه قتل عثمان !! .

« فقال : يا امير المؤمنين ! اما شتميه (يعنى شتمى اياه) فأنّه عليّ بن ابي طالب و امّه فاطمة بنت اسد بن هاشم فما عسى ان اقول في حبه ؟ و امّا بأسه ، فهو الشّجاع المطرّق ، و امّا ايامه فما قد عرفت ، ولكنّي ملّزمه دم عثمان ! فقال عمرو بن العاص قد ، و ابيك اذن ، نكات القرحة ! .

« فلما خرج عبيد الله قال معاوية :

« و امّا والله لولا قتله الهرمزان ، و مخافة عليّ عليّ نفسه ، ما اتانا ابدا . الم تر

الى تقرّظه عليّاً ؟

فقال عمرو : يا معاوية ، ان لم تغلب فاخلب . فخرج حديثه الى عبيد الله .

« فلما قام خطيبا تكلم بحاجته حتّى اذا اتى الى امر عليّ أمسك .

«فقال معاوية : اِنَكَتَ بَيْنَ عَيِّ وَخِيَانَةٍ .

«فبعث اليه : كرهت ان اقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان و عرفت ان الناس محتملوا عني . . .

« . . . فقال عبيدالله في ما قال :

معاوى لم احرض بخطبة خاطب

و لم اك عيباً في لئوى بن غالب

و لكننى زاولتُ نفساً ابيّةً

على قذف شيخ بالعراقيين غائب

وقد ذُفِىَ عليّاً بابنِ عفانِ جَهْرَةً

كذابٌ وما طيبتى سجايا المكاذب

فأما انتما فى اشهد اليوم و ثبة

فلست لكم فيها ابنِ حربِ بصاحب

فما قال : احسبتم و لا قد اسأتم

و اطرقَ اطراقَ الشُّجاعِ الموثبِ

و قد كان فيها للزبيرِ عَجَاجَةٌ

و طلحةٌ فيها جاهدٌ غير لاعب

و قد اظهرا من بعد ذلك توبة

فياليت شعرى ما هما فى العواقب ٢٢

١- وائيه، اى بادره و انقض عليه .

٢- نقل ابن ابى الحديد هذه القضية فى المجلد الاول - الصفحة ال ٢٥٦ - ايضا .

٣١٧- علل قتل الخليفة و اسبابها بالتلخيص

و لنلخص اسباب وقوع قتل الخليفة ، عثمان ، و عللها القريبة فى امرين :
الأول - و لعلّه الأصل و الأساس ، فى العلل القريبة ، ضعف ارادة عثمان ،
و فتور عزيمته ، و صبرورته فى هذا المأزق الحرج طوعاً لرغبة الاحداث الأجلاف
من بنى امية و بنى ابى مُعَيْط ، و خاضعاً لأهوية الكهول الأغرار منهم ، امثال مروان
و وليد بن عُقبّة و عبدالله بن سعد بن ابى سرح . و لعلّه كان السبب فى ذلك فطرته
اللينة ، التى الجياء المفرط من آثارها و شئونها ، و عاطفته القوية بالنسبة الى اقربائه
التى بها سَلَطَ بنى قومه و ذوى قرابته على رقاب الناس ، كما تفرّسها عمر ، او كان السبب
شيوخوته و كبر سنّه ، و ضعفه فى جسمه ، و كيف كان فقد كان (رض) ضعيفاً فى الراى
حين يجب عليه الصرامة و الصلابة و الشدّة و الفظاظة . و آلا فان كان ذاعزم و صرامة
و اعتزم على العدالة ، و احقاق الحق ، و اجراء الحدّ ، و عزل من كان الحقُّ عزله ،
و قام بالاستقامة و الوفاء بما كان يعد الناس من العمل بما يقتضيه الدين و العقل ، و يستدعيه

١- قال الطبرى مسنداً (بعد ما ذكر توبة عثمان على المنبر، و بكأوه و اعطاء الناس
الرضا و رجوعه الى منزله ، و دخوله بيته ، و دخول مروان عليه « فلم يزل يفتله فى الذروة
و الغارب حتى قتله عن رايه ... » و خروج مروان الى الناس و قوله لهم : شأهت الوجوه ..
و عدم خروج عثمان استعياء من الناس) (الجزء الثالث - الصفحة ال٣٩٨-):

« قال عبد الرحمن بن الأسود : فجنّت الى على فاجده بين القبر و المنبر، و اجد عنده
عمار بن ياسر و محمد بن ابى بكر ، و هما يقولان : صنع مروان بالناس و صنع . قال فاقبل
على على فقال : احضرت خطبة عثمان ؟ قلت : نعم . قال : انحضرت مقابلة مروان للناس ؟
قلت : نعم . قال على : عياذ الله يا للمسلمين انى ان تعدت فى بيتى قال لى : تركتني
و قرابتى، و حقى، و انى ان تكلمت فجاه ما يريد ، يلعب به مروان فصار سيقه له يسوقه حيث
شاء، بعد كبير السن و صحبة رسول الله ... »

منه اكابر الصحابة و عامّة المسلمين ، لَمّا اثار فساد عمرو بن العاص و لا تأليب امّ المؤمنين عائشة و الزبير و طلحة ، النَّاسَ عليه ، و لَمّا احتاج الى الأستنصار من معاوية و لَمّا انجرّ الامر الى ما انجرّ . و في قول عليّ ما يكفيك للاشارة بذلك « النَّاسُ الى اعدائك اَحْوَجُ مِنْهُمْ الى اقتلاكك » .

و ما اجلّى التقسيم في كلام عمرو بن العاص ، العاصي له : « فاعتدل ، او اعتزل ، فان ابيت فاعتزم عزماً و امض قُدُماً » و ان كان الأرجح ، و الاعوده و للمسلمين ، هو القسم الأول (العدل) كما في نصيحة عليّ عليه السلام له .

الثاني - اجتماع اهل المدينة و اتحاد الكلمة على العدل او العزل . و لا تُصغِر الى ما قد يقال ، حميّة و عصبية او عادة و ألفة ، او تجاهلاً و غفلة ، انّ اهل المدينة و المهاجر و الانصار ، لم يشتركو مع اهل الأمصار فانّ الامر اوضح من ذلك كما قد عرفت ممّا مرّ .

او يمكن حصر الخليفة اربعين يوماً ، او اكثر ، بمرأى من اهل المدينة و فيهم امثال سعد بن وقاص امير الجنود الفاتحة و غيره من كبار الصحابة و العشرة المبشرة و هم غير راضين بذلك و مع ذلك لا يدافعون و لا يدفعون عنه .

اجل ممّا لا ينبغي الارتباب فيه انّ اكثرهم لا يرضون للخليفة بالقتل ، و لكنّهم لم يكونوا مخالفين للتضييق عليه كى يقبل العدل او العزل ، و ان كان ذلك بالتشديد في الحصر ، فكان منهم و في منظرهم و مسمعهم و بين ايديهم .

قال ابو حيان التوحيدى في «الامتع و المؤانسة» (المجلد الثالث - الصفحة ال

. (١٦٤ -) .

« و قال المدائنى : نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير الى اهل الشام فستهم . فقال

١- قال الطبرى سناً عن ابى هيبه (الجزء الثالث - الصفحة ال ١٠٤) :

« قال : نظرت الى سعد بن ابى وقاص يوم قتل عثمان دخل عليه ثم خرج من عنده

و هو يسترجع مما يرى على الباب .

« قال له مروان : الان تندم و انت اشعرته ! فاسمع ، و سعداً يقول : استغفر الله . . . »

له سعيد بن عثمان بن عفان : اتشتمهم لأنهم قتلوا اباك ؟ . فقال : صدقت ، ولكن - المهاجرين و الأنصار قتلوا اباك . «
قال العلامة المفضل ، جلال الدين السيوطى فى «تاريخ الخلفاء و الأمراء» -
(الصفحة ال ٢١١) :

«واخرج العسكري فى «كتاب الأوائل» عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال :
«قدم معاوية مكة ، و المدينة ، فأتى المسجد فقعده فى حلقة فيها ابن عمر ،
و ابن عباس و عبد الرحمن بن ابي بكر فاقبلوا عليه و اعرض عنه ابن عباس .
و فقال : انا احقّ بهذا الامر من هذا المعرض و ابن عمه ! فقال ابن عباس :
و ليم ؟ : اَلتقدم فى الاسلام ام سابقةٍ مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم
او قرابةٍ منه ؟ .

«قال : لا ، ولكنى ابن عمّ المقتول !

«قال : فهذا احقّ به ، يريد ابن ابي بكر .

«قال : انّ اباه مات موتاً .

«قال : فهذا احقّ به ، يريد ابن عمر .

«قال : انّ اباه قتله كافر .

«قال : فذلك ادحض لحجتك ان كان المسلمون ، عتبوا على ابن عمك
فقتلوه . «

٣١٨ - تأكيد لما سلف

حكى ابن ابي الحديد (ذيل الطعن الاول من المطاعن التى طعن بها عثمان)
عن السيد المرتضى فى ما اعترض به قاضى القضاة يعجبني ان انقله هنا بالفاظه (المجلد -
الاول - الصفحة ال ٣٣١) قال :

«وما ريت اعجب من ادعاء مخالفتنا ان اصحاب الرسول ، صلى الله عليه و آله ،
كانوا كارهين لما جرى على عثمان و انهم كانوا يعتقدونه مُسكراً و ظلماً .

« وهذا يجرى ، عند من تأمله مجرى دفع الضرورات قبل النظر في الاخبار وسماع ماورد من شرح هذه القصة ، لأنه معلوم ان ماكرهه جميع الصحابة ، واكثرهم ، في دار عزهم و بحيث ينفذ امرهم ، و نهيم لايجوز ان يتم .

« ومعلوم ان نفراً من اهل مصر لايجوز ان يقدموا المدينة ، فيغلبوا جميع المسلمين على آرائهم ، و يفعلوا بأمامهم ماكرهونه بمراى و مسمع . وهذا معلوم بطلانه بالبداهه والضرورات ، قبل تصفح الاخبار و تأملها .

« وقد روى الواقدي عن ابن ابي الزناد عن ابي جعفر القارى ، مولى بنى مخزوم ،

قال :

« كان المصريون ، الذين حصروا عثمان ستمائة ، عليهم عبدالرحمن بن عديس -

البلوى وكنانة بن بشر الكندى و عمرو بن الحمق الخزاعى .

« والذين قدّموا المدينة من الكوفة مأتين ، عليهم مالك الأشر للنجمى .

« والذين قدّموا من البصرة مائة رجل ، رئيسهم حكيم بن جبلة العبدى .

« وكان اصحاب النبى صلى الله عليه و آله ، الذين خذلوه لا يرون ان الأمر

يبلغ به القتل .

« و لعمري لو قام بعضهم فحنا التراب فى وجوه اولئك لانصرفوا .

« وهذه الرواية تضمنت من عدد القوم الوافدين فى هذا الباب اكثر مما تضمنته

غيرها .

« وروى شعبة بن الحجّاج عن سعد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف قال :

« قلت : كيف لم يمنع اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، عن عثمان ؟

فقال :

انما قتله اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله .

« وروى عن ابي سعيد الخدري انه سئل عن مقتل عثمان : هل شهدته احد

من اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وآله ؟ فقال : نعم شهدته ثمانمأة ... »

٣١٩ - كلام لعمر بن عبدالعزيز في ما احدث عثمان

قال ابو الفرج الاصبهاني الاموي في كتابه «الأغانى» (الجزء الثامن - الصفحة ال-

١٤٦-):

«لما ولى عمر بن عبدالعزيز بدء بلُحمته واهل بيته، فأخذ ما كان فى ايديهم، وسمى اعمالهم المظالم، ففزعَت بنوامية الى فاطمة بنت مروان عمته، فارسلت اليه: انه قد عنانى امرًا لا بد من لقاءك فيه.

«فانتنه ليلًا فنزلها عن دابتها فلما اخذت مجلسها، قال:

«يا عمّة انتِ اولى بالكلام لأنّ الحاجة لكِ فتكلمى. قالت: تكلم

يا امير المؤمنين. فقال:

«انّ الله، تبارك وتعالى، بعث محمدًا (ص)، رحمة لم يبعثه عذابا، الى الناس كافةً ثمّ اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك لهم نهرًا شربهم فيه سواء. ثمّ قام ابو بكر فترك النهر على حاله ثمّ ولى عمر فعمل على عمل صاحبه.

«فلما ولى عثمان اشتقّ من ذلك النهر نهرًا. ثمّ ولى معاوية فشقّ منه الأنهار

ثمّ لم يزل ذلك النهر يشقّ منه يزيد و مروان و عبدالملك و الوليد و سليمان حتّى افضى الامر الىّ وقد يبس النهر الاعظم ولن يروى اصحاب النهر حتّى يعود اليهم النهر- الاعظم الى ما كان عليه.

«فقالت له: قد اردتُ كلامك ومذاكرتك فاما اذا كانت هذه مقاتلتك فلست

بداكرةٍ لكّ شيئاً ابدأ. ورجعت اليهم فابلقتهم كلامه»

٣٢٠- موقف علىّ فى خلافة عثمان

منّ راجع تاريخ الخلفاء الثلاث، و تأمل فى مطاويه، يتوجه الى نكته وهى

انّ فى نوبة خلافة الشيعين كانت معاملتهما مع علىّ ومعاملته معهما على خلاف ما كانت

فى نوبة خلافة عثمان:

وكانت مرآوة عليّ معهما اكثر، و مراجعتهما في الشئون الدينية والحوادث-
الواقعة الاجتماعية النبوية اليه ازيد، وشورهما معه اكثر واظهر، وقبولهما لما
يشير به في الوقائع والحوادث اسهل و ايسر، ولا سيما في نوبة الخليفة عمر (رض)
فانه كان يستشير عنه، ويستفتى ويعترف بما يشير اليه ويفتى به، فيعمل بما اشار
وافتى، ولا يستنكف ان يقول، كراراً وجهاراً: «لولا عليّ لهلك عمر»، ويتعوذ
بالله، «علنا»، من معضلة ليس لها ابوحسن.

في الجزء الرابع من الطبري (الصفحة ال ٥٠ - ٥١): عن شريح بن... ان
عليّاً اوصاه بكلمات الى عمرو بن العاص فقال: قل له، اذا انت لقيته،: انّ عليّاً
يقول لك:

«انّ افضل الناس عندالله، عزّ وجلّ، من كان العمل بالحقّ، احبّ اليه وان
نقصه... من الباطل وانّ حنّ اليه وزاده يا عمرو. والله انك لتعلم اين موضع
الحقّ فلمّ تجاهل؟...»

وقال: فبلغته ذلك فتمعّر وجهه ثمّ قال: متى كنت اقبل مشورة عليّ،
او انتهى الى امره، او اعتدّ برأيه؟ فقلت له:

«... ما يمنعك، يا ابن السابعة، ان تقبل من مولاك و سيد المسلمين، بعد نبينهم،
مشورته. كان من هو خير منك، ابو بكر وعمر، رضي الله عنهما، يستشيرانه،
ويعملان برأيه...»

وقد مرّ سابقاً ما نقله الواقدي في واقعة فتح بيت المقدس من قول عمر، بعد
شورته والمسلمين، واستماعه ارائهم ورأى عثمان وعليّ:

«... ولست آخذُ الاّ بمشورة عليّ، فما رأيناه الاّ محمود المشورة،
ميمون الطلعة» فعمل برأيه، وذهب الى بيت المقدس بنفسه «واستخلف عليّاً على-
المدينة» في غيبته.

وامّا في زمان خلافة عثمان قليلاً ما يرى انّ عليّاً يتردّد الى مجلس الخليفة
ولعله لا يكاد يرى الناس في تلك المدة انّ عثمان شاور عليّاً في امر من الأمور،

مع انّه، بحسب الظاهر، ان كان في زمان الشيخين شاباً، صار في زمانه شيخاً، اللهمّ
 الا امرأ يرجع الى حفظ خلافته و يضطرّ اليه في سبيل صيانة شخصه و حراسة نفسه .
 و ايّاً ما كان لهذا الأمر من العوامل والأسباب الكامنة والمستورة: من قبيل شدة
 البغضاء وكثرة الشّحناء بين بني امية و بين بني هاشم (اكثر ممّا كان بين سائر قريش
 من بني تيم و بني عدى و بين بني هاشم) عموماً، و مقابلة عثمان و عليّ في الشورى
 خصوصاً، و غير ذلك ممّا لانطيل بالأشارة اليها، فقد كان لها عوامل و اسباب ظاهرة
 جلية اظهرها ما اتخذها عثمان سيرةً لنفسه، ومنها جالخلافته، و هو تقديم أحداث بني امية
 و بني أبي معيظ و اجلافهم امثال مروان، ابن عمّه الحكم، طريد رسول الله، صلى الله
 عليه و آله و سلم و وليد بن عقبة ابن ابي معيظ الفاسق المتجاهر، و سعيد بن العاص
 و عبد الله بن سعد بن ابي سرح و من يشابههم، على اكابر الصحابة بل طرد صحابة
 رسول الله (ص)، بل و شتمهم، و ضرب الاعاظم منهم، و تغريبهم، كما وقع منه في حقّ
 ابن مسعود و عمار بن ياسر و ابي ذر الغفاري . و التصرف في بيت مال المسلمين على
 غير حقّه و عليّ خلاف السيرة المعمولة سابقاً، كاعطائه الأموال الكثيرة باقربائه بلا كتاب
 و لاحساب . و غير ذلك ممّا مرّت الأشارة بها .

و كيف كان فكان عليّ لا يالوجهداً في نصح عثمان، و اخماد نار الفتنة، و كان (ع)
 مرجعاً و ملجأً لعثمان، كلّما اشتد الأمر عليه، بسوء فعله، يستدعي منه الوساطة و اصلاح
 ما افسده نفسه و عمّاله، و قد كان (ع) ركناً و ثيقاً، و ملجأً، شفيحاً للامة، فيطلبون
 منه نصح عثمان، و ارشاده و تعديله، و كان لهم كهفاً منيعاً يلجأون اليه، فيعظمونه
 و يبجلونه و يعرفون عظمة مقامه و علو شأنه .

و هي هنا نختم الكلام في المجلد الأول من كتاب «الإسلام و الشيعة الامامية...»
 و نردفه بالمجلد الثاني: «في خلافة عليّ و الأئمة المعصومين المطهرين من ذريته»
 ثمّ نتبعه بالمجلد الثالث في «بيان معتقدات الشيعة الامامية في الاصول و الفروع»

١- و يبحث فيه، كلية، حول مطالب يحتوي كل مطلب علي بيان امور:

حول فضائل علي عليه السلام، وفيه: الكلام في الامامة و الخلافة. ما اختص علي بها

والتكلمان في الكلّ على فيض الله و عونه ، بالهام الحقّ في الاعتقاد ، و ارشاد-
الصواب في القول ، و الاعتصام بحبل كرمه وجوده في حفظه و صونه عن الخطأ و الزلل
في ما نرتكب و نعمل . والحمد لله ، تبارك و تعالي ، اولاً و آخرآ .

محمود - الشهباني - الخراساني .

→

من الفضائل . النظر الى علي ، عبادة . كلام من ام المؤمنين ، عائشة ، في شأن علي .
سولوية علي ، سولوية النبي (ص) . نزلت في علي ثلاثمائة آية . الخصال الثلاثة التي قالها
عمر لعلي . علي راس الفضائل و يتبوعها . علي هو النبا العظيم . كلمات علي في احوال
العارفين . . .

حول نبذة من اوصاف علي عليه السلام و حالاته ، وفيه : عبادة علي . جود علي .
شجاعة علي . حلم علي و صفحه . تواضع علي و سجاحة اخلاقه . رأى علي و تديره .
زهد علي . قوة علي و ايده . انتهاء علوم العلماء الى علي . جهاد علي و انه سيد المجاهدين .
شدة رعاية علي جانب الحق و العدل . تشديده علي اسراء الجند لحفظ سراكزهم . سيرة
علي في التسوية . انموذج من احقائه حق الرعية . علي امام الفصحاء و سيد البلغاء . نهج-
البلاغة و ما قالوا في شأنه . . .

حول خلافة علي عليه السلام وفيه : تراكم الجماعة علي علي في البيعة . كراهية
علي للحكومة ، اشارة الى علل كراهيته . كلام علي في توجيه عذره لقبوله الحكومة مع كونه
كارهاً لها ، في خطبته المعروفة بالشقشقية . كلام ابن الخشاب في شأن الخطبة . تحقيق
وثيق للحكيم المحقق البحراني حول الخطبة . كلمات من علي في اغتصاب حقه
حول ما وقعت في خلافة علي من الحوادث ، وفيه : . . . الى آخر المطالب الاخرى
و محتوياتها : من بيان احوال الائمة بعد علي عند الشيعة .

تأليفات وآثار آخر من مؤلف هذه الاوراق :

فى المنطق :

- ١- «رَهْبَرِ خِرْدُ» (باللغة الفارسية المتداولة ، طبع قسم المنطق منه مرّات ولم يتم بعدُ قسمى الألهى والتّطبيعى منه)
- ٢- «منطق» (مطبوع) (بالفارسيّة)
- ٣- «دانشرا»)
- ٤- «خِرْدُ سَنَج» (بالفارسية المحضّة)

فى الفلسفة :

- ٥- قسمى الألهى والتّطبيعى من «رَهْبَرِ خِرْدُ» (لم يتمّ، لعوائق اخّرت انمامها)
- ٦- رسالة «بُوذُ وَ نِمُودُ» (فى مباحث المهية والوجود - مطبوعة -)
- ٧- رسالة «الظّلّ الممدود» (فى امّهات مباحث الوجود - باللغة العربيّة -)
- ٨- «النظرة الدّقيقة فى قاعدة بسيط الحقيقة» (باللّغة العربيّة - مطبوعة -)
- ٩- رسالة «شهاب التّطور - فى تأويل آية النّور -» (باللّغة العربيّة . جمعت فيها آراء بعض الأكابر فى تأويل الآية، وأردفت بتحقيق ماآه المؤلف فيه)
- ١٠- «مبّدء و معاد» ترجمة كتاب «المبدء والمعاد» للشيخ الرئيس ابى على- بن سينا، مع مقدمة متكفّلة لتعريف الكتاب و ترجمة مؤلفه - مطبوعة -)
- ١١- تصحيح كتاب «الأشارات والتنبيهات» لابى على بن سينا وكتاب «لباب- الالباب» لفخرالدين الرازى، مع مقدمة مشروحة لتعريف الكتاب - مطبوعة -)
- ١٢- تصحيح رسالة «روانشناسى» للشيخ ابن سينا فى معرفة النفس (مع مقدّمة مشروحة لبيان الاوصاف البارزة للشيخ - مطبوعة -)

- ١٣- رسالة «بَيِّنٌ وَ أَمِينٌ» (في شرح حديث من سأل عن التوحيد) -
- ١٤- ترجمة رسالة «حقائق الصنائع» (او كما اشتهر: رسالهٔ صنايعيه) للعارف-
النَّبيل والحكيم الجليل السيد ابي القاسم المشهور بـ «ميرالفندرسكى» (اصل الرسالة
بالفارسيّة ، عربها مؤلّف هذا الكتاب)
في الفقه و اصوله و قواعده :
- ١٥- «تقريبات اصول» (بالفارسيّة وله مقدّمة تتكفل تاريخ الاصول حدوثا ،
وسلوكا في مسير التكامل . طبع قريبا من عشرة مرات)
- ١٦- «قواعد فقه» (بالفارسيّة . طبع سبعة مرّات)
- ١٧- «دورسالة» (بالفارسيّة، احديهما في «وضع الالفاظ» و ثانيتهما في «قاعدة
لاضرر» كان موضوع البحث في قسم الدكتوراه بكلية الحقوق من «جامعة تهران» .
طبعت ثلاث مرّات)
- ١٨- تعليقات على كتاب «شرائع الاسلام» للمحقق الحلي (طبعت قسمة التجارة
منه مع التصحيح و التعليق)
- ١٩- «سير اصول الفقه و تحوّل» (مختصر بعنوان المقدّمة على الجزء الأوّل من
«فوائد الاصول» للكاظميني احد اعلام العلم ، ره ،)
- ٢٠- «ادوار فقه» المجلّد الاوّل (بالفارسيّة - في سير الفقه الاسلامي و تطوّره
طبع مرّات)
- ٢١- «ادوار فقه» المجلّد الثاني (طبع مرّات)
- ٢٢- «ادوار فقه» المجلّد الثالث (مطبوع - و الجزء الرابع من الكتاب مُعدّ
للتّبع ، إن شاء الله ، و تأليف بقية الاجزاء مرهون عناية الله و توفيقه)
- ٢٣- «رسالة في الخمس» (بالعربيّة)
- ٢٤- «رسالة في المعاني الجرفيّة و تحقيق معاني الحروف»
- ٢٥- «تعليقات على مواضع من كفاية الاصول»
- ٢٦- «ارساء الفلّك في تفسير سورة الملّك» (بالعربيّة لم يتمّ)

٢٧- «فروغ ايمان» عنوان تفسير كان يكتب متدرّجاً في «مجلة ايمان» انشأها ونشرها المؤلف شهرياً، وانتشر منها تسع عشر عدداً - فيها بعض المقدمات لما اريد من التفسير)

٢٨- «راى العقل السليم، فى ماجادل فرعون به، الكليم» (حيث نسب الى موسى- الجنون وهده بالسجن)

٢٩- عدّة رسالات مختصرة من هذا القبيل : «توجيه الحصر» (يعنى الحصر- الواقع فى قوله تعالى : «وان ليس للانسان الا ما سعى»). و«الانسان والعقل» (فى بيان كون غاية خلق الانسان ان يصير عاقلاً كما اشير اليه فى القرآن المجيد) فى المذهب :

٣٠- «الشيعه» (فصل من كتاب طبع باميركن بعد ما ترجم باللغه الانكليزية)
٣١- «الاسلام والشيعه الامامية فى اساسها التاريخي وكيانها الاعتقادي (هذا- الكتاب . فى ثلاثة اجزاء)

٣٢- «مسرّح الفؤاد فى ترجمة السيد الداماد» (بالعربية- لم يتم - طبعت مقدمتها فى مجموعة اسمها «گلزار معاني»

٣٣- ترجمة الشيخ الطوسى، ره، (بالعربية، بعنوان المقدمة على منتخب من كتابه المشهور بـ«الخلاف» مطبوعه-)

فى متفرقات :

٣٤- «شدّرات» كتاب من قبيل الكشكول، للشيخ بهاء الدين العاملى (ره)، قريب من سبعمائة صفحة .

٣٥- منظومات بالفارسية فى ترجمة قصائد عربية - كقصيدة الميمية للبوصيرى، المعروفة بـ«قصيدة البردة» و قصيدة الطغرائى المعروفة بـ«لامية العجم» و قصيدة النونية البُستى التي مطلعها «زيادة المرء فى دنياه نقصان» و قصيدة الرائية لابي على حسين بن عبدالله البغدادى الحكيم، مطلعها :

« بربتك أيتها الفلك المدار بقصد ذا المسير ام اضطرار»

٣٦- متفرقات فارسية و عربية نظما و نثرا في مجموعات متعددة ، منها نحو
 «ماتين جملة رتبت على حروف الهجائية من هذا القبيل : «ارادة الخير ، خير الأرادة»
 «بذر الشر ، شرّ البذر» ، «توجيه الفساد ، فساد التوجيه» ، «ثبات الروح ، روح الثبات»
 «جوهر الحركة ، حركة الجوهر» ، «حقيقة العشق ، عشق الحقيقة» ، «خير الكلام ،
 كلام الخير» و قس على ذلك . ومنها اصول عقلية وقواعد فلسفية وغيرها .

٣٧- مقالات متنوعة في موضوعات مختلفة .

٣٨- مجلة ايمان نشرت منها تسعة عشر جزءا .

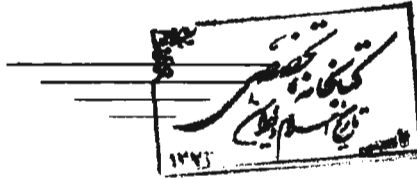
٣٩- عظمت محمد ، ص ، (ترجمة كتاب «محمد صلى الله عليه وآله وسلم»

الممثل الكامل» - طبعت مكرراً -)

٤٠- حديث تمثيل (ترجمة كتاب «حديث التمثيل» تأليف السيد المحقق التداماد

قدس سره ، في تفسير قوله (ص) يا هلى مامثلكك فى الناس الا كمثل سورة «قل
 هو الله احد» فى القرآن . . .»

٤١- «منهاج الشريعة فى حكم الأحداث والبدعة» (رسالة وجيزة بالعربية)



اصلاح مواضع الخطاء

المرجو من الناظرين الأفاضل ان يصلحوا موارد الخطاء ، على ما ينظرون في-
الجدول ، بعد اصلاحهم ارقام العناوين من الصفحة ال ٣٣ الى ، كما ان المأمول
من عنايتهم ان يصلحوا ما لم يُزبَر في الجدول ، لظهوره على الناظر او لسقوطه
عن النظر . و لهم الشكر :

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
٤	١٢	الساذجة	١٣٩	٦	و يُفَقِّهَهُمْ
٥	١٠	كمال	١٤١	٧	يدركوا الامر
١٠	١٠	وباية	١٤١	٩	للتأمر
٢٣	٧	ويُخْرِجُ	١٤٨	٧	مَرْضَاة
٣٠	١٨	متين	١٤٨	١٦	الريية
٣٣	١٣	ماهى المعجز	١٥٠	١٠	فانصرفوا الى
٣٧	٥	ناظراً	١٥١	١٥	اعتراً
٥٠		نماذج	١٥١	١٧	و الشاة
٥٦	١٩	رعاية	١٥٢	٩	و المنة
٦١	٨	الصديقة	١٥٨	٥	الوجه
٨٦	٢٠	تشاء	١٨٥	١٦	هنيئاً
٩٠	١٨	يترتب	٢٠٠	١١	النصفة
٩٨	١٥	بعته	٢٠٠	٣	وقد غمرك
١١٠	١٢	اصنافاً	٢١١	٢١	خزانة الكتب
١١٢	٥	مناديا ينادى	٢١١	٢١	السلطان

